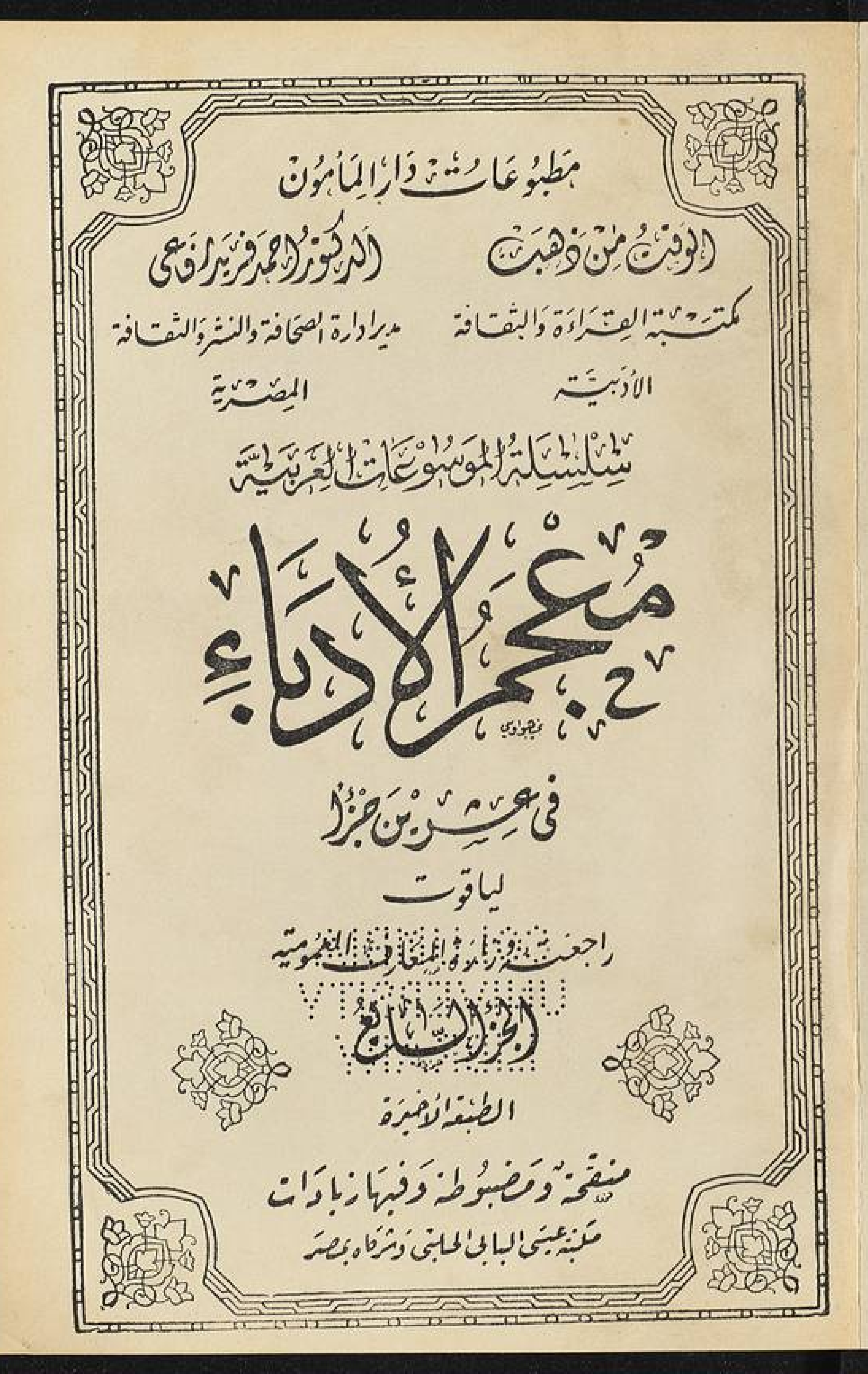


مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب
مكتبة القراءة والثقافة الأدبية

الدكتور أحمد فريد رفاعي
مدير إدارة الصحافة والنشر والثقافة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

في عشرين جزءا

لياقوت

راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء السابع

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين ، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين . اما بعد فقد قال العماد الأصفهاني :

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر

العماد الأصفهاني

١ – إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، بْنِ مُحَمَّدِ ، بْنِ مِيكَالَ *

اسماعيل الميكالى

أَبُو الْعَبَّاسِ الْمِيكَالِيُّ ، وَقَدْ ذُكِرَ هَذَا النَّسَبُ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ ، مَاتَ لَيْلَةَ الِاثْنَيْنِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ صَفَر ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ بِنَيْسَابُورَ ، وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ سَنَةً ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ بَابِ مَعْمَرٍ [1] ، وَكَانَ شَيْخَ خُرَاسَانَ ، وَوَجْهَهَا وَعَيْنَهَا فِي عَصْرِهِ ، سَمِعَ بِنَيْسَابُورَ أَبَا بَكْرٍ

---

(١) اسم مكان بنيسابور غير ذاك المكان الذى يقول فيه طرفة

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فطيرى واصفرى

« ونقرى ما شئت أن تنقرى »

وقد يطلق المعمر على المكان الذى تقيم فيه

(*) ترجم له فى كتاب شذرات الذهب ج ثالث ص ٤١ قال :

إسماعيل بن عبد الله ، بن محمد بن ميكال ، الامير أبو العباس ، الاديب الممدوح بمقصورة ابن دريد ، وتلميذ ابن دريد ، وكان أبوه متولى الأهواز للمقتدر ، فأسمعه من عبدان الجواليق .

وكذلك ترجم له فى كتاب الأعلام ، ج أول صفحة ١٠٨ قال :

هو شيخ خراسان ، وكان وجيهاً فى عصره ، كما كان كاتباً مترسلا ، تقلد ديوان الرسائل ، وفيه وفى أبيه قال الدريدى مقصورته يمدحهما ، توفى بنيسابور

مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ ، وَأَبَا الْعَبَّاسِ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ السَّرَّاجَ ، وَأَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْمَاسَرْجَسِيَّ ، وَبِكُورِ الْأَهْوَازِ ، عَبْدَانَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الْجَوَالِيقِيَّ الْحَافِظَ ، وَالْحُسَيْنَ بْنَ بَهَارٍ ، وَعَلِيَّ بْنَ سَعِيدٍ الْعَسْكَرِيَّ . سَمِعَ مِنْهُ الْحُفَّاظُ : مِثْلُ أَبِي عَلِيٍّ النَّيْسَابُورِيِّ ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَجَّاجِيِّ ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، ابْنِ الْبَيِّعِ الْحَافِظِ ، وَذَكَرَهُ فِي التَّارِيخِ وَقَالَ :

وُلِدَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِنَيْسَابُورَ ، فَلَمَّا قَلَّدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَدِرُ بِاللهِ ، أَبَاهُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُحَمَّدٍ ، لِلْأَعْمَالِ بِكُورِ الْأَهْوَازِ ، حُمِلَ إِلَى حَضْرَةِ أَبِيهِ ، فَاسْتَدْعَى أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ ، ابْنِ دُرَيْدٍ لِتَأْدِيبِهِ ، فَأُجِيبَ إِلَيْهِ إِيجَابًا لَهُ[1] ، وَبَعَثَ بِأَبِي بَكْرٍ الدُّرَيْدِيِّ إِلَيْهِ ، فَهُوَ كَانَ مُؤَدِّبُهُ ، وَكَانَ وَاحِدَ عَصْرِهِ ، وَفِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ مِيكَالَ ، وَابْنِهِ

(١) فى نفسى شىء من هذه الجملة وأراها قلقة ، ولعلها فأجابه ، اجلالا له ، أو لعلها فأجابه ايجابا . « عبد الخالق »

أَبِي الْعَبَّاسِ ، قَالَ الدُّرَيْدِيُّ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ فِي الدُّنْيَا ، الَّتِي مَدَحَهُمْ بِهَا .

ثُمَّ قَالَ الْحَاكِمُ : سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَقْصُورَةِ الدُّرَيْدِيِّ يَقُولُ : أَنْشَدَنِيهَا مُؤَدِّبِي أَبُو بَكْرٍ الدُّرَيْدِيُّ ، ثُمَّ قَرَأْتُهَا عَلَيْهِ مِرَاراً ، فَسَأَلْنَاهُ أَنْ يُنْشِدَهَا فَقَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ .

إِمَّا تَرَىْ رَأْسِي حَاكَى لَوْنُهُ

إِلَى أَنْ بَلَغَ إِلَى الْأَبْيَاتِ ، الَّتِي مَدَحَهُمُ الدُّرَيْدِيُّ فِيهَا ، فَقَالَ : هَذِهِ الْأَبْيَاتُ قَدْ ذَكَرْنَا فِيهَا ، فَلَوْ أَنْشَدَهَا بَعْضُكُمْ ؟ فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ أَبُو مَنْصُورٍ الْفَقِيهُ ، وَأَقَرَّ بِهَا وَهِيَ :

إِنَّ الْعِرَاقَ لَمْ أُفَارِقْ أَهْلَهُ

عَنْ شَنَآنٍ [1] صَدَّنِي وَلَا قِلَى [2]

---

(١) الشنآن : العداوة ، قال الله جل شأنه « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا »

(٢) القلى : الهجر

إِلَى أَنْ بَلَغَ قَوْلَهُ :

لَا زَالَ شُكْرِى لَهُمَا مُوَاصِلًا

دَهْرِى أَوْ يَعْتَاقَنِى (١) صَرْفُ الْفَنَا

إِلَى هٰهُنَا قُرِئَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَنْشَدَنَا لَفْظًا إِلَى آخِرِهَا ، وَذَلِكَ فِى شَهْرِ رَمَضَانَ ، سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ .

قَالَ الْحَاكِمُ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْجُورِىَّ الْأَدِيبَ ، وَهُوَ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَبِى بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ ، قُلْتُ لَهُ : أَيْنَ كَتَبْتَ عَنْهُ ؟ وَلَمْ تَدْخُلِ الْعِرَاقَ ؟ قَالَ : كَتَبْتُ عَنْهُ بِفَارِسَ لَمَّا قَدِمَ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ ، بْنِ مِيكَالَ ، لِتَأْدِيبِ وَلَدِهِ أَبِى الْعَبَّاسِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَبُو الْعَبَّاسِ إِذْ ذَاكَ صَبِىٌّ ، فَقَالَ : لَا وَاللهِ إِلَّا رَجُلٌ (٢) ، إِمَامٌ فِى الْأَدَبِ وَالْفُرُوسِيَّةِ ، بِحَيْثُ يُشَارُ إِلَيْهِ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ الْوَضَّاحِىَّ

---

(١) يعتاقنى : يعوق يريد ، أو يعوقنى ، ويحول بينى وبين الشكر الموت « عبد الخالق »

(٢) يريد إن هو إلا رجل الخ

يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ بْنَ مِيكَالَ ، يَذْكُرُ صِلَةَ الدُّرَيْدِيِّ فِي إِنْشَائِهِ الْمَقْصُورَةَ فِيهِمْ . قَالَ الْوَضَّاحِيُّ : فَقُلْتُ لَهُ : « وَإِيش »(١) الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ خَاصَّةِ الشَّيْخِ ؟ فَقَالَ : لَمْ تَصِلْ يَدِي إِذْ ذَاكَ ، إِلَّا إِلَى ثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ ، صَبَبْتُهَا فِي طَبَقِ كَاغِدٍ(٢) ، وَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ .

قَالَ : وَسَمِعَ الْمِيكَالِيُّ مِنْ عَبْدَانَ الْأَهْوَازِيِّ ، وَسَمِعَ الْمُوَطَّأَ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، وَسَمِعَ لَمَّا عَادَ إِلَى نَيْسَابُورَ ، مِنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ خُزَيْمَةَ ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ الثَّقَفِيِّ ، وَالْمَاسَرْجَسِيِّ ، وَأَقْرَانِهِمْ . وَحَدَّثَ بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً إِمْلَاءً وَقِرَاءَةً .

وَرَوَى عَنْهُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَافِظُ فِي مُصَنَّفَاتِهِ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ الْحَجَّاجِيُّ وَمَشَايِخُنَا — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ — .

قَالَ الْحَاكِمُ : سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِسْمَاعِيلَ يَقُولُ : لَمَّا تُوُفِّيَ أَبِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مِيكَالَ ، أَمَرَ أَمِيرُ

---

(١) قد سبق القول أن إيش استعمال قديم

(٢) الطبق مايؤكل عليه، ومن معناه المال، ومنه قوله تعالى « لتركبن طبقا عن طبق » وعن هنا بمعنى بعد « عبد الخالق »

الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْ أُقَلِّدَ الأَعْمَالَ الَّتِي كَانَ يَتَقَلَّدُهَا أَبِي ، فَأَمَرَ لِي بِاللِّوَاءِ وَالْخِلْعَةِ ، وَأَخْرَجَ فِي ذَلِكَ خَادِمًا مِنْ خَوَاصِّ الْخَدَمِ ، وَكُوتِبْتُ فِيهِ ، فَبَكَيْتُ وَاسْتَعْفَيْتُ ، وَالنَّاسُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقُلْتُ : لِي بِخُرَاسَانَ مَعَاشٌ أَرْجِعُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفْتُ إِلَى نَيْسَابُورَ ، جَاءَنِي أَبُو نَصْرِ بْنُ أَبِي حَيَّةَ غَدَاةَ جُمُعَةٍ ، فَقَالَ : يَنْبَغِي أَنْ تَتَأَهَّبَ لِلرُّكُوبِ إِلَى الرَّئِيسِ أَبِي عَمْرٍو الْخَفَّافِ ، فَإِنَّ هَذَا رَسْمُ مَشَايِخِ الْبَلَدِ مَعَهُ ، فَرَكِبْتُ مَعَهُ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَتَحَرَّكْ لِي ، فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَأَنَا أَبْكِي ، فَقَالَ لِي أَبُو نَصْرٍ : مَا الَّذِي أَبْكَاكَ ؟ فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللهِ ، رَدَدْتُ عَلَى الْمُقْتَدِرِ لِوَاءَ (١) الْوِلَايَةِ بِفَارِسَ ، وَخُوزِسْتَانَ ، وَانْصَرَفْتُ إِلَى نَيْسَابُورَ ، حَتَّى أَزُورَ أَبَا عَمْرٍو الْخَفَّافَ ، فَلَمْ يَتَحَرَّكْ لِي ، فَقَالَ لِي : لَا تَغْتَمَّ بِهَذَا ، وَاعْمَلْ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَى هَرَاةَ ، فَإِنَّ وَالِيَ خُرَاسَانَ ، أَحْمَدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ بِهَا ، وَإِذَا رَآكَ

---

(١) كانت فى الأصل : « رددت على المقتدر على الولاية » فأصلحت إلى ما ترى

وَضَرْبَكَ بِالصَّوْلَجَانِ [١] وَعَلِمَ مَحَلَّكَ ، أَجْلَسَكَ عَلَى رِقَابِ كُلِّ مَنْ بِنَيْسَابُورَ . فَتَأَهَّبْتُ وَأَصْلَحْتُ هَدِيَّةً لَهُ ، وَخَرَجْتُ إِلَى هَرَاةَ ، فَوَصَلْتُ إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ ، وَرَضِيَ خِدْمَتِي ، وَدَعَانِي إِلَى الصَّوْلَجَانِ ، وَرَضِيَ مُقَامِي ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنْتُ لِلانْصِرَافِ ، عَرَضَ عَلَيَّ أَعْمَالًا جَلِيلَةً ، فَامْتَنَعْتُ عَنْهَا ، فَزَوَّدَنِي بِجَهَازٍ [٢] وَخِلَعٍ ، وَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو نَصْرِ بْنُ أَبِي حَيَّةَ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ بْنَ أَبِي ذُهْلٍ يَقُولُ : قَالَ لِي الْوَزِيرُ أَبُو جَعْفَرٍ ، أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْعُتْبِيُّ ، لَمَّا أَجْلَسَنِي الْأَمِيرُ الرَّشِيدُ هَذَا الْمَجْلِسَ ، نَظَرْتُ إِلَى جَمِيعِ أَهْلِ خُرَاسَانَ ، مِمَّنْ يُؤَهَّلُ لِلْجُلُوسِ مَعِي فِي مَجْلِسِ السُّلْطَانِ ، — أَيَّدَهُ اللهُ — فَلَمْ أَجِدْ فِيهِمْ أَجَلَّ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ مِيكَالَ ، فَسَأَلْتُ السُّلْطَانَ اسْتِحْضَارَهُ ، فَلَمَّا حَضَرَ امْتَنَعَ مِنْ تَقَلُّدِ الْعَمَلِ : فَقُلْتُ لَهُ : دِيوَانُ الرَّسَائِلِ هُوَ مِثْلُ [٣] قَضَاء

(١) الصولجان والصولجانة : العصا المعقوفة الرأس ، ومنها « صولجان الملك » والجمع صوالجة فارسية . (٢) الجهاز بالفتح والكسر ما يعد للميت والعروس ، مما يحتاجانه ، وبالفتح فقط : الرحل وأداته (٣) ليست هذه الكلمة فى الأصل

الْقُضَاةِ، أَمْرٌ مَنُوطٌ بِالْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ ، فَتَقَلَّدَ دِيوَانَ الرَّسَائِلِ ، فَصَارَ جَلِيسِى فِى مَجْلِسِ السُّلْطَانِ ، وَكَانَ عَلَى كُرْهٍ مِنْ أَبِى الْعَبَّاسِ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا يَحْيَ حَمَّادَ بْنَ الْحَمَّادِيِّ يَقُولُ : لَمَّا قُلِّدَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ مِيكَالَ الدِّيوَانَ(١) ، أُمِرَ أَنْ يُغَيِّرَ زِيَّهُ مِنَ التَّعَمُّمِ تَحْتَ الْحَنَكِ (٢) وَالرِّدَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ، وَرَاجَعَ السُّلْطَانَ فِيهِ حَتَّى أُذِنَ فِيهِ ، فَكَانَ يَجْلِسُ فِى الدِّيوَانِ مُتَطَلِّساً (٣) مُتَعَمِّماً تَحْتَ الْحَنَكَةِ . قَالَ : وَسَمِعْتُ قَاضِيَ الْقُضَاةِ أَبَا الْحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ صَالِحٍ الْهَاشِمِيَّ ، يَذْكُرُ آثَارَ الْمِيكَالِيَّةِ بِبَغْدَادَ ، وَيَصِفُ إِنْشَاءَ ابْنِ مِيكَالَ ، فَوُصِفَ لَهُ بَعْضُ أَحْوَالِهِمْ بِخُرَاسَانَ ، فَقَالَ : آثَارُهُمْ عِنْدَنَا بِالْعِرَاقِ أَكْثَرُ مِنْهَا بِخُرَاسَانَ ، لِأَنَّهُمْ نَاقِلَةٌ (٤) مِنْ عِنْدِنَا إِلَى خُرَاسَانَ .

---

(١) كلمة الديوان : ساقطة من هذا الأصل ، ومذكورة فى العماد ، فذكرناها لذلك

(٢) يقال تحنك الرجل : أى أدار العمامة تحت الحنك ، والحنك باطن أعلى الفم من داخل ، والأسفل من طرف مقدم اللحيين .

(٣) أى لابساً الطيلسان والعمامة

(٤) وفى الأصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « نافذة » والمراد منتقلون وناقلة فى معنى الجمع ، كالسابلة والقافلة .

﴿ ٢ – إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، ﴾
﴿ ابْنِ أَبِي ذُؤَيْبٍ السُّدِّيُّ الأَعْوَرُ * ﴾

اسماعيل السدى

وَقِيلَ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي كَرِيمَةَ ، مَوْلَى زَيْنَبَ بِنْتِ قَيْسٍ ، بْنِ مَخْرَمَةَ ، مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، حِجَازِيُّ الْأَصْلِ ، سَكَنَ الْكُوفَةَ ، مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ، فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ ، فِي وِلَايَةِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ . رَوَى عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ ، وَعَبْدِ خَيْرٍ ، وَأَبِي صَالِحٍ ، وَرَأَى ابْنَ عُمَرَ ، وَهُوَ السُّدِّيُّ الْكَبِيرُ ، وَكَانَ ثِقَةً مَأْمُونًا ، رَوَى عَنْهُ الثَّوْرِيُّ وَشُعْبَةُ ، وَزَائِدَةُ ، وَسِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خُزَيْمَةَ ، وَسُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ .

(*) ترجم له فى كتاب طبقات المفسرين ، ورقة ٤٧ قال :

« إسماعيل بن عبد الرحمن ، بن أبى كريمة الهاشمى السدى بضم المهملة ، وتشديد الدال ، أبو محمد الكوفى الأعور » .

صاحب التفسير ، أصله حجازى ، مولى زينب بنت قيس ، بن مخزمة من بنى المطلب ، بن عبد مناف ، يكنى أبا محمد ، روى عن ابن عباس ، وأنس وطائفة . وروى عنه أبو عوانة والثورى ، والحسن بن صالح ، وزائدة ، وأبو بكر ابن عياش ، وخلق . صدوق ثقة ، وهو من الطبقة الرابعة ، أخرج له الجماعة الا البخارى ، ومات سنة سبع وعشرين ومائة .

وَكَانَ ابْنُ أَبِي خَالِدٍ إِسْمَاعِيلُ يَقُولُ : السُّدِّىُّ أَعْلَمُ بِالْقُرْآنِ مِنَ الشَّعْبِيِّ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مَرْدَوَيْهِ : الْحَافِظُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّدِّىُّ ، يُكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ ، صَاحِبُ التَّفْسِيرِ ، إِنَّمَا سُمِّيَ السُّدِّىَّ ، لِأَنَّهُ نَزَلَ بِالسُّدَّةِ ، كَانَ أَبُوهُ مِنْ كِبَارِ أَهْلِ أَصْبَهَانَ ، أَدْرَكَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، وَابْنُ عُمَرَ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ[1] .

وَقَالَ غَيْرُهُ : نُسِبَ السُّدِّىُّ إِلَى بَيْعِ الْخُمُرِ « يَعْنِي الْمَقَانِعَ » فِي سُدَّةِ الْجَامِعِ « يَعْنِي بَابَ الْجَامِعِ[2] » وَقَالَ الْفَلَكِيُّ : إِنَّمَا سُمِّيَ السُّدِّىُّ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ بِالْمَدِينَةِ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ السُّدُّ . قَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ : مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَذْكُرُ السُّدِّىَّ إِلَّا بِخَيْرٍ . وَمُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، ابْنِ إِسْمَاعِيلَ ، بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّدِّىُّ ، مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ

---

(١) ابن عباس : ولد فى عصر الرسالة ، ولكن لا يعد من الصحابة ، إلا اذا اعتبرنا الصحب مطلقاً على كل من وجد فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم « عبد الخالق »

(٢) وهذا ما قاله صاحب المحيط وقوله بالنص : وإسماعيل السدى لبيعه المقانع فى سدة مسجد الكوفة »

يَرْوِى عَنِ الْكَلْبِيِّ صَاحِبِ التَّفْسِيرِ ، وَدَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، وَهِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ . رَوَى عَنْهُ ابْنُهُ عَلِيٌّ ، وَيُوسُفُ بْنُ عَدِيٍّ ، وَالْعَلَاءُ بْنُ عَمْرٍو ، وَأَبُو إِبْرَاهِيمَ التَّرْجُمَانِيُّ ، وَغَيْرُهُمْ . وَهُوَ السُّدِّيُّ الصَّغِيرُ . وَكَانَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ يَقُولُ ، السُّدِّيُّ الصَّغِيرُ ، مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ صَاحِبُ التَّفْسِيرِ ، لَيْسَ بِثِقَةٍ . وَقَالَ الْبُخَارِيُّ : مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الْكُوفِيُّ ، صَاحِبُ الْكَلْبِيِّ ، لَا يُكْتَبُ حَدِيثُهُ أَلْبَتَّةَ . وَسُئِلَ أَبُو عَلِيٍّ صَالِحٌ جَزَرَةً عَنْهُ فَقَالَ : كَانَ ضَعِيفًا ، وَكَانَ يَضَعُ الْحَدِيثَ ، وَكُلٌّ ضَعَّفَهُ [1] .

وَذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي تَارِيخِ أَصْبَهَانَ ، مِنْ تَصْنِيفِهِ قَالَ : إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْوَرُ ، يُعْرَفُ بِالسُّدِّيِّ ، صَاحِبُ التَّفْسِيرِ ، كَانَ أَبُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يُكْنَى أَبَا كَرِيمَةَ ، مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِ أَصْبَهَانَ ، تُوُفِّيَ فِي وِلَايَةِ مَرْوَانَ ، وَذَكَرَ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَكَانَ عَرِيضَ اللِّحْيَةِ ، إِذَا جَلَسَ غَطَّتْ [2] لِحْيَتُهُ صَدْرَهُ . قِيلَ : إِنَّهُ رَأَى سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ .

(١) أى قال بضعفه (٢) فى الأصل : غطى

وَقَالَ أَبُو نَعِيمٍ بِإِسْنَادِهِ : إِنَّ السُّدِّىَّ قَالَ : هَـٰذَا التَّفْسِيرُ أَخَذْتُهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، إِنْ كَانَ صَوَابًا فَهُوَ قَدْ قَالَهُ : وَإِنْ كَانَ خَطأً فَهُوَ قَالَهُ . قَالَ أَبُو نَعِيمٍ فِيمَا رَفَعَهُ إِلَى السُّدِّىِّ : إِنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مِنْهُمْ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِىُّ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، وَابْنُ عُمَرَ . كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، عَلَى الْحَالِ الَّتِى فَارَقَ عَلَيْهَا مُحَمَّدًا ، إِلَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ .

﴿ ٣ – إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، بْنِ أَحْمَدَ ﴾
﴿ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، بْنِ عَامِرِ ، بْنِ عَابِدٍ * ﴾

اسماعيل الصابونى

أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِىُّ ، مَاتَ فِى ثَالِثِ مُحَرَّمٍ سَنَةَ

(*) ترجم له فى طبقات المفسرين ورقة ٤٧ قال :

هو اسماعيل النيسابورى ، الواعظ المفسر ، المحدث الاستاذ ، شيخ الاسلام وإمام المسلمين ، فريد وقته ، شهدت له أعيان الرجال بالكمال ، وبالحفظ والتفسير وغيرهما . حدث عن زاهر السرخسى ، وأبى طاهر بن خزيمة ، وعبد الرحمن بن أبى شريح . وحدث عنه أبو بكر البيهق ، وعبد العزيز الكتانى ، وطائفة . وكان كثير السماع ، والتصنيف ، وممن رزق العز والجاه ، فى الدين والدنيا ، عديم النظير ، وسيف السنة ، ودافع —

تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، قَالَ عَبْدُ الْغَافِرِ : هُوَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ، أَبُو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ الْخَطِيبُ ، الْمُفَسِّرُ الْمُحَدِّثُ الْوَاعِظُ ، أَوْحَدُ وَقْتِهِ فِي طَرِيقَتِهِ ، وَكَانَ أَكْثَرَ أَهْلِ الْعَصْرِ مِنَ الْمَشَايِخِ سَمَاعاً وَحِفْظاً ، وَنَشْراً لِمَسْمُوعَاتِهِ

— البدع ، يضرب به المثل فى كثرة العبادة ، والعلم والذكاء ، والزهد ، والحفظ ، أقام أشهرا فى تفسير آية ، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ، ومات يوم الجمعة رابع محرم ، سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، ورثاه الامام أبو الحسن الداودى بقوله :

أودى الامام الحبر إسماعيل — لهفى عليه ليس منه بديل
والشمس والقمر المنير تناوحا — حزناً عليه والنجوم عويل
والأرض خاشعة تبكى شجوها — ويلا تولول لابن إسماعيل
أين الامام الفرد فى آدابه — ما إن له فى العالمين مثيل
لاتخدعنك ذى الحياة فانها — تلهى وتنسى والمنى تضليل
وتأهبن للموت قبل نزوله — فالموت حتم والبقاء قليل

ومن نظمه :

إذا لم أصب أموالكم ونوالكم — ولم آمل المعروف منكم ولا البرا
وكنتم عبيدا للذى أنا عبده — فمن أجل ماذا أتعب البدن الحرا

وله ترجمة أخرى فى كتاب الاعجام ، ج أول ص ١٠٧ قال :

هو مقدم أهل الحديث فى بلاد خراسان ، لقبه أهل السنة فيها بشيخ الاسلام ، فلا يعنون عند إطلاقهم هذه اللفظة غيره ، ولد ومات بنيسابور ، وكان فصيح اللهجة ، واسع العلم عارفا بالحديث والتفسير ، يجيد الفارسية كما يجيد العربية ، ومن مصنفاته : كتاب عقيدة السلف .

وترجم له أيضا فى طبقات الشافعية للسبكى ج ثالث ص ١١٧

وترجم له أيضا فى كتاب تهذيب ابن عساكر ج ٣ ص ٢٧ ـ ٣٣

وَتَصْنِيفَاتِهِ ، وَجَمْعاً وَتَحْرِيضاً عَلَى السَّمَاعِ ، وَإِقَامَةً لِمَجَالِسِ الْحَدِيثِ .

سَمِعَ الْحَدِيثَ بِنَيْسَابُورَ ، مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ التَّابُوتِيِّ ، وَأَبِي سَعِيدٍ السِّمْسَارِ ، وَبِهَرَاةَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْفُرَاتِ ، وَأَبِي مَعَاذٍ شَاهَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَسَمِعَ بِالشَّامِ وَالْحِجَازِ ، وَدَخَلَ مَعَرَّةَ النُّعْمَانِ ، فَلَقِيَ بِهَا أَبَا الْعَلَاءِ أَحْمَدَ ابْنَ سُلَيْمَانَ ، وَسَمِعَ بِالْجِبَالِ (١) وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ ، وَحَدَّثَ بِنَيْسَابُورَ ، وَخُرَاسَانَ إِلَى غَزْنَةَ ، وَبِلَادِ الْهِنْدِ ، وَجُرْجَانَ ، وَآمُلَ ، وَطَبَرِسْتَانَ ، وَبِالشَّامِ ، وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَالْحِجَازِ . رَوَى عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْقَارِىءُ ، وَأَبُو صَالِحٍ الْمُؤَذِّنُ . وَمِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ : أَنَّ الصَّابُونِيَّ وَعَظَ لِلنَّاسِ سَبْعِينَ سَنَةً .

قَالَ : وَلَهُ شِعْرٌ مِنْهُ :

مَالِي أَرَى الدَّهْرَ لَا يَسْخُو (٢) بِذِي كَرَمٍ
وَلَا يَجُودُ بِمِعْوَانٍ وَمِفْضَالِ

---

(١) كذا بالاصل ، وفى نسخة العماد الخطية : « بالحداد » هكذا من غير اعجام

(٢) أى لايسمح بوجود كريم معين متفضل

وَلَا أَرَى أَحَدًا فِى النَّاسِ مُشْتَرِيًا
حُسْنَ الثَّنَاء بِإِنْعَامٍ وَإِفْضَالِ
صَارُوا سَوَاسِيَةً (١) فِى لُؤْمِهِمْ شَرَعًا (٢)
كَأَنَّمَا نُسِجُوا فِيهِ بِمِنْوَالِ (٣)

وَذَكَرَ مِنْ فَضْلِهِ كَثِيرًا ثُمَّ قَالَ : وَمَوْلِدُهُ بِبُوشَنْج لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَذَكَرَ وَفَاتَهُ كَمَا تَقَدَّمَ .

﴿ ٤ – إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ ، بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَحْيَى ، ﴾
﴿ ابْنِ بَنَّانٍ الْخَطِيبِيُّ * ﴾

اسماعيل الخطيبى

أَبُو مُحَمَّدٍ ، سَمِعَ الْحَارِثَ بْنَ أَبِى أُسَامَةَ ، وَالْكُرَيْمِيَّ ،

---

(١) أى متساوين لاتفاوت بينهم ، وفى نسخة اكسفورد : « يومهم » وما هنا أنسب بالمقام

(٢) شرع وشرع بالتحريك والتسكين : أى سواء ، يستوى فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث (٣) المنوال : آلة النسج

(*) ترجم له فى تاريخ مدينة السلام ، جزء ٤ صفحة ٤٢٥ مخطوطات ، بترجمة مسهبة زيد فيها أشياء لم يتعرض لها ياقوت ، وهى :
« اسماعيل بن على ، بن اسماعيل ، بن يحيى ، بن بنان أبو محمد الخطبي » —

وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَحْمَدَ ، وَغَيْرَهُمْ . وَرَوَى عَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ ، وَابْنُ شَاهِينَ ، وَابْنُ رِزْقَوَيْهِ . وَكَانَ ثِقَةً فَاضِلًا نَبِيلًا ، فَهِمًا عَارِفًا بِأَيَّامِ النَّاسِ ، وَأَخْبَارِ الْخُلَفَاءِ . وَصَنَّفَ تَارِيخًا كَبِيرًا عَلَى تَرْتِيبِ السِّنِينَ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْأَدَبِ ، رَكِينًا (١) عَاقِلًا ، ذَا رَأْيٍ يَتَحَرَّى الصِّدْقَ . وُلِدَ الْخُطَبِيُّ فِي مُحَرَّمٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَاتَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةَ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فِي خِلَافَةِ الْمُطِيعِ لِلهِ .

— سمع الحارث بن أبي أسامة التميمى ، وإدريس بن جعفر العطار ، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة ، وأبا العباس الكريمى ، وبشر بن موسى الأسدى ، ومحمد ابن هشام ، بن أبى الدميك المروزى ، وأبا شعيب الحرانى ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، والحسين بن فهم ، وأحمد بن على الخزاز ، ومحمد بن عيسى ، بن السكن الواسطى وأبا قبيصة محمد ، بن عبد الرحمن الضبي ، ومحمد بن أحمد بن البراد ، والحسن بن علوية القطان ، والحسن بن على المعمرى ، وأبا حسين الوادعى ، ومحمد بن عبيد الله الحضرمي الكوفى ، ومحمد بن على بن بطحا ، وجماعة غيرهم من طبقتهم .

روى عنه الدارقطنى ، وابن شاهين ، وغيرهما من المتقدمين ، وأخبرنا عنه ابن رزقويه ، وابراهيم بن مخلد بن جعفر ، وعلى بن احمد بن عمر المقرى ، وأبو على بن شاذان ، وغيرهم . وكان فاضلا ، فهما ، عارفا بأيام الناس ، وأخبار الخلفاء ، وصنف تاريخاً كبيرا على ترتيب السنين . سمعت الأزهرى يقول : جاء أبو بكر بن مجاهد ، وإسماعيل الخطبي ، إلى منزل عبد العزيز الهاشمى ، فقدم إسماعيل أبا بكر ، فتأخر أبو بكر ، وقدم اسماعيل ، فلما استأذن إسماعيل ، أذن له فى الدخول ، فقال إسماعيل : أدخل ومن أنا معه ؟ أو كما قال .

(١) الرجل الركين : الوقور

حَدَّثَ الْخَطِيبُ قَالَ : سَمِعْتُ الْأَزْهَرِيَّ يَقُولُ : جَاءَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ ، وَإِسْمَاعِيلُ الْخُطَبِيُّ إِلَى مَنْزِلِ أَبِي عَبْدِ الصَّمَدِ الْهَاشِمِيِّ ، فَقَدَّمَ إِسْمَاعِيلُ أَبَا بَكْرٍ ، فَتَأَخَّرَ

— حدثني على بن محمد بن نصر ، قال : سمعت حمزة بن يوسف السهمى يقول : سألت الدارقطنى ، عن أبى محمد اسماعيل بن على الخطبي فقال : ما أعرف منه إلا خيرا ، كان يتحرى الصدق ، أخبرنى عبيد الله بن أحمد ، بن عثمان الصيرفى ، عن أبى الحسن الدارقطنى قال : إسماعيل بن على الخطبي ثقة . أخبرنى الأزهرى عن محمد بن العباس ، بن الفرات قال : كان اسماعيل الخطبي ركينا عاقلا ، ذا رأى حسن ، مقدما عند المشايخ المتقدمين ، من بنى هاشم وغيرهم من أهل الفقه والأدب ، وحسن الحديث والمجلس ، والمعرفة بأخبار من تقدم من الناس ، قل من رأيت من المشايخ مثله . حدثنى عبيد الله بن أبى الفتح ، قال : سمعت أبا الحسن بن رزقويه ، يذكر عن إسماعيل الخطبي ، قال : وجه إلى الراضى بالله ليلة عيد فطر ، فحملت إليه راكبا بغلة ، ودخلت عليه وهو جالس فى شموع ، فقال لى يا أبا إسماعيل : إنى قد عزمت فى غد على الصلاة بالناس فى المصلى ، فما الذى أقول ، إذا انتهيت فى الخطبة إلى الدعاء لنفسى ؟ قال : فأطرقت ساعة ، ثم قلت :

يقول أمير المؤمنين : « رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى ، وأن أعمل صالحا ترضاه ، وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين » فقال لى : حسبك ، ثم أمرنى بالانصراف ، وأتبعنى بخادم ، فدفع إلى خريطة فيها أربعمائة دينار ، وكانت الدنانير خمسمائة ، فأخذ الخادم منها لنفسه مائة دينار ، أو كما قال . أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل القطان ، قال : توفى إسماعيل الخطبي فى جمادى الآخرة ، سنة خمسين وثلاثمائة . وقال محمد بن أبى الفوارس : توفى الخطبي يوم الثلاثاء ، لسبع بقين من جمادى الآخرة ، سنة خمس ، ودفن يوم الأربعاء ، ومولده يوم السبت لثلاث خلون من المحرم ، سنة تسع وتسعين ومائتين ، وكان شيخا ثقة نبيلا .

أَبُو بَكْرٍ وَقَدَّمَ إِسْمَاعِيلَ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ إِسْمَاعِيلُ أُذِنَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ : أَدْخُلُ وَمَنْ أَنَا مَعَهُ ؟.

وَحَدَّثَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ رَزْقَوَيْهِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ الْخَطِيبِيِّ قَالَ : وَجَّهَ إِلَيَّ الرَّاضِي بِاللهِ لَيْلَةَ عِيدِ فِطْرٍ، فَحُمِلْتُ إِلَيْهِ رَاكِباً بَغْلَةً، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الشُّمُوعِ، فَقَالَ لِي يَا إِسْمَاعِيلُ : إِنِّي قَدْ عَزَمْتُ فِي غَدٍ عَلَى الصَّلَاةِ بِالنَّاسِ فِي الْمُصَلَّى[1]، فَمَا أَقُولُ إِذَا انْتَهَيْتُ فِي الْخُطْبَةِ إِلَى الدُّعَاء لِنَفْسِي ؟ قَالَ : فَأَطْرَقْتُ ثُمَّ قُلْتُ : يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : « رَبِّ أَوْزِعْنِي[2] أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ، وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ، وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ » فَقَالَ حَسْبُكَ، ثُمَّ أَمَرَنِي بِالانْصِرَافِ، وَأَتْبَعَنِي بِخَادِمٍ، فَدَفَعَ إِلَيَّ خَرِيطَةً[3] فِيهَا أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ،

---

(١) موضع الصلاة

(٢) أوزعه بالشيء : أغراه به « واستوزعت الله شكره » فأوزعني أي استلهمته فألهمني .

(٣) الخريطة : وعاء من أدم وغيره، تشرج على ما فيها

وَكَانَتِ الدَّنَانِيرُ خَمْسِمَائَةٍ ، فَأَخَذَ الْخَادِمُ مِنْهَا لِنَفْسِهِ مِائَةً أَوْ كَمَا قَالَ .

﴿ ٥ – إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُضَيْرِيُّ (١) * ﴾

اسماعيل الخضيرى

مِنْ أَعْمَالِ دُجَيْلٍ ، ثُمَّ مِنْ نَاحِيَةِ نَهْرِ تَابَ ، كَانَ فَاضِلًا مُتَمَيِّزًا لَسِنًا ، ذَا بَلَاغَةٍ وَبَرَاعَةٍ ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ تَصَانِيفُ مَعْرُوفَةٌ مُتَدَاوَلَةٌ ، إِلَّا أَنَّ الْخُمُولَ كَانَ عَلَيْهِ غَالِبًا ، قَدِمَ بَغْدَادَ ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ أَبِي مَنْصُورٍ ، مَوْهُوبِ بْنِ الْخَضِرِ الْجَوَالِيقِيِّ ، وَعَلَى أَبِي الْبَرَكَاتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ ، وَعَلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ السُّلَمِيِّ بْنِ الْعَصَّارِ ، وَأَدْرَكَ ابْنَ الْخَشَّابِ أَبَا مُحَمَّدٍ ، وَأَخَذَ عَنْهُ عِلْمًا جَمًّا ، وَقَرَأَ عَلَى أَبِي الْغَنَائِمِ بْنِ حَبَشِيٍّ ، وَكَانَ وَرِعًا زَاهِدًا تَقِيًّا ، رَحَلَ إِلَى الْمَوْصِلِ ، وَأَقَامَ بِهَا فِي دَارِ الْحَدِيثِ عِدَّةَ سِنِينَ ، ثُمَّ اشْتَاقَ إِلَى

---

(١) فى نسخة العماد « الحظيرى » بالظاء . وفى الأصل : الخضيرى ، وهو أصح ، اذ جاء فى معجم البلدان: الخضيرية محلة ببغداد، نسبت إلى خضير بالتصغير ، مولى صاحب الموصل ، كانت بالجانب الشرقى ، فنسب إليها فقيل الخضيرى « عبد الخالق »

(*) لم نعثر على من ترجم له غير ياقوت

وَطَنِهِ ، فَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ ، فَمَاتَ بِهَا فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَلَهُ تَصَانِيفُ وَرَسَائِلُ مُدَوَّنَةٌ وَخُطَبٌ ، وَدِيوَانُ شِعْرٍ ، وَكِتَابٌ جَيِّدٌ فِي عِلْمِ الْقِرَاءَاتِ رَأَيْتُهُ .

وَمِنْ شِعْرِهِ :

لَا عَالِمٌ يَبْقَى وَلَا جَاهِلٌ
وَلَا نَبِيهٌ لَا وَلَا خَامِلُ
عَلَى سَبِيلٍ مَهْيَعٍ[1] لَاحِبٍ[2]
يُودِي[3] أَخُو الْيَقْظَةِ وَالْغَافِلُ

﴿ ٦ – إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيسَى ، بْنِ الْعَطَّارِ أَبُو إِسْحَاقَ * ﴾

اسماعيل العطار

مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ ، بَغْدَادِيٌّ ، رَوَى عَنْهُ الْحَسَنُ بْنُ

---

(١) المهيع : الطريق الواسع الواضح

(٢) الطريق اللاحب : المستقيم (٣) أى يهلك

(*) ترجم له فى تاريخ مدينة السلام ، جزء رابع صفحة ٣٣٥ مخطوطات ، بترجمة لا نرى بأساً من إثباتها ، لأنها تفوق ترجمة ياقوت ، وهاك هى :

سمع إسماعيل بن زكريا الخلقانى ، والمسيب بن شريك ، وخلف بن خليفة ، ومحمد بن الفضل بن عطية ، وهياج بن بسطام ، وداود بن الزبرقان ، وزياد بن عبد الله البكائى وظاهر بن عمر النصيبي ، وغيرهم .

وروى عن أبى حذيفة إسحاق بن بشر البخارى ، كتاب المبتدإ والفتوح ، وروى —

عَلُّوَيْهِ ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ وَقَالَ : لَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْمُبْتَدَإِ .

﴿ ٧ – إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ ، بْنِ عَيْذُونَ ، بْنِ هَارُونَ * ﴾

اسماعيل القالى

ابْنِ عِيسَى بْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ سُلَيْمَانَ ، الْمَعْرُوفُ بِالْقَالِيِّ ،

— عنه الحسن بن علويه : وأحمد بن على بن جابر البربهارى ، ومحمد بن السرى بن مهران ، وإسماعيل بن الفضل البلخى ، وكان ثقة . أخبرنا الحسن بن أبى بكر ، أخبرنا إسماعيل بن على الخطبى ، حدثنا أحمد بن على البربهارى ، حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار ، حدثنا المعلى عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ركوب الجلالة » أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق . أخبرنا أبو بكر بن أحمد ، بن عيسى ، بن الهيثم التمار . حدثنا أبو محمد عبيد بن محمد ، بن خلف البزاز ، قال : مات إسماعيل بن عيسى العطار ، فى رمضان سنة اثنتين وثلاثين ومائتين .

(*) ترجم له أيضاً فى وفيات الأعيان ، ص ٧٤ جزء أول قال :

« أبو على إسماعيل بن القاسم ، بن عيذون ، بن هارون ، بن عيسى ، بن محمد ، بن سليمان ، القالى الأموى ، جده سلمان ، مولى عبد الملك بن مروان الأموى »

كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ، ونحو البصريين ، أخذ الأدب عن أبى بكر بن دريد الأسدى ، وأبى بكر بن الأنبارى ، ونفطويه ، وابن درستويه وغيرهم . وأخذ عنه أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى الأندلسى ، صاحب مختصر العين ، وله التواليف الملاح ، منها كتاب الأمالى ، وكتاب البارع فى اللغة ، بناه على حروف المعجم ، وهو يشتمل على خمسة آلاف ورقة ، وكتاب المقصور والممدود ، وكتاب فى الأبل ونتاجها ، وكتاب فى حلى الأنسان ، والخيل وشياتها ، وكتاب فعلت وأفعلت ، وكتاب مقاتل الفرسان ، وكتاب شرح فيه القصائد المعلقات ، وغير ذلك ، وطاف البلاد ، سافر إلى بغداد فى سنة ثلاث —

أَبُو عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيُّ ، مَوْلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وُلِدَ بِمَنَازْجِرْدَ مِنْ دِيَارِ بَكْرٍ ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ،

— وثلاثمائة ، وأقام بالموصل ، لسماع الحديث من أبى على الموصلى ، ودخل بغداد فى سنة خمس وثلاثمائة ، وأقام بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، وكتب بها الحديث ، ثم خرج من بغداد قاصداً الأندلس ، ودخل قرطبة لثلاث بقين من شعبان ، سنة ثلاثين وثلاثمائة واستوطنها ، وأملى كتابه الأمالى بها ، ووضع أكثر كتبه بها ، ولم يزل بها ، وقد مدحه يوسف بن هارون الرمادى بقصيدة بديعة ، وتوفى القالى بقرطبة ، فى شهر ربيع الآخر ، وقيل جمادى الاولى ، سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، ليلة السبت لست خلون من الشهر المذكور ، وصلى عليه أبو عبيد الله الجبيرى ، ودفن بمقبرة منعة ظاهر قرطبة — رحمه الله تعالى — ومولده فى سنة ثمان وثمانين ومائتين ، فى جمادى الآخرة ، بمناز جرد ، من ديار بكر ، وانما قيل له القالى ، لأنه سافر إلى بغداد ، مع أهل قالى قلا ، فبقى عليه الاسم ، وعيذون بفتح العين المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وضم الذال المعجمة ، وبعد الواو نون ، والقالى نسبة إلى قالى قلا ، بفتح القاف ، وبعد الألف لام مكسورة ، ثم ياء مثناة من تحتها ، ثم قاف بعدها لام ألف ، وهي من أعمال ديار بكر ، كذا قاله السمعانى ، ورأيت فى تاريخ السلجوقية ، تأليف عماد الدين الكاتب الأصبهانى ، أن قالى قلا ، هي أرزن الروم ، والله أعلم . وذكر البلاذرى فى كتاب البلدان وجميع فتوح الاسلام ، فى فتوح أرمينية ما مثاله . وقد كانت أمور الروم تشعبت فى بعض الأزمنة ، فكانوا كلوك الطوائف ، فلك أرمينيا قس رجل منهم ، ثم مات فلكتها بعده امرأته ، وكانت تسمى قالى ، فبنت مدينة قالى قلا ، وسمتها : قالى قاله . ومعنى ذلك ، إحسان قالى ، وصورت على باب من أبوابها ، فعربت العرب قالى قاله ، فقالوا : قالى قلا .

مَاتَ بِقُرْطُبَةَ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ، سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي أَيَّامِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ كَانَتْ وَفَاتُهُ، وَسَمِعَ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيِّ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، بْنِ زَكَرِيَّا، بْنِ يَحْيَى، بْنِ صَالِحٍ، بْنِ عَاصِمٍ، بْنِ زُفَرَ[1] الْعَدَوِيِّ، وَأَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ، سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَشْعَبِ السِّجِسْتَانِيِّ، وَقَرَأَ عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ السَّرَّاجِ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ نِفْطَوَيْهِ، وَأَبِي إِسْحَاقَ الزَّجَّاجِ، وَأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشِ، وَقَرَأَ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ عَلَى ابْنِ دَرَسْتَوَيْهِ، وَسَأَلَهُ عَنْهُ حَرْفًا حَرْفًا، وَأَمَّا نِسْبَتُهُ: فَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى قَالِي قَلَا، بَلَدٌ مِنْ أَعْمَالِ أَرْمِينِيَةَ. قَالَ الْقَالِيُّ: لَمَّا دَخَلْتُ بَغْدَادَ[2]، انْتَسَبْتُ إِلَى قَالِي قَلَا، رَجَاءَ أَنْ أَنْتَفِعَ بِذَلِكَ، لِأَنَّهَا ثَغْرٌ مِنْ ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ، لَا يَزَالُ بِهَا الْمُرَابِطُونَ،

---

(١) كانت فى الأصل: « ابن زخر » فأصلحناه إلى ما ذكر

(٢) سقط من الاصل كلمة « بغداد » وقد ذكرت

فَلَمَّا تأدَّبَ بِبغْدَادَ ، ورَأَى أنَّهُ لا حظَّ لَهُ بالعِرَاقِ ، قصدَ بِلادَ الغَرْبِ ، فوافاهَا فِى أيَّامِ المُتلقِّبِ بِالحَكَمِ ، المُسْتنْصِرِ بِاللهِ (١) عبدِ الرَّحمَنِ بنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ عبْدِ اللهِ ، بْنِ مُحمَّدٍ ، بْنِ عَبْدِ الرَّحمَنِ ، بْنِ الحَكَمِ ، بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمَنِ ، بْنِ مُعَاوِيَةَ ، بْنِ هِشَامٍ ، بْنِ عَبْدِ المَلِكِ ، بْنِ مَرْوَانَ ، بْنِ الحَكَمِ ، بْنِ أَبِى العَاصِ ، بْنِ أُمَيَّةَ ، بْنِ عَبْدِ شَمْسِ ، ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ . قَالُوا : وَهذَا أَوَّلُ مَنْ دُعِىَ مِنْ هؤُلاءِ بِالغَرْبِ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا كَانَ المُتَوَلُّونَ قَبْلَهُ يُدْعَوْنَ بِبَنِى الخَلائِفِ . فوفَدَ القَالِىُّ إِلَى الغَرْبِ ، فِى سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَثَلاثِمائَةٍ ، فَأَكْرَمَهُ صَاحِبُ الغَرْبِ ، وَأَفضَلَ عَلَيْهِ إِفضَالاً عَمَّهُ ، وَانقَطَعَ هُنَاكَ بَقِيَّةَ عُمْرِهِ ، وَهُنَاكَ أَمْلَى كُتُبَهُ أَكْثَرَهَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ ، مِنْهَا : كِتَابُ الأَمَالِى ، مَعْرُوفٌ بِيَدِ النَّاسِ ، كَثِيرُ الفَوَائِدِ ، غَايَةٌ فِى مَعْنَاهُ .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ : كِتَابُ نَوَادِرِ أَبِى عَلِىٍّ ، مُبَارٍ لِكِتَابِ الكَامِلِ ، الَّذِى جَمَعَهُ المُبَرِّدُ ، وَلَئِنْ كَانَ كِتَابُ

(١) هكذا بالاصل ، باسقاط لفظ « ابن » بعد لفظ الجلالة ، وفى الاصل الذى فى مكتبة اكسفورد : « ابن عبد الرحمن »

أَبِي الْعَبَّاسِ أَكْثَرَ نَحْواً وَخَبَراً ، فَإِنَّ كِتَابَ أَبِي عَلِيٍّ أَكْثَرُ لُغَةً وَشِعْراً ، وَكِتَابُ الْمَمْدُودِ وَالْمَقْصُورِ ، رَتَّبَهُ عَلَى التَّفْعِيلِ ، وَمَخَارِجِ الْحُرُوفِ مِنَ الْحَلْقِ ، مُسْتَقْصًى فِي بَابِهِ ، لَا يَشِذُّ مِنْهُ شَيْءٌ فِي مَعْنَاهُ ، لَمْ يُوضَعْ مِثْلُهُ ، وَكِتَابُ الْإِبِلِ وَنَتَاجِهَا ، وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهَا ، وَكِتَابُ حُلِيِّ الْإِنْسَانِ وَالْخَيْلِ وَشِيَاتِهَا[1] ، وَكِتَابُ فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ ، كِتَابُ مَقَاتِلِ الْفُرْسَانِ ، كِتَابُ تَفْسِيرِ السَّبْعِ الطِّوَالِ ، كِتَابُ الْبَارِعِ فِي اللُّغَةِ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ، جَمَعَ فِيهِ كُتُبَ اللُّغَةِ ، يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ وَرَقَةٍ . قَالَ الزُّبَيْدِيُّ : وَلَا نَعْلَمُ أَحَداً مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ أَلَّفَ مِثْلَهُ .

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ طَرْخَانَ ، بْنِ الْحَكَمِ : قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيُّ : كِتَابُ الْبَارِعِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَالِيِّ ، يَحْتَوِي عَلَى مِائَةِ مُجَلَّدٍ ، لَمْ يُصَنَّفْ مِثْلُهُ

(١) شيات الخيل: محاسنها، الواحدة شية

فِى الْإِحَاطَةِ وَالاسْتِيعَابِ ، إِلَى كُتُبٍ كَثِيرَةٍ ارْتَجَلَهَا[١] ، وَأَمْلَاهَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ كُلَّهَا .

قَالَ الْحُمَيْدِىُّ : وَمِمَّنْ رَوَى عَنِ الْقَالِى أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَسَنِ الزُّبَيْدِىُّ النَّحْوِىُّ ، صَاحِبُ كِتَابِ مُخْتَصَرِ الْعَيْنِ ، وَأَخْبَارِ النَّحْوِيِّينَ ، وَكَانَ حِينَئِذٍ إِمَاماً فِى الْأَدَبِ ، وَلَكِنْ عَرَفَ فَضْلَ أَبِى عَلِيٍّ فَمَالَ إِلَيْهِ ، وَاخْتَصَّ بِهِ وَاسْتَفَادَ مِنْهُ ، وَأَقَرَّ لَهُ .

قَالَ الْحُمَيْدِىُّ : وَكَانَ أَقَامَ بِبَغْدَادَ خَمْساً وَعِشْرِينَ سَنَةً ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا قَاصِداً إِلَى الْمَغْرِبِ ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ ، وَوَصَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، فِى سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ ، فِى أَيَّامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ ، وَكَانَ ابْنُهُ الْأَمِيرُ أَبُو الْعَاصِ ، الْحَكَمُ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، مِنْ أَحَبِّ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ لِلْعِلْمِ ، وَأَكْثَرِهِمْ اشْتِغَالًا بِهِ ، وَحِرْصاً عَلَيْهِ ، فَتَلَقَّاهُ بِالْجَمِيلِ ، وَحَظِىَ عِنْدَهُ ، وَقُرِّبَ مِنْهُ ، وَبَالَغَ فِى إِكْرَامِهِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ هُوَ الَّذِى

---

(١) أى قالها بلا تحضير وتفكير ، بل قالها على البديهة

كَتَبَ إِلَيْهِ، وَرَغَّبَهُ فِى الْوُفُودِ عَلَيْهِ، وَاسْتَوْطَنَ قُرْطُبَةَ، وَنَشَرَ عِلْمَهُ بِهَا.

قَالَ: وَكَانَ إِمَاماً فِى عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، مُتَقَدِّماً فِيهَا، مُتْقِناً لَهَا، فَاسْتَفَادَ النَّاسُ مِنْهُ، وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ، وَاتَّخَذُوهُ حُجَّةً فِيمَا نَقَلَهُ، وَكَانَتْ كُتُبُهُ عَلَى غَايَةِ التَّقْيِيدِ، وَالضَّبْطِ وَالْإِتْقَانِ، وَقَدْ أَلَّفَ فِى عِلْمِهِ الَّذِى اخْتَصَّ بِهِ تَآلِيفَ مَشْهُورَةً، تَدُلُّ عَلَى سَعَةِ عِلْمِهِ وَرِوَايَتِهِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ الرَّبِيعِ، بْنِ عَبْدِ اللهِ التَّمِيمِىُّ، وَلَعَلَّهُ آخِرُ مَنْ حَدَّثَ عَنْهُ، وَأَحْمَدُ بْنُ أَبَانَ، بْنِ سَيِّدٍ الزُّبَيْدِىُّ، كَمَا ذَكَرْنَا آنِفاً. قَالَ: وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ بِنَحْوِ الْبَصْرِيِّينَ، وَأَرْوَاهُمْ لِلشِّعْرِ مَعَ اللُّغَةِ.

قَالَ الزُّبَيْدِىُّ: وَسَأَلْتُهُ لِمَ قِيلَ لَهُ الْقَالِىُّ؟ فَقَالَ: لَمَّا انْحَدَرْنَا إِلَى بَغْدَادَ، كُنَّا فِى رُفْقَةٍ فِيهَا أَهْلُ قَالِى قَلَا، وَهِىَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى مَنَازْجِرْدَ، وَكَانُوا يُكْرَمُونَ لِمَكَانِهِمْ مِنَ

الثَّغْرِ (١) ، فلمَّا دَخلْتُ بغْدَادَ ، نُسِبْتُ إِلَيْهِمْ لِكَوْنِى معَهُمْ ، وَثَبتَ ذَلِكَ عَلَيَّ .

قَالَ الْحُمَيدِيُّ : وَكَانَ الْحَكَمُ الْمُسْتَنْصِرُ قَبلَ وِلَايَتِهِ الْأُمُورَ ، وَبَعْدَ أَنْ صَارَتْ إِلَيْهِ ، يَبْعَثُهُ عَلَى التَّأْلِيفِ ، وَيُنَشِّطُهُ بِوَاسِعِ الْعطَاءِ ، وَيَشْرَحُ صَدْرَهُ بِالْإِجْزَالِ فِى الْإِكْرَامِ ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ بِالْبَغْدَادِيِّ ، لِكَثْرَةِ مُقَامِهِ ، وَوُصُولِهِ إِلَيْهِمْ مِنْهَا .

قَالَ السِّلَفِىُّ بِإِسْنَادٍ لَهُ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَكَمِ ، مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ الْبَلُّوطِيُّ قَالَ : كَتَبْتُ إِلَى أَبِى عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيِّ الْقَالِيِّ ، أَسْتَعِيرُ مِنْهُ كِتَابًا مِنَ الْغَرِيبِ وَقُلْتُ :

بِحَقِّ رِئْمٍ (٢) مُهَفْهَفْ (٣) وَصُدْغِهِ الْمُتَعَطِّفْ
ابْعَثْ إِلَيَّ بِجُزْءٍ مِنَ الْغَرِيبِ الْمُصَنَّفْ

قَالَ : فَأَجَابَنِى وَقَضَى حَاجَتِي ،

---

(١) كانت فى الأصل : « التغر » وأصلحت إلى ما ترى

(٢) الرئم : الظبي الخالص البياض ، والأنثى رئمة ، والجمع آرام

(٣) المهفهف : الدقيق الخصر ، والأنثى مهفهفة

وَحَقّ دُرٍّ تَأَلَّفْ بِفِيكَ أَىَّ تَأَلُّفْ
وَلَوْ بَعَثْتُ بِنَفْسِى إِلَيْكَ مَا كُنْتُ أُسْرِفْ

﴿ ٨ – إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ إِسْمَاعِيلَ ﴾
﴿ ابْنِ صَالِحِ ، بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ * ﴾

اسماعيل الصفار

الصَّفَّارُ ، أَبُو عَلِيٍّ ، عَلَّامَةٌ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، مَذْكُورٌ بِالثِّقَةِ وَالْأَمَانَةِ ، صَحِبَ الْمُبَرِّدَ صُحْبَةً اشْتَهَرَ بِهَا ، وَرَوَى عَنْهُ ،

(*) ترجم له فى كتاب نزهة الألباء ، فى طبقات الأطباء ، صفحة ٣٥٤ قال :
كان ثقة ، عالما بالنحو والغريب ، وأخذ عن أبى العباس المبرد ، وصحبه .
وقال أبو الحسن الدارقطنى :
اسماعيل بن محمد ، ثقة ، ويروى عن محمد بن عمران المرزبانى ، قال : أنشدنى أبو على بن محمد الصفار لنفسه شعرا قاله ياقوت ، ويروى عن محمد بن على بن محمد قال :
أخبرنى اسماعيل بن محمد المعروف بالصفار ، أنه ولد سنة سبع وأربع ومائتين وعن ابن الفرات : أنه ولد سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وتوفى فى المحرم يوم الخميس سحراً لثلاث عشرة ليلة خلت من الشهر ، سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، فى خلافة المطيع ، ودفن بمقابر معروف الكرخى ، بينهما عرض الطريق ، دون أبى عمر الزاهد
وترجم له أيضاً فى بغية الوعاة ، صفحة ١٩٨ بترجمة لاتختلف فى جوهرها عن ترجمة ياقوت الا فى مولده ووفاته ، ولهذا ـ لم نر بدا من إثباتها وهى : —

وَسَمِعَ الْكَثِيرَ ، وَرَوَى الْكَبِيرَ ، أَدْرَكَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ ، وَقَالَ : هُوَ ثِقَةٌ ، صَامَ أَرْبَعَةً وَثَمَانِينَ رَمَضَانَ ، وَكَانَ مُتَعَصِّبًا لِلسُّنَّةِ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ ، سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ،

— « اسماعيل بن محمد ، بن اسماعيل ، بن صالح ، أبو على الصفار »

قال الذهبي : علامة بالنحو ، واللغة ، ثقة أمين ، صاحب المبرد صحبة اشتهر بها ، وروى الكثير ، وأدركه الدارقطني ، وقال : هو ثقة ، متعصب للسنة ، ولد سنة سبع وأربعين ومائتين ، ومات سنة إحدى وثلاثمائة ، وأما شعره فهو ماذكره ياقوت.

وترجم له فى كتاب تاريخ بغداد ، جزء سادس صفحة ٣٠٢ قال :

صاحب المبرد ، وسمع الحسن بن عرفة العبدى ، وعبد الله بن محمد ، بن أيوب المخزومي ، وزكريا بن يحيى المروزى ، وأحمد بن منصور الرمادى ، وسعدان ابن نصر المخري ، وعباس بن عبد الله الترقفى ، وعباس بن محمد الدورى ، ومحمد بن إسحاق الصاغانى ، والحسن بن على بن عفان العامرى ، وزيد بن اسماعيل الصائغ ، وأبا المتجدى العنبرى ، ومحمد بن عبيد الله المنادى ، وعلى بن داود القنطرى ، وغير هؤلاء من أهل طبقتهم ، وممن بعدهم ، روى عنه محمد ابن المظفر ، والدارقطنى ، وجماعة غيرهما . وحدثنا عنه أبو عمر بن مهدى ، وأحمد بن محمد المتيم ، وأبو عبد الله بن دوست ، ومحمد بن أحمد بن رزقويه ، وعبد العزيز بن محمد الستورى ، والحسين بن عمر ، بن برهان الغزال ، ومحمد بن عبيد الله الحنائى ، وأبو العلاء محمد بن الحسن الوراق ، وهلال الحفار ، والقاضى أبو القاسم بن المنذر ، والحسين بن الحسن المخزومي ، وأبو الحسين بن بشران ، وعبد الله بن يحيى السكرى ، وأبو الحسين بن الفضل بن القطان . —

وَدُفِنَ بِقُرْبِ(١) قَبْرِ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ ، بَيْنَهُمَا عُرْضُ الطَّرِيقِ ، دُونَ قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ الْآدَمِيِّ ، وَأَبِي عُمَرَ الزَّاهِدِ .

قَالَ أَبُو عُبَيْدِ اللهِ ، مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الْمَرْزُبَانِيُّ : أَنْشَدَنِي الصَّفَّارُ لِنَفْسِهِ :

إِذَا زُرْتُكُمْ لَاقَيْتُ أَهْلًا وَمَرْحَبًا
وَإِنْ غِبْتُ حَوْلًا لَا أَرَى مِنْكُمْ رُسْلًا
وَإِنْ جِئْتُ لَمْ أَعْدَمْ أَلَا قَدْ جَفَوْتَنَا
وَقَدْ كُنْتَ زَوَّاراً فَمَا بَالُنَا نُقْلَى(٢)

— وآخر من حدثنا عنه ، محمد بن محمد ، بن محمد ، بن إبراهيم ، بن مخلد البزاز . أخبرنى الازهرى عن أبى الحسن الدارقطنى قال : إسماعيل بن محمد الصفار ثقة . وأخبرنى الازهرى .

قال : قال أبو الحسن الدارقطنى :

صام إسماعيل الصفار أربعة وثمانين رمضان .

قال : وكان متعصباً للسنة . أخبرنى على بن أبى على . أخبرنا محمد بن عمران المرزبانى أن أباعلى إسماعيل بن محمد الصفار ، أنشد لنفسه شعرا ، ذكر فى معجم ياقوت .

قرأت فى كتاب محمد بن على ، بن عمر ، بن الفياض ، أخبرنى إسماعيل بن محمد المعروف بالصفار : أنه ولد فى سنة سبع وأربعين ومائتين .

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة ص ١٩٨

(١) كانت فى الاصل : « بمقابر » فأصلحتها إلى ما ذكر

(٢) قلا الرجل صاحبه : أبغضه . وتقالى القوم : تباغضوا ، والمراد هنا : البعد والهجر

أَفِى الحَقِّ أَنْ أَرْضَى بِذَلِكَ مِنْكُمُ
بَلِ الضَّيْمُ (١) أَنْ أَرْضَى بِذَا مِنْكُمْ فِعْلَا

وَلَكِنَّنِى أُعْطِى صَفَاءَ مَوَدَّتِى
لِمَنْ لَا يَرَى يَوْماً عَلَىَّ لَهُ فَضْلَا

وَأَسْتَعْمِلُ الإِنْصَافَ فِى النَّاسِ كُلِّهِمُ
فَلَا أَصِلُ الْجَافِى وَلَا أَقْطَعُ الْحَبْلَا

وَأَخْضَعُ لِلّٰهِ الَّذِى هُوَ خَالِقِى
وَلَنْ أُعْطِى الْمَخْلُوقَ مِنْ نَفْسِىَ الذُّلَّا

﴿ ٩ — إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ، بْنِ أَحْمَدَ الْوَثَّابِىُّ * ﴾

اسماعيل الوثابى

أَبُو طَاهِرٍ، مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ، لَهُ مَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِالْأَدَبِ، وَطَبْعٌ جَوَادٌ بِالشِّعْرِ، مَاتَ فِى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ. قَالَ السَّمْعَانِىُّ: وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ: مَا رَأَيْتُ بِأَصْفَهَانَ فِى صَنْعَةِ الشِّعْرِ وَالتَّرَسُّلِ، أَفْضَلَ مِنْهُ، أُضِرَّ (٢) فِى آخِرِ عُمُرِهِ، وَافْتَقَرَ

(١) الضيم : الظلم ، وقد يجمع على ضيوم
(٢) كناية عن ذهاب بصره
(*) لم نعثر على من ترجم له سوى ياقوت

وَظهرَ الخَلَلُ فِي أَحْوَالِهِ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْتَلِطَ (١)، دَخلتُ عَليهِ دَارَهُ بِأَصْبَهَانَ، وَمَا رَأَيْتُ أَسْرَعَ بَدِيهَةً مِنْهُ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ. اقْتَرَحْتُ عَلَيْهِ رِسَالَةً فَقَالَ لِي: خُذِ القَلَمَ وَاكْتُبْ، وَأَمْلَى عَلَيَّ فِي الحَالِ بِلَا تَرَوٍّ وَلَا تَفَكُّرٍ، كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ يُخِلُّ بِالصَّلَوَاتِ (٢) الْمَفْرُوضَةِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَالِهِ.

وَأَنْشَدَ عَنْهُ السَّمْعَانِيُّ أَشْعَاراً لَهُ مِنْهَا:

أَشَاعُوا فَقَالُوا وَقْفَةٌ وَوَدَاعُ
وَزُمَّتْ (٣) مَطَايَا لِلرَّحِيلِ سِرَاعُ
فَقُلْتُ: وَدَاعٌ لَا أُطِيقُ عِيَانَهُ
كَفَانِي مِنَ الْبَيْنِ الْمُشِتِّ (٤) سَمَاعُ
وَلَمْ يَمْلِكِ الْكِتْمَانَ قَلْبٌ مَلَكْتَهُ
وَعِنْدَ النَّوَى سِرُّ الْمَكْتُومِ مُذَاعُ

---

(١) أى يفسد عقله

(٢) أى لا يؤديها كاملة

(٣) أى شدت أزمتها، وهيئت للرحيل

(٤) أى المفرق

وَأَنْشَدَ عَنْهُ لَهُ :

فَوَاللهِ لَا أَنْسَى مَدَى الدَّهْرِ قَوْلَهَا
وَنَحْنُ عَلَى حَدِّ الْوَدَاعِ وُقُوفُ

وَلِلنَّارِ مِنْ تَحْتِ الضُّلُوعِ تَلَهُّبٌ
وَلِلْمَاءِ مِنْ فَوْقِ الْخُدُودِ وَكِيفُ (١)

أَلَا قَاتَلَ اللهُ الصُّرُوفَ فَإِنَّمَا
: تُفَرِّقُ بَيْنَ الصَّاحِبَيْنِ صُرُوفُ (٢)

وَأَنْشَدَ لَهُ عَنْهُ أَيْضاً :

طَابَتْ لَعَمْرِى عَلَى الْهِجْرَانِ ذِكْرَاهَا
كَأَنَّ نَفْسِى تَرَى الْحِرْمَانَ ذِكْرَاهَا

تَحْيَا بِيَأْسٍ وَتُفْنِيهَا طَمَاعِيَةٌ
هَلْ مُهْجَةٌ بَرْدُ يَأْسِ الْوَصْلِ أَحْيَاهَا ؟

قَامَتْ لَهَا دُونَ دَعْوَى الْحُبِّ بَيِّنَةٌ
بِشَاهِدَيْنِ أَبَانَا صِدْقَ دَعْوَاهَا

(١) أى دمع سائل

(٢) الصروف : الاحداث والغير

إِرْسَالُ شَكْوَى وَإِجْرَاءُ الدُّمُوعِ مَعاً

وَإِنْ تَحَقَّقْتَ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا (١)

وَأَنْشَدَ عَنْهُ لَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

فَعُجْ (٢) صَاحِ بِالْعُوجِ (٣) الطِّلَاحِ (٤) إِلَى الْحِمَى

وَزُرْ أَثَلَاتِ الْقَاعِ طَالَ بِهَا الْعَهْدُ

تَعَوَّضَ عِيناً (٥) بَعَدَ عِينٍ أَوَانِساً

وَأَوْحَشَ أَحْشَاءً تَضَمَّنَهَا الْوَجْدُ

وَمَا سَاءَنِي وَجْدٌ وَلَا ضَرَّنِي هَوًى

كَمَا سَاءَنِي هَجْرٌ تَعَقَّبَهُ صَدٌّ

تَبَصَّرْ خَلِيلِي مِنْ ثَنِيَّةِ بَارِقٍ

بُرَيقاً كَسَقْطِ النَّارِ عَالَجَهُ الزَّنْدُ

---

(١) موضع جريها ورسوها

(٢) عاج الراكب رأس بعيره : عطفه وأماله إلى حيث يريد، والمراد أعطف

(٣) جمع عوجاء : وهى الضامرة من الابل

(٤) طلح البعير :أعيا ، وطلح زيد بعيره : أتعبه بالسير والرى ، أوثقل الحمل .

(٥) العين : جمع عيناء وهى المرأة واسعة العينين ، مع عظم سوادها ، والعين : البقر الوحشى والمراد أن الحمى حله عين ، أى بقر وحش ، بعد عين ، أى نساء نجل العيون وأنه أوحش أحشاء ملئت بالوجد «عبد الخالق»

يَدِقُّ وَأَحْيَانًا يَرِقُّ وَيَرْتَقِي
وَيَخْفَى كَرَأْيِ الْغَمْرِ إِمْضَاؤُهُ رَدُّ(١)
فَيَقْضِي بِهَا مِنْ ذِكْرِ حُزْوَى لُبَانَةً
وَيُطْفِي بِهَا مِنْ نَارِ وَجْدٍ بِهَا وَقْدُ
وَإِنْ كَانَ عَهْدُ الْوَصْلِ أَضْحَى نَسِيئَةً
فَهَاكَ أَلِيلَ(٢) الْبَرْقِ إِذْ عَهْدُهُ نَقْدُ
وَشِمْ لِي نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ أُفُقِ الْحِمَى
فَقَدْ عَبِقَ الْوَادِي وَفَاحَ بِهَا الرَّنْدُ(٣)

﴿ ١٠ – إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ عَبْدُوسٍ الدَّهَّانُ * ﴾

إسماعيل الدهان

أَبُو مُحَمَّدٍ النَّيْسَابُورِيُّ ، أَنْفَقَ مَالَهُ عَلَى الْأَدَبِ ، وَتَقَدَّمَ فِيهِ ، وَبَرَعَ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ ، وَالنَّحْوِ وَالْعَرُوضِ ، وَأَخَذَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَمَّادٍ الْجَوْهَرِيِّ ، فَاسْتَكْثَرَ مِنْهُ ، وَحَصَّلَ

(١) الغمر : الذى لم يجرب الأمور ، فرأيه مردود ، وإمضاؤه رده ، وألا يعبأ به ، فالبرق يخفى ولا يرى له أثر ، كرأى الغمر

(٢) الأليل مصدر أل الشيء يئول ، أسرع ، والمراد : البرق السريع

(٣) الرند: العود ، وشجر طيب الرائحة ، والضمير فى بها عائد إلى الريح « عبد الخالق »

(*) راجع بغية الوعاة ص ١٩٩

كِتَابَهُ كِتَابَ الصِّحَاحِ فِي اللُّغَةِ بِخَطِّهِ ، وَاخْتَصَّ بِالْأَمِيرِ أَبِي الفَضْلِ الْمِيكَالِيِّ ، وَمَدَحَهُ بِشِعْرٍ كَثِيرٍ ، ثُمَّ أُوتِيَ الزُّهْدَ وَالْإِعْرَاضَ عَنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا .

وَقَالَ لَمَّا أَزْمَعَ (١) الْحَجَّ وَالزِّيَارَةَ :

أَتَيْتُكَ رَاجِلًا وَوَدِدْتُ أَنِّي
مَلَكْتُ سَوَادَ عَيْنِي أَمْتَطِيهِ
وَمَالِي لَا أَسِيرُ عَلَى الْمَآقِي
إِلَى قَبْرٍ ، رَسُولُ اللهِ فِيهِ

وَلَهُ أَيْضاً :

أَيَا خَيْرَ مَبْعُوثٍ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ (٢)
نَصَحْتَ وَبَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ وَالْوَحْيَا
فَلَوْ كَانَ فِي الْإِمْكَانِ سَعْيٌ بِمُقْلَتِي
إِلَيْكَ رَسُولَ اللهِ أَفْنَيْتُهَا سَعْيَا

---

(١) أى اعتزم وأراد

(٢) كانت فى الاصل : ياخير مبعوث الخ بدون همزة ، وزيدت الهمزة ، ليستقيم الوزن

وَلَهُ أَيضاً :

عَبْدٌ عَصَى رَبَّهُ وَلَكِنْ لَيْسَ سِوَى وَاحِدٍ يَقُولُ[1]

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِعلُهُ جَمِيلًا فَإِنَّمَا ظَنُّهُ جَمِيلُ

وَقَالَ لِصَدِيقٍ لَهُ :

نَصَحْتُكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ فَاقْبَلْ

فَإِنِّي نَاصِحٌ لَكَ ذُو صَدَاقَهْ

تَعَلَّمْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ عُلُومٍ

فَمَا الْإِدْبَارُ إِلَّا فِي الْوِرَاقَهْ

قَالَ : وَسَأَلَنِي أَنْ أُورِدَ شَيْئًا مِنْ أَشْعَارِهِ فِي الْغَزَلِ وَالْمَدِيحِ فِي كِتَابِي هذَا ، فَانْتَهَيْتُ فِي ذَلِكَ إِلَى رِوَايَةٍ ...

﴿ ١١ – إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُمِّيُّ[2] النَّحْوِيُّ * ﴾

إسماعيل القمى

ذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ فَقَالَ : لَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ ، كِتَابُ الْهَمْزِ . كِتَابُ الْعِلَلِ .

---

(١) كانت فى الاصل : « سوى واحد يقول » وسقط منها « ليس » وأصلحت إلى ماذكر

(٢) نسبة الى قم ، بضم القاف وتشديد الميم : مدينة تذكر مع قاشان

(*) راجع بغية الوعاة ص ١٩٩

١٢ – إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ عَامِرِ ، بْنِ حَبِيبٍ (*)

إسماعيل الكاتب

أَبُو الْوَلِيدِ الْكَاتِبُ بِإِشْبِيلِيَةَ (١) فَيُقَالُ : لَهُ وَلِأَبِيهِ قَدَمٌ فِي الأَدَبِ ، وَلَهُ شِعْرٌ كَثِيرٌ تَقَوَّلَهُ بِفَضْلِ أَدَبِهِ . وَلَهُ كِتَابٌ فِي فَضْلِ الرَّبِيعِ . مَاتَ أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ عَامِرِ ، قَرِيباً مِنْ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ بِإِشْبِيلِيَةَ ، وَمِنْ شِعْرِهِ فِي الرَّبِيعِ :

أَبْشِرْ فَقَدْ سَفَرَ (٢) الثَّرَى عَنْ بِشْرِهِ
وَأَتَاكَ يَنْشُرُ مَاطَوَى مِنْ نَشْرِهِ (٣)

---

(١) إشبيلية بكسر الهمزة، وسكون الشين، وكسر الباء وياء ساكنة ، ولام وياء خفيفة ، مدينة كبيرة عظيمة ، وليس بالأندلس اليوم أعظم منها ، وتسمى حمص أيضاً ، وبها قاعدة ملك الاندلس وسريره ، وبها كان بنو عباد ، ولمقامهم فيها خربت قرطبة ، وعملها متصل بعمل « لبلة » وهي غربي قرطبة ، بينهما ثلاثون فرسخا ، وكانت قديماً فيما يزعم بعضهم قاعدة ملك الروم ، وبها كان كرسيهم الاعظم ، وأما الآن فهو بطليطلة ، وإشبيلية : قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف ، وهو جبل كثير الشجر والزيتون ، وسائر الفواكه ، ومما فاقت به على غيرها من نواحي الاندلس : زراعة القطن ، فانه يحمل منها إلى جميع بلاد الاندلس والمغرب ، وهي على شاطىء نهر عظيم ، قريب في العظم من دجلة أو النيل ، وينسب اليها خلق كثير من أهل العلم منهم : عبد الله بن عمر ، بن الخطاب الإشبيلي ، وهو قاضيها . مات سنة ٢٧٦ معجم البلدان ج ١ ص ٢٥٤

ملاحظة : طال الكلام في أشبيلية ، وإن كان يكفينا لتعرفها القليل من القول ، لأن في هذه الاطالة، ذكرى تراث عظيم كان لآبائنا الاولين ، وقد أصبح أثراً بعد عين ، فيا لله من الضالين المضلين « عبد الخالق » (٢) سفرت المرأة : كشفت عن وجهها والشمس : طلعت ، والفرس كشف التراب (٣) النشر : الرائحة

(*) راجع كتاب بغية الملتمس ج ٣ من المكتبة الاندلسية ص ٢١٣

مُتَحَصِّنًا مِنْ حُسْنِهِ فِي مَعْقِلِ
عَقَلَ[1] الْعُيُونَ عَلَى رِعَايَةِ زَهْرِهِ
فَضَّ الرَّبِيعُ خِتَامَهُ فَبَدَا لَنَا
مَا كَانَ مِنْ سَرَّائِهِ فِي سِرِّهِ
مِنْ بَعْدِ مَا سَحَبَ السَّحَابُ ذُيُولَهُ
فِيهِ وَدَرَّ عَلَيْهِ أَنْفَسَ دُرِّهِ
شَهْرٌ كَأَنَّ الْحَاجِبَ بْنَ مُحَمَّدٍ[2]
أَلْقَى عَلَيْهِ مِسْحَةً مِنْ بِشْرِهِ

﴿ ١٣ — إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُجَمِّعٍ الْأَخْبَارِيُّ * ﴾

اسماعيل الأخبارى

ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ فَقَالَ: هُوَ أَحَدُ أَصْحَابِ السِّيَرِ وَالْأَخْبَارِ، وَمَعْرُوفٌ بِصُحْبَةِ الْوَاقِدِيِّ الْمُخْتَصِّ بِهِ، مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ. لَهُ مِنَ التَّصْنِيفِ:

---

(١) عقل العين: قيدها بالنظر وحتمه عليها (٢) هذا الضرب من الأسلوب فى عرف علماء البديع، يدعونه حسن التخلص، وما أحسن تخلص أبى الوليد !.

(*) ترجم له فى تاريخ مدينة السلام، جزء رابع ص ٣٧٩ مخطوطات، بترجمة موجزة نثبتها ههنا وهى:

حدث عن محمد بن عمر الواقدى، وأبى الحسن المدائنى. روى عنه وكيع القاضى، وأبو سعيد السكرى، وأحمد بن محمد، بن نصر الضبعى.

كِتَابُ أَخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَغَازِيهِ ، وَسَرَايَاهُ .

﴿ ١٤ – إِسمَاعِيلُ بْنُ مَوْهُوبِ ، بْنِ أَحْمَدَ ، بْنِ مُحَمَّدِ ، بْنِ الْخَضِرِ ، بْنِ الْجَوَالِيقِيّ * ﴾

اسماعيل الجواليقى

يُكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ ، كَانَ إِمَامَ أَهْلِ الْأَدَبِ ، بَعْدَ أَبِيهِ أَبِي مَنْصُورٍ بِالْعِرَاقِ ، وَاخْتَصَّ بِتَأْدِيبِ وَلَدِ الْخُلَفَاءِ ، مَاتَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ ، وَكَانَ مَلِيحَ الْخَطِّ ، جَيِّدَ الضَّبْطِ ، يُشْبِهُ خَطُّهُ خَطَّ وَالِدِهِ ، وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ حَسَنَةٌ بِاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ ، وَكَانَتْ لَهُ حَلْقَةٌ بِجَامِعِ الْقَصْرِ ، يُقْرِئُ فِيهَا الْأَدَبَ كُلَّ جُمْعَةٍ . سَمِعَ مِنْهُ ابْنُ الْأَخْضَرِ ، وَابْنُ حَمْدُونَ الْحَسَنُ تَاجُ الدِّينِ ، وَغَيْرُهُمَا . وَمَوْلِدُهُ فِي شَعْبَانَ ، سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَخَمْسِمَائَةٍ . وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ إِسْحَاقَ فِي الْمَوْلِدِ سَنَةٌ وَنِصْفٌ ، وَفِي الْوَفَاةِ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ .

(*) راجع بغية الوعاة ص ١٩٩

حُدِّثْتُ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ، جعفرَ بْنَ مُحَمَّدِ، بْنِ فَطِيرَا، نَاظِرَ وَاسِطَ وَالْبَصْرَةِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ تِلْكَ النَّوَاحِي، دَخَلَ يَوْمًا إِلَى بَعْضِ الْوُزَرَاءِ فِي أَيَّامِ الْمُسْتَضِيءِ بِاللهِ — سَقَى اللهُ عُهُودَهُ صَوْبَ الرِّضْوَانِ —، فرَأَى فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُهُ، رَجُلًا لَمْ يَعْرِفْهُ، فَهَابَهُ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ الْوَزِيرِ، وَكَانَ ابْنُ فَطِيرَا مَعْرُوفًا بِالْمُزَاحِ وَالنَّادِرَةِ، فَتَقَدَّمَ حَتَّى قَالَ لِلْوَزِيرِ مُسَارًّا [١]: يَامَوْلَانَا، مَنْ هَذَا الَّذِي قَدْ جَلَسَ فِي مَجْلِسِي؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ الْجَوَالِيقِيِّ. فَقَالَ: وَأَيُّ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ هُوَ؟ قَالَ: لَيْسَ هُوَ مِنْ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ، هَذَا هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي يُصَلِّي بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ [٢]. قَالَ: فَقَامَ مُبَادِرًا وَأَخَذَ بِيَدِهِ، وَأَزَاحَهُ عَنْ مَوْضِعِهِ، وَجَلَسَ فِي مَنْصِبِهِ، وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، أَنْتَ يَنْبَغِي أَنْ تَتَشَامَخَ عَلَى إِمَامِ الْوَزِيرِ وَمَنْ دُونَهُ، فَتَجْلِسَ

(١) أي مناجياً قائلا له في أذنه

(٢) وسلامه: ليست في نسخة العماد.

فَوْقَهُمْ ، لِأَنَّكَ أَعْلَى مِنْهُمْ مَنْزِلَةً ، فَأَمَّا عَلَى أَنَا ، وَأَنَا نَاظِرُ وَاسِطَ وَالْبَصْرَةِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، فَلَا . قَالَ : فَمَا تَمَالَكَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ مِنَ الضَّحِكِ أَنْ يُمْسِكُوهُ (١) .

﴿ ١٥ — إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنِ الْمُبَارَكِ الْيَزِيدِيُّ * ﴾

إسماعيل اليزيدى

نَذْكُرُ نَسَبَهُ وَوِلَادَتَهُ فِي تَرْجَمَةِ أَبِيهِ يَحْيَى ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى وَحْدَهُ ، وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ أَحَدَ الْأُدَبَاءِ الرُّوَاةِ ، الْفُضَلَاءِ مِنْ وَلَدِ أَبِيهِ ، وَكَانَ شَاعِراً مُصَنِّفاً ، صَنَّفَ كِتَابَ طَبَقَاتِ الشُّعَرَاءِ ، فَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ ، بْنِ سَيْفٍ الْكَاتِبِ : أَنْشَدَنَا الْيَزِيدِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ ، يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ الْعَبَّاسِ ، بْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ ، بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ كِتَابِ الْوُحُوشِ لِعَمِّ أَبِيهِ ، إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيِّ :

---

(١) اضطربت كتب اللغة فى هذه المادة ، فأقرب الموارد : جعلها من باب نصر ينصر والمصباح : جعلها من باب ضرب يضرب ، ولعل ماذكر هو الصحيح « عبد الخالق »

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٠٠

كُلَّمَا رَابَنِي (١) مِنَ الدَّهْرِ رَيْبٌ (٢)

فَاتِّكَالِي عَلَيْكَ يَارَبِّ فِيهِ

إِنَّ مَنْ كَانَ لَيْسَ يَدْرِي أَفِي الْمَحْـ

بُوبِ صُنْعٌ (٣) لَهُ أَوِ الْمَكْرُوهِ

لَحَرِيٌّ (٤) بِأَنْ يُفَوِّضَ مَا يَعْـ

جِزُ عَنْهُ إِلَى الَّذِي يَكْفِيهِ

الْإِلَهُ الْبَرُّ الَّذِي هُوَ فِي الرَّأْ

فَةِ أَحْنَى مِنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ

قَعَدَتْ بِي الذُّنُوبُ أَسْتَغْفِرُ اللَّـ

ـهَ لَهَا مُخْلِصًا وَأَسْتَعْفِيهِ (٥)

كَمْ يُوَالِي لَنَا الْكَرَامَةَ وَالنِّعْـ

ـمَةَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَمْ نَعْصِيهِ ؟ ؟

---

(١) يقال : رابك فلان : إذا رأيت منه ما يريبك ويوقعك فى الشك

(٢) ريب الدهر : حوادثه وغيره

(٣) الصنع : العمل والاحسان ، يريد أنه لا يعرف نتيجة ما يصنع ، أمحبوب هو أم مكروه ؟ (٤) حرى : خليق وجدير

(٥) كانت بالاصل هذا : « وأستوفيه » وأصلحت إلى ما ذكر : أى أسأله العفو ، وهو المناسب

وَمِنْ شِعْرِهِ عَنِ الْمَرْزُبَانِيِّ :

أَتَتْ ثَمَانُونَ فَاسْتَمَرَّتْ

بِالنَّقْصِ مِنْ قُوَّتِي وَعَزْمِي (١)

فَرَقَّ جِلْدِي وَدَقَّ عَظْمِي

وَاخْتَلَّ بَعْدَ التَّمَامِ جِسْمِي

يَا لَيْتَ أَنِّي صَحِبْتُ دَهْرِي

صُحْبَةَ ذِي تُهْمَةٍ وَحَزْمِ

مَنْ لَمْ يَكُنْ عَامِلًا بِعِلْمٍ (٢)

رَوَاهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِ

وَقَالَ يَرْثِي عَلِيَّ بْنَ يَحْيَي الْمُنَجِّمَ ، وَمَاتَ عَلِيٌّ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

---

(١) كانت بالاصل : « وحزمي » وأصلحت إلى ما ذكر

(٢) كانت فى هذا الاصل : « على معلم » فأصلحت إلى ماذكر، ليستقيم المعنى والوزن

مَاتَ السَّمَاحُ وَمَاتَ الْجُودُ وَالْكَرَمُ
إِذْ ضَمَّ شَخْصَ عَلِيٍّ فِي الثَّرَى رَجَمُ (١)

سُقِيتَ مِنْ جَدَثٍ فَابْتَلَّ سَاكِنُهُ
غَيْثًا مُلِثًّا تُوَالِي صَوْبَهُ الدِّيَمُ

عَادَتْ لَنَا بَعْدَكَ الْأَيَّامُ مُظْلِمَةً
وَكُنْتَ ضَوْءًا لَهَا تُجْلَى بِهِ الظُّلَمُ

كَانَ الزَّمَانُ فَتِيًّا مُشْرِقًا نَضِرًا
فَالْيَوْمَ أَخْلَقَهُ مِنْ بَعْدِكَ الْهَرَمُ

قَدْ كُنْتَ لِلْخَلْقِ فِي حَاجَاتِهِمْ عَلَمًا
يُفَرِّجُ الْهَمَّ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْعَلَمُ

١٦ — الْأَغَرُّ أَبُو الْحَسَنِ (*)

أبو الحسن النحوى

ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الزُّبَيْدِيُّ فِي نُحَاةِ مِصْرَ ، وَقَالَ : أَخَذَ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ الْكِسَائِيِّ ، وَلَقِيَهُ قَوْمٌ

---

(١) الرجم : حجارة تنصب على القبر ، ومن هنا سمى القبر رجما

(*) لم نعثر على من ترجم له غير ياقوت

مِنْ أَهْلِ الأَنْدَلُسِ ، وَحَمَلُوا عَنْهُ فِى سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ .

﴿ ١٧ — أَمَانُ بْنُ الصَّمْصَامَةِ ، ﴾
﴿ ابْنِ الطِّرِمَّاحِ ، بْنِ الْحَكِيمِ ، * ﴾

أمان بن الصمصامة

ابْنِ الْحَكَمِ ، بْنِ نَفَرٍ ، بْنِ قَيْسٍ ، بْنِ جَحْدَرٍ ، بْنِ ثَعْلَبَةَ ، بْنِ عَبْدِ رِضًا ، بْنِ مَالِكِ ، بْنِ أَمَانٍ ، بْنِ عَمْرٍو ، ابْنِ رَبِيعَةَ ، بْنِ جَرْوَلٍ ، بْنِ ثُعَلٍ ، بْنِ عَمْرٍو ، بْنِ الْغَوْثِ ، أَبِى طَىِّءٍ . وَالطِّرِمَّاحُ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ ، وَيُكْنَى أَمَانُ هَذَا ، أَبَا مَالِكٍ [1] . وَأَطَّرَحَهُ ابْنُ الأَغْلَبِ ، إِذْ صَارَ إِلَيْهِ

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ، صفحة ٢٠٠ قال :

هو معدود فى نحاة القيروان ، قال الزبيدى :

كان عالما باللغة والشعر ، حافظاً لقريش ، شاعراً ، أخذ عنه النهدى جزءا من النحو ، واللغة ، والشعر ، وكان أبو على الحسن بن سعيد البصرى ، كاتب المهالبة يكرمه أيام ولايتهم إفريقية ، فلما ولى ابن الاغلب ، طرح أبا مالك لهجاء جده الطرماح بنى تميم .

(١) هنا زيادة فى النسخة الخطية هذا نصها « ذكره الزبيدى فى كتابه وقال : كان أبو مالك شاعراً عالماً باللغة ، حافظا للعرب والشعر ، معروفاً فى نحاة القيروان . قال : وكان أبو على الحسن بن سعيد البصرى ، كاتب المهالبة أيام ولايتهم الأفريقية ، يكرم أبا مالك ، واطرحه الخ »

الْأَمْرُ لِهِجَاءِ جَدِّهِ الطِّرِمَّاحِ بَنِي تَمِيمٍ . قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ الْمَهْدِيُّ : أَبْطَأْتُ عَلَى أَبِي مَالِكٍ ، وَكَانَ مَرِيضاً فَكَتَبَ إِلَيَّ :

أَبْلِغِ الْمَهْدِيَّ عَنِّي مَأْلُكاً (١)
أَنَّ دَائِي قَدْ أَصَارَ الْمُخَّ رِيرًا (٢)
كُنْتُ فِي الْمَرْضَى مَرِيضاً مُطْلَقاً
وَلَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي الْمَرْضَى أَسِيرًا
فَإِذَا مَا مِتُّ فَانْعَمْ سَالِماً
وَتَمَلَّ الْعَيْشَ فِي الدُّنْيَا كَثِيرًا

وَأَخَذَ عَنْهُ الْمَهْدِيُّ جُزْءًا مِنَ النَّحْوِ ، وَاللُّغَةِ ، وَالشِّعْرِ .

﴿ ١٨ — أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، بْنِ أَبِي الصَّلْتِ * ﴾

أمية بن عبد العزيز

مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، كَانَ أَدِيباً فَاضِلًا ، حَكِيماً مُنَجِّماً ، مَاتَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمَائَةٍ ، فِي

(١) المألك : الرسالة ، وكذا الألوكة والمألكة

(٢) الرير : الماء يخرج من فم الصبى

(*) ترجم له فى كتاب طبقات الأطباء ، جزء ثان ، صفحة ٥٢ بما يأتى قال :
أبو الصلت أمية بن عبد العزيز ، بن أبى الصلت ، من بلد دانية من شرق الأندلس ، وهو من أكابر الفضلاء فى صناعة الطب ، وفى غيرها من العلوم ، وله التصانيف —

الْمُحَرَّمِ بِالْمَهْدِيَّةِ ، مِنْ بِلَادِ الْقَيْرَوَانِ ، وَهُوَ صَاحِبُ فَصَاحَةٍ بَارِعَةٍ ، وَعِلْمٍ بِالنَّحْوِ ، وَالطِّبِّ . وَكَانَ قَدْ وَرَدَ إِلَى مِصْرَ فِي أَيَّامِ الْمُسَمَّى بِالْآمِرِ ، مِنْ مُلُوكِ مِصْرَ ، وَاتَّصَلَ بِوَزِيرِهِ وَمُدَبِّرِ دَوْلَتِهِ ، الْأَفْضَلِ شَاهِنْشَاهَ ، بْنِ أَمِيرِ الْجُيُوشِ بَدْرٍ ،

— المشهورة ، والمآثر المذكورة ، قد بلغ فى صناعة الطب مبلغا لم يصل إليه غيره من الأطباء ، وحصل من معرفة الأدب مالم يدركه كثير من سائر الأدباء ، وكان أوحد العلم الرياضى ، متقنا لعلم الموسيقى وعمله ، جيد اللعب بالعود ، وكان لطيف النادرة ، فصيح اللسان ، جيد المعانى ، ولشعره رونق ، وأتى أبو الصلت من الاندلس إلى ديار مصر ، وأقام بالقاهرة مدة ، ثم عاد بعد ذلك إلى الاندلس ، وكان دخول أبى الصلت إلى مصر ، فى حدود سنة عشر وخمسمائة ، ولما كان فى الاسكندرية حبس بها ، وحدثنى الشيخ سديد الدين المنطق فى القاهرة ، سنة اثنتين وثلاثين وستمائة : أن أبا الصلت أمية بن عبد العزيز ، كان سبب حبسه فى الاسكندرية ، أن مركبا كان قد وصل اليها ، وهو موقر بالنحاس ، فغرق قريبا منها ، ولم تكن لهم حيلة فى تخليصه ، لطول المسافة فى عمق البحر ، ففكر أبو الصلت فى أمره ، وأجال النظر فى هذا المعنى ، حتى تخلص له فيه رأى ، واجتمع بالافضل بن أمير الجيوش ملك الاسكندرية ، وأعلمه أنه قادر إن تهيأ له جميع مايحتاج إليه من الآلات — أن يرفع المركب من قعر البحر ، ويجعله على وجه الماء مع مافيه من الثقل ، فتعجب من قوله ، وفرح به ، وسأله أن يفعل ذلك ، ثم آتاه على جميع مايطلبه من الآلات ، وغرم عليها جملة من المال ، ولما تهيأت وضعها فى مركب عظيم ، على موازاة المركب الذى قد غرق ، وأرسى إليه حبالا مبرومة من الابريسم ، وأمر قوما لهم خبرة فى البحر ، أن يغوصوا ويوثقوا ربط الحبال بالمركب الغارق ، وكان قد صنع آلات بأشكال هندسية ، لرفع الاثقال فى المركب الذى هم فيه ، وأمر الجماعة بما يفعلونه فى تلك الآلات ، ولم يزل شأنهم ذلك ، والحبال الابريسم ترتفع إليهم أولا فأولا ، وتنطوى على دواليب بين أيديهم ، حتى بان لهم المركب الذى كان قد غرق ، وارتفع إلى قريب من سطح الماء ، ثم عند ذلك انقطعت الحبال الابريسم ، وهبط المركب راجعا إلى قعر البحر ، ولقد تلطف —

وَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ خَوَاصِّ الأَفْضَلِ ، يُعْرَفُ بِمُخْتَارٍ ، وَيُلَقَّبُ بِتَاجِ الْمَعَالِي ، وَكَانَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ الأَفْضَلِ عَالِيَةً ، وَمَكَانَتُهُ بِالسَّعْدِ حَالِيَةً ، فَتَحَسَّنَتْ حَالُ أُمَيَّةَ عِنْدَهُ ، وَقَرَّبَ

— أبو الصلت جدا فيما صنعه ، وفى التحيل إلى رفع المركب ، إلا أن القدر لم يساعده ، وحنق عليه الملك لما غرمه من الآلات ، وكونها مرت ضائعة ، وأمر بحبسه وإن لم يستوجب ذلك ، وبقى فى الاعتقال مدة إلى أن شفع فيه بعض الأعيان وأطلق ، وكان ذلك فى خلافة الآمر بأحكام الله ، ووزارة الملك الافضل بن أمير الجيوش . ونقلت من رسائل الشيخ أبى القاسم على بن سليمان ، المعروف بابن الصيرفى ، ماهذا مثاله . قال : وردتنى رقعة من الشيخ أبى الصلت وكان معتقلا ، وفى آخرها نسخة قصيدتين ، خدم بهما المجلس الافضلى ، وأول الاولى منها :

الشمس دونك فى المحل
والطيب ذكرك بل أجل

وأول الثانية :

نسخت غرائب مدحك التشبيبا
وكفى بها غزلا لنا ونسيبا

فكتبت إليه :

لئن سترتك الجدر عنا فربما
رأينا جلابيب السحاب على الشمس

وردتنى رقعة مولاى ، فأخذت فى تقبيلها وارتشافها ، قبل التأمل لمحاسنها واستشفافها ، حتى كأنى ظفرت بيد مصدرها ، وتمكنت من أنامل كاتبها ومسطرها ، ووقفت على ماتضمنته من الفضل الباهر ، وما أودعتها من الجواهر ، التى قذف بها فيض الخاطر ، فرأيت ماقيد فكرى وطرفى ، وجل عن مقابلة تقريظى ووصفى ، وجعلت أجدد تلاوته مستفيدا ، وأردده مبتدئا فيها ومعيدا : —

مِنْ قَلْبِهِ ، وَخَدَمَهُ بِصِنَاعَتَي الطِّبِّ وَالنُّجُومِ ، وَأُنِسَ تَاجُ الْمَعَالِي مِنْهُ بِالْفَضْلِ ، الَّذِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ ، فَوَصَفَهُ بِحَضْرَةِ الْأَفْضَلِ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ مَا سَمِعَهُ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى تَقَدُّمِهِ فِي الْفَضْلِ ، وَتَمَيُّزِهِ عَنْ كُتَّابِ وَقْتِهِ . وَكَانَ كَاتِبَ حَضْرَةِ الْأَفْضَلِ يَوْمَئِذٍ ، رَجُلٌ قَدْ حَمَى هَذَا الْبَابَ ، وَمَنَعَ

— تكرر طورا من قراة فصوله
فان نحن أتممنا قراءته عدنا

إذا مانشرناه فكالمسك نشره
ونطويه لاطى السآمة بل ضنا

فأما ما اشتملت عليه من الرضا بحكم الدهر ضروره ، وكون ما اتفق له عارض يتحقق ذهابه ومروره ، ثقة بعواطف السلطان ، ـ خلد الله أيامه ومراحمه ـ ، وسكونا إلى ماجبلت النفوس عليه ، من معرفة فواضله ومكارمه ، فهذا قول مثله ممن طهر الله نيته ، وحفظ دينه ، ونزه عن الشكوك ضميره ويقينه ، ووفقه بلطفه ، لاعتقاد الخير واستشعاره ، وصانه عما يؤدى إلى عاب الاثم وعاره :

لايؤيسنك من تفرج كربة
خطب رماك به الزمان الأنكد

صبرا فأن اليوم يتبعه غد
ويد الخلافة لاتطاولها يد

وأما ما أشار اليه ، من أن الذى منى به تمحيص أوزار سبقت ، وتنقيص ذنوب اتفقت ، فقد حاشاه الله من الدنايا ، وبرأه من الآثام والخطايا ، بل ذاك اختبار لتوكله وثقته ، وابتلاء لصبره وسريرته ، كما يبتلى المؤمنون الأتقياء ، ويمتحن الصالحون والأولياء ، —

مِنْ أَنْ يَمُرَّ بِمَجْلِسِهِ ذِكْرُ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْأَدَبِ ،
إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ مُعَارَضَةِ قَوْلِ تَاجِ الْمَعَالِى ،
فَأَغْضَى عَلَى قَذًى ، وَأَضْمَرَ لِأَبِى الصَّلْتِ الْمَكْرُوهَ ،

— والله تعالى يدبره بحسن تدبيره ، ويقضى له بما الحظ فى تسهيله وتيسيره بكرمه ، وقد اجتمعت بفلان ، فأعلمنى أنه تحت وعد أداه الاجتهاد إلى تحصيله وإحرازه ، ووثق من المكارم الفائضة بالوفاء به وإنجازه ، وأنه ينتظر فرصة فى التذكار ينتهزها ويغتنمها ، ويرتقب فرجة للخطاب يتولجها ويقتحمها ، — والله تعالى يعينه على مايضمر من ذلك وينويه ، ويوفقه فيما يحاوله ويبغيه . وأما القصيدتان اللتان اتحفنى بهما ، فما عرفت أحسن منهما مطلعا ولا أجود منصرفا ومقطعا ، ولا أملك للقلوب والاسماع ، ولا أجمع للاغراب والابداع ، ولا أكمل فى فصاحة الالفاظ وتمكن القوافى ، ولا أكثر تناسبا على كثرة مافى الاشعار من التباين والتنافى ، ووجدتهما تزدادان حسنا على التكرير والترديد ، وتفاءلت فيهما بترتيب قصيدة الاطلاق بعد قصيدة التقييد ، — والله عز وجل يحقق رجائى فى ذلك وأملى ، ويقرب ما أتوقعه — فمعظم السعادة فيه لى إن شاء الله .

أقول : وكانت وفاة أبى الصلت — رحمه الله — يوم الاثنين ، مستهل محرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة بالمهدية ، ودفن فى المنستير ، وقال عند موته أبياتا ، وأمر أن تنقش على قبره . وهى :

سكنتك يا دار الفناء مصدقا
بأنى إلى دار البقاء أصير
وأعظم ما فى الأمر أنى صائر
إلى عادل فى الحكم ليس يجور
فياليت شعرى كيف ألقاه عندها
وزادى قليل والذنوب كثير
فان أك مجزيا بذنبى فاننى
بشر عقاب المذنبين جدير —

وَتَتَابَعَتْ مِنْ تَاجِ الْمَعَالِى السَّقَطَاتُ ، وَأَفْضَتْ إِلَى تَغَيُّرِ الْأَفْضَلِ ، وَالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَالْاِعْتِقَالِ ، فَوَجَدَ حِينَئِذٍ السَّبِيلَ إِلَى أَبِى الصَّلْتِ ، بِمَا اُخْتَلَقَ لَهُ مِنَ الْمِحَالِ [1] ، فَحَبَسَهُ الْأَفْضَلُ فِى سِجْنِ الْمَعُونَةِ بِمِصْرَ ، مُدَّةَ ثَلَاثِ سِنِينَ وَشَهْرٍ وَاحِدٍ ، عَلَى مَا أَخْبَرَنِى بِهِ الثِّقَةُ عَنْهُ ، ثُمَّ أُطْلِقَ ، فَقَصَدَ الْمُرْتَضَي أَبَا طَاهِرٍ يَحْيَي بْنَ تَمِيمِ ، بْنِ الْمُعِزِّ ، بْنِ بَادِيسَ ،

— وإن يك عفو ثم عنى ورحمة
فثم نعيم دائم وسرور

ولما كان أبو الصلت أمية بن عبد العزيز ، قد توجه إلى الاندلس ، قال ظافر الحداد الاسكندرى ، وأنفذها إلى المهدية ، إلى الشيخ أبى الصلت من مصر ، يذكر شوقه إليه ، وأيام اجتماعها بالاسكندرية :

ألا هل لدائى من فراقك إفراق
هو السم لكن فى لقائك درياق
فيا شمس فضل غربت ولضوئها
على كل قطر بالمشارق إشراق
سقى العهد عهداً منك عمر عهده
بقلبى عهد لا يضيع وميثاق
يجدده ذكر يطيب كما شدت
ورقاء كنتها من الأيك أوراق
لك الخلق الجزل الرفيع طرازه
وأكثر أخلاق الخليقة أخلاق —

(١) المحال : الكيد والمكر والجدال

صَاحِبَ الْقَيْرَوَانِ ، فَحَظِيَ[١] عِنْدَهُ ، وَحَسُنَ حَالُهُ مَعَهُ . وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي رِسَالَةٍ لَمْ يَذُمَّ فِيهَا مِصْرَ ، وَيَصِفُ حَالَهُ ، وَيُثْنِي عَلَى ابْنِ بَادِيسَ ، وَاسْتَشْهَدَ فِيهَا بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ فِي وَصْفِ ابْنِ بَادِيسَ :

— لقد ضاءلتني يا أبا الصلت مذ نأت
دیارك عن داری هموم وأشواق
إذا عزني إطفاؤها بمدامعي
جرت ولها ما بين جفني إحراق
سحائب يحدوها زفير تجره
خلال التراق والترائب تشهاق
وقد كان لي كنز من الصبر واسع
فلي منه في صعب النوائب إنفاق
وسيف إذا جردت بعض غراره
لجيش خطوب صدها منه إرهاق
إلى أن أبان البين أن غراره
غرور وأن الكنز فقر وإملاق
أخي سيدي مولاى دعوة من صفا
وليس له من رق ودك إعتاق
لئن بعدت ما بيننا شقة النوى
ومطرد طامي الغوارب خناق
وبيد إذا كلفتها العيس قصرت
طلائح أنضاها ذميل وإعناق
فعندى لك الود الملازم مثل ما
يلازم أعناق الحمائم أطواق —

(١) أى كان ذا منزلة ومكانة

فَلَمْ أَسْتَسِغْ إِلَّا نَدَاهُ وَلَمْ يَكُنْ
لِيَعْدِلَ عِنْدِى ذَا الْجَنَابِ (١) جَنَابُ
فَمَا كُلُّ إِنْعَامٍ يَخِفُّ احْتِمَالُهُ
وَإِنْ هَطَلَتْ مِنْهُ عَلَىَّ سَحَابُ

— ألا هل لأيامى بك الغر عودة
كعهدى وثغر الثغر أشنب براق
ليالى يدنينا جواب أعادنا
من القرب كالصنو بين ضمها ساق
وما بيننا من حسن لفظك روضة
بها حسدت منا المسامع أحداق
حديث حديث كلما طال موجز
مقيد إلى قلب المحدث سباق
يزجيه بحر من علومك زاخر
له كل بحر فائض اللج رقراق
معان كأطواد الشوامخ جزلة
تضمنها عذب من اللفظ غيداق
به حكم مستنبطات غرائب
لأبكارها الغر الفلاسف عشاق
فلو عاش رسطاليس كان له بها
غرام وقلب دائم الفكر تواق
فيا واحد الفضل الذى العلم قوته
وأهلوه مشتاق بشم وذواق —

(١) الجناب : فناء الدار ، وما قرب من محلة القوم يريد حضرته

وَلَـكِنْ أَجَلُّ الصُنْعِ مَاجَلَّ رَبُّهُ
وَلَمْ يَأْتِ بَابٌ دُونَهُ وَحِجَابُ

وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أَدُلَّ عَوَاذِلِي
عَلَى أَنَّ رَأْيِي فِي هَوَاكَ صَوَابُ

وَأُعْلِمَ قَوْمًا خَالَفُونِي وَشَرَّقُوا
وَغَرَّبْتُ أَنِّي قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوا

— لئن قصرت كتبي فلا غرو أنه
لعائق عذر والمقادير أوهاق

كتبت وآفات البحار تردها
فأن لم يكن رد على فأغراق

بحار بأحكام الرياح فأنها
مفاتيح فى أبوابهن وإغلاق

ومن لى أن أحظى إليك بنظرة
فيسكن مقلاق ويرقأ مهراق

ومن شعر أبي الصلت ، أمية بن عبد العزيز ، قال يمدح أبا الطاهر يحيى بن تميم ، بن معز ، بن باديس ، ويذكر وصول ملك الروم بالهدايا ، راغباً فى ترك الغزو ، وذلك فى سنة خمس وخمسمائة :

يهاديك من لو شئت كان هو المهدى
وإلا فضمنه المثقفة الملدا

وكل سريجى إذا ابتز غمده
تعوض من هام الكماة له غمدا —

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

لَاغَرْوَ إِنْ لَحِقَتْ لُهَاكَ (١) مَدَائِحِي
فَتَدَفَّقَتْ نُعْمَاكَ مِلْءَ إِنَائِهَا

— تغير فردا فى ظبا الهند شأنه
إذا شيم يوم الروع أن يزوج الفردا
ظبا ألفت غلب الرقاب وصالها
كما ألفت منهن أغمادها الصدا
تركت بقسطنطينة رب ملكها
وللرعب ما أخفاه منه وما أبدا
سددت عليه مغرب الشمس بالظبا
فود حذاراً منك لو جاوز السدا
وبالرغم منه ما أطاعك مبديا
لك الحب فى هذى الرسائل والودا
لأنك إن أوعدته أو وعدته
وفيت ولم تخلف وعيداً ولا وعدا
أجل ، وإذا ما شئت جردت نحوه
جحا جحه شيباً وصبيانه مردا
يردون أطراف الرياح دواميا
يخلن على أيديهم مقلا رمدا
فدتك ملوك الأرض أبعدها مدى
وأرفعها قدراً وأقدمها مجدا —

(١) لهاك : عطاياك

يُكْسَى الْقَضِيبُ(١) وَلَمْ يَحِنْ(٢) إِبَّانُهُ(٣)

وَتُطَوَّقُ الْوَرْقَاءُ(٤) قَبْلَ غِنَائِهَا

وَمِنْهُ يَرْثِي :

— إذا كلفوا بالطرف أدعج ساجيا
كلفت بجب الطرف عبل الشوى نهدا

وكل أضاة أحكم القين نسجها
فضاعف فى أثنائها الحلق السردا

وأسمر عسال وأبيض صارم
يعنق ذا قدا ويلثم ذا خدا

محاسن لو أن الليالى حليت
بأيسرها لا ابيض منهن ما اسودا

فر بالذى تختاره الدهر يمتثل
لأمرك حكما لا يطيق له ردا

وقال أيضاً قصيدة طويلة رفعها إلى الأفضل ، يذكر تجريدة العساكر إلى الشام لمحاربة الفرنج ، بعد انهزام عسكره فى الموضع المعروف « بالبصة » ، وكان قد اتفق فى أثناء ذلك التاريخ ، أن قوما من الأجناد وغيرهم ، أرادوا الفتك به ، فوقع على خبرهم ، فقبض عليهم وقتلهم ، ونكتفى بذكر مطلعها لطولها :

هي العزائم من أنصارها القدر
وهي الكتائب من أشياعها الظفر —

(١) القضيب : أحد أغصان الشجرة

(٢) كانت فى الاصل : « يحق » وهذا لا معنى له ، وأصلحت إلى ما ذكر

(٣) أى زمنه ووقته

(٤) الحمامة

قَدْ كُنْتُ جَارَكَ وَالأَيَّامُ تَرْهَبُنِي
وَلَسْتُ أَرْهَبُ غَيْرَ اللهِ مِنْ أَحَدِ
فَنَافَسَتْنِي اللَّيَالِي فِيكَ ظَالِمَةً
وَمَا حَسِبْتُ اللَّيَالِي مِنْ ذَوِي الْحَسَدِ

— جردت للدين والأسياف مغمدة
سيفا تفل به الأحداث والغير

إلى أن قال فى ختامها :

بقيت للدين والدنيا ولا عدمت
أجياد تلك المعالى هذه الدرر

وقال أيضاً يصف الثريا :

رأيت الثريا لها حالتان — منظرها فيهما معجب
لها عند مشرقها صورة — يريك مخالفها المغرب
فتطلع كالكأس اذ تستحث — وتغرب كالكأس اذ يشرب

وقال فى الزهد :

ما أغفل المرء وألهاه — يعصى ولا يذكر مولاه
يأمره بالغى شيطانه — والعقل لو يرشد ينهاه
غرته دنياه فلم يستفق — من سكرها يوما لأخراه
ياويحه المسكين ياويحه — إن لم يكن يرحمه الله

وله فى الشدة :

يقولون لى صبرا وإنى لصابر
على نائبات الدهر وهى فواجع
سأصبر حتى يقضى الله ماقضى
وان أنا لم أصبر فما أنا صانع —

وَلِأَبِى الصَّلْتِ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ الْأَدْوِيَةِ الْمُفْرَدَةِ ، كِتَابُ تَقْوِيمِ الذِّهْنِ فِى الْمَنْطِقِ ، كِتَابُ الرِّسَالَةِ الْمِصْرِيَّةِ ، كِتَابُ دِيوَانِ شِعْرِهِ كَبِيرٌ ، كِتَابُ رِسَالَةٍ عَمِلَ فِى الْأَسْطُرْلَابِ ، كِتَابُ الدِّيبَاجَةِ فِى مَفَاخِرِ صُنْهَاجَةَ ؟ كِتَابُ دِيوَانِ رَسَائِلَ ، كِتَابُ الْحَدِيقَةِ فِى مُخْتَارٍ مِنْ أَشْعَارِ الْمُحْدَثِينَ ، وَمِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ مَنْقُولًا مِنْ كِتَابِ سِرِّ السُّرُورِ :

— ومن شعره :

مارست دهرى وجربت الانام فلم ... أحمدهم قط فى جد ولا لعب
وكم تمنيت أن ألقى به أحـدا ... يسلى من الهم أو يعدى على النوب
فما وجدت سوى قوم إذا صدقوا ... كانت مواعيدهم كالآل فى الكذب
وكان لى سبب قد كنت أحسبنى ... أحظى به وإذا دائى من السبب
فما مقلم أظفارى سوى قلمى ... ولا كتائب أعدائى سوى كتبى

وقال أيضا :

قامت تدير المدام كفاها ... شمس ينير الدجى محياها
إن أقبلت فالقضيب قامتها ... أو أدبرت فالكثيب ردفاها
فالمسك مافاح من مراشفها ... والبرق مالاح من ثناياها
غزالة أخجلت سميتها ... فلم تشبه بها وحاشاها
هبها لها حسنها وبهجتها ... فهل لها جيدها وعيناها ؟

وله أيضا :

ساد صغار الناس فى عصرنا ... لادام من عصر ولا كانا
كالدست مهما هم أن ينقضى ... عاد به البيدق فرزانا

حَسْبِي فَقَدْ بَعُدَتْ فِي الْغَيِّ أَشْوَاطِي
وَطَالَ فِي اللَّهْوِ إِيغَالِي وَإِفْرَاطِي

أَنْفَقْتُ فِي اللَّهْوِ عُمْرِي غَيْرَ مُتَّعِظٍ
وَجُدْتُ فِيهِ بِوَفْرِي غَيْرَ مُحْتَاطِ

فَكَيْفَ أَخْلُصُ مِنْ بَحْرِ الذُّنُوبِ وَقَدْ
غَرِقْتُ فِيهِ عَلَى بُعْدٍ مِنَ الشَّاطِي

يَارَبِّ مَالِيَ مَا أَرْجُو رِضَاكَ بِهِ
إِلَّا اعْتِرَافِي بِأَنِّي الْمُذْنِبُ الْخَاطِي

وَمِنْهُ أَيْضاً :

لِلّٰهِ يَوْمِي بِبِرْكَةِ الْحَبَشِ
وَالصُّبْحُ بَيْنَ الضِّيَاءِ وَالْغَبَشِ (١)

وَالنِّيلُ تَحْتَ الرِّيَاحِ مُضْطَرِبٌ
كَطَائِرٍ (٢) فِي يَمِينِ مُرْتَعِشِ

---

(١) أي خالط ظلمته بياض في آخر الليل (٢) في الأصل : « كعصائم » فأصلحت إلى ما ترى، وفي رواية أخرى : كسيف الخ. « عبد الخالق »

وَنَحْنُ فِي رَوْضَةٍ مُفَوَّفَةٍ(١)

دُبِّجَ بِالنَّوْرِ(٢) عِطْفُهَا وَوُشِي

قَدْ نَسَجَتْهَا يَدُ الرَّبِيعِ لَنَا

فَنَحْنُ مِنْ نَسْجِهَا عَلَى فُرُشِ

وَأَثْقَلُ النَّاسِ كُلِّهِمْ رَجُلٌ

دَعَاهُ دَاعِي الْهَوَى فَلَمْ يَطِشِ(٣)

فَعَاطِنِي الرَّاحَ إِنَّ تَارِكَهَا

مِنْ سَوْرَةِ الْهَمِّ غَيْرُ مُنْتَعِشِ

وَأَسْقِنِي بِالْكِبَارِ مُتْرَعَةً

فَهُنَّ أَشْفَى لِشِدَّةِ الْعَطَشِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودٍ : حَدَّثَنِي طَلْحَةُ أَنَّ أَبَا الصَّلْتِ ، اجْتَمَعَ فِي بَعْضِ مُتَنَزَّهَاتِ مِصْرَ ، مَعَ وُجُوهِ أَفَاضِلِهَا ،

---

(١) الفوف : ثياب رقاق موشاة يمانية، ويشبه النور بالفوف من الثياب ، فيقال : أزهار مفوفة ، أي تشبه الفوف في الرقة ، وميل النفس اليها « عبد الخالق »

(٢) النور : زهر الشجر ، الواحدة منه نورة

(٣) أي لم يخف

فَمَالَ لِصَبِيٍّ صَبِيحِ الْوَجْهِ ، عَدِيمِ الشَّبَهِ ، قَدْ نَقَّطَ نُونَ صُدْغِهِ عَلَى صَفْحَةِ خَدِّهِ ، فَاسْتَوْصَفُوهُ إِيَّاهُ ، فَقَالَ :

مُنْفَرِدٌ بِالْحُسْنِ وَالظَّرْفِ
بُحْتُ لَدَيْهِ بِالَّذِي أُخْفِي
لَهْفِي شَكَوْتُ وَهْوَ مِنْ تِيهِهِ
فِي غَفْلَةٍ عَنِّي وَعَنْ لَهْفِي
قَدْ عُوقِبَتْ أَجْفَانُهُ بِالضَّنَى
لِأَنَّهَا أَضْنَتْ وَمَا تَشْفِي
قَدْ أَزْهَرَ الْوَرْدُ عَلَى خَدِّهِ
لَكِنَّهُ مُمْتَنِعُ الْقَطْفِ
كَأَنَّمَا الْخَالُ بِهِ نُقْطَةٌ
قَدْ قَطَرَتْ[1] مِنْ كَحَلِ الطَّرْفِ

قَالَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الشَّامِيُّ ، وَكَانَ قَدْ دَرَسَ عَلَيْهِ ، وَاقْتَبَسَ مَا لَدَيْهِ ، أَنَّ الْأَفْضَلَ كَانَ قَدْ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ

(١) كانت في لاصل : « قد فطرت » بالفاء ، وأصلحت إلى ما ذكر

وَحَبَسَهُ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، فِي دَارِ كُتُبِ الْحَكِيمِ أَرِسْطَاطَالِيسَ ، قَالَ : وَكُنْتُ أَخْتَلِفُ[1] إِلَيْهِ إِذْ ذَاكَ ، فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ يَوْمًا ، فَصَادَفْتُهُ مُطْرِقًا ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ إِلَيَّ عَلَى الْعَادَةِ ، فَسَأَلْتُهُ فَلَمْ يَرُدَّ الْجَوَابَ ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ سَاعَةٍ : اُكْتُبْ ، وَأَنْشَدَنِي :

قَدْ كَانَ لِي سَبَبٌ[2] قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ
أَحْظَى بِهِ فَإِذَا دَائِي مِنَ السَّبَبِ

فَمَا مُقَلِّمُ أَظْفَارِي سِوَى قَلَمِي
وَلَا كَتَائِبُ أَعْدَائِي سِوَى كُتُبِي

فَكَتَبْتُ وَسَأَلْتُهُ[3] عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّ فُلَانًا تِلْمِيذِي ، قَدْ طَعَنَ فِيَّ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْأَفْضَلِ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ دَمْعًا ، وَدَعَا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَحُلِ الْحَوْلُ حَتَّى اسْتُجِيبَ لَهُ .

---

(١) أي أتردد إليه (٢) السبب في الأصل : الحبل ، فهو يريد إنسانا له به رابطة ، يحسبه سلما له ، فاذا هو حرب عليه . (٣) كانت في الأصل : « رسالته »

وَأَنْشَدَنِي الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ بْنُ الفَيَّاضِ الإِسْكَنْدَرَانِيُّ ـ وَكَانَ مِمَّنْ دَرَسَ عَلَيْهِ، وَاخْتَلَفَ إِلَيْهِ ـ فِي صِفَةِ فَرَسٍ:

صَفْرَاءُ إِلَّا حُجُولُ[١] مُؤْخَرِهَا
فَهْيَ مُدَامٌ[٢] وَرُسْغُهَا[٣] زَبَدُ[٤]

تُعْطِيكَ مَجْهُودَهَا فَرَاهَتُهَا[٥]
فِي الْحُضْرِ[٦] وَالْحُضْرُ عِنْدَهَا وَخَدُ[٧]

وَأَنْشَدَنِي لَهُ يَهْجُو، وَمَا هُوَ مِنْ صِنَاعَتِهِ:

---

(١) التحجيل: بياض في قوائم الفرس، أو في ثلاث منها، أو في رجليه، قل أو كثر، بعد أن يجاوز الأرساغ، ولا يجاوز الركبتين، لانها مواضع الاحجال، وهي الخلاخيل والقيود، يقال: فرس محجل (٢) المدام: الخمر

(٣) الرسغ من الدواب: الموضع المستدق الذي بين الحافر، وموصل الوظيف من اليد والرجل (٤) الزبد: ما يعلو الماء وغيره من الرغوة. والمعنى ان هذه الفرس: صفراء محجلة الرجلين المؤخرتين، فهي اشبه بمدام حفت بالحباب

(٥) نشاطها وقوتها (٦) الحضر. ارتفاع الفرس في عدوه

(٧) في الاصل: «والحضر عندها وتد» ولا معنى لها، ولذا رأيت أنها وخد بسكون الخاء، وحركت للقافية، والمراد: أنها واسعة الخطو في حضرها، اذ من معنى الوخد: سعة الخطو، ولعلى أصبت «عبد الخالق»

صافٍ (١) وَمَوْلاتُهُ وَسَيِّدُهُ

حُدُودُ شَكْلِ القِيَاسِ مَجْمُوعَهْ

فَالشَّيْخُ فَوْقَ الِاثْنَيْنِ مُرْتَفِعٌ

وَالسِّتُّ تَحْتَ الِاثْنَيْنِ مَوْضُوعَهْ

وَالشَّيْخُ مَحْمُولُ ذِي وَحَامِلُ ذَا

بِحِشْمَةٍ فِي الْجَمِيعِ مَصْنُوعَهْ

شَكْلُ قِيَاسٍ كَانَتْ نَتِيجَتُهُ

غَرِيبَةً فِي دِمَشْقَ مَطْبُوعَهْ (٢)

وَقَرَأْتُ فِي الرِّسَالَةِ الْمِصْرِيَّةِ ، زِيَادَةً عَلَى الْبَيْتَيْنِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُمَا قَبْلُ :

وَكَمْ تَمَنَّيْتُ أَنْ أَلْقَى بِهَا أَحَداً

يُسْلِي مِنَ الْهَمِّ أَوْ يُعْدِي عَلَى النُّوَبِ

فَمَا وَجَدْتُ سِوَى قَوْمٍ إِذَا صَدَقُوا

كَانَتْ مَوَاعِيدُهُمْ كَالآلِ فِي الْكَذِبِ

(١) إسم الغلام (٢) أردت أن أخرج القياس بمقدمتيه ونتيجته ، وألفت هذا ، ولكني آثرت محوه لشذوذ القول « عبد الخالق »

١٩ – بَرْزَخُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَرُوضِيُّ (*)

برزخ العروضى

مَوْلَى بَجِيلَةَ ، وَقَالَ الصُّولِيُّ : أَظُنُّهُ مِنْ مَوَالِي كِنْدَةَ ، وَقَالَ ابْنُ دَرَسْتَوَيْهِ : وَمِنْ عُلَمَاءِ الْكُوفَةِ : بَرْزَخُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَرُوضِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي صَنَّفَ كِتَابًا فِي الْعَرُوضِ ، نَقَضَ فِيهِ الْعَرُوضَ – فِي زَعْمِهِ – عَلَى الْخَلِيلِ ، وَأَبْطَلَ الدَّوَائِرَ وَالْأَلْقَابَ ، وَالْعِلَلَ الَّتِي وَضَعَهَا ، وَنَسَبَهَا إِلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَكَانَ كَذَّابًا .

وَحَدَّثَ الصُّولِيُّ : حَدَّثَ جَبَلَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : كَانَ النَّاسُ قَدْ أَلَبُّوا [1] عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ بَرْزَخٍ

(*) ترجم له فى الوافى بالوفيات ، جزء ثالث ، قسم أول ، ص ١٠٢ قال :

هو مولى بجيلة ، وقال الصولى : أظنه مولى كندة ، وقال ابن درستويه : ومن علماء الكوفة : برزخ بن محمد العروضى ، وهو لذى صنف كتابا فى العروض ، نقض فيه العروض بزعمه على الخليل ، وأبطل الدوائر والألقاب ، والعلل التى وضعها ، ونسبها إلى قبائل العرب ، وكان كذابا . وحدث الصولى ، عن جبلة بن محمد قال : سمعت أبى يقول : كان الناس قد ألبوا على أبى محمد برزخ العروضى ، لكثرة حفظه ، فساء ذلك حمادا وجنادا ، فدسا اليه من يستقطه ، فاذا هو يحدث بالحديث عن رجل فعل شيئا ، ثم يحدث به عن آخر بعد ذلك ، ثم يحدث به عن آخر فتركه الناس ، حتى كان يجلس وحده .

راجع فهرست ابن النديم ص ١٠٧

(١) ألب القوم : اجتمعوا ، وألب القوم : جمعهم

ابْنِ مُحَمَّدٍ الْعَرُوضِيِّ ، لِكَثْرَةِ حِفْظِهِ ، فَسَاءَ ذَلِكَ حَمَّاداً وَجَنَاداً (١) ، فَدَسَّا إِلَيْهِ مَنْ يُسْقِطُهُ ، فَإِذَا هُوَ يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ عَنْ رَجُلٍ فَعَلَ شَيْئاً ، ثُمَّ يُحَدِّثُ بِهِ عَنْ رَجُلٍ آخَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُحَدِّثُ بِهِ عَنْ آخَرَ ، فَتَرَكَهُ النَّاسُ حَتَّى كَانَ يَجْلِسُ وَحْدَهُ . وَحَدَّثَ صَعُودٌ قَالَ : سَمِعْتُ سَلَمَةَ يَقُولُ : كَانَ يُونُسُ النَّحْوِيُّ يَقُولُ : إِنْ لَمْ يَكُنْ بَرْزَخٌ أَرْوَى النَّاسِ ، فَهُوَ أَكْذَبُ النَّاسِ . قَالَ سَلَمَةُ : وَصَدَقَ يُونُسُ يَقُولُ : إِنْ كَانَ مَا أَتَى بِهِ حَقًّا وَإِلَّا فَقَدْ كَذَبَ ، لِأَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ أَقْوَامٍ لَا يَعْرِفُهُمُ النَّاسُ .

وَحَدَّثَ ابْنُ قَادِمٍ قَالَ : سُئِلَ الْفَرَّاءُ عَنْ بَرْزَخٍ ، فَأَنْشَدَ قَوْلَ زُهَيْرٍ :

أَضَاعَتْ فَلَمْ يَغْفِرْ لَهَا غَفَلَاتِهَا
فَلَاقَتْ بَيَاناً عِنْدَ آخِرِ مَعْهَدِ

يُرِيدُ أَنَّ النَّاسَ اجْتَنَبُوهُ ، لِشَيْءٍ اسْتَبَانُوهُ مِنْهُ .

---

(١) حماد وجناد راويان شهيران بالحفظ

وَحَدَّثَ الْمَازِنِىُّ قَالَ : رَوَى بَرْزَخٌ شِعْراً لِامْرِىءِ الْقَيْسِ، فَقَالَ لَهُ جُنَادٌ : عَمَّنْ رَوَيْتَ هَـذَا ؟ قَالَ عَنِّى : وَحَسْبُكَ بِى ، فقَالَ لَهُ جُنَادٌ : مِنْ هَذَا أُتِيتَ (١) يَا غَافِلُ .

وَحَدَّثَ الصُّولِىُّ عَنْ أَبِى عَبْدِ اللهِ ، أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ السُّكُونِىِّ قَالَ : كُنَّا نَرْوِى لِبَرْزَخٍ أَشْعَاراً مِنْهَا :

لَيْسَ بَيْنِى وَبَيْنَ قَوْمِىَ إِلَّا
أَنَّنِى فَاضِلٌ لَهُمْ فِى الذَّكَاءِ
حَسَدُونِى فَزَخْرَفُوا (٢) فِىَّ قَوْلًا
تَتَلَقَّاهُ أَلْسُنُ الْبُغَضَاءِ
كُنْتُ أَرْجُو الْعَلَاءَ فِيهِمْ بِعِلْمِى
فَأَتَانِى مِنَ الرَّجَاءِ بَلَائِى
شِدَّةٌ قَدْ أَفَدْتُهَا (٣) مِنْ رَخَاءِ
وَانْتِقَاصٌ جَنَيْتُهُ مِنْ وَفَاءِ

وَحَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِى أُسَامَةَ قَالَ : أَنْشَدَنِى عُثْمَانُ

(١) أُتى فلان : أشرف عليه العدو ، يريد : من هذا أغفلك الناس (٢) زخرف القول: حسنه بترقيش الكذب . والزخرف : الذهب والزينة (٣) نحسب الأصوب ، بل الأقوم لغة ووزنا ما ذكرنا ، لأنها كانت فى الأصل : « إستفدتها » بقطع همزة الوصل .

ابْنُ مُحَمَّدٍ لِأَبِى حَنَشٍ، وَاسْمُهُ خُضَيْرُ بْنُ قَيْسٍ شِعْرًا (١)، يَقُولُهُ فِى بَرْزَخ :

أَبَرْزَخُ قَدْ فَقَدْتُكَ مِنْ ثَقِيلِ (٢)
فَظِلُّكَ حِينَ يُوزَنُ وَزْنُ فِيلِ

تُجَنِّبُ بِالتَّنَاقُضِ يَا مَقِيتُ (٣)
وَتَخْتَارُ الْقَبِيحَ عَلَى الْجَمِيلِ

فَمَا تَنْفَكُّ إِنْسَانًا تُمَارِى
جَلِيسُكَ مِنْكَ فِى هَمٍّ طَوِيلِ

وَبِالْأَشْعَارِ عِلْمُكَ حِينَ يُقْعَى
عَلَيْنَا بِالسَّمَاعِ الْمُسْتَطِيلِ (٤)

يَكُونُ كَلَطْمِ سِنَّوْرٍ إِذَا مَا (٥)
أَثَارُوهُ بِأَكْلِ الزَّنْجَبِيلِ

وَلِبَرْزَخٍ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ الْعَرُوضِ، كِتَابُ بِنَاءِ

(١) سقط من الاصل كلمة « شعرا » وقد زدناها كما ترى . (٢) فى الاصل : « برزخ فقدت كاك » ولعل الصواب ما ابدلناه (٣) مقيت فعيل بمعنى مفعول : أى ممقوت بمعنى مبغوض ومكروه (٤) فى الاصل : « بالقضاء المستحيل »

(٥) بمراجعة هذه الأبيات فى ترجمة برزخ فى الوافى بالوفيات، رأيت الأبيات كما هى، إلا أن « تجنب » بدلها : « تحبب » « وتمادى » بدلها « تمارى » « وكلكم » بدلها « كلطم » وعلى هذا ، فقد أصلحت الابيات الى ما ترى ، والبيت الاخير فى الاصل هو :

يكون كلكم سنور إذا ما أجاعوه بأكل الزنجبيل

الْكَلامِ . قَالَ مُحَمَّدُ ابْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ : رَأَيْتُهُ فِي جُلُودٍ .
وَكِتَابُ مَعَانِي الْعَرُوضِ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ، كِتَابُ النَّقْضِ
عَلَى الْخَلِيلِ وَتَغْلِيطِهِ فِي الْعَرُوضِ ، كِتَابُ الْأَوْسَطِ فِي
الْعَرُوضِ ، كِتَابُ تَفْسِيرِ الْغَرِيبِ .

٢٠ – بِشْرُ بْنُ يَحْيَى ، بْنِ عَلِيٍّ الْقَيْنِيُّ النَّصِيبِيُّ ، *

بشر النصيبى

أَبُوضِيَاءَ مِنْ أَهْلِ نَصِيبِينَ [١] ، شَاعِرٌ قَلِيلُ الشِّعْرِ ،
وَأَدِيبٌ كَثِيرُ الْأَدَبِ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ فِيمَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ ابْنُ
إِسْحَاقَ : كِتَابُ سَرِقَاتِ الْبُحْتُرِيِّ مِنْ أَبِي تَمَّامٍ ، كِتَابُ
الْجَوَاهِرِ ، كِتَابُ الْآدَابِ ، كِتَابُ السَّرِقَاتِ الْكَبِيرُ لَمْ يَتِمَّ .

٢١ – بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ الْأَنْدَلُسِيُّ ، أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، *

بقى الاندلسى

ذَكَرَهُ الْحُمِيدِيُّ وَقَالَ : مَاتَ بِالْأَنْدَلُسِ ، سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ

---

(١) المسمى بهذا الاسم كثير ، فواحدة من بلاد الجزيرة ، وثانية فى حلب ، وثالثة على نهر الفرات .

(*) لم نعثر على من ترجم له غير ياقوت

(*) ترجم له فى كتاب تاريخ مدينة دمشق فى الفصل الرابع والتسعين من المجلد الثانى صفحة ٦٣ بما يأتى :

—

وَمِائَتَيْنِ ، فِي قَوْلِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ يُونُسُ . وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ[١] : مَاتَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ . قَالَ الْحُمَيْدِيُّ : وَبَقِيٌّ مِنْ حُفَّاظِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَأَئِمَّةِ الدِّينِ ، وَالزُّهَّادِ الصَّالِحِينَ ، رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ ، فَرَوَى عَنِ الْأَئِمَّةِ ، وَأَعْلَامِ السُّنَّةِ ، مِنْهُمُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ حَنْبَلٍ ، وَأَبُو بَكْرِ ابْنُ عَبْدِ اللهِ ، بْنِ مُحَمَّدِ ، بْنِ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ ، وَخَلِيفَةُ بْنُ خَيَّاطٍ ، وَجَمَاعَاتٌ أَعْلَامٌ ، يَزِيدُونَ

— هو أحد علماء أهل الاندلس ذو رحلة واسعة ، سمع بدمشق هشام بن عمار ، وصفوان ابن صالح ، وبكار بن عبد الله بن بشر ، وأحمد بن أبي الجوارى ، وعبد الله بن أحمد ذكوان ، وهشام بن خالد الازرق ، وعباس بن عثمان المؤدب ، ومحمود بن خالد ، وإسحاق بن سعيد بن الازكون ، وعباس بن الوليد الخلال ، ودحيما ، والوليد بن عتبة ، وإبراهيم ابن هشام الغسانى ، والقاسم بن عثمان الجوعى الدمشقيين ، وبغيرها : أبا التقى هشام بن عبد الملك اليزنى ، ومحمد بن مصطفى ، وأحمد بن حنبل ، . وأبا بكر بن أبي شيبة ، وإبراهيم ابن محمد الشافعى ، وأبا مصعب الزهرى ، وإبراهيم بن المنذر ، ويحيى بن عبد الله بن بكير ، ويحيى الحمانى ، ومحمد بن عبيد بن خشاب . وأخبرنا عنه الظاهر بن السرح ، والحارث بن مسكين ، وسلمة بن شبيب ، ومحمد بن عبد الله بن نمير ، وزهير بن عباد ، وزهير بن حارث ، ومحمد ابن يحيى بن أبي عمر العدنى ، وأبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي ، ومحمد بن بشار بندار ، ومحمد بن المثنى الزمن ، وجماعة سواهم . وصنف المسند ، والتفسير ، وغيرهما .

وكان ورعاً فاضلا ، زاهداً ، مجاب الدعوة ، وقيل فى مبلغ عدد شيوخه ، الذين روى عنهم مائتا رجل وأربعة وثمانون رجلا ، وحدث عنه أحمد بن عبد الله ، بن محمد بن المبارك ، بن —

(١) نسبة إلى بلدة إسمها : دار القطن ، محلة كانت ببغداد ، من نهر طابق ، بالجانب بين الكرخ ونهر عيسى بن على ، ينسب إليها الحافظ الامام أبو الحسن ، على الدارقطنى وغيره . معجم البلدان ج ٤ ص ١١

عَلَى الْمِائَتَيْنِ ، وَكَتَبَ الْمُصَنَّفَاتِ الْكِبَارَ ، وَالْمَنْثُورَ الْكَثِيرَ ، وَبَالَغَ فِي الْجَمْعِ وَالرِّوَايَةِ ، وَرَجَعَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، فَمَلَأَهَا عِلْماً جَمّاً ، وَأَلَّفَ كُتُباً حِسَاناً ، تَدُلُّ عَلَى احْتِفَالِهِ(١) وَاسْتِكْثَارِهِ .

قَالَ لَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ : فَمِنْ مُصَنَّفَاتِ بَقِيِّ ابْنِ مَخْلَدٍ ، كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَقْطَعُ قَطْعاً لَا أَسْتَثْنِي فِيهِ ، أَنَّهُ لَمْ يُؤَلَّفْ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلُهُ ، وَلَا

— حبيب ، بن عبد الملك ، بن عمر ، بن الوليد ، بن عبد الملك ، بن مروان ، بن الحكم الاندلسى ، وأيوب بن سليمان ، بن نصر ، بن منصور المرى ، والحسن بن سعيد ، بن إدريس ، بن خلف الكنانى ، وعبدالله بن يونس ، بن محمد ، بن عبد الله المرادى ، وعبد الواحد بن حمدون المرى ، وأبو عمر عثمان بن عبدالرحمن ، بن عبد الحميد ، بن إبراهيم ، ومروان بن عبد الملك القيسى ، ونمر بن هارون بن رفاعة العبسى ، وهشام بن الوليد العاتق ، وأسلم بن عبدالعزيز ، ومهاجر بن عبد الرحمن ومحمد بن عمر بن لبابة ، وجماعة من أهل الاندلس ، ولم يقع إلى حديث مسند من حديثه . أخبرنا أبو المظفر القشيرى ، أنبأنى الاستاذ أبو القاسم ، قال : سمعت حمزة بن يوسف السهمى يقول : سمعت أبا الفتح نصر بن أحمد ، بن عبد الملك يقول : سمعت عبد الرحمن بن أحمد يقول : سمعت أبى يقول :

جاءت امرأة إلى بقى بن مخلد ، فقالت : إن ابنى قد أسره الروم ، ولا أقدر على مال أكثر من دويرة ، ولا أقدر على بيعها ، فلو أشرت إلى من يفديه بشىء ، فانه ليس لى ليل ولا نهار ، ولا نوم ولا قرار ، فقال نعم ، انصرفى حتى أنظر فى أمره —

(١) احفل القوم : اجتمعوا ، وبالامور أحسن القيم بها ، والمراد هنا الاخير

تَصْنِيفُ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ، وَلَا غَيْرُهُ. وَمِنْهَا فِي الْحَدِيثِ: كِتَابُ مُصَنَّفِهِ الْكَبِيرُ، الَّذِي رَتَّبَهُ عَلَى أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ، فَرَوَى فِيهِ عَنْ أَلْفٍ وَثَلَاثِمَائَةِ صَاحِبٍ وَنَيِّفٍ، ثُمَّ رَتَّبَ حَدِيثَ كُلِّ صَاحِبٍ عَلَى أَسْمَاءِ الْفِقْهِ، وَأَبْوَابِ الْأَحْكَامِ، فَهُوَ مُصَنَّفٌ وَمُسْنَدٌ، وَمَا أَعْلَمُ هَذِهِ الرُّتْبَةَ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ، مَعَ ثِقَتِهِ وَضَبْطِهِ، وَإِتْقَانِهِ وَاحْتِفَالِهِ فِي الْحَدِيثِ، وَجَوْدَةِ شُيُوخِهِ. فَإِنَّهُ رَوَى عَنْ مِائَةِ رَجُلٍ وَأَرْبَعَةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا (٢)، لَيْسَ فِيهِمْ عَشَرَةٌ ضُعَفَاءُ، وَسَائِرُهُمْ أَعْلَامٌ

— إن شاء الله تعالى، قال: وأطرق الشيخ وحرك شفتيه. قال: فلبثنا مدة فجاءت المرأة ومعها ابنها، فأخذت تدعو له وتقول: قد رجع سالماً، وله حديث يحدثك به، فقال الشاب: كنت فى يدى بعض ملوك الروم، مع جماعة من الاسرى، وكان له إنسان يستخدمنا، كل يوم يخرجنا إلى الصحراء للخدمة، ثم يردنا وعلينا قيودنا، فبينا نحن نجىء من العمل بعد المغرب، مع صاحبه الذى كان يحفظنا، انفتح القيد من رجلى ووقع على الارض، ووصف اليوم والساعة، فوافق الوقت الذى جاءت فيه المرأة ودعاء الشيخ. قال: فنهض إلى الذى كان يحفظنى، وصاح على، وقال: كسرت القيد؟ قلت لا، إنه سقط من رجلى، فتحير وأخبر صاحبه، وأحضر الحداد وقيدونى، فلما مشيت خطوات، سقط القيد من رجلى، فتحيروا فى أمرى، فدعوا رهبانهم، فقالوا لى: ألك والدة؟ قلت نعم، فقالوا: وافق دعاءها الاجابة، وقالوا: أطلقك الله، ولا يمكننا تقييدك، فزودونى، وأصحبونى إلى ناحية المسلمين. رواها الحميدى فى تاريخ الاندلس بالاجازة من القشيرى، ورواها الخطيب عن القشيرى.

(١) يلاحظ أن العدد قل مائة رجل، فان الذى قبله مائتا رجل، وأربعة وثمانون، ولعل هذا من أغلاط النساخ عند النقل، فان مثل هذا لا يكون خلافاً «عبد الخالق»

مَشَاهِيرُ ، وَمِنْهَا كِتَابٌ فِي فَتَاوَى الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ دُونَهُمْ ، الَّذِي أَرْبَى فِيهِ عَلَى مُصَنَّفِ أَبِي بَكْرِ ، بْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرِهِ ، فَصَارَتْ تَصَانِيفُهُ قَوَاعِدَ الإِسْلَامِ ، لَا نَظِيرَ لَهَا ، وَكَانَ بَحْرًا(١) لَا يُقَلِّدُ أَحَدًا ، وَكَانَ خَاصًّا بِأَحْمَدَ بْنِ

— قرأت على أبي الحسن ، سعد الخير ، بن محمد بن سهل ، عن أبي عبدالله ، محمد بن أبي نصر الحميدى قال : قال أخبرنا أبو محمد على بن أحمد ، كان — يعنى محمد بن عبد الرحمن ، بن الحكم ابن هشام ، بن عبدالرحمن ، بن معاوية ، بن هشام ، بن عبد الملك ، أمير الاندلس — محباً للعلوم ، مكثرا لأهل الحديث ، عارفا حسن السيرة ، ولما دخل الاندلس ، أبو عبد الرحمن بقى بن مخلد ، بكتاب مصنف أبي بكر بن أبي شيبة ، وقرىء عليه ، أنكر جماعة من أهل الرأى ، ما فيه من الخلاف ، واستشنعوه وبسطوا العامة عليه ، ومنعوه من قراءته ، إلى أن اتصل ذلك بالامير محمد ، فاستحضره وإياهم ، واستحضر الكتاب كله ، وجعل يتصفحه جزءا جزءا ، إلى أن أتى على آخره ، وقد ظنوا أنه يوافقهم فى الانكار عليه ، ثم قال لخازن الكتب : هذا كتاب لا تستغنى خزائننا عنه ، فانظر فى نسخة لنا ، ثم قال لبقى : انشر علمك ، وارو ما عندك من الحديث ، واجلس للناس ينتفعوا بك ، أو كما قال . ونهاهم أن يتعرضوا له ، انتهى .

كتب إلى أبو محمد حمزة بن العباس ، بن محمد ، وأبو الفضل ، أحمد بن محمد بن سليم ، وحدثنى أبو بكر الفتوانى عنهما قالا :

أخبرنا أبو بكر الباطرقانى ، أنبأنا عبدالله بن مندة حديثا ، وحدثنى أبو بكر أيضاً قال : أنبأنى أبو عمرو بن مندة عن أبيه قال : قال أخبرنا أبو سعيد بن يونس : بقى بن مخلد أندلسى يكنى أبا عبد الرحمن ، كانت له رحلة وطلب مشهور ، حدث وتوفى بالأندلس ، سنة ست وسبعين ومائتين . إلى آخر ما جاء عنه فى الكتاب المذكور .

وترجم له أيضاً فى كتاب طبقات المفسرين ورقة ٥١ قال : —

(١) فى الاصل : « متخيرا »

حَنْبَلٍ ، وَجَارِيًا فِي مِضْمَارِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ . كُلُّ هَذَا مِنْ كِتَابِ الْحُمِيدِيِّ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُهُ لِتَصْنِيفِهِ كِتَابًا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ .

وَذَكَرَ لَهُ تَرْجَمَةً أُخْرَى فَقَالَ فِيهَا : وُلِدَ بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ

— هو الحافظ أحد الأعلام ، وصاحب التفسير والمسند ، وأخذ عن يحيى بن يحيى الليثى ، ورحل إلى المشرق ، ولقى الكبار ، فسمع بالحجاز : أبا مصعب الزهرى ، وإبراهيم بن المنذر الحزامي ، وبمصر : يحيى بن بكير ، وأبا الطاهر بن السرح ، وبدمشق : هشام بن عمار ، وببغداد : أحمد بن حنبل ، وبالكوفة : يحيى بن الحمانى ، وأبا بكر بن أبى شيبة ، وخلائق ، وعدد شيوخه أربعة وثمانون ومائتا رجل ، وعنى بالأثر ، وكان إماما زاهدا صواما ، صادق التهجد ، مجاب الدعوة ، قليل المثل ، بحرا فى العلم ، لا يقلد أحداً ، بل يفتى بالأثر ، وهو الذى نشر الحديث بالأندلس وكثره ، وليس لأحد مثل سنده ، ولا تفسيره ، ولا تفسير ابن جرير ، ولا غيره ، قال : وقد روى فى مسنده عن ثلاثمائة الف صحابى ونيف ، ورتب حديث كل صاحب على أبواب الفقه ، فهو مسند ومصنف ، قال : وله تأليف فى فتاوى الصحابة فمن دونهم ، أربى فيه على مصنف عبد الرازق ، وابن أبى شيبة . قال : وصارت تصانيف هذا الامام قواعد الاسلام ، لا نظير لها ، وكان لا يقلد أحدا ، وكان جاريا فى مضمار البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وقال غيره :

كان بقى متواضعا ، ضيق العيش ، كان يمضى عليه الايام فى وقت طلبه ، ليس له عيش غير ورق الكرنب الذى يرمي ، روى عنه ابنه أحمد ، وأيوب بن سليمان المرى ، وأسلم ابن عبد العزيز ، وهشام بن الوليد الناقى ، وآخرون ، ولد فى رمضان ، سنة إحدى ومائتين ، ومات فى جمادى الآخرة ، سنة ست وسبعين .

قال ابن عساكر : لم يقع إلى حديث مسند من حديثه

الأَنْدَلُسِيُّ فِي رَمَضَانَ ، سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ ، وَتُوُفِّيَ لَيْلَةَ الثُّلاثَاء ، لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ ، سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَدُفِنَ فِي الْمَقْبَرَةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَكَانَتْ لَهُ رِحْلَتَانِ ، أَقَامَ فِي إِحْدَاهُمَا نَحْوَ الْعِشْرِينَ عَاماً ، وَفِي الثَّانِيَةِ نَحْوَ الأَرْبَعَةَ عَشَرَ عَاماً ، فَأَخْبَرَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ يَطُوفُ فِي الأَمْصَارِ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ ، فَإِذَا أَتَى وَقْتُ الْحَجِّ ، أَتَى إِلَى مَكَّةَ فَحَجَّ ، هَذَا كَانَ فِعْلَهُ كُلَّ عَامٍ فِي رِحْلَتَيْهِ جَمِيعًا ، وَكَانَ يَلْتَزِمُ صِيَامَ الدَّهْرِ ، فَإِذَا أَتَى يَوْمُ جُمُعَةٍ أَفْطَرَ ، وَكَانَتْ لَهُ عِبَادَاتٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَغَيْرِهَا مِنَ الصَّلَوَاتِ ، وَنَشْرِ الْعِلْمِ .

قَالَ : أَمَّا مَشَايِخُهُ الَّذِينَ سَمِعَ مِنْهُمْ ، فَكَانُوا مِائَتَيْ رَجُلٍ ، وَأَرْبَعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا ، هَكَذَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ التَّرْجَمَةِ ، فَمَا أَدْرِي أَيُّهُمَا الصَّحِيحُ ؟ أَخْبَرَنِي أَسْلَمُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، أَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ قَالَ : لَمَّا وَضَعْتُ مُسْنَدِي ، أَتَانِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَي ، وَمَعَهُ أَخُوهُ إِسْحَاقُ ،

فَقَالَا لِي : بَلَغَنَا أَنَّكَ وَضَعْتَ مُسْنَدًا ، قَدَّمْتَ فِيهِ أَبَا مُصْعَبٍ وَابْنَ بُكَيْرٍ ، وَأَخَّرْتَ أَبَانَا ، فَقَالَ بَقِيٌّ : أَمَّا تَقْدِيمِي لِأَبِي مُصْعَبٍ ، فَإِنِّي قَدَّمْتُهُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَدِّمُوا قُرَيْشَ [١] وَلَا تَقَدَّمُوهَا » وَأَمَّا ابْنُ بُكَيْرٍ ، فَإِنِّي قَدَّمْتُهُ لِسِنِّهِ ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَبِّرْ كَبِّرْ » ، مَعَ أَنَّهُ سَمِعَ الْمُوَطَّأَ مِنْ مَالِكٍ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، وَلَمْ يَسْمَعْهُ أَبُوكُمَا إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً ، قَالَ بَقِيٌّ : فَخَرَجَا عَنِّي ، وَلَمْ يَعُودَا إِلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَخَرَجَا إِلَى حَدِّ الْعَدَاوَةِ .

حَدَّثَنَا قَاسِمُ [٢] بْنُ أَصْبَغَ قَالَ : خَرَجْتُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَلَمْ أَرْوِ عَنْ بَقِيٍّ شَيْئًا ، فَلَمَّا دَخَلْتُ الْعِرَاقَ وَغَيْرَهُ مِنَ الْبُلْدَانِ ، سَمِعْتُ مِنْ فَضَائِلِهِ وَتَعْظِيمِهِ ، مَا أَنْدَمَنِي عَلَى تَرْكِ

(١) قريش ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث ، لأنه علم قبيلة ، وكان يصرف لو أنه قصد منه إسم الجد وهو قريش ، وهكذا فارس ويهود ، ومجوس ، إن قصد منها الأمة منعت الصرف وإن قصد الجنس صرفت (عبد الخالق)

(٢) هو قاسم بن أصبغ ، بن محمد ، بن يوسف ، أبو محمد البيانى ، وبيانة : من أعمال قرطبة ، سمع من بقى بن مخلد ، ورحل إلى المشرق ، كما فى نفح الطيب وكان فى الاصل : « واسم بن أصبغ »

الرِّوَايَةِ عَنْهُ ، وَقُلْتُ : إِذَا رَجَعْتُ (١) لَزِمْتُهُ ، حَتَّى أَرْوِيَ جَمِيعَ مَاعِنْدَهُ ، فَأَتَانَا نَعْيُهُ وَنَحْنُ بِإِطْرَابُلُسَ .

وَحَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ قَالَ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي خَيْثَمَةَ يَقُولُ : وَذَكَرَ بَقِيَّ بْنَ مَخْلَدٍ فَقَالَ : مَا كُنَّا نُسَمِّيهِ إِلَّا الْمِكْنَسَةَ ، وَهَلِ احْتَاجَ بَلَدٌ بَقِيٍّ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى هٰهُنَا مِنْهُ أَحَدٌ ؟ فَقُلْنَا لَهُ : وَلَا أَنْتَ تُحَدِّثُنَا عَنْ رِجَالِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ ؟ فَقَالَ : وَلَا أَنَا .

وَذَكَرَ بَقِيٌّ أَنَّهُ أَدْرَكَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، فَلَمْ يَرْوِ عَنْهُمْ ، وَرَوَى عَنْ رَجُلَيْنِ : عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ (٢) قَالَ : وَحُدِّثْتُ عَنْ بَقِيٍّ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِطَلَبَتِهِ ، أَنْتُمْ تَطْلُبُونَ الْعِلْمَ ؟ وَهٰكَذَا يُطْلَبُ الْعِلْمُ ؟ إِنَّمَا أَحَدُكُمْ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ شُغْلٌ يَقُولُ : أَمْضِي أَسْمَعُ الْعِلْمَ ، إِنِّي لَأَعْرِفُ رَجُلًا تَمْضِي عَلَيْهِ الْأَيَّامُ فِي وَقْتِ طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ ،

---

(١) وكانت فى الاصل : رجعته . (٢) يلاحظ أنه لم يذكر الرجل الثانى ولعل الاصل : « أحدهما سفيان » وعلى كل حال لم يذكر الآخر أو لعل الكلام : « فلم يرو عنه » وروى سفيان . « عبد الخالق »

لَا يَكُونُ لَهُ عَيْشٌ إِلَّا مِنْ وَرَقِ الْكُرُنْبِ الَّذِي يُلْقِيهِ النَّاسُ ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُ رَجُلًا بَاعَ سَرَاوِيلَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ فِي شِرَى كَاغِدٍ[١] حَتَّى يَسُوقَ اللَّهُ عَلَيْهِ[٢] مِنْ حَيْثُ يُخْلِفُهَا .

قَالَ الْحُمَيْدِيُّ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ ، عَبْدُ الْكَرِيمِ ابْنُ هَوَازِنَ الْقُشَيْرِيُّ، فِي إِجَازَةٍ وَصَلَتْ إِلَيْهِ ، وَذَكَرَ إِسْنَادًا وَقَالَ : جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى بَقِيِّ بْنِ مَخْلَدٍ فَقَالَتْ : إِنَّ ابْنِي قَدْ أَسَرَهُ الرُّومُ ، وَلَا أَقْدِرُ عَلَى مَالٍ أَكْثَرَ مِنْ دُوَيْرَةٍ[٣] وَلَا أَقْدِرُ عَلَى بَيْعِهَا ، فَلَوْ أَشَرْتَ إِلَى مَنْ يَفْدِيهِ بِشَيْءٍ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِي لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ ، وَلَا نَوْمٌ[٤] وَلَا قَرَارٌ ، فَقَالَ : انْصَرِفِي حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَأَطْرَقَ الشَّيْخُ وَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ قَالَ : وَلَبِثْنَا مُدَّةً ، فَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ وَمَعَهَا ابْنُهَا ، فَأَخَذَتْ تَدْعُو لَهُ وَتَقُولُ : قَدْ رَجَعَ

---

(١) الكاغد : القرطاس

(٢) فى نسخة العماد الخطية : إليه

(٣) دويرة : تصغير دار

(٤) كانت فى الأصل : « يوم » بالياء

سَالِماً ، وَلَهُ حَدِيثٌ يُحَدِّثُكَ بِهِ ، فَقَالَ الشَّابُ : كُنْتُ فِي يَدَىْ بَعْضِ مُلُوكِ الرُّومِ ، مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَسَارَى ، وَكَانَ لَهُ إِنسَانٌ يَسْتَخْدِمُنَا كُلَّ يَوْمٍ ، يُخْرِجُنَا إِلَى الصَّحْرَاء لِلخِدْمَةِ ، ثُمَّ يَرُدُّنَا وَعَلَيْنَا قُيُودُنَا ، فَبَيْنَا نَحْنُ نَجِيءُ مِنَ الْعَمَلِ مَعَ صَاحِبِهِ ، الَّذِي كَانَ يَحْفَظُنَا ، إِذِ انْفَتَحَ [1] الْقَيْدُ مِنْ رِجْلِي ، وَوَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَوَصَفَ الْيَوْمَ وَالسَّاعَةَ ، فَوَافَقَ الْوَقْتَ الَّذِي جَاءَتِ الْمَرْأَةُ ، وَدُعَاءَ الشَّيْخِ . قَالَ : فَنَهَضَ إِلَيَّ الَّذِي كَانَ يَحْفَظُنِي ، وَصَاحَ عَلَيَّ : كَسَرْتَ الْقَيْدَ ؟ فَقُلْتُ : لَا ، إِلَّا أَنَّهُ سَقَطَ مِنْ رِجْلِي . قَالَ [2] فَتَحَيَّرُوا فِي أَمْرِي ، وَدَعَوْا رُهْبَانَهُمْ فَقَالُوا لِي : أَلَكَ وَالِدَةٌ ؟ قُلْتُ لَهُمْ نَعَمْ ، فَقَالُوا : وَافَقَ دُعَاؤُهَا الْإِجَابَةَ ، وَقَالُوا : أَطْلَقَكَ اللهُ ، وَلَا يُمْكِنُنَا تَقْيِيدُكَ ، فَزَوَّدُونِي [3] وَأَصْحَبُونِي [4] إِلَى نَاحِيَةِ الْمُسْلِمِينَ .

---

(١) فى نسخة العهاد الخطية : فانفتح

(٢) كذا بالاصل : وفى نسخة العهاد الخطية : « فتحير وأخبر صاحبه ، وأحضر الحداد وقيدونى ، فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلى ، فتحيروا الخ »

(٣) زودوه : أعطوه زادا يتزود به فى رحلته

(٤) اصحبوه : بعثوا معه من صحبوه

﴿ ٢٢ – بَكْرُ بْنُ حَبِيبٍ السَّهْمِيُّ ، وَالِدُ عَبْدِ اللهِ ﴾
﴿ ابْنِ بَكْرٍ ، الْمُحَدِّثُ * ﴾

ذَكَرَهُ الزُّبَيْدِيُّ وَغَيْرُهُ فِي النَّحْوِيِّينَ .

بكر السهمى

أَخَذَ عَنِ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقَ ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ لِبَكْرِ بْنِ حَبِيبٍ : مَا أَلْحَنُ فِي شَيْءٍ ، قَالَ نَفْعَلُ ؟ فَقَالَ لَهُ : خُذْ عَلَيَّ كَلِمَةً ، قَالَ : هَذِهِ وَاحِدَةٌ ، قُلْ كَلِمَةً ، وَقَرُبَتْ مِنْهُ سِنَّوْرَةٌ ، فَقَالَ : لَهَا اُخْسِي ، فَقَالَ لَهُ : أَخْطَأْتَ ، إِنَّمَا هُوَ اُخْسَئِي .

وَحَدَّثَ أَبُو أَحْمَدَ ، الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْعَسْكَرِيُّ فِي كِتَابِ التَّصْحِيفِ ، لَهُ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَسَلِ بْنِ ذَكْوَانَ عَنِ الرِّيَاشِيِّ قَالَ : تُوُفِّيَ ابْنٌ لِبَعْضِ الْمَهَالِبَةِ ، فَأَتَاهُ شَبِيبُ ابْنُ شَيْبَةَ الْمِنْقَرِيُّ يُعَزِّيهِ ، وَعِنْدَهُ بَكْرُ بْنُ حَبِيبٍ السَّهْمِيُّ

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٠٢

فَقَالَ شَبِيبٌ : بَلَغَنَا أَنَّ الطِّفْلَ لَا يَزَالُ مُحْبَنْطِئًا [١] ، عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ يَشْفَعُ لِأَبَوَيْهِ . فَقَالَ بَكْرُ بْنُ حَبِيبٍ : إِنَّمَا هُوَ مُحْبَنْطِيًا غَيْرَ مَهْمُوزٍ . فَقَالَ لَهُ شَبِيبٌ : أَتَقُولُ لِي هَذَا ؟ وَمَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا [٢] أَفْصَحُ مِنِّي . فَقَالَ بَكْرٌ : وَهَذَا خَطَأٌ ثَانٍ ، مَا لِلْبَصْرَةِ وَلِلُّوبِ ، لَعَلَّكَ غَرَّكَ قَوْلُهُمْ : مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ ، يُرِيدُونَ الْحَرَّةَ .

قَالَ أَبُو أَحْمَدَ : وَالْحَرَّةُ أَرْضٌ تَرْكَبُهَا حِجَارَةٌ سُودٌ وَهِيَ اللَّابَةُ ، وَجَمْعُهَا لَابَاتٌ ، فَإِذَا كُسِّرَتْ فَهِيَ اللُّوبُ وَاللَّابُ ، وَلِلْمَدِينَةِ لَابَتَانِ مِنْ جَانِبَيْهَا ، وَلَيْسَ لِلْبَصْرَةِ لَابَةٌ وَلَا حَرَّةٌ .

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الْمُحْبَنْطِي بِغَيْرِ هَمْزَةٍ : هُوَ الْمُنْتَصِبُ الْمُسْتَبْطِئُ لِلشَّيْءِ ، وَالْمُحْبَنْطِئُ بِالْهَمْزِ : الْعَظِيمُ الْبَطْنِ الْمُنْتَفِخُ .

---

(١) المحبنطىء : اللازق بالارض

(٢) اللابتان : حرتان تكتنفان المدينة ، وقد حرم النبى صلى الله عليه وسلم ما بينهما ، وأنما أراد أن يضرب المثل فى تفرده باللغة ، كما ضرب الصحابى المثل الفقره بقوله : ما بين لابتيها أفقر منا يارسول الله « عبد الخالق »

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَرْزُبَانِيُّ فِي كِتَابِ الْمُعْجَمِ :
بَكْرُ بْنُ حَبِيبٍ السَّهْمِيُّ مِنْ بَاهِلَةَ ، أَحَدُ مَشَايِخِ الْمُحَدِّثِينَ ، قَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ بَكْرٍ ، كَانَ أَبِي يَقُولُ الْبَيْتَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

سَيْرُ النَّوَاعِجِ (١) فِي بِلَادٍ مَضَلَّةٍ
يُمْسِي الدَّلِيلُ (٢) بِهَا عَلَى مَلْمَالِ (٣)
خَيْرٌ مِنَ الطَّمَعِ الدَّنِيءِ وَمَجْلِسٍ
بِفِنَاءِ لَا طَلْقٍ (٤) وَلَا مِفْضَالِ
فَاقْصِدْ لِحَاجَتِكَ الْمَلِيكَ فَإِنَّهُ
يُغْنِيكَ عَنْ مُتَرَفِّعٍ مُخْتَالِ

وَحَدَّثَ التَّارِيخِيُّ عَنْ أَبِي خَالِدٍ ، يَزِيدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ ، عَنِ الْبَجَلِيِّ ، عَنْ قَتَبِ بْنِ بِشْرٍ قَالَ : كُنْتُ مَعَ

(١) النواعج : جمع ناعجة : وهي الناقة السريعة السير . ويقال : أرض مضلة بفتح الضاد وكسرها ، ويراد أرض يضل فيها الراكب (عبد الخالق)

(٢) بالأصل هذا : « الليل » وهو غير ظاهر .

(٣) الململ : التقلب وجعاً أو مرضاً

(٤) الطلق : ضاحك الوجه

بَكْرِ بْنِ حَبِيبٍ السَّهْمِيِّ بِمَوْضِعٍ ، يُقَالُ لَهُ قَصْرُ زُرْبَى ، وَنَحْنُ مُشْرِفُونَ عَلَى الْمِرْبَدِ[١] ، إِذْ مَرَّ بِنَا يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ النَّحْوِيُّ ، فَقَالَ : أَمَرَّ بِكُمُ الْأَمِيرُ ؟ قَالَ بَكْرٌ : نَعَمْ ، مَرَّ بِنَا عَاصِباً فُوهُ ، فَرَمَى يُونُسُ بِعِنَانِهِ عَلَى عُنُقِ حِمَارِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أُفٍّ أُفٍّ . فَقَالَ لَهُ بَكْرٌ : اُنْظُرْ حَسَناً ، ثُمَّ قَالَ نَعَمْ .

وَإِنَّمَا ظَنَّ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ النَّحْوِيُّ ، أَنَّهُ قَدْ لَحَنَ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَقُولَ عَاصِباً فَاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّهُ أَرَادَ عَصَبَ[٢] الْفَمِ صَوَّبَهُ .

قَالَ : وَمَرَّ بَكْرُ بْنُ حَبِيبٍ بِدَارٍ فَسَمِعَ جَلَبَةً فَقَالَ : مَا هَـذِهِ الْجَلَبَةُ ؟ أَعُرْسٌ أَمْ خُرْسٌ ؟ أَمْ إِعْذَارٌ أَمْ تَوْكِيرٌ ؟ فَقَالَ لَهُ قَوْمٌ : قَدْ عَرَفْنَا الْعُرْسَ ، فَأَخْبِرْنَا مَا سِوَى ذَاكَ ، قَالَ : الْخُرْسُ : الطَّعَامُ عَلَى الْوِلَادَةِ ،

---

(١) المربد : المراد به مكان الاجتماع بالبصرة

(٢) وهي من عصب الريق كفرح : جف . فالمعنى جافا ريقه . وصوبه كانت فى الاصل : « صدقه » « عبد الخالق »

وَالْإِعْذَارُ : الْخِتَانُ ، وَالتَّوْكِيرُ : أَنْ يَبْنِيَ الرَّجُلُ الْقُبَّةَ ، وَيُحْدِثَ الْقِدْرَ الْجِمَاعَ ، فَيُقَالُ : وَكِّرْ لَنَا طَعَامًا . قَالَ : وَالْقِدْرُ : الْجِمَاعُ الْكَبِيرَةُ .

وَقَالَ ثَعْلَبٌ : الْوَكِيرَةُ : مَأْخُوذٌ مِنَ الْوَكْرِ ، وَهِيَ الْوَلِيمَةُ ، الَّتِي يَصْنَعُهَا الرَّجُلُ عِنْدَ بِنَاءِ الْمَنْزِلِ ،

﴿ ٢٣ – أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشِ ، بْنِ سَالِمٍ ﴾
﴿ الْكُوفِيُّ الْخَيَّاطُ ، * ﴾

أبو بكر ابن عياش

مَوْلَى وَاصِلِ بْنِ حَيَّانَ الْأَسَدِيِّ الْأَحْدَبِ ، وَاخْتُلِفَ فِي اسْمِهِ ، فَقِيلَ : اسْمُهُ قُتَيْبَةُ ، وَقِيلَ شُعْبَةُ ، وَقِيلَ عَبْدُ اللهِ ،

(*) وترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات للصفدى ، جزء ثالث ، قسم أول ، صفحة ٤٩ قال :

هو أنبل أصحاب عاصم ، وقال أحمد بن حنبل : ثقة ربما غلط ، وروى له الجماعة كلهم ، خلا مسلم ، وكان يقول : أنا نصف الاسلام . وقال الحسين بن فهم : وقد ذكر جماعة لا تعرف أسماؤهم ، منهم أبو بكر بن أبى مرة ، وأبو بكر بن أبى سبرة ، وأبو بكر بن محمد ، بن عمرو ، بن حزم ، وأيوب بن عبد الرحمن ، وأبو بكر بن عياش ، وأبو بكر بن العرامس .

وقال أبو الحسن الاهوازى : إنما وقع الاختلاف فى اسم أبى بكر العياش ، لانه كان ربما —

وَقِيلَ مُحَمَّدٌ ، وَقِيلَ مُطَرِّفٌ ، وَقِيلَ سَالِمٌ ، وَقِيلَ عَنْتَرَةُ ،
وَقِيلَ أَحْمَدُ : وَقِيلَ عَتِيقٌ ، وَقِيلَ رُؤْبَةُ ، وَقِيلَ حَمَّادٌ ،
وَقِيلَ حُسَيْنٌ ، وَقِيلَ قَاسِمٌ ، وَقِيلَ لَا يُعْرَفُ لَهُ اسْمٌ ،
وَأَظْهَرُ ذَلِكَ شُعْبَةُ وَمُطَرِّفٌ ، قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ : اسْمُ
أَبِي بَكْرٍ مُطَرِّفُ بْنُ النَّهْشَلِيِّ

وَمَاتَ ابْنُ عَيَّاشٍ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ ، فِي
السَّنَةِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا الرَّشِيدُ بْنُ الْمَهْدِيِّ قَبْلَهُ بِشَهْرٍ ، وَفِيهَا
مَاتَ غُنْدَرٌ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ .

وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ عَيَّاشٍ مَاتَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ ،
وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ .

وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ ، فِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ بْنِ

— هيوباً ، وكانوا يهابون سؤاله ، وروى كل واحد ماوقع له ، وكان معظماً عند العلماء ، ولقى الفرزدق ، وذا الرمة ، وروى عنهما شيئاً من شعرهما . حدث المرزبانى باسناده إلى زكريا ابن يحيى الطائى قال : سمعت أبا بكر بن عياش يقول :

إنى أريد أن أتكلم اليوم بكلام ، لا يخالفنى فيه أحد إلا هجرته ثلاثا ، قالوا : قل يا أبا بكر ، قال ، ما ولد لآدم عليه السلام مولود بعد النبيين والمرسلين ، أفضل من أبى بكر الصديق ، قالوا: صدقت يا أبا بكر ، ولا يوشع بن نون ، وصى موسى عليه السلام ؟ —

عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَرُوِىَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ ، وَرُوِىَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ ، وَكَانَ ابْنُ عَيَّاشٍ يَقُولُ : أَنَا نِصفُ الْإِسْلَامِ .

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ فَهْمٍ : وَقَدْ ذَكَرَ جَمَاعَةً لَا تُعْرَفُ أَسْمَاؤُهُمْ ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ ، وَأَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ عَمْرِو ، بْنِ حَزْمٍ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الْعَرَامِسِ . وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَهْوَازِيُّ الْمُقْرِئُ فِي كِتَابِهِ : وَإِنَّمَا وَقَعَ هَذَا الِاخْتِلَافُ

— قال : ولا يوشع بن نون ، إلا أن يكون نبياً ، ثم فسر فقال : قال الله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير هذه الأمة أبو بكر » . وقال زكريا بن يحيى : وسمعت ابن عياش يقول : لو أتانى أبو بكر وعمر وعلى — رضى الله عنهم — فى حاجة ، لبدأت بحاجة على قبل حاجة أبى بكر وعمر ، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأن أخر من السماء إلى الارض ، أحب إلى من أن أقدمه عليهما ، وكان يقدم علياً على عثمان ، ولا يغلو ، ولا يقول إلا خيراً . وذكر النبيذ عند العباس ابن موسى فقال :

ان ابن إدريس يحرمه ، فقال أبو بكر بن عياش ، إن كان النبيذ حراما ، فالناس كلهم أهل ردة ، وقال : كنت أنا وسفيان الثورى ، وشريك ، نتماشى بين الحيرة والكوفة ، فرأينا شيخاً أبيض الرأس واللحية ، حسن السمت والهيئة ، فظننا أن عنده شيئاً من الحديث ، وأنه قد أدرك الناس ، وكان سفيان أطلبنا للحديث ، نتقدم —

فِى ٱسْمِ أَبِى بَكْرٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا مَهِيبًا[1] ، فَكَانُوا يَهَابُونَهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ ، فَرَوَى كُلٌّ وَاحِدٍ عَلَى مَا وَقَعَ لَهُ .

قُلْتُ : وَقَدْ رَوَى الْمَرْزُبَانِىُّ فِى كِتَابِهِ : أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، سَأَلُوهُ عَنِ ٱسْمِهِ ، وَٱخْتَلَفَتْ أَقْوَالُهُمْ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، وَلَوْلَا كَرَاهَةُ الْإِطَالَةِ لَذَكَرْتُهُ . وَكَانَ ٱبْنُ عَيَّاشٍ مُعَظَّمًا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ ، وَقَدْ لَقِىَ الْفَرَزْدَقَ ، وَذَا الرُّمَّةِ ، وَرَوَى عَنْهُمَا شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِمَا .

— إليه ، وقال له ياهذا ، هل عندك شيء من الحديث ؟ فقال ، أما حديث فلا ، ولكن عندى عتيق سنتين ، فنظرنا فاذا هو خمار . وحدث المدائنى قال ، كان أبو بكر العياش أبرص ، وكان رجل من قريش يرمى بشرب الخمر ، فقال له أبو بكر بن عياش يداعبه . زعموا أن نبياً قد بعث بحل الخمر ، فقال له القرشى ، إذاً لا أومن به حتى يبرىء الأكمه والأبرص ، وقيل : كنا عند أبى بكر ابن عياش ، يقرأ علينا كتاب مغيرة ، فغمض عينيه فحركه جهور ، وقال له : تنام ياأبا بكر ؟ فقال لا ، ولكن مر ثقيل فغمضت عينى ، وحضر عند هارون الرشيد ، فقال له ياأبا بكر : قال : لبيك ياأمير المؤمنين : قال : إنك أدركت أمر بنى أمية . وأمرنا ، فأسألك بالله ، أيهما أقرب إلى الحق ، فقال له : ياأمير المؤمنين ، أما بنو أمية ، فكانوا أنفع للناس منكم ، وأنتم أقوم بالصلاة منهم ، فجعل هارون الرشيد يقول : إن الصلاة الخ ، ثم خرج فأمر له بثلاثين ألفاً فقبضها .

وترجم له فى تاريخ الاسلام للذهبى ص ٣٥٢

(١) كانت فى الاصل : « هيوبا »

حَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى ، عَنْ أَحْمَدَ ابْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ ابْنَ عَيَّاشٍ يَقُولُ : كَانَ أَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ . قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ - إِلَى قَوْلِهِ - أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » ، فَهَؤُلَاءِ سَمَّوْهُ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ ، وَهَؤُلَاءِ لَا يَكْذِبُونَ .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ إِلَى زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى الطَّائِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَيَّاشٍ يَقُولُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَكَلَّمَ الْيَوْمَ بِكَلَامٍ ، لَا يُخَالِفُنِي فِيهِ أَحَدٌ إِلَّا هَجَرْتُهُ ثَلَاثًا . قَالُوا : قُلْ يَا أَبَا بَكْرٍ . قَالَ : مَا وُلِدَ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مَوْلُودٌ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، أَفْضَلُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ . قَالُوا : صَدَقْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، وَلَا يُوشَعُ بْنُ نُونٍ وَصِيُّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ قَالَ[1] : وَلَا يُوشَعُ بْنُ نُونٍ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا . ثُمَّ فَسَّرَهُ فَقَالَ : قَالَ اللهُ تَعَالَى « كُنْتُمْ خَيْرَ

---

(١) وفي الأصل : « قالوا » وأظنه غير صحيح ، والصحيح ما ذكر بدليل ما يأتي بعد

أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ » .

قَالَ زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيَى : وَسَمِعْتُ ابْنَ عَيَّاشٍ يَقُولُ : لَوْ أَتَانِي أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ — فِي حَاجَةٍ ، لَبَدَأْتُ بِحَاجَةِ عَلِيٍّ قَبْلَ حَاجَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، لِقَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ، وَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ[1] مِنْ أَنْ أُقَدِّمَهُ عَلَيْهِمَا . وَكَانَ يُقَدِّمُ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ ، وَلَا يَغْلُو وَلَا يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا . وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ ، عَنْ ذَرٍّ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ[2] ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِهِ ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ الْقُلُوبِ ، بَعْدَ قَلْبِهِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُقَاتِلُونَ عَنْ دِينِهِ ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا ، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ ،

(١) كانت فى الاصل هذا : « أحب على »

(٢) كانت فى هذا الأصل « رسالة »

وَمَا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ سَيِّئًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ سَيِّئٌ. قَالَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ عَيَّاشٍ: وَأَنَا أَقُولُ: إِنَّهُمْ رَأَوْا أَنْ يُوَلُّوا أَبَا بَكْرٍ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الْعَطَّارِيُّ قَالَ: بَعَثَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ، إِلَى أَبِي يُوسُفَ الْأَعْشَى، فَمَضَيْتُ مَعَ أَبِي يُوسُفَ، وَمَعَ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنِ عُمَرَ، وَالْعَبَّاسِ بْنِ عُمَيْرٍ، فَدَخَلْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ فِي عُلِّيَّةٍ(١) لَهُ فَقَالَ لِأَبِي يُوسُفَ: قَدْ قَرَأْتَ عَلَيَّ الْقُرْآنَ مَرَّتَيْنِ. وَقَدْ نَقَلْتَ عَنِّي الْقُرْآنَ، فَاقْرَأْ عَلَيَّ آخِرَ الْأَنْفَالِ، وَاقْرَأْ عَلَيَّ مِنْ رَأْسِ الْمِائَةِ مِنْ بَرَاءَةَ، وَاقْرَأْ عَلَيَّ كَذَا، وَاقْرَأْ كَذَا فَقَالَ لَهُ أَبُو يُوسُفَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، هَذَا الْقُرْآنُ، وَالْحَدِيثُ، وَالْفِقْهُ، وَأَكْثَرُ الْأَشْيَاءِ أَفَدْتَهَا بَعْدَ مَا كَبِرْتَ، أَوَ لَمْ تَزَلْ فِيهِ مُذْ كُنْتَ؟ فَفَكَّرَ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ: بَلَغْتُ وَأَنَا ابْنُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، فَكُنْتُ فِيمَا يَكُونُ فِيهِ الشُّبَّانُ مِمَّا يُعْرَفُ

---

(١) العلية والعلية: الغرفة والجمع علالى

وَيُنْكَرُ سَنَتَيْنِ ، ثُمَّ وَعَظْتُ نَفْسِي وَزَجَرْتُهَا ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْخَيْرِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، فَكُنْتُ أَخْتَلِفُ إِلَى عَاصِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَرُبَّمَا مُطِرْنَا لَيْلًا ، فَأَنْزِعُ سَرَاوِيلِي وَأَخُوضُ الْمَاءَ إِلَى حَقْوَيَّ [1] ، فَقَالَ لَهُ أَبُو يُوسُفَ : وَمِنْ أَيْنَ هَذَا الْمَاءُ كُلُّهُ ؟ قَالَ : كُنَّا إِذَا مُطِرْنَا ، جَاءَ مَاءُ الْحِيْرَةِ إِلَيْنَا ، حَتَّى يَدْخُلَ الْكُوفَةَ .

وَكُنْتُ إِذَا قَرَأْتُ عَلَى عَاصِمٍ ، أَتَيْتُ الْكَلْبِيَّ فَسَأَلْتُهُ عَنْ تَفْسِيرِهِ ، وَأَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ أَنَّ عَاصِماً أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ ، فَيَقْرِئُهُ خَمْسَ آيَاتٍ لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا شَيْئًا ، ثُمَّ يَأْتِي أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ ، فَيَعْرِضُهَا عَلَيْهِ ، فَكَانَتْ تُوَافِقُ قِرَاءَةُ زِرٍّ ، قِرَاءَةَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ، قَرَأَ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ زِرُّ بْنُ حُبَيْشٍ الشُّكْرِيُّ [2] الْعُطَارِدِيُّ قَرَأَ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ الْقُرْآنَ كُلَّهُ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ آيَةً وَاحِدَةً ، لَا يَزِيدُهُ

(١) مثنى حقو : وهو الخصر

(٢) في نسخة العماد : « الشكري »

عَلَيْهَا شَيْئًا ، فَإِذَا كَانَتْ آيَةٌ قَصِيرَةٌ اسْتَقَلَّهَا زِرٌّ مِنْ عَبْدِ اللهِ ، فَيَقُولُ عَبْدُ اللهِ : خُذْهَا ، فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لَهِىَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ ، وَصَدَقَ وَاللهِ ، وَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ ، إِذْ حَدَّثَنَا عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ : هَـذَا وَاللهِ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ حَقٌّ ، كَمَا أَنْتُمْ عِنْدِى جُلُوسٌ ، وَاللهِ مَا كَذَبْتُ ، وَاللهِ مَا كَذَبَ عَاصِمُ بْنُ أَبِى النُّجُودِ ، وَاللهِ مَا كَذَبَ زِرٌّ ، وَاللهِ مَا كَذَبَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَإِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنْتُمْ عِنْدِى جُلُوسٌ .

وَحَدَّثَ عَمَّنْ أَسْنَدَهُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ يُونُسَ قَالَ : ذُكِرَ النَّبِيذُ عِنْدَ الْعَبَّاسِ بْنِ مُوسَى ، فَقَالَ : إِنَّ ابْنَ إِدْرِيسَ يُحَرِّمُهُ (١) ، فَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ : إِنْ كَانَ النَّبِيذُ حَرَامًا ، فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ أَهْلُ رِدَّةٍ .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِىُّ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَيَّاشٍ : كُنْتُ أَنَا وَسُفْيَانُ الثَّوْرِىُّ وَشَرِيكٌ ، نَتَمَاشَى بَيْنَ الْحِيرَةِ وَالْكُوفَةِ ،

---

(١) كانت فى الأصل : « يحرمها » فأصلحت إلى ما ذكر

فَرَأَيْنَا شَيْخاً أَبْيَضَ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ ، حَسَنَ السَّمْتِ (١) وَالْهَيْئَةِ ، فَظَنَنَّا أَنَّ عِنْدَهُ شَيْئاً مِنَ الْحَدِيثِ ، وَأَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ النَّاسَ ، وَكَانَ سُفْيَانُ أَطْلَبَنَا لِلْحَدِيثِ ، وَأَشَدَّنَا بَحْثاً عَنْهُ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَالَ : يَاهَذَا ، عِنْدَكَ شَيْءٌ مِنَ الْحَدِيثِ ؟ فَقَالَ : أَمَّا حَدِيثٌ فَلَا ، وَلَكِنْ عِنْدِي عَتِيقُ سَنَتَيْنِ ، فَنَظَرْنَا فَإِذَا هُوَ خَمَّارٌ . وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ : الْفَرَزْدَقُ بِالْكُوفَةِ يَنْعَى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — ، فَقَالَ :

كَمْ مِنْ شَرِيعَةِ عَدْلٍ قَدْ سَنَنْتَ لَهُمْ
كَانَتْ أُمِيتَتْ وَأُخْرَى مِنْكَ تُنْتَظَرُ

يَالَهْفَ نَفْسِي وَلَهْفَ اللَّاهِفِينَ مَعِي
عَلَى (٢) الْعُدُولِ الَّتِي تَغْتَالُهَا الْحُفَرُ (٣)

وَحَدَّثَ بِإِسْنَادِهِ عَنِ ابْنِ كُنَاسَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ

---

(١) أى الهيئة (٢) ويروى أيضا :

يالهف نفسى ولهف اللاهفين على تلك البدور التى تغتالها الحفر

(٣) كانت فى الأصل : « الحفر » ولعله خطأ ، لأن معناه لايوافق المقام .

ابْنُ عَيَّاشٍ قَالَ : كُنْتُ إِذْ أَنَا شَابٌّ إِذَا أَصَابَتْنِي مُصِيبَةٌ ، تَصَبَّرْتُ وَرَدَدْتُ الْبُكَاءَ ، فَكَانَ ذَلِكَ يُوجِعُنِي وَيَزِيدُنِي أَلَمًا ، حَتَّى رَأَيْتُ بِالْكُنَاسَةِ [1] أَعْرَابِيًّا وَاقِفًا ، وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ حَوْلَهُ فَأَنْشَدَ :

خَلِيلَيَّ عُوجَا [2] مِنْ صُدُورِ الرَّوَاحِلِ
بِجُمْهُورِ [3] حُزْوَى وَابْكِيَا فِي الْمَنَازِلِ
لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً
مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ

فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : ذُو الرُّمَّةِ . قَالَ : فَأَصَابَتْنِي بَعْدَ ذَلِكَ مَصَائِبُ ، فَكُنْتُ أَبْكِي فَأَجِدُ رَاحَةً ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : — قَاتَلَ اللهُ — الْأَعْرَابِيَّ ، مَا كَانَ أَبْصَرَهُ وَأَعْلَمَهُ !!.

---

(١) الكناسة : محلة بالكوفة ، عندها أوقع يوسف بن عمر الثقفي ، بزيد بن على بن الحسين ، بن على ، بن أبي طالب عليه السلام ، وفيها يقول الشاعر :

يا أيها الراكب الغادى لطيته   يؤم بالقوم أهل البلدة الحرم
أبلغ قبائل عمرو إن أتيتهم   أو كنت من دارهم يوما على أمم
أنا وجدنا فقروا فى بلادكم   أهل الكناسة أهل اللؤم والعدم
أرض تغير أحساب الرجال بها   كما وسمت بياض الريط بالحمم

(٢) عاج الراكب رأس بعيره : عطفه وأماله (٣) جمهور : موضع

وَحدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ ، عَنِ الْحَسَنِ النَّحْوِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ ، بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ : سَمِعْتُ عَمِّي الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ آدَمَ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ هَارُونُ الرَّشِيدُ الْكُوفَةَ ، نَزَلَ الْحِيرَةَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى أَبِي بَكْرِ ابْنِ عَيَّاشٍ ، فَحَمَلْنَاهُ إِلَيْهِ ، وَكُنْتُ أَنَا أَقْتَادُهُ بَعْدَ ذَهَابِ بَصَرِهِ ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ ، ذَهَبَ الْحُجَّابُ يَأْخُذُونَ أَبَا بَكْرٍ مِنِّي ، فَأَمْسَكَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِي وَقَالَ : هَذَا قَائِدِي لَا يُفَارِقُنِي ، فَقَالُوا : ادْخُلْ أَنْتَ وَقَائِدُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، قَالَ يَحْيَى : فَدَخَلْتُ بِهِ ، وَإِذَا هَارُونُ جَالِسٌ (١) وَحْدَهُ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ أَنْذَرْتُهُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ، فَأَحْسَنَ هَارُونُ الرَّدَّ ، فَأَجْلَسْتُهُ حَيْثُ أُمِرْتُ ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَقَعَدْتُ فِي مَكَانٍ أَرَاهُمَا وَأَسْمَعُ كَلَامَهُمَا ، قَالَ :

فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى هَارُونَ يَتَلَمَّحُ أَبَا بَكْرٍ قَالَ : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا قَدْ كَبِرَ ، وَضَعُفَتْ رَقَبَتُهُ ، فَاتَّكَأَ (٢) ذَقَنُهُ

(١) كانت في الأصل : « جالساً » وهي لا تصح على اعتبار إذا الفجائية حرفاً ، أما على اعتبارها ظرفاً فتكون خبراً مقدماً وهارون مبتدأ فتصح جالساً وتكون حالاً « عبد الخالق »

(٢) كانت في الأصل : « قائماً » ويريد أنه لم يكن يقدر أن يرفع رأسه لضعفه

عَلَى صَدْرِهِ ، فَسَكَتَ هَارُونُ عَنْهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ : لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : إِنِّى سَائِلُكَ عَنْ أَمْرٍ فَأَسْأَلُكَ بِاللَّهِ لَمَّا (١) صَدَقْتَنِى عَنْهُ ، قَالَ : إِنْ كَانَ عِلْمُهُ عِنْدِى ، قَالَ : إِنَّكَ قَدْ أَدْرَكْتَ أَمْرَ بَنِى أُمَيَّةَ وَأَمْرَنَا ، فَأَسْأَلُكَ بِاللَّهِ ، أَيُّهُمَا كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْحَقِّ ؟ قَالَ يَحْيَى : فَقُلْتُ فِى نَفْسِى : اللَّهُمَّ وَفِّقْهُ وَثَبِّتْهُ ، قَالَ : فَأَطَالَ أَبُو بَكْرٍ فِى الْجَوَابِ (٢) ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَّا بَنُو أُمَيَّةَ فَكَانُوا أَنْفَعَ لِلنَّاسِ مِنْكُمْ ، وَأَنْتُمْ أَقْوَمُ بِالصَّلَاةِ مِنْهُمْ . قَالَ : فَجَعَلَ هَارُونُ يُشِيرُ بِيَدِهِ وَيَقُولُ : إِنَّ فِى الصَّلَاةِ ، إِنَّ فِى الصَّلَاةِ (٣) .

قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ فَتَبِعَهُ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَمَرَ لَكَ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا ،

---

(١) لما هنا بمعنى إلا على تقدير نفى قبل الفعل سأل ، والتقدير : ماسألتك بالله إلا الصدق ، لأن لما لاتكون بمعنى إلا حتى تسبق بالنفى ولو تقديرا « عبد الخالق »

(٢) أى برد الجواب ، وإلا فلا معنى لطال

(٣) يريد أن فى الصلاة لدينا قيما أوفضلا عظيما ، وقد سبق أن الصلاة مبتدأ والخبر محذوف أيضا يفهم مما سبق

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَمَا لِقَائِدِي ؟ فَضَحِكَ الْفَضْلُ وَقَالَ : لِقَائِدِكَ خَمْسَةُ آلاَفٍ. قَالَ يَحْيَى : فَأَخَذْتُ الْخَمْسَةَ آلاَفٍ(١) قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ أَبُو بَكْرٍ الثَّلاثِينَ .

وَحَدَّثَ بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَسَلَّمْتُ وَجَلَسْتُ ، فَدَخَلَ فَتًى مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهاً ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ . فَقَالَ لِي هَارُونُ : يَا أَبَا بَكْرٍ : أَتَعْرِفُ هَـذَا ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : هَذَا ابْنِي مُحَمَّدٌ ، ادْعُ اللهَ لَهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، ـ جَعَلَهُ اللهُ أَهْلاً لِمَا جَعَلْتَهُ لَهُ أَهْلاً ـ ، فَسَكَتَ ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَلَا تُحَدِّثُنِي ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ عَنِ الْحَسَنِ(٢) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللهَ فَاتِحٌ عَلَيْكُمْ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ عُمَّالَ ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّارِ إِلَّا مَنِ اتَّقَى ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ » فَانْتَفَضَ وَتَغَيَّرَ ، وَقَالَ

(١) يلاحظ أن هذا الاستعمال غير صحيح ، وكان الصواب خمسة الآلاف ، أو الخمسة الآلاف كما يرى الكوفيون . « عبد الخالق »

(٢) كانت في الأصل : « الحسين » ولعل ما ذكرناه هو الأوفق ، بدليل ما يأتي بعد من روايته عن الحسن ، لا الحسين .

يَا مَسْرُورُ : اُكْتُبْ ، ثُمَّ سَكَتَ سَاعةً ، وَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، أَلَا تُحَدِّثُنِى ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتَدْرِى مَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِلْهُرْوَانِ ؟ قَالَ : وَمَا قَالَ لَهُ ؟ قُلْتُ : قَالَ لَهُ مَا يَمْنَعُكَ مِنْ حُبِّ الْمَالِ ؟ وَأَنْتَ كَافِرُ الْقَلْبِ ، طَوِيلُ الْأَمَلِ ، قَالَ : لِأَنِّى قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِى لِى سَوْفَ يَأْتِينِى ، وَالَّذِى أُخَلِّفُهُ بَعْدِى يَكُونُ وَبَالُهُ عَلَىَّ . ثُمَّ قَالَ يَا مَسْرُورُ : اُكْتُبْ وَيْحَكَ . ثُمَّ[1] قَالَ : أَلَكَ حَاجَةٌ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ قُلْتُ : تَرُدُّنِى كَمَا جِئْتَ بِى ، قَالَ : لَيْسَتْ هَذِهِ حَاجَةً ، سَلْ غَيْرَهَا ، قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : لِى بَنَاتُ أُخْتٍ ضِعَافٌ ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْمُرَ لَهُنَّ بِشَىْءٍ ، قَالَ : قَدِّرْ لَهُنَّ ، قُلْتُ : يَقُولُ غَيْرِى ، قَالَ : لَا يَقُولُ غَيْرُكَ ، قُلْتُ : عَشَرَةُ آلَافٍ ، قَالَ : لَهُنَّ عَشَرَةُ آلَافٍ ، وَعَشَرَةُ آلَافٍ ، وَعَشَرَةُ

---

(١) ثم — فى العماد — وهى ساقطة من هذا الأصل ، فذكرتها

آلافٍ ، وَعَشَرَةُ آلافٍ ، وَعَشَرَةُ آلافٍ[1] ، يَا فَضْلُ أُكْتُبْ بِهَا إِلَى الْكُوفَةِ ، وَأَلَّا تُحْبَسَ عَلَيْهِ[2] . ثُمَّ قَالَ : انْصَرِفْ وَلَا تَنْسَنَا مِنْ دُعَائِكَ .

وَحَدَّثَ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ بَنَّانٍ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ ، يَقْرَأُ عَلَيْنَا كِتَابَ مُغِيرَةَ ، فَغَمَضَ عَيْنَيْهِ فَحَرَّكَهُ جَهْوَرٌ ، وَقَالَ لَهُ : تَنَامُ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ فَقَالَ لَا ، وَلَكِنْ مَرَّ ثَقِيلٌ فَغَمَضْتُ عَيْنِي . وَحَدَّثَ أَبُو هَاشِمٍ الدَّلَّالُ قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَيَّاشٍ مَهْمُوماً ، فَقُلْتُ لَهُ : مَالِي أَرَاكَ مَهْمُوماً ؟ قَالَ : سَيْفُ كِسْرَى لَا أَدْرِى إِلَى مَنْ صَارَ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كُنَاسَةَ : يَذْكُرُ أَصْحَابَ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ :

لِلَّهِ مَشْيَخَةٌ فُجِعْتُ بِهِمْ ... كَانَتْ تَزِيغُ إِلَى أَبِي بَكْرِ

---

(١) ذكر فى المعاهد — عشرة آلاف خمس مرات . وفى الأصل هنا : ذكرت ست مرات (٢) لعل المراد أن تحبس عليه ، إلا إن أريد بعدم الحبس الابطاء ، ورأيى أن هذا أوجه « عبد الخالق »

سُرُجٌ لِقَوْمٍ يَهْتَدُونَ بِهَـا
وَفَضَائِلٌ تَنْمى وَلَا تَجْرِى (١)

وَحَدَّثَ الْمَدَائِنِىُّ قَالَ : كَانَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ أَبْرَصَ (٢) ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُرْمَى بِشُرْبِ الْخَمْرِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرِ ابْنُ عَيَّاشٍ يُدَاعِبُهُ ، زَعَمُوا أَنَّ نَبِيًّا قَدْ بُعِثَ بِحِلِّ الْخَمْرِ . فَقَالَ لَهُ الْقُرَشِىُّ ، إِذًا لَا أُومِنُ حَتَّى يُبْرِىءَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ .

أَنْشَدَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ الْمُحَدِّثُ ، وَيُقَالُ إِنَّهُمَا لَهُ :

إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِى تَبْقَى مَوَدَّتُهُ
وَيَكْتُمُ السِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا (٣)
لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِى إِنْ زَلَّ صَاحِبُهُ
أَفْشَى ، وَقَالَ عَلَيْهِ كُلَّ مَا عَلِمَا (٤)

---

(١) يريد : لا ترحل عنهم (٢) أى مصاب بداء البرص (٣) أى هجر وقاطع
(٤) الرأى أن البيت الثانى ، حقه أن يكون الأول .

﴿ ٢٤ – بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ بَقِيَّةَ الْمَازِنِيُّ * ﴾

أَبُو عُثْمَانَ النَّحْوِيُّ ، وَقِيلَ : هُوَ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ بكر المازنى
عَدِيٍّ ، بْنِ حَبِيبٍ ، أَحَدُ بَنِي مَازِنِ بْنِ شَيْبَانَ ، بْنِ ذُهْلِ ،
ابْنِ ثَعْلَبَةَ ، بْنِ عُكَابَةَ ، بْنِ صَعْبِ ، بْنِ عَلِيٍّ ، بْنِ بَكْرِ ،
ابْنِ وَائِلٍ . قَالَ الزُّبَيْدِيُّ : قَالَ الْخُشَنِيُّ : الْمَازِنِيُّ مَوْلَى

(*) ترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات ، جزء ثالث ، قسم أول صفحة ٨٨ قال :
كان إمام عصره ، فى النحو ، والآداب ، أخذ الادب عن أبى عبيدة ، والاصمعى
وأبى زيد الأنصارى ، وغيرهم ، وأخذ عنه المبرد ، وكان المبرد يقول : ما بعد سيبويه
أعلم بالنحو من المازنى ، وله عنه روايات ، وله مصنفات كثيرة مذكورة فى ترجمته . قال
أبو جعفر الطحاوى المصرى : سمعت القاضى بكار بن قتيبة ، قاضى مصر يقول :
ما رأيت نحوياً قط يشبه الفقهاء ، إلا حيان بن هرمة ، والمازنى المذكور . قلت : لم
يكن القاضى بكار ، قد عاصر أبا الفتح بن جنى ، ولا أبا على الفارسى ، ولا ابن
عصفور ، وكان المازنى فى غاية الورع ، قصده بعض أهل الذمة ليقرأ عليه كتاب
سيبويه ، وبذل له مائة دينار فى تدريسه إياه ، فامتنع فقال له المبرد : — جعلت فداك —
أترد هذه المنفعة مع فاقتك ، وشدة إضاقتك ؟ ؟ ؟ فقال : إن هذا الكتاب يشتمل على
ثلاثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله عز وجل ، ولست أرى أن أمكن منها ذمياً ،
غيرة على كتاب الله ، وحمية له .

واختلف فى تاريخ وفاته فقيل : سنة تسع أو ثمان وأربعين ومائتين . وقيل : سنة

(*) وترجم له أيضاً فى بغية الوعاة ص ٢٠٢

بَنِي سَدُوسٍ ، نَزَلَ فِي بَنِي مَازِنِ بْنِ شَيْبَانَ ، فَنُسِبَ إِلَيْهِمْ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، وَهُوَ أُسْتَاذُ الْمُبَرِّدِ . رَوَى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَالْأَصْمَعِيِّ ، وَأَبِي زَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ . وَرَوَى عَنْهُ الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ ، وَالْمُبَرِّدُ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ الْوَرَّاقُ ، وَكَانَ إِمَامِيًّا [١] يَرَى رَأْيَ ابْنِ مِيثَمَ ، وَيَقُولُ بِالْإِرْجَاءِ ، وَكَانَ لَا يُنَاظِرُهُ أَحَدٌ إِلَّا قَطَعَهُ ، لِقُدْرَتِهِ عَلَى الْكَلَامِ ، وَكَانَ الْمُبَرِّدُ يَقُولُ : لَمْ يَكُنْ بَعْدَ سِيبَوَيْهِ أَعْلَمُ مِنْ أَبِي عُثْمَانَ بِالنَّحْوِ ، وَقَدْ نَاظَرَ الْأَخْفَشَ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ فَقَطَعَهُ ، وَهُوَ أَخَذَ عَنِ الْأَخْفَشِ .

وَقَالَ حَمْزَةُ : لَمْ يَقْرَأْ عَلَى الْأَخْفَشِ ، إِنَّمَا قَرَأَ عَلَى الْجَرْمِيِّ ، ثُمَّ اخْتَلَفَ [٢] إِلَى الْأَخْفَشِ وَقَدْ بَرَعَ ، وَكَانَ يُنَاظِرُهُ وَيَقْدُمُ الْأَخْفَشَ وَهُوَ حَيٌّ [٣] ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُسَمِّيهِ بِالْمُتَدَرِّجِ ، وَالنَّقَّارِ [٤] . مَاتَ أَبُو عُثْمَانَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ ، فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، أَوْ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَذَكَرَ

---

(١) طائفة من الطوائف وهم من الشيعة (٢) أى تردد

(٣) كانت فى هذا الاصل : « وهو حيا بالنصب » ويريد من يقدم معنى يتقدم

(٤) فى ظنى أن التسمية جاءت من ان المازنى تدرج فى السلم ، فقرأ على الاخفش ، فلما استوى على قدميه فاق أستاذه ، فكأنه طال لينقر ، هذا ظنى ، وقد يكون له سبب آخر .

أَبْنُ وَاضِحٍ : أَنَّهُ مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ .

حَدَّثَ الْمُبَرِّدُ عَنِ الْمَازِنِيِّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عُبَيْدَةَ ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَقُولُ عُنِيتُ بِالْأَمْرِ ؟ قَالَ : كَمَا قُلْتَ عُنِيتُ بِالْأَمْرِ ، قَالَ : فَكَيْفَ آمُرُ مِنْهُ ؟ قَالَ فَغَلِطَ ، وَقَالَ : اُعْنُ بِالْأَمْرِ ، فَأَوْمَأْتُ إِلَى الرَّجُلِ ، لَيْسَ كَمَا قَالَ : فَرَآنِي أَبُو عُبَيْدَةَ ، فَأَمْهَلَنِي قَلِيلًا ، فَقَالَ : مَا تَصْنَعُ عِنْدِي ؟ قُلْتُ : مَا يَصْنَعُ غَيْرِي ، قَالَ : لَسْتَ كَغَيْرِكَ ، لَا تَجْلِسْ إِلَيَّ ، قُلْتُ وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي رَأَيْتُكَ مَعَ إِنْسَانٍ خُوزِيٍّ [1] سَرَقَ مِنِّي قَطِيفَةً ، قَالَ : فَانْصَرَفْتُ وَتَحَمَّلْتُ عَلَيْهِ بِإِخْوَانِهِ ، فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ لِي : أَدِّبْ نَفْسَكَ أَوَّلًا ، ثُمَّ تَعَلَّمِ الْأَدَبَ . قَالَ الْمُبَرِّدُ : الْأَمْرُ مِنْ هَذَا بِاللَّامِ ، لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ ، لِأَنَّكَ تَأْمُرُ غَيْرَ مَنْ بِحَضْرَتِكَ ، كَأَنَّهُ لِيُفْعَلْ هَذَا . وَقَالَ حَمَّادٌ يَهْجُو الْمَازِنِيَّ :

---

(١) خوزى : نسبة الى « سكة الخوز » بأصبهان

كَادَنِي الْمَازِنِيُّ عِنْدَ أَبِي الْعَبْـ
ـبَاسِ وَالْفَضْلُ[1] مَا عَلِمْتَ كَرِيمُ
يَا شَبِيهَ النِّسَاءِ فِي كُلِّ فَنٍّ
إِنَّ كَيْدَ النِّسَاءِ كَيْدٌ عَظِيمُ
جَمَعَ الْمَازِنِيُّ خَمْسَ خِصَالٍ
لَيْسَ يَقْوَى بِحَمْلِهِنَّ حَلِيمُ
هُوَ بِالشِّعْرِ وَالْعَرُوضِ وَبِالنَّحْـ
ـوِ وَغَمْزِ الْأُيُورِ طَبٌّ عَلِيمُ
لَيْسَ ذَنْبِي إِلَيْكَ يَا بَكْرُ إِلَّا
أَنَّ أَيْرِي عَلَيْكَ لَيْسَ يَقُومُ
وَكَفَانِي مَا قَالَ يُوسُفُ فِي ذَا
إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِكُنَّ عَلِيمُ

وَحَدَّثَ الْمُبَرِّدُ قَالَ : عَزَّى الْمَازِنِيُّ بَعْضَ الْهَاشِمِيِّينَ ، وَنَحْنُ مَعَهُ فَقَالَ :

---

(١) يريد وفضلي عليه فضل كريم ، هذا وقد ذكر أن فيه خمس خصال ، ولم يذكر الخامسة .

إِنِّى أُعَزِّيكَ لَا أَنِّى عَلَى ثِقَةٍ

مِنَ الْحَيَاةِ[١] وَلَكِنْ سُنَّةُ الدِّينِ

لَيْسَ الْمُعَزَّى بِبَاقٍ بَعْدَ مَيِّتِهِ

وَلَا الْمُعَزِّى وَإِنْ عَاشَا إِلَى حِينِ

وَقَدْ رُوِىَ عَنِ الْمُبَرِّدِ : أَنَّ يَهُودِيًّا بَذَلَ لِلْمَازِنِىِّ مِائَةَ دِينَارٍ ، لِيُقْرِئَهُ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُ : لِمَ امْتَنَعْتَ مَعَ حَاجَتِكَ وَعَيْلَتِكَ[٢] ؟ فَقَالَ : إِنَّ فِى كِتَابِ سِيبَوَيْهِ كَذَا كَذَا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُقْرِئَ كِتَابَ اللهِ لِلذِّمَّةِ[٣] ، فَلَمْ يَمْضِ عَلَى ذَلِكَ مُدَيْدَةٌ ، حَتَّى أَرْسَلَ الْوَاثِقُ فِى طَلَبِهِ ، وَأَخْلَفَ اللهُ عَلَيْهِ أَضْعَافَ مَا تَرَكَهُ لِلهِ . كَمَا حَدَّثَ أَبُو الْفَرَجِ ، عَلِىُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَهَانِىُّ فِى كِتَابِ الْأَغَانِى ، بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى أَبِى عُثْمَانَ الْمَازِنِىِّ قَالَ : كَانَ سَبَبُ طَلَبِ الْوَاثِقِ لِى ، أَنَّ مُخَارِقًا[٤] غَنَّاهُ فِى شِعْرِ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ الْمَخْزُومِىِّ :

(١) فى رواية أخرى « من الخلود » (٢) أى وفقرك (٣) أى لأهل الذمة
(٤) أحد المغنين المشهورين فى الدولة العباسية ، وقد نبه عليه صاحب الأغانى .

أَظَلِيمُ (١) إِنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلًا
أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ

فَلَحَّنَهُ قَوْمٌ ، وَصَوَّبَهُ آخَرُونَ ، فَسَأَلَ الْوَاثِقُ عَمَّنْ بَقِيَ مِنْ رُؤَسَاءِ النَّحْوِيِّينَ ، فَذُكِرْتُ لَهُ ، فَأَمَرَ بِحَمْلِي وَإِزَاحَةِ عِلَلِي . فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ ، قَالَ لِي : مِمَّنِ الرَّجُلُ ؟ قُلْتُ : مِنْ بَنِي مَازِنٍ . قَالَ : مِنْ مَازِنِ تَمِيمٍ ؟ أَمْ مَازِنِ قَيْسٍ ؟ أَمْ مَازِنِ رَبِيعَةَ ؟ أَمْ مَازِنِ الْيَمَنِ . قُلْتُ : مِنْ مَازِنِ رَبِيعَةَ ، قَالَ لِي بَا اُسْمُكَ ؟ يُرِيدُ مَا اُسْمُكَ ، وَهِيَ لُغَةٌ كَثِيرَةٌ فِي قَوْمِنَا ، فَقُلْتُ عَلَى الْقِيَاسِ : اُسْمِي مَكْرٌ ، « وَفِي رِوَايَةٍ فَقُلْتُ : اُسْمِي بَكْرٌ » فَضَحِكَ وَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ ، وَفَطِنَ لِمَا قَصَدْتُ ، فَإِنِّي لَمْ أَجْزُؤْ أَنْ أُوَاجِهَهُ بِالْمَكْرِ ، فَضَحِكَ وَقَالَ : اُجْلِسْ فَاطْبَئِنَّ ، أَيْ فَاطْمَئِنَّ ، فَجَلَسْتُ فَسَأَلَنِي عَنِ الْبَيْتِ ، فَقُلْتُ : صَوَابُهُ إِنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلًا ، قَالَ : فَأَيْنَ خَبَرُ إِنَّ ؟ قُلْتُ : « ظُلْمٌ » ، وَهُوَ الْحَرْفُ فِي آخِرِ

(١) ويروى : « أظلوم » وهي الرواية الشائعة

الْبَيْتِ ، وَالْبَيْتُ كُلُّهُ مُتَعَلِّقٌ بِهِ ، لَا مَعْنَى لَهُ حَتَّى يَتِمَّ بِقَوْلِهِ « ظُلْمُ » ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ : أَظَلِيمُ إِنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلًا ، أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يُفِدْ شَيْئًا ، حَتَّى يَقُولَ ظُلْمُ ، وَلَوْ قَالَ أَظَلِيمُ إِنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلٌ ، أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ، لَمَا احْتَاجَ إِلَى « ظُلْمُ » وَلَا كَانَ لَهُ مَعْنًى إِلَّا أَنْ تَجْعَلَ التَّحِيَّةُ بِالسَّلَامِ ظُلْمًا ، وَذَلِكَ مُحَالٌ . وَيَجِبُ حِينَئِذٍ : أَظَلِيمُ إِنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلٌ ، أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمًا ، وَلَا مَعْنَى لِذَلِكَ ، وَلَا هُوَ لَوْ كَانَ لَهُ وَجْهٌ مُرَادَ الشَّاعِرِ . فَقَالَ : صَدَقْتَ ، أَلَكَ وَلَدٌ ؟ قُلْتُ : بُنَيَّةٌ لَا غَيْرُ ، قَالَ : فَمَا قَالَتْ لَكَ حِينَ وَدَّعْتَهَا . قُلْتُ : أَنْشَدَتْنِي قَوْلَ الْأَعْشَى :

تَقُولُ ابْنَتِي حِينَ جَدَّ الرَّحِيلُ

أَرَانَا سَوَاءً وَمَنْ قَدْ يَتِمّْ[1]

(١) اى أصبح يتيما

أَبَانَا فَلَا رِمْتَ[1] مِنْ عِنْدِنَا

فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ

أَرَانَا إِذَا أَضْمَرَتْكَ[2] الْبِلَادُ

نُجْفَى وَيُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ

فَقَالَ الْوَاثِقُ : كَأَنِّى بِكَ ، وَقَدْ قُلْتَ لَهَا قَوْلَ الْأَعْشَى أَيْضاً :

تَقُولُ بِنْتِى وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحَلاً

يَارَبِّ جَنِّبْ أَبِى الْأَوْصَابَ وَالْوَجَعَا[3]

عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِى صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِى

يَوْماً فَإِنَّ لِجَنْبِ الْمَرْءِ مُضْطَجَعَا

فَقُلْتُ : صَدَقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قُلْتُ لَهَا ذَلِكَ ، وَزِدْتُهَا قَوْلَ جَرِيرٍ :

(١) أى لا زلت عنا ، ولا فارقتنا ، وهى جملة دعائية

(٢) اى اخفتك وغيبتك

(٣) كانت فى الاصل : « والأوجعا » ومرتحلا : معناه جلا ارتحله

ثِقِي بِاللهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ

وَمِنْ عِنْدِ الخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

فقَالَ: ثِقْ بِالنَّجَاحِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، إِنَّ هٰهُنَا قَوْماً يَخْتَلِفُونَ إِلَى أَوْلَادِنَا فَامْتَحِنْهُمْ، فَمَنْ كَانَ عَالِماً يُنْتَفَعُ بِهِ، أَلْزَمْنَاهُمْ إِيَّاهُ، وَمَنْ كَانَ بِغَيْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ، قَطَعْنَاهُمْ عَنْهُ[١] قَالَ: فَامْتَحَنْتُهُمْ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِمْ طَائِلًا[٢]، وَحَذِرُوا[٣] نَاحِيَتِي. فَقُلْتُ: لَا بَأْسَ عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَيْهِ قَالَ: كَيْفَ رَأَيْتَهُمْ؟ فَقُلْتُ يَفْضُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فِي عُلُومٍ، وَيَفْضُلُ البَاقُونَ فِي غَيْرِهَا. وَكُلٌّ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ. فَقَالَ الوَاثِقُ: إِنِّي خَاطَبْتُ مِنْهُمْ رَجُلًا، فَكَانَ فِي نِهَايَةِ الجَهْلِ فِي خِطَابِهِ وَنَظَرِهِ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَكْثَرُ مَنْ تَقَدَّمَ فَهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَقَدْ أَنْشَدْتُ فِيهِمْ:

---

(١) كانت فى هذا الأصل: «قطعناهم عنهم» وهذا لايتفق مع سياق الكلام لانه قبل هذا قال: فمن كان عالما ينتفع به ألزمناهم إياه، وعليه فيكون مقابله كما ذكرنا، وربما كان القول الزمناه أياهم وقطعناه عنهم (٢) الطائل: القدرة

(٣) اى تحاموه، واحترزوا، وخافوا.

إِنَّ الْمُعَلِّمَ لَا يَزَالُ مُضَعَّفًا (١)

وَلَوِ ابْتَنَى فَوْقَ السَّمَاءِ سَمَاءَ

مَنْ عَلَّمَ الصِّبْيَانَ أَصْنَوْا (٢) عَقْلَهُ

مِمَّا يُلَاقِي بُكْرَةً وَعِشَاءَ

قَالَ: فَقَالَ لِي: لِلَّهِ دَرُّكَ، كَيْفَ لِي بِكَ؟ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّ الْغُنْمَ لَفِي قُرْبِكَ، وَالنَّظَرِ إِلَيْكَ، وَالْأَمْنَ وَالْفَوْزَ لَدَيْكَ، وَلَكِنِّي أَلِفْتُ الْوَحْدَةَ، وَأَنِسْتُ بِالِانْفِرَادِ، وَلِي أَهْلٌ يُوحِشُنِي الْبُعْدُ عَنْهُمْ، وَيَضُرُّ بِهِمْ ذَلِكَ، وَمُطَالَبَةُ الْعَادَةِ أَشَدُّ مِنْ مُطَالَبَةِ الطِّبَاعِ. فَقَالَ لِي: فَلَا تَقْطَعْنَا وَإِنْ لَمْ نَطْلُبْكَ. فَقُلْتُ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَأَمَرَ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ، «وَفِي رِوَايَةٍ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ» وَأَجْرَى عَلَيَّ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِائَةَ دِينَارٍ. وَزَادَ الزُّبَيْدِيُّ قَالَ (٣) وَكُنْتُ بِحَضْرَتِهِ يَوْمًا، فَقُلْتُ لِابْنِ قَادِمٍ، أَوِ ابْنِ سَعْدَانَ، وَقَدْ كَابَرَنِي، كَيْفَ تَقُولُ نَفَقَتُكَ دِينَارًا أَصْلَحُ مِنْ دِرْهَمٍ؟ فَقَالَ: دِينَارٌ بِالرَّفْعِ. قُلْتُ: فَكَيْفَ تَقُولُ: ضَرْبُكَ زَيْدًا خَيْرٌ لَكَ، فَتَنْصِبُ زَيْدًا،

---

(١) المراد ضعف الادراك، ووهن التصور والتفكير (٢) ورواية الاغانى «أضنوا» وهى أنسب من رواية الاصل التى هى أصبوا (٣) الضمير للمازنى

فَطَالَبْتُهُ بِالفَرْقِ بَيْنَهُمَا فَانْقَطَعَ. وَكَانَ ابْنُ السِّكِّيتِ حَاضِراً فَقَالَ الْوَاثِقُ: سَلْهُ (١) عَنْ مَسْأَلَةٍ. فَقُلْتُ لَهُ: مَا وَزْنُ نَكْتَلْ مِنَ الفِعْلِ، فَقَالَ: نَفْعَلْ. فَقَالَ الْوَاثِقُ: غَلِطْتَ. ثُمَّ قَالَ لِي: فَسِّرْهُ، فَقُلْتُ: وَنَكْتَلْ تَقْدِيرُهُ نَفْتَعِلْ، وَأَصْلُهُ نَكْتَيِلُ، فَانْقَلَبَتِ اليَاءُ أَلِفاً لِفَتْحَةِ مَاقَبْلَهَا، فَصَارَ لَفْظُهَا نَكْتَالُ، فَأُسْكِنَتِ اللَّامُ لِلْجَزْمِ، لِأَنَّهُ جَوابُ الْأَمْرِ، فَحُذِفَتِ الْأَلِفُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ. فَقَالَ الْوَاثِقُ: هَذَا الْجَوَابُ، لَاجَوَابُكَ يَا يَعْقُوبُ. فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَ لِي يَعْقُوبُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ الْمَوَدَّةُ الْخَالِصَةُ؟ فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا قَصَدْتُ تَخْطِئَتَكَ، وَلَمْ أَظُنَّ أَنَّهُ يَعْزُبُ (٢) عَنْكَ ذَلِكَ. وَلِهَذَا الْبَيْتِ قِصَّةٌ أُخْرَى فِي أَخْبَارِ ابْنِ السِّكِّيتِ.

قَالَ الْمُبَرِّدُ: سَأَلْتُ الْمَازِنِيَّ عَنْ قَوْلِ الْأَعْشَى:

هَذَا النَّهَارُ بَدَا لَهَا مِنْ هَمِّهَا
مَا بَالُهَا بِاللَّيْلِ زَالَ زَوَالُهَا

---

(١) يريد ابن السكيت (٢) أى يغيب و يخفى

فَقَالَ : نَصبَ النَّهَارَ عَلَى تَقْدِيرِ ، هَذَا الصُّدُودُ بَدَا لَهَا النَّهَارَ ، وَالْيَوْمَ وَاللَّيْلَةَ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ : زَالَ وَأَزَالَ : بِمَعْنًى ، فَتَقُولُ : زَالَ زَوَالُهَا .

وَحَدَّثَ الزُّبَيْدِيُّ قَالَ : قَالَ الْمَازِنِيُّ : وَحَضَرْتُ يَوْمًا عِنْدَ الْوَاثِقِ وَعِنْدَهُ نُحَاةُ الْكُوفَةِ ، فَقَالَ لِيَ الْوَاثِقُ : يَا مَازِنِيُّ : هَاتِ مَسْأَلَةً ، فَقُلْتُ : مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا » لِمَ لَمْ يَقُلْ بَغِيَّةً ، وَهِيَ صِفَةٌ لِمُؤَنَّثٍ ، فَأَجَابُوا بِجَوَابَاتٍ غَيْرِ مَرْضِيَّةٍ . فَقَالَ الْوَاثِقُ : هَاتِ مَاعِنْدَكَ . فَقُلْتُ : لَوْ كَانَتْ بَغِيٌّ عَلَى تَقْدِيرِ فَعِيلٍ بِمَعْنَى فَاعِلَةٍ ، لَحِقَتْهَا الْهَاءُ ، مِثْلُ كَرِيمَةٍ وَظَرِيفَةٍ ، وَإِنَّمَا تُحْذَفُ الْهَاءُ إِذَا كَانَتْ فِي مَعْنَى مَفْعُولَةٍ ، نَحْوُ : الْمَرْأَةُ قَتِيلٌ وَكَفٌّ خَضِيبٌ ، وَبَغِيٌّ هٰهُنَا لَيْسَ بِفَعِيلٍ ، إِنَّمَا هُوَ فَعُولٌ ، وَفَعُولٌ لَا تَلْحَقُهُ الْهَاءُ فِي وَصْفِ التَّأْنِيثِ ، نَحْوُ : امْرَأَةٌ شَكُورٌ ، وَبِئْرٌ شَطُونٌ ، إِذَا كَانَتْ بَعِيدَةَ الرِّشَاءِ ، وَتَقْدِيرُ بَغِيٍّ بَغُويٌ ، قُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً ، ثُمَّ أُدْغِمَتْ فِي الْيَاءِ ،

فَصَارَتْ يَاءً ثَقِيلَةً : نَحْوُ سَيِّدٍ وَمَيِّتٍ . فَاسْتَحْسَنَ الْجَوَابَ .

قَالَ الْمَازِنِيُّ : ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَكَانَ الْوَالِي يُجْرِي عَلَيَّ الْمِائَةَ دِينَارٍ [1] فِي كُلِّ شَهْرٍ ، حَتَّى مَاتَ الْوَاثِقُ ، فَقُطِعَتْ عَنِّي . ثُمَّ ذُكِرْتُ لِلْمُتَوَكِّلِ فَأَشْخَصَنِي [2] ، فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَيْهِ ، رَأَيْتُ مِنَ الْعَدَدِ وَالسِّلَاحِ ، وَالْأَتْرَاكِ مَارَاعَنِي ، وَالْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَخَشِيتُ إِنْ سُئِلْتُ عَنْ مَسْأَلَةٍ أَلَّا أُجِيبَ فِيهَا . فَلَمَّا مَثَلْتُ [3] بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَلَّمْتُ ، قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَقُولُ كَمَا قَالَ الْأَعْرَابِيُّ ؟ :

لَا تَقْلُوَاهَا وَادْلُوَاهَا دَلْوَا

إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ أَخَاهُ غَدْوَا

قَالَ أَبُو عُثْمَانَ : فَلَمْ يَفْهَمْ عَنِّي مَا أَرَدْتُ ، وَاسْتُبْرِدْتُ فَأُخْرِجْتُ . وَالْقَلْوُ : رَفْعُ السَّيْرِ ، وَالدَّلْوُ : إِدْنَاؤُهُ [4] .

---

(١) يلاحظ هذا الخطأ فى الاستعمال لاضافة ما فيه أل إلى ما ليس فيه وما أظنها عبارة المازنى بنصها ، وقد سبق فى ذلك كلام

(٢) أى حملنى على الذهاب ، أو على الحضور (٣) أى قمت منتصباً

(٤) يريد لا تجعلاها تسرع فتتعب ، ولكن اجعلاها تسير على مهل .

ثُمَّ دعَانِي بعْدَ ذَلِكَ فقَالَ : أَنْشِدْنِي أَحْسَنَ مَرْثِيَةٍ قَالَتِ الْعَرَبُ . فَأَنْشَدْتُهُ قوْلَ أَبِي ذُؤَيْبٍ :

« أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ ؟ »

وَقَصِيدَةَ مُتَمِّمِ بْنِ نُوَيْرَةَ :

« لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْبِينِ هَالِكٍ »

وَقَوْلَ كَعْبٍ الْغَنَوِيِّ :

تَقُولُ سُلَيْمَى مَا لِجِسْمِكَ[1] شَاحِبًا

وَقَصِيدَةَ مُحَمَّدِ بْنِ مُنَاذِرٍ :

كُلُّ حَيٍّ لَاقَى الْحِمَامَ فَمُودِي

فَكَانَ كُلَّمَا أَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةً يَقُولُ : لَيْسَتْ بِشَيْءٍ . ثُمَّ قَالَ : مَنْ شَاعِرُكُمُ الْيَوْمَ بِالْبَصْرَةِ ؟ قُلْتُ : عَبْدُ الصَّمَدِ ابْنُ الْمُعَذَّلِ ، قَالَ : فَأَنْشِدْنِي لَهُ ، فَأَنْشَدْتُهُ أَبْيَاتًا قَالَهَا فِي قَاضِينَا ابْنِ رَبَاحٍ :

---

(١) كانت فى الاصل « ما بجسمك » ولكن المشهور أنها لام

أَيَا (١) قَاضِيَةَ الْبَصْـــرَةِ قُومِي فَارْقُصِي قَطْرَهْ (٢)
وَمُــرِّى بِرَوْشَنِكِ (٣) فَمَاذَا الْبَرْدُ وَالْفَتْرَهْ
أَرَاكِ قَـدْ تُثِيرِينَ عَجَاجَ الْقَصْفِ (٤) يَا حُرَّهْ
بِتَجْذِيفِكَ (٥) خَدَّيْكِ وَتَجْعِيـدِكِ (٦) لِلطُّــرَّهْ

قَالَ : فَاسْتَحْسَنَهَا وَاسْتَطَارَ لَهَا ، وَأَمَرَ لِي بِجَائِزَةٍ . قَالَ : فَجَعَلْتُ (٧) أَتعمَّلُ لَهُ أَنْ أَحفَظَ أَمْثَالَهَا ، فَأُنْشِدُهُ إِذَا وَصَلْتُ إِلَيْهِ ، فَيَصِلُنِي .

وَكَانَ الْمَازِنِيُّ يُفَضِّلُ الْوَاثِقَ . وَلِلْمَازِنِيِّ شِعْرٌ قَلِيلٌ ، ذَكَرَ مِنْهُ الْمَرْزُبَانِيُّ :

شَيْئَانِ يَعْجِزُ ذُو الرِّيَاضَةِ عَنْهُمَا
رَأْيُ النِّسَاءِ وَإِمْرَةُ الصِّبْيَانِ

(١) كانت فى الاصل : « يا قاضية »

(٢) القطرة : شىء ولو كالقطرة (٣) لعل الصواب : بروسيج : أى العتبة

(٤) قصف القوم قصوفاً وقصفاً : أقاموا فى الاكل والشرب واللهو

(٥) جذف الصانع الشىء: سواه تسوية حسنة ، والشعر :طرره وسواه

(٦) جعد شعره : جعله جعداً ذا التواء وتقبض

(٧) فى العماد وفى الاصل الذى بأيدينا « فتعملت »

أَمَّا النِّسَاءُ فَإِنَّهُنَّ عَوَاهِرٌ
وَأَخُو الصِّبَا يَجْرِى بِكُلِّ عِنَانِ

وَلَمَّا مَاتَ الْمَازِنِيُّ ، اُجْتَازَتْ جِنَازَتُهُ (١) عَلَى أَبِي الْفَضْلِ الرِّيَاشِيِّ ، فَقَالَ مُتَمَثِّلًا :

لَا يُبْعِدِ اللَّهُ أَقْوَامًا رُزِئْتُهُمُ (٢)
أَفْنَاهُمُ حَدَثَانُ الدَّهْرِ وَالْأَبَدُ
نَمُدُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا
وَلَا يَئُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمُ أَحَدُ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَلِلْمَازِنِيِّ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابٌ فِي الْقُرْآنِ كَبِيرٌ ، كِتَابُ عِلَلِ النَّحْوِ صَغِيرٌ ، كِتَابُ تَفَاسِيرِ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ ، كِتَابُ مَا يَلْحَنُ فِيهِ الْعَامَّةُ ، كِتَابُ الْأَلِفِ وَاللَّامِ ، كِتَابُ التَّصْرِيفِ ، كِتَابُ الْعَرُوضِ ، كِتَابُ الْقَوَافِي ، كِتَابُ الدِّيبَاجِ فِي جَوَامِعِ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ ، قَرَأْتُ بِخَطِّ

---

(١) الجنازة بكسر الجيم : السرير الذى يحمل عليه الميت وبفتحها الميت ذاته

(٢) أى أصبت بفقدهم ، يقال : قوم مرزءون : أى مات منهم

الأَزْهَرِىُّ مَنْصُورٍ ، فِى كِتَابِ نَظْمِ الْجُمَانِ ، تَصْنِيفِ الْمَيْدَانِىِّ قَالَ : سُئِلَ الْمَازِنِىُّ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَقَالَ : أَصْحَابُ الْقُرْآنِ فِيهِمْ تَخْلِيطٌ وَضَعْفٌ ، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ فِيهِمْ حَشْوٌ وَرَقَاعَةٌ ، وَالشُّعَرَاءُ فِيهِمْ هَوَجٌ (١) ، وَأَصْحَابُ النَّحْوِ فِيهِمْ ثِقَلٌ ، وَفِى رِوَايَةِ الْأَخْبَارِ الظَّرْفُ كُلُّهُ ، وَالْعِلْمُ هُوَ الْفِقْهُ . وَتَصَانِيفُ الْمَازِنِىِّ كُلُّهَا لِطَافٌ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يُصَنِّفَ كِتَابًا كَبِيرًا فِى النَّحْوِ ، بَعْدَ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ فَلْيَسْتَحِ ، وَيَحْوِى كِتَابُ سِيبَوَيْهِ فِى كُنْهِهِ عِدَّةَ كُتُبٍ (٢) .

حَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ رُسْتُمَ الطَّبَرِىُّ قَالَ : أَنْبَأَنَا أَبُو عُثْمَانَ الْمَازِنِىُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ مَسْعَدَةَ الْأَخْفَشِ ، أَنَا وَأَبُو الْفَضْلِ الرِّيَاشِىُّ ، فَقَالَ الْأَخْفَشُ : إِنَّ مُنْذُ إِذَا رُفِعَ بِهَا ، فَهِىَ اسْمٌ مُبْتَدَأٌ وَمَا بَعْدَهَا خَبَرُهَا ، كَقَوْلِكَ : مَا رَأَيْتُهُ مُنْذُ يَوْمَانِ ، فَإِذَا خُفِضَ بِهَا ، كَقَوْلِكَ : مَا رَأَيْتُهُ مُنْذُ الْيَوْمِ فَحَرْفٌ مَعْنًى لَيْسَ بِاسْمٍ . فَقَالَ لَهُ الرِّيَاشِىُّ : فَلِمَ

(١) أى طيش وتسرع (٢) راجعت كتباً فى ترجمة المازنى فأراه يقول : من أراد أن يصنف إلى قوله : فليستح ، فالجملة التى بعدها ليست من قوله ، وأظنها من كلام ياقوت ، وقد جعلتها كما ترى . وهى فى الأصل : « ويخرق كتاب سيبويه فى كمه عدة نوب

لَا يَكُونُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ اسْمًا ؟ فَقَدْ نَرَى الْأَسْمَاءَ تَخْفِضُ وَتَنْصِبُ ، كَقَوْلِكَ هَذَا ضَارِبٌ زَيْدًا غَدًا ، وَضَارِبُ زَيْدٍ أَمْسِ ، فَلِمَ[1] لَا تَكُونُ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ ؟ فَلَمْ يَأْتِ الْأَخْفَشُ بِمُقْنِعٍ . قَالَ أَبُو عُثْمَانَ : فَقُلْتُ لَهُ : لَا يُشْبِهُ مُنْذُ مَا ذَكَرْتَ ، لِأَنَّا لَمْ نَرَ الْأَسْمَاءَ هَكَذَا تَلْزَمُ مَوْضِعًا ، إِلَّا إِذَا ضَارَعَتْ حُرُوفَ الْمَعَانِي ، نَحْوُ أَيْنَ ، وَكَيْفَ ، فَكَذَلِكَ مُنْذُ هِيَ مُضَارِعَةٌ لِحُرُوفِ الْمَعَانِي ، فَلَزِمَتْ مَوْضِعًا وَاحِدًا .

قَالَ الطَّبَرِيُّ : فَقَالَ ابْنُ أَبِي زُرْعَةَ لِلْمَازِنِيِّ : أَفَرَأَيْتَ حُرُوفَ الْمَعَانِي ، تَعْمَلُ عَمَلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ ؟ قَالَ نَعَمْ ، كَقَوْلِكَ قَامَ الْقَوْمُ حَاشَا زَيْدٍ ، وَحَاشَا زَيْدًا ، وَعَلَى زَيْدٍ ثَوْبٌ ، وَعَلَا زَيْدٌ الْفَرَسَ ، فَتَكُونُ مَرَّةً حَرْفًا ، وَمَرَّةً فِعْلًا بِلَفْظٍ وَاحِدٍ .

وَحَدَّثَ الْمُبَرِّدُ قَالَ : سَمِعْتُ الْمَازِنِيَّ يَقُولُ : مَعْنَى

---

(١) في الأصل الذي في مكتبة اكسفورد : « فلا » وهنا : « أفلم الخ »

« قَوْلِهِمْ : إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » أَىْ إِذَا صَنَعْتَ مَا لَا يُسْتَحَى مِنْ مِثْلِهِ ، فَاصْنَعْ مِنْهُ مَا شِئْتَ ، وَلَيْسَ عَلَى مَا يَذْهَبُ الْعَوَامُّ إِلَيْهِ . قُلْتُ : وَهَذَا تَأْوِيلٌ حَسَنٌ جِدًّا .

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الزَّجَّاجِىُّ : أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رُسْتُمَ الطَّبَرِىُّ قَالَ : حَضَرْتُ مَجْلِسَ أَبِى عُثْمَانَ الْمَازِنِىِّ وَقَدْ قِيلَ لَهُ : لِمَ قَلَّتْ رِوَايَتُكَ عَنِ الْأَصْمَعِىِّ ؟ قَالَ : رُمِيتُ عِنْدَهُ بِالْقَدَرِ ، وَالْمَيْلِ إِلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الاعْتِزَالِ ، فَجِئْتُهُ يَوْمًا وَهُوَ فِى مَجْلِسِهِ ، فَقَالَ لِى : مَا تَقُولُ فِى قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ » قُلْتُ : سِيبَوَيْهِ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الرَّفْعَ فِيهِ أَقْوَى مِنَ النَّصْبِ فِى الْعَرَبِيَّةِ ، لِاسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ الْمُضْمَرِ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ هَهُنَا شَىْءٌ هُوَ بِالْفِعْلِ أَوْلَى[1] ، وَلَكِنْ أَبَتْ عَامَّةُ الْقُرَّاءِ إِلَّا النَّصْبَ ، وَنَحْنُ نَقْرَؤُهَا كَذَلِكَ اتِّبَاعًا ، لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ سُنَّةٌ . فَقَالَ لِى :

(١) يريد أن الرفع على الابتداء أوفق ، لأنه لا يضطرك إلى تقدير محذوف فيما لو نصبت بفعل محذوف يفسره المذكور ، ثم إنه ليس ههنا ما يدعو إلى الفعل مما اختص به أو غلب فيه « عبد الخالق »

فَمَا الفَرْقُ بَيْنَ الرَّفْعِ وَالنَّصْبِ فِي الْمَعْنَى ؟ فَعَلِمْتُ مُرَادَهُ ، فَخَشِيتُ أَنْ تُغْرَى بِيَ العَامَّةُ فَقُلْتُ : الرَّفْعُ بِالاِبْتِدَاءِ ، وَالنَّصْبُ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ ، وَتَعَامَيْتُ عَلَيْهِ .

فَقَالَ : حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّ الفَرَزْدَقَ قَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ : قُومُوا بِنَا إِلَى مَجْلِسِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُطَلِّقَ النَّوَارَ ، وَأُشْهِدَهُ عَلَى نَفْسِي . فَقَالُوا لَهُ : لَاتَفْعَلْ ، فَلَعَلَّ نَفْسَكَ تَتْبَعُهَا وَتَنْدَمُ . فَقَالَ : لَابُدَّ مِنْ ذَلِكَ ، فَمَضَوْا مَعَهُ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْحَسَنِ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، تَعْلَمَنَّ أَنَّ النَّوَارَ طَالِقٌ ثَلَاثًا ، قَالَ : قَدْ سَمِعْتُ ، فَتَتَبَّعَتْهَا نَفْسُهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَنَدِمَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَعِيِّ لَمَّا
غَدَتْ مِنِّي مُطَلَّقَةً نَوَارُ

وَكَانَتْ جَنَّتِي فَخَرَجْتُ مِنْهَا
كَآدَمَ حِينَ أَخْرَجَهُ الضِّرَارُ

وَلَوْ أَنِّي مَلَكْتُ يَدِي وَنَفْسِي
لَكَانَ عَلَيَّ لِلْقَدَرِ الْخِيَارُ

ثُمَّ قَالَ : وَالْعَرَبُ تَقُولُ : لَوْ خُيِّرْتُ لَاخْتَرْتُ ، تُحِيلُ عَلَى الْقَدَرِ ، وَيُنْشِدُونَ :

هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلُمْنِي أَوْ فَذَرْ
إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَلَمْ يُخْطِ الْقَدَرْ

ثُمَّ أَطْبَقَ نَعْلَيْهِ وَقَالَ : نِعْمَ الْقِنَاعُ لِلْقَدَرِيِّ ، فَأَقْلَتْ غِشْيَانَهُ بَعْدَ ذَلِكَ .

قَالَ الْمُبَرِّدُ : حَدَّثَنِي الْمَازِنِيُّ قَالَ : مَرَرْتُ بِبَنِي عَقِيلٍ ، فَإِذَا رَجُلٌ أَسْوَدُ قَصِيرٌ ، أَعْوَرُ أَبْرَصُ أَكْشَفُ[1] ، قَائِمٌ عَلَى تَلِّ سِمَادٍ ، وَهُوَ يَمْلَأُ جَوَالِيقَ مَعَهُ مِنْ ذَلِكَ السِّمَادِ ، وَهُوَ يُغَنِّي بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

فَإِنْ تَصْرِمِي حَبْلِي وَتَسْتَكْرِهِي وَصْلِي
فَمِثْلُكِ مَوْجُودٌ وَلَنْ تَجِدِي مِثْلِي

(١) الأكشف : من به كشف ، وهو انقلاب فى قصاص الناصية

فَقُلْتُ : صَدَقْتَ وَاللهِ ، وَمَتَى تَجِدُ وَيْحَكَ (١) مِثْلَكَ ؟ فَقَالَ : — بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ — وَاسْمَعْ خَيْراً ، ثُمَّ انْدَفَعَ لِيُنْشِدَ :

يَا رَبَّةَ الْمُطْرَفِ وَالْخَلْخَالِ
مَا أَنْتِ مِنْ هَمِّى وَلَا أَشْغَالِى
« مِثْلُكِ مَوْجُودٌ وَمِثْلِى غَالِى »

﴿ ٢٥ — بِنْدَارُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْكَرْخِىُّ (٢) الْأَصْبَهَانِىُّ * ﴾

بندار الأصبهانى

يُعْرَفُ بِابْنِ لِزَّةَ ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِى الْفِهْرِسْتِ فَقَالَ : أَخَذَ عَنْ أَبِى عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ ، وَأَخَذَ عَنْهُ ابْنُ كَيْسَانَ .

(١) فى العماد : « ويحها »

(٢) فى العماد : « الكرجى » بالجيم

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢٠٨ قال :

يعرف بابن لزة بالزاى المعجمة . قال المبرد :

لما قدمت سامرا فى أيام المتوكل ، آخيت بها بندار بن لزة ، وكان أوحد زمانه فى رواية الشعر ، ودواوين الشعراء ، حتى كان لايشذ عن حافظته من شعر شعراء الجاهلة والاسلام إلا القليل ، وأصح الناس معرفة باللغة ، وكان كل أسبوع يدخل على المتوكل ، فيجمع بينه وبين النحويين ، ثم توصل حتى وصفنى للمتوكل :

ولبندار من الكتب : معانى الشعر ، شرح معانى الباهلى ، جامع اللغة .

وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِىِّ عَنِ ابْنِهِ الْقَاسِمِ : كَانَ بِنْدَارٌ يَحْفَظُ سَبْعَمِائَةِ قَصِيدَةٍ ، أَوَّلُ كُلِّ قَصِيدَةٍ « بَانَتْ سُعَادُ » .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَبَلَغَنِي عَنِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْخَشَّابِ أَنَّهُ قَالَ : أَمْعَنْتُ[1] التَّفْتِيشَ وَالتَّنْقِيرَ[2] فَلَمْ أَقَعْ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ سِتِّينَ قَصِيدَةً ، أَوَّلُهَا بَانَتْ سُعَادُ . وَفِي كِتَابِ أَصْبَهَانَ : كَانَ بِنْدَارُ بْنُ لِرَّةَ ، مُتَقَدِّمًا فِي عِلْمِ اللُّغَةِ وَرِوَايَةِ الشِّعْرِ ، وَكَانَ مِمَّنِ اسْتَوْطَنَ الْكَرْخَ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا إِلَى الْعِرَاقِ ، فَظَهَرَ هُنَاكَ فَضْلُهُ ، وَكَانَ الطُّوسِيُّ صَاحِبُ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، يُوصِّي أَصْحَابَهُ بِالْأَخْذِ عَنْ بِنْدَارٍ ، وَيَقُولُ : هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي وَمِنْ غَيْرِي ، فَخُذُوا عَنْهُ .

قَالَ : وَحَدَّثَ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ فِي أَمَالِيهِ بِبَغْدَادَ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ الْأُمَوِيَّ يَقُولُ : كَانَ بِنْدَارُ بْنُ لِرَّةَ الْأَصْبَهَانِيُّ ، أَحْفَظَ أَهْلِ زَمَانِهِ لِلشِّعْرِ ،

---

(١) أى أبعدت فى الاستقصاء ، وبالغت فيه . وكانت فى الاصل : « معنت » وأصلحت

(٢) أى البحث والتنقيب

وَأَعْلَمَهُمْ بِهِ . أَنْشَدَنِي عَنْ حِفْظِهِ ثَمَانِينَ قَصِيدَةً ، أَوَّلُ كُلِّ قَصِيدَةٍ : « بَانَتْ سُعَادُ » .

قَالَ حَمْزَةُ : وَحَدَّثَنِي النَّوْشَجَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ قَالَ : سَمِعْتُ الْمُبَرِّدَ يَقُولُ : كَانَ سَبَبَ غِنَايَ بِنْدَارُ بْنُ لِرَّةَ الْأَصْبَهَانِيُّ ، وَذَلِكَ أَنِّي حِينَ فَارَقْتُ الْبَصْرَةَ ، وَأَصْعَدْتُ إِلَى سَامَرَّا ، وَرَدْتُهَا فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ ، فَآخَيْتُ بِهَا بِنْدَارَ بْنَ لِرَّةَ ، وَكَانَ وَاحِدَ زَمَانِهِ فِي رِوَايَةِ دَوَاوِينِ شِعْرِ الْعَرَبِ ، حَتَّى كَانَ لَا يَشِذُّ عَنْ حِفْظِهِ ، مِنْ شِعْرِ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَأَصَحَّ النَّاسِ مَعْرِفَةً بِاللُّغَةِ ، وَكَانَ لَهُ كُلَّ أُسْبُوعٍ دَخْلَةٌ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ ، فَجَمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّحْوِيِّينَ فِي دَارِهِ فِي مَجَالِسَ ، وَمَرَّتْ لَيْلَةٌ ، فَرَفَعَ حَدِيثِي إِلَى الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ ، ثُمَّ تَوَصَّلَ إِلَى أَنْ وَصَفَنِي لِلْمُتَوَكِّلِ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِي مَجْلِسَهُ .

وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ يُعْجِبُهُ الْأَخْبَارُ وَالْأَنْسَابُ ، وَيَرْوِي صَدْرًا مِنْهَا ، يَمْتَحِنُ مَنْ يَرَاهُ بِمَا يَقَعُ فِيهَا مِنْ غَرِيبِ اللُّغَةِ ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْ طَرَفِ بِسَاطِهِ ، اسْتَدْنَانِي حَتَّى صِرْتُ

إِلَى جَانِبِ بِنْدَارٍ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا وَقَالَ : يَا بْنَ لِزَّةَ ، وَيَا بْنَ يَزِيدَ ، مَا مَعْنَى هَذِهِ الْأَحْرُفِ الَّتِي جَاءَتْ فِي هَذَا الْخَبَرِ ؟ رَكِبْتُ الدَّجُوجِيَّ[١] ، وَأَمَامِي قَبِيلَةٌ ، فَنَزَلْتُ ثُمَّ شَرِبْتُ الصَّبَاحَ[٢] ، فَمَرَرْتُ وَلَيْسَ أَمَامِي إِلَّا نُجَيْمٌ ، فَرَكَضْتُ أَمَامِي النَّحُوصَ[٣] وَالْمِسْحَلَ[٤] وَالْعَمَرَّدَ[٥] ، فَقَنَصْتُ ثُمَّ عَطَفْتُ وَرَائِي إِلَى قَلُوبٍ[٦] فَلَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى أَذَقْتُهُ الْحِمَامَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَرَائِي ، فَلَمْ أَزَلْ أُمَارِسُ الْأَغْضَفَ[٧] فِي قَتْلِهِ ، فَحَمَلَ عَلَيَّ ، وَحَمَلْتُ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَّ صَرِيعًا . قَالَ الْمُبَرِّدُ : فَبَقِيتُ مُتَحَيِّرًا ، فَبَدَرَ بِنْدَارٌ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فِي هَذَا نَظَرٌ وَرَوِيَّةٌ ، فَقَالَ : قَدْ أَجَّلْتُكُمَا بَيَاضَ يَوْمِي ، فَانْصَرِفَا وَبَاكِرَانِي غَدًا ، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، فَأَقْبَلَ بِنْدَارٌ عَلَيَّ وَقَالَ : إِنْ سَاعَدَكَ الْجَدُّ ظَفِرْتَ بِهَذَا الْخَبَرِ ، فَاطْلُبْ فَإِنِّي طَالِبُهُ ، فَانْقَلَبْتُ إِلَى مَنْزِلِي ، وَقَلَّبْتُ الدَّفَاتِرَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ ، حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى هَذَا الْخَبَرِ ، فِي أَثْنَاءِ أَخْبَارِ الْأَعْرَابِ ،

---

(١) الدجوجى : الناقة الشديدة السواد ، والقبيلة صخرة على بئر (٢) وقت الصباح : أول الفجر (٣) الأتان الوحشية الحائل ، أى التى لا ولد لها ولا لبن ، وذلك أدعى إلى السمن (٤) ما يكون أمام الحمر الوحشية ، كاليعسوب فى النحل

(٥) والعمرد : من أسماء الاسد (٦) القلوب كتنور : الذئب (٧) الاغضف : الاسد المتثنى ، أو الذى استرخت أجفانه العليا على عينيه غضباً أو كبراً

فتحفظته ، وباكرت بندارًا فأنهضته معي وصحبناه ، وبدأت فرويت الخبر ، ثم فسرت ألفاظه ، فالتفت إلى بندار وقال : أبن يزيد فوق ما وصفتم . ثم قال للغلام : على بالخازن ، فحضر فقال له : اخرج إلى ابن يزيد ، وقل للحاجب : يسهل إذنه على ، فصار ذلك أصل مالي . وكان بندار — رحمه الله — أصله وسببه .

قرأت بخط عبد السلام البصري ، في كتاب عقلاء المجانين ، لأبي بكر بن محمد الأزهري : حدثنا محمد ابن أبي الأزهر قال : كنت يومًا في مجلس بندار بن لزة الكرخي ، بحضرة منزله ، في درب عبد الرحيم الرزامي [١] بدكان الأبناء ، وعنده جماعة من أصحابه ، إذ هجم علينا المسجد بردعة الموسوس ، ومعه مخلاة فيها دفاتر ، وجزازات [٢] ، وقد تبعه الصبيان ، فجلس إلى

---

(١) نسبة إلى رزام ، بكسر الراء حوض رزام : محلة بمرو الشاهجان ، منسوبة إلى رزام ابن أبي رزام المطوعي الرزامي ، غزا مع عبد الله بن المبارك ، واستشهد قبل موت ابن المبارك بسنتين . معجم البلدان ج ٤ ص ٢٤٧

(٢) الجزازة : وريقات تعلق فيها الفوائد ، وهو مجاز . جمع جزازة

جَانِبِ بِنْدَارٍ ، وَكَأَنَّ بِنْدَاراً فَرِقَ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : اُطْرُدْ وَيْلَكَ هَؤُلَاءِ الصِّبْيَانَ عَنِّى ، فَقَالَ لَهُمْ : اُطْرُدُوهُمْ عَنْهُ ، فَوَثَبْتُ أَنَا مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ ، فَصِحْتُ عَلَيْهِمْ وَطَرَدْتُهُمْ فَجَلَسَ سَاعَةً ، ثُمَّ وَثَبَ فَنظَرَ هَلْ يَرَى مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَلَمَّا لَمْ يَرَهُمْ ، رَجَعَ فَجَلَسَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : اُكْتُبُوا : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ عَسْكَرٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ قَالَ : سُئِلَ الشَّعْبِيُّ مَا اسْمُ امْرَأَةِ إِبْلِيسَ ؟ فَقَالَ : هَذَا عُرْسٌ لَمْ أَشْهَدْ إِمْلَاكَهُ [1] . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى بِنْدَارٍ ، فَقَالَ : يَاشَيْخُ ، مَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ ؟ :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلَى تَبَرْقَعَتْ
فَقَدْ رَابَنِي مِنْهَا الْغَدَاةَ سُفُورُهَا

فَقَالَ لَنَا بِنْدَارٌ : أَجِيبُوهُ . فَقَالَ : يَا مَجْنُونُ ، أَسْأَلُكَ وَيُجِيبُ غَيْرُكَ ! فَقَالَ بِنْدَارٌ : يَقُولُ إِنَّهُ لَمَّا رَآهَا فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْهُ مِنْ سُفُورِهَا ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْهَدُ [2] مِنْهَا ، عَلِمَ أَنَّهَا

(١) أي عقده

(٢) أي يعرف

قَدَ حَذَّرَتْهُ مَنْ بِحَضْرَتِهَا ، لِيُحْجِمَ عَنْ كَلَامِهَا ، وَانْبِسَاطِهِ إِلَيْهَا ، فَضَحِكَ وَمَسَحَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ بُنْدَارٍ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا كَيِّسُ(١) ، وَكَانَ بُنْدَارٌ قَدْ قَارَبَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تِسْعِينَ سَنَةً .

﴿ ٢٦ — بِهْزَادُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ ، يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ ، بْنِ خُرَّزَادَ * ﴾

بهزاد بن يوسف

النَّجِيرَمِيُّ(٢) ، رَاوِيَةٌ نَحْوِيٌّ فِي طَبَقَةِ أَبِيهِ ، مَاتَ قَبْلَ أَبِيهِ بِمَا يُقَارِبُ الثَّلَاثَةَ شُهُورٍ(٣) بِمِصْرَ ، وَذَلِكَ لِسَبْعٍ

(١) الكيس : الظريف الفطن ، المتوقد الذهن

(٢) النجيرمي : نسبة الى نجيرم بفتح النون والجيم وفتح الراء ويروى بكسر الجيم ، وربما قيل « نجارم » بالالف بعد الجيم

قال السمعاني : هي محلة بالبصرة ، وقيل : هي بليدة مشهورة دون سيراف ، مما يلي البصرة ، على جبل هناك على ساحل البحر ، وليست كبيرة ، ولا بها آثار تدل على أنها كانت كبيرة أولا ، فان كان بالبصرة محلة يقال لها نجيرم ، فهي ناقلة هذا الاسم اليها ، وليس مثلها ما ينقل منها قوم ، يصير لهم محلة .

وقد نسب اليها قوم من أهل الادب والحديث : منهم ابراهيم بن عبد الله النجيرمي ، ويوسف بن يعقوب النجيرمي والد المترجم له ، وابنه بهزاد بن يوسف المترجم له : ا . ه . ملخصاً معجم البلدان ج ٨ ص ٢٧٠

وله ترجمة أخرى فى كتاب بغية الوعاة ص ٢٠٨

(٣) هذا التركيب غير صحيح ، وقد نبهنا عليه مرة قبل « عبد الخالق »

خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالٍ، سَنَةَ ثَلاثٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمائَةٍ ، قَالَ السَّمْعَانِيُّ فِي كِتَابِ الأَنْسَابِ : نَجِيْرَمُ ، مَحَلَّةٌ بِالْبَصْرَةِ ، إِلَيْهَا يُنْسَبُ النَّجِيْرَمِيُّونَ .

﴿ ٢٧ – تَمَّامُ بْنُ غَالِبِ بْنِ عَمْرٍو ، يُعْرَفُ بِابْنِ التَّيَّانِ[1] ﴾ *

تمام بن غالب

أَبُو غَالِبٍ الْمُرْسِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ . بِخَطِّ بْنِ يَخْلُمَ ، قَالَ

(١) عند الحميدى والضبى ووفيات الاعيان: « التيانى » وقالوا فى التعليل لهذه النسبة : نظن أنه نسبة إلى بيع التين ، وكذلك جاء فى معجم الادباء مثل ذلك ، ولما كانت النسبة ظنية ، فقد بحثت فى معجم البلدان عن نسبة يصح الركون اليها ، فلم أعثر إلا على « تيان » بكسر التاء وفتح الياء مخففة : ماء فى ديار بنى هوازن .

(*) ترجم له فى بغية الوعاة ص ٢٠٩ بما يأتى :

تمام بن غالب ، بن عمرو ، يعرف بابن التيان ، بفتح المثناة من فوق ، وتشديد التحتية ، اللغوى القرطبى ، ثم المرسى أبو غالب »

قال الحميدى : كان إماماً فى اللغة ، ثقة فى إيرادها ، ديناً ورعاً ، صنف تلقيح العين فى اللغة ، لم يؤلف مثله اختصاراً وإكثاراً ، وسأله الامير أبو الجيش أيام غلبته ، بألف دينار أندلسياً ، على أن يزيد فى ترجمة هذا الكتاب ، مما ألفه تمام بن غالب ، برسم أبى الجيش ، فرد الدنانير ولم يفعل ، وقال : والله لو بذلى لى ملء الدنيا ما فعلت ، ولا أستجيز الكذب ، فانى لم أجمعه له خاصة ، لكن لكل طالب عامة .

قال الحميدى : فأعجب بهمة هذا الرئيس وعلوها ، وأعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها ، وقال ابن بشكوال فى الصلة : كان بقية شيوخ اللغة ، الضابطين لحروفها ، الحاذقين بمقاييسها. مات بالمرية فى إحدى الجمادين : سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة

سَعْدُ الْخَيْرِ : مُرْسِيَةُ بَلْدَةٌ حَسَنَةٌ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، كَثِيرَةُ التِّينِ ، يُجْلَبُ مِنْهَا إِلَى سَائِرِ الْبُلْدَانِ ، فَلَعَلَّهُ نُسِبَ إِلَيْهِ لِبَيْعِ التِّينِ .

ذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيُّ فَقَالَ : كَانَ إِمَاماً فِي اللُّغَةِ ، وَثِقَةً فِي إِيرَادِهَا ، مَذْكُوراً بِالدِّيَانَةِ وَالْوَرَعِ ، مَاتَ بِالْمَرِيَّةِ[١] فِي جُمَادَى ، سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ ، وَلَهُ كِتَابُ تَلْقِيحِ الْعَيْنِ فِي اللُّغَةِ ، لَمْ يُؤَلَّفْ مِثْلُهُ اخْتِصَاراً وَإِكْثَاراً ، وَلَهُ فِيهِ قِصَّةٌ تَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمِيرَ أَبَا الْجَيْشِ ، مُجَاهِدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْعَامِرِيَّ ، وَهُوَ أَحَدُ الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَى تِلْكَ

---

(١) المرية بفتح الميم وكسر الراء وتشديد الياء : مدينة كبيرة من كورة ألبيرة ، من أعمال الأندلس ، وكانت هي وبجاية بابى الشرق ، منها يركب التجار ، وفيها تحل مراكب التجار ، وينسب اليها خلق كثير من أهل العلم والادب ، والمرية أيضاً مرية بلش بفتح الباء وكسر اللام المشددة وشين معجمة : بلدة أخرى بالاندلس أيضاً : من أعمال رية ، على ضفة النهر ، كانت مرسى يركب منه فى البحر إلى بلاد البربر ، فى العدوة من البر الاعظم ، والمرية أيضاً : قرية بين واسط والبصرة ، قرب نهر دقلا ، من ناحية البصرة ، فى أجم القصب ، بقربها قرية يقال لها المنيثة معجم البلدان ج ٨ ص ٤٣ ا . هـ . ملخصاً

النَّوَاحِي ، وَجَّهَ إِلَى أَبِي غَالِبٍ هَذَا ـ أَيَّامَ غَلَبَتِهِ عَلَى مُرْسِيَةَ وَأَبُو غَالِبٍ سَاكِنٌ بِهَا ـ أَلْفَ دِينَارٍ أَنْدَلُسِيَّةٍ ، عَلَى أَنْ يَزِيدَ فِي تَرْجَمَةِ هذَا الْكِتَابِ « مِمَّا أَلَّفَهُ تَمَّامُ بْنُ غَالِبٍ لِأَبِي الْجَيْشِ مُجَاهِدٍ » فَرَدَّ الدَّنَانِيرَ وَلَمْ يَفْعَلْ ، وَقَالَ : وَاللهِ لَوْ بَذَلَ لِي مِلْءَ الدُّنْيَا مَا فَعَلْتُ ، وَلَا اسْتَجَزْتُ الْكَذِبَ ، فَإِنِّي لَمْ أَجْمَعْهُ لَهُ خَاصَّةً ، لَكِنْ لِكُلِّ طَالِبٍ عَامَّةً .

قَالَ الْحُمَيْدِيُّ : فَاعْجَبْ لِهِمَّةِ هَذَا الرَّئِيسِ وَعُلُوِّهَا ، وَاعْجَبْ لِنَفْسِ هذَا الْعَالِمِ وَنَزَاهَتِهَا :

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ، خَلَفُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، بْنِ بَشْكُوَالٍ الْأَنْصَارِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ : فِي كِتَابِ الصِّلَةِ مِنْ تَصْنِيفِهِ ، وَهُوَ كِتَابٌ وَصَلَ بِهِ كِتَابَ ابْنِ الْفَرَضِيِّ فِي تَارِيخِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ ، قَالَ ابْنُ حَيَّانَ : وَلَهُ كِتَابٌ جَامِعٌ فِي اللُّغَةِ ، سَمَّاهُ تَلْقِيحَ الْعَيْنِ ، جَمُّ الْإِفَادَةِ ، وَكَانَ بَقِيَّةَ شُيُوخِ اللُّغَةِ الضَّابِطِينَ

لِحُرُوفِهَا ، الحَاذِقِينَ بِمَقَايِيسِهَا ، وَكَانَ ثِقَةً صَدُوقاً عَفِيفاً ، وَذَكَرَ وَفَاتَهُ كَمَا تَقَدَّمَ .

٢٨ — تَوْفِيقُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ الْحُسَيْنِ ، بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ مُحَمَّدِ ، بْنِ زُرَيْقٍ *

توفيق الاطرابلسى

أَبُو مُحَمَّدٍ الْإِطْرَابُلْسِيُّ النَّحْوِيُّ ، كَانَ جَدُّهُ مُحَمَّدُ بْنُ زُرَيْقٍ ، يَتَوَلَّى أَمْرَ الثُّغُورِ مِنْ قِبَلِ الطَّائِعِ لِلّٰهِ ، وَانْتَقَلَ ابْنُهُ عُبَيْدُ اللهِ إِلَى الشَّامِ ، وَوُلِدَ تَوْفِيقٌ بِإِطْرَابُلُسَ ، وَسَكَنَ دِمَشْقَ ، وَكَانَ أَدِيباً فَاضِلًا ، شَاعِراً ، وَكَانَ يُتَّهَمُ بِقِلَّةِ الدِّينِ ، وَالْمَيْلِ إِلَى مَذَاهِبِ الْأَوَائِلِ ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

(*) ترجم له فى بغية الوعاة ص ٢٠٩ بترجمة موجزة لا تختلف فى مغزاها عن ترجمة ياقوت ، إلا أن هناك اختلافاً فى تاريخ موته ، لذلك لم أر محيصاً من ذكرها وهى :

« توفيق بن محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن زريق ، أبو محمد الاطرابلسى النحوى » .

ولد باطرابلس ، وسكن دمشق ، كان أديباً ، فاضلا ، شاعراً ، يتهم بقلة الدين ، والميل إلى مذهب الاوائل . مات فى صفر ، سنة ست عشرة وخمسمائة .

وَجُلَّنَارٍ (١) كَأَعْرَافِ الدُّيُوكِ عَلَى
خُضْرٍ يَمِيسُ كَأَذْنَابِ الطَّوَاوِيسِ
مِثْلِ الْعَرُوسِ تَجَلَّتْ يَوْمَ زِينَتِهَا
حَمْرَاءَ تُجْلَى (٢) عَلَى خُضْرِ الْمَلَابِيسِ
فِي مَجْلِسٍ لَعِبَتْ أَيْدِي السُّرُورِ بِهِ
لَدَى عَرِيشٍ (٣) يُحَاكِي عَرْشَ بَلْقِيسِ
سَقَى الْحَيَا أَرْبُعًا تَحْيَا النُّفُوسُ بِهَا
مَا بَيْنَ مَقْرَى إِلَى بَابِ الْفَرَادِيسِ (٤)

مَاتَ فِي صَفَرٍ، سَنَةَ عَشْرَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ بَابِ الْفَرَادِيسِ

---

(١) الجلنار : بضم الجيم وفتح اللام المشددة : زهر الرمان

(٢) وفى نسخة العماد الخطية وهذا الاصل : « حمر الحلى » وهو جمع لا يناسب صدر البيت ، فأصلحناه إلى ما ذكر

(٣) العريش : عيدان ترفع قضبان الكرم عليها ، وخيمة من خشب يطرح فوقها الثمام

(٤) باب الفراديس : باب من أبواب دمشق . معجم البلدان ج ٦ ص ٣٤٩

٢٩ – ثَابِتُ بْنُ الْحُسَيْنِ، بْنِ شُرَاعَةَ *

ثابت التميمى

أَبُو طَالِبٍ التَّمِيمِيُّ الْأَدِيبُ، ذَكَرَهُ شِيرَوَيْهِ فَقَالَ: رَوَى عَنِ ابْنِ سَلَمَةَ، وَابْنِ عِيسَى، وَأَبِي الْفَضْلِ، مُحَمَّدِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ الرَّشِيدِيِّ، وَمَنْصُورِ بْنِ رَامِشٍ، وَالرَّيْحَانِيِّ وَغَيْرِهِمْ. سَمِعْتُ مِنْهُ، وَكَانَ صَدُوقاً. تُوُفِّيَ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ صَفَرٍ، سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

٣٠ – ثَابِتُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْكُوفِيُّ *

ثابت الكوفى

قَالَ الزُّبَيْدِيُّ: كَانَ مِنْ أَمْثَلِ (١) أَصْحَابِ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ، وَقِيلَ: اسْمُ أَبِي ثَابِتٍ سَعِيدٌ.

---

(١) أمثل: أفضل. يقال «هذا أمثل قومه» أى أفضلهم.

(*) لم نعثر له على من ترجم له غير ياقوت

(*) ترجم له فى بغية الوعاة ص ٢١٠ بترجمة فى معناها، كترجمة ياقوت، إلا أن هناك فرقا دقيقاً، لم يتعرض له ياقوت، فنثبته ههنا، وهى:

«ثابت بن ثابت، بن أبى ثابت على بن عبد الله الكوفى».

قال الصفدى: كان من كبار الكوفيين، من أمثال أصحاب أبى عبيد بن سلام، نحويا لغويا، لقى فصحاء الأعراب، وصنف مختصر العربية، وخلق الانسان، والفرق، وخلق الفرس، والزجر، والدعاء، والوحوش، والعروض، وقيل اسم أبيه سعيد، وقيل محمد. قلت: وأنا أظنه الذى قبله، وجاء الخلاف فى اسم الأب

وَقَالَ النَّدِيمُ : قَالَ السُّكَّرِيُّ : اسْمُ أَبِي ثَابِتٍ مُحَمَّدٌ ، لُغَوِيٌّ ، لَقِيَ فُصَحَاءَ الْأَعْرَابِ ، وَأَخَذَ عَنْهُمْ ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ الْكُوفِيِّينَ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ ، كِتَابُ الْفَرْقِ : كِتَابُ الزَّجْرِ وَالدُّعَاءِ ، كِتَابُ خَلْقِ الْفَرَسِ ، كِتَابُ الْوُحُوشِ ، كِتَابُ مُخْتَصَرِ الْعَرَبِيَّةِ ، كِتَابُ الْعَرُوضِ .

﴿ ٣١ – ثَابِتُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ ، عَبْدِ الْعَزِيزِ اللُّغَوِيُّ * ﴾

ثابت اللغوى

الَّذِي لَهُ كِتَابُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ ، مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ . يَرْوِي عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ ، وَأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ ابْنِ الْمُغِيرَةِ الْأَثْرَمِ (١) ، وَاللِّحْيَانِيِّ ، وَأَبِي نَصْرٍ أَحْمَدَ بْنِ حَاتِمٍ ، وَسَلَمَةَ بْنِ عَاصِمٍ التَّمِيمِيِّ ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ وَآخَرِينَ ، رَوَى عَنْهُ أَبُو الْفَوَارِسِ دَاوُدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ،

---

(١) الأثرم : من سقطت أو تكسرت إحدى أسنانه المقدمة

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢١٠ بترجمة زاد عليها ما يأتى :

روى عنه ابنه عبد العزيز . وقال الدانى : هو نحوى روى القراءة عنه الحسين بن ميان ، وله كتب كثيرة فى اللغة ، منها : كتاب خلق الانسان

ابْنِ صَالِحٍ الْمَرْوَزِىُّ النَّحْوِىُّ ، الْمَعْرُوفُ بِصَاحِبِ ابْنِ السِّكِّيتِ ، وَابْنُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ ثَابِتٍ . وَاسْمُ أَبِى ثَابِتٍ أَبِيهِ ، عَبْدُ الْعَزِيزِ ، مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، جَلِيلُ الْقَدْرِ ، مَوْثُوقٌ بِهِ ، مَقْبُولُ الْقَوْلِ فِى اللُّغَةِ ، يُعْرَفُ بِوَرَّاقِ أَبِى عُبَيْدٍ .

﴿ ٣٢ — ثَابِتُ بْنُ سِنَانِ ، بْنِ ثَابِتٍ ، بْنِ قُرَّةَ ، ﴾
﴿ ابْنِ مَرْوَانَ الصَّابِىءِ ، ﴾ (*)

ثابت بن سنان

أَبُو الْحَسَنِ ، الطَّبِيبُ الْمُؤَرِّخُ ، مَاتَ فِيمَا ذَكَرَهُ هِلَالُ ابْنُ الْمُحَسِّنِ ، لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ ذِى الْقَعْدَةِ ، سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ قَدْ ذَكَرَ فِى تَارِيخِهِ إِلَى آخِرِ سَنَةِ سِتِّينَ ، وَوَصَلَ هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ مِنْ أَوَّلِ

(*) ترجم له فى كتاب تاريخ الاسلام للذهبى ، مجلد ١٥ صفحة ٢٣٢ قال :
هو الفيلسوف الحاسب ، نزيل بغداد ، وكان إليه المنتهى فى علوم الاوائل ، حقها وباطلها ، صنف تصانيف كثيرة ، وكان بارعاً فى فن الهيئة والهندسة ، وله عقب ببغداد ، على دين الصابئية ، وكان ابنه ابراهيم بن ثابت ، رأساً فى الطب ، وأما حفيده ، صاحب التاريخ المشهور ، ثابت بن سنان ، بن ثابت ، بن قرة ، فكان أيضاً علامة فى الطب ، تركن النفس إلى ما يوجهه ، مات على كفره .
وأما ثابت بن قرة ، فأول أمره كان صيرفياً بحران ، ثم استصحبه محمد بن موسى ، —

سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَثَلاثِمائَةٍ ، وَكَانَ أَبُو الْحَسَنِ طَبِيباً حَاذِقاً ، وَأَدِيباً بَارِعاً ، وَلَهُ كِتَابُ التَّارِيخِ ، الَّذِى ابْتَدَأَ بِهِ مِنْ أَوَّلِ أَيَّامِ الْمُقْتَدِرِ ، وَلَهُ كِتَابٌ مُفْرَدٌ فِى أَخْبَارِ الشَّامِ وَمِصْرَ ، مُجَلَّدٌ وَاحِدٌ . وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِلَالٍ الصَّابِئُ ، يَرْثِى خَالَهُ أَبَا الْحَسَنِ ، ثَابِتَ بْنَ سِنَانٍ ، بْنِ ثَابِتٍ ، بْنِ قُرَّةَ :

أَسَامِعٌ أَنْتَ يَا مَنْ ضَمَّهُ الْجَدَفُ (١)

نَشِيجَ بَاكٍ حَزِينٍ دَمْعُهُ يَكِفُ (٢)

— ابن شاكر ، لما انصرف من بلد الروم ، فأنه رآه فصيحاً ذكياً ، ويقال : إنه قدم على محمد بن موسى ، فتكلم عنده فوصله إلى المعتضد ، وأدخله فى جملة المنجمين ، فكان أصل ماتجدد للصابئين من الرياسة والوجاهة ببغداد .

وقال ابن أبى أصيبعة : لم يكن فى زمان ثابت بن قرة الحكيم من يماثله فى الطب ، ولا فى جميع أنواع الفلسفة ، وتصانيفه موصوفة بالجودة ، ونال رتبة عالية إلى الغاية عند المعتضد ، وأقطعه ضياعا جليلة . وكان يجلس عنده والوزير قائم ، وله من التلامذة فى الطب : عيسى بن أسد النصرانى المشهور ، قلت : توفى لا إلى رحمة الله ، سنة ثمان وثمانين ومائتين .

وترجم له فى بغية الوعاة ص ٢١٠

وترجم له فى كتاب الاعلام ج أول ص ١٦٩

(١) الجدف : القبر : بالدال ، وكانت فى الاصل — « الجرف » وأصلحت ، ورأيى أنها الجدث ، ومنه قوله تعالى « يوم يخرجون من الأجداث » جمع جدث ، أى من قبورهم . والنشيج : صوت الباكى . (٢) من وكف الدمع والماء : سال

وَزَفْرَةً مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ مَبْعَثُهَا
يَكَادُ مِنْهَا حِجَابُ الصَّدْرِ يَنْكَشِفُ

أَثَابِتُ بْنُ سِنَانٍ دَعْوَةٌ شَهِدَتْ
لِرَبِّهَا أَنَّهُ ذُو غُلَّةٍ أَسِفُ

مَا بَالُ طِبِّكَ مَا يَشْفِي وَكُنْتَ بِهِ
تَشْفِي الْعَلِيلَ إِذَا مَا شَفَّهُ الدَّنَفُ [1]

غَالَتْكَ غُولُ [2] الْمَنَايَا فَاسْتَكَنْتَ لَهَا
وَكُنْتَ ذَائِدَهَا [3] وَالرُّوحُ تُخْتَطَفُ

فَارَقْتَنِي كَفِرَاقِ الْكَفِّ صَاحِبَهَا
أَطَنَّهَا [4] ضَارِبٌ مِنْ زَنْدِهَا نَطِفُ

فَتَتَّ [5] فِي عَضُدِي يَا مَنْ غَنِيتُ بِهِ
أَفَتَّ فِي عَضُدِ الْبَاغِي وَأَنْتَصِفُ [6]

---

(١) دنف المريض : ثقل وأشرف على الموت، والدنف : المرض الملازم ، والطب بفتح الطاء : العالم بالطب ، وبالكسر : الشهوة والارادة والشأن

(٢) الغول : السعلاة ، وهي دابة وهمية زعمت العرب أنها تتعرض للناس فى الفلوات فتهلكهم . والهلكة والداهية (٣) أى المدافع عنها (٤) أى قطعها ، والنطف : الرجل المريب (٥) أى أوهنتنى وأضعفتنى (٦) أى : آخذ بحقى منه وكانت فى الاصل : « انتطف » فجعلتها « انتصف » « عبد الخالق »

ثَوَى (١) بِمَغْنَاكَ فِي لَحْدٍ سَكَنْتَ بِهِ
الدِّينُ وَالْعَقْلُ وَالْعَلْيَاءُ وَالشَّرَفُ
لَهْفِي عَلَيْكَ كَرِيمًا فِي عَشِيرَتِهِ
مُمَهَّدًا جِسْمُهُ مِنْ نِعْمَةٍ تَرِفُ (٢)
قَدْ أَسْلَمُوهُ (٣) إِلَى غَبْرَاءَ يَشْمَلُهُ
فِيهَا التُّرَابُ فَمِنْهَا الْفَرْشُ وَاللُّحُفُ

﴿ ٣٣ – ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجُرْجَانِيُّ (٤) * ﴾

ثابت الجرجاني

أَبُو الْفُتُوحِ ، ذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيُّ فِي كِتَابِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ فَقَالَ :

(١) ثوى : أقام ، والمغنى : المكان الآهل بمن فيه

(٢) أى مترف منعم

(٣) كانت فى الاصل هذا : « سلموه » بالتضعيف ، فأصلحتها إلى ما ترى

(٤) نسبة الى جرجان ، بضم أوله وسكون ثانيه ، وفتح ثالثه وآخره نون : مدينة عظيمة مشهورة ، بين طبرستان وخراسان ، فبعض يعدها من هذه ، وبعض يعدها من هذه ، وقيل : إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب أبى صفرة ، وقد خرج منها خلق من الادباء والعلماء ، والفقهاء والمحدثين ، ولها تاريخ ألفه حمزة بن يزيد السهمى .

ولأبى الغمر فى وصف جرجان :

هى جنة الدنيا التى هى سجسج ... يرضى بها المحرور والمقرور
سهلية جبليــة بحــرية ... يحتل فيهــا منجد ومغير
وإذا غدا القناص راح بما اشتهى ... طبــاخه فلهيج وقديرـــ

دَخَلَ إِلَى الأَنْدَلُسِ، وجَالَ فِى أَقطَارِهَا، وَبَلَغَ إِلَى ثُغُورِهَا، واجْتمَعَ بِمُلُوكِهَا، وَكَانَ إِمَامًا فِى العَرَبِيَّةِ، مُتمَكِّنًا فِى عِلْمِ العَرَبِ.

قَالَ ابنُ بَشْكُوَالَ: قُتِلَ فِى مُحَرَّمٍ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، قَتَلَهُ بَادِيسُ بْنُ حَبُّوسٍ، أَمِيرُ صُنْهَاجَةَ، لِتُهْمَةٍ لَحِقَتْهُ عِنْدَهُ، فِى القِيَامِ عَلَيْهِ مَعَ ابنِ عَمِّهِ بِيَدْرِ بْنِ جَبَّاسَةَ. وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. وَكَانَ مَعَ تَحَقُّقِهِ بِالأَدَبِ.

— قبج ودراج وسرب تدارج قد ضمهن الظبي واليعفور
غربت بهن أجادل وزرازر وبواشق وفهودة وصقور

إلى أن قال:

وكأنما نوارها برياضها للمبصريه سندس منشور

وقال فى وصفها غير واحد من أهل العلم والادب، منهم الصاحب كافى الكفاة، وأبو منصور الثعالبي، وأبونجيد، وكثير غيرهم. وإلى هنا نمسك بالقلم خشية الاطالة وكنى بهذا ملخصاً. معجم البلدان ج ٣ ص ٧٥، ٧٦

(*) ترجم له فى بغية الوعاة ص ٢١٠ بترجمة دقيقة موجزة، وبها زيادة لم يذكرها ياقوت غير أنها دقيقة، فرأيت إثباتها لذلك:

« ثابت بن محمد، أبو الفتوح الجرجانى الاندلسى النحوى »

قال الحميدى: كان إماماً فى العربية، متمكناً فى الآداب. وقال ابن بشكوال: كان قيما بعلم المنطق، شرح جمل الزجاجى، وروى عن ابن جنى، وعلى بن عيسى الربعى. وقتله باديس أمير صنهاجة لتهمة لحقته عنده، فى القيام عليه مع ابن عمه، فى محرم، سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، ومولده سنة خمسين وثلاثمائة.

قيِّماً بعلمِ المنطقِ ، ودَخَل بغدادَ وأقامَ بِها طالباً ، وأملى بالأندلسِ كتابَ شرحِ الجُمَلِ للزّجّاجِ . روَى ببغدادَ عنِ ابنِ جِنّى ، وعليِّ بنِ عيسى الرَّبعىّ ، وعبدِ السَّلامِ بنِ الحُسينِ البَصْرىّ ، وروَى كثيراً مِنْ عِلمِ الأدبِ.

وحدَّث الحُميدىُّ عَنْ أبى محمَّدٍ علىِّ بنِ أحمَدَ ، عَنِ البراءِ ابنِ عبدِ الملكِ الباجىّ قالَ : لمَّا وَرَدَ أبو الفتوحِ الجُرجانىُّ الأندلسَ ، كانَ أوّلُ مَنْ لقِىَ مِنْ مُلوكِها ، الأميرَ الموفّقَ أبا الجيشِ مُجاهِداً العامِرىَّ ، فأكرمَهُ وبالَغَ فى إكرامِهِ ، فسألَهُ عَنْ رفيقِهِ ، مَنْ هذا معَكَ ؟ فقالَ :

رفيقانِ شتَّى ألَّفَ الدَّهرُ بيْننا
وقدْ يلتقِى الشّتّى فيأتلفانِ

قالَ أبو محمَّدٍ : ثُمَّ لقيتُ بَعدَ ذلِكَ أبا الفتوحِ ، فأخبرَنى عَنْ بعضِ شيوخِهِ : أنَّ ابنَ الأعرابىِّ رأى فى مَجلِسِهِ رَجُلَيْنِ يتحادثانِ ، فقالَ لأحدِهِما : مِنْ أيْنَ أنتَ ؟ فقالَ : مِنْ إسْبيجابَ ، وقالَ للآخرِ : مِنْ أيْنَ أنتَ ؟

فَقَالَ : مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، فَعَجِبَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ ، فَأَنْشَدَ الْبَيْتَ الْمُقَدَّمَ ، ثُمَّ أَنْشَدَنِي تَمَامَهَا :

نَزَلْتُ عَلَى قَيْنَسِيَّةٍ يَمَنِيَّةٍ
لَهَا نَسَبٌ فِي الصَّالِحِينَ هِجَانُ [1]

فَقَالَتْ وَأَرْخَتْ جَانِبَ السِّتْرِ دُونَنَا
لِأَيَّةِ أَرْضٍ أَمْ مَنِ الرَّجُلَانِ ؟

فَقُلْتُ لَهَا : أَمَّا رَفِيقِي فَقَوْمُهُ
تَمِيمٌ وَأَمَّا أُسْرَتِي فَيَمَانِي

رَفِيقَانِ شَتَّى [2] أَلَّفَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
وَقَدْ يَلْتَقِي الشَّتَّى [3] فَيَأْتَلِفَانِ

٣٤ — أَبُو ثَرْوَانَ الْعُكْلِيُّ [4] *

أبو ثروان العكلى

أَحَدُ بَنِي عُكْلٍ ، وَعُكْلُ : اسْمُ امْرَأَةٍ حَضَنَتْ وَلَدَ

(١) الهجان : الخيار والخالص . ومن الرجال : الكريم الحسيب ، ومن الابل : البيض الكرام ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع .

(٢) أى من قبائل متفرقة

(٣) أى المتفرقون

(٤) نسبة إلى عكل ، بضم أوله وسكون ثانيه وآخره لام . قال الأزهرى : يقال :—

عَوْفِ بنِ وَائِلِ ، بنِ قَيْسِ ، بنِ عَوْفِ ، بنِ عَبْدِ مَنَافِ ، ابْنِ أُدٍّ ، بنِ طَابِخَةَ ، بنِ إِلْيَاسَ ، بنِ مُضَرَ ، بنِ نِزَارِ ، بنِ مَعَدٍّ ، بنِ عدْنَانَ . وَهِيَ أَمَةٌ لَهُمْ ، وَأُمُّهُمْ بِنْتُ ذِي اللِّحْيَةِ ابنِ حِمْيَرَ ، وَكَانَ ثَطًّا [1] فسُمِّيَ بِضِدِّ صِفَتِهِ ، وَبَنُو عَوْفِ ابْنِ وَائِلٍ : الْحَارِثُ ، وَجُشَمُ ، وَسَعْدٌ ، وَعَلِيٌّ ، وَقَيْسٌ دَرَجَ [2] وَلَا عَقِبَ لَهُ ، فَكُلُّ مَنْ وَلَدَهُ وَاحِدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ ، كَانَ عُكْلِيًّا . وَكَانَ أَبُو ثَرْوَانَ أَعْرَابِيًّا بَدَوِيًّا ، تَعَلَّمَ فِي الْبَادِيَةِ لَدَى [3] ، ذَكَرَهُ يَعْقُوبُ بنُ السِّكِّيتِ ، وَوُجِدَ بِخَطِّهِ ، وَكَانَ فَصِيحًا . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ :

— رجل عاكل : وهو القصير البخيل المشؤوم ، وجمعه عكل . وعكل : قبيلة من الرباب تستحمق ، يقولون : لمن يستحمقونه عكلى ، وهو إسم امرأة حضنت بنى عوف بن وائل الخ ما جاء فى ياقوت ، إلى أن قال : فغلبت عليهم وسموا باسمها ، وهم الحارث إلى آخر ما فى ياقوت ، ثم قال ، وعكل : إسم بلد من العمرانى ، وأظن أن الكلاب العكلية تنسب إليه ، وهى هذه التى فى الاسواق ، والسلوقية التى يصاد بها . ا . ه ، معجم البلدان ج ٦ ص ٢٠٤

(*) ترجم له فى كتاب فهرست ابن النديم ، صفحة ٦٩ بما يأتى :

إسمه الوحشى ، من بنى عكل ، أعرابى فصيح ، يعلم فى البادية . كذا ذكره يعقوب ابن السكيت ، وله من الكتب : كتاب خلق الانسان ، كتاب معانى الشعر

(١) أى قليل شعر اللحية والحاجبين (٢) أى مات

(٣) سقط من الاصل : إسم القبيلة التى تعلم لديها

وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ: كِتَابُ خَلْقِ الْفَرَسِ، كِتَابُ مَعَانِى الشِّعْرِ.

﴿ ٣٥ – جَبْرُ بْنُ عَلِيِّ، بْنِ عِيسَى، ﴾
﴿ ابْنِ الْفَرَجِ، بْنِ صَالِحٍ، * ﴾

جبر الربعى النحوى

أَبُو الْبَرَكَاتِ الرَّبَعِيُّ (١) الزُّهَيْرِيُّ، وَوَالِدُهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى، هُوَ النَّحْوِيُّ الْمَشْهُورُ، صَاحِبُ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ، وَكَانَ أَبُو الْبَرَكَاتِ هَذَا، أَحَدَ الْأُدَبَاءِ الْبُلَغَاءِ الْفُصَحَاءِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَمَذَانِيُّ، كَانَ يَنُوبُ عَنِ الْوُزَرَاءِ بِبَغْدَادَ، وَلَهُ الْيَدُ الطُّولَى فِي الْكِتَابَةِ، وَجُنَّ فِي شَبِيبَتِهِ، فَكَانَ يَتَعَمَّمُ بِحَبْلِ الْبِئْرِ، وَادَّعَى النُّبُوَّةَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَعُولِجَ حَتَّى بَرَأَ. وَلِلْبَصْرَوِيِّ وَغَيْرِهِ فِيهِ مَدَائِحُ. وَمَاتَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

---

(١) منسوب الى الربعة بالتحريك: حصن من حصون زمار باليمن للعبيد

(*) لم نعثر على من ترجم له غير ياقوت فيما رجعنا إليه من مظان

٣٦ - جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَرْوَزِىُّ ، *

جعفر المروزى

أَبُو الْعَبَّاسِ ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ فَقَالَ : هُوَ أَحَدُ جَمَّاعِي وَمُؤَلِّفِي الْكُتُبِ ، فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وَكُتُبُهُ كَثِيرَةٌ جِدًّا ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَلَّفَ كِتَابًا فِي الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ ، وَلَمْ يُتِمَّ . مَاتَ بِأَهْوَازَ ، وَحُمِلَتْ كُتُبُهُ إِلَى بَغْدَادَ ، وَبِيعَتْ فِي طَاقِ الْحَرَّانِيِّ[١] سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ . فَمِنْ كُتُبِهِ : كِتَابُ الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ ، كِتَابُ الْآدَابِ الْكَبِيرُ ، كِتَابُ الْآدَابِ الصَّغِيرُ ، كِتَابُ النَّاجِمِ ، كِتَابُ تَارِيخِ الْقُرْآنِ لِتَأْيِيدِ كُتُبِ السُّلْطَانِ ، كِتَابُ الْبَلَاغَةِ وَالْخَطَابَةِ .

---

(١) طاق الحرانى : محلة ببغداد ، بالجانب الغربى . قالوا : من حد القنطرة الجديدة ، وشارع طاق الحرانى ، إلى شارع باب الكرخ ، منسوب الى قرية بورنال ، والحرانى هذا : هو ابراهيم بن ذكوان ، بن الفضل الحرانى ، من موالى المنصور ، وزير الهادى موسى بن المهدى ، وكان لذكوان أخ يقال له الفضل ، فأعتقه مروان بن محمد الحمار ، وأعتق ذكوان على بن عبد الله . ا . ه . ملخصاً . معجم البلدان ج ٦ ص ٦

(*) راجع فهرست ابن النديم ، ص ٢١٤

٣٧ - جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ ، بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، بْنِ مَرْوَانَ *

جعفر بن أحمد الاشبيلى

اللُّغَوِيُّ ، أَبُو مَرْوَانَ الإِشْبِيلِيُّ ، يُعْرَفُ بِابْنِ الْغَاسِلَةِ ، رَوَى عَنِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ زَرِبٍ ، وَأَبِي عَوْنِ ابْنِهِ ، وَالْمَغِيطِيِّ (١) ، وَالزُّبَيْدِيِّ ، وَكَانَ بَارِعًا فِي الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ ، وَمَعَانِي الشِّعْرِ وَالْخَبَرِ ، ذَا حَظٍّ مِنْ عِلْمِ السُّنَّةِ . تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

---

(١) نسبة الى معيط ، وهو اسم موضع فى قول الهذلى ساعدة بن جوية قال :

يا ليت شعرى ولا منجاً من الهرم أم هل على العيش بعد الشيب من ندم

ثم أتى بجواب ليت بعد ثمانية وعشرين بيتاً فقال :

هل آتنى حدثان الدهر من أنس كانوا بمعيط لا وحش ولا قزم

ا . هـ . ملخصاً معجم البلدان ج ٨ ص ١٠٢

(*) ترجم له فى كتاب الصلة ، لابن بشكوال ، من المكتبة الاندلسية ، جزء أول ، صفحة ١٢٩ ، ولم يزد على معجم الادباء ، عدا ما يأتى

« ذكره أبو محمد بن خزرج ، وروى عنه »

٣٨ - جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ ، بْنِ الْحُسَيْنِ ، بْنِ أَحْمَدَ ،

ابْنِ جَعْفَرٍ السَّرَّاجُ *

جعفر البغدادي

أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَارِئُ الْبَغْدَادِيُّ ، سَمِعَ أَبَا عَلِيِّ بْنَ شَاذَانَ ، وَأَبَا الْقَاسِمِ بْنَ شَاهِينَ ، وَأَبَا مُحَمَّدٍ الْخَلَّالَ ، وَأَبَا الْفَتْحِ بْنَ شَيْطَا ، وَأَبَا الْحُسَيْنِ التَّوَزِيَّ ، وَأَبَا الْقَاسِمِ التَّنُوخِيَّ .

قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ : قَرَأْتُ بِخَطِّ [١] غَيْثِ بْنِ عَلِيٍّ الصُّورِيِّ : جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ ، ذُو طَرِيقَةٍ جَمِيلَةٍ ، وَمَحَبَّةٍ لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، وَلَهُ شِعْرٌ لَا بَأْسَ بِهِ ، وَخَرَّجَ لَهُ شَيْخُنَا الْخَطِيبُ فَوَائِدَ ، وَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا فِي خَمْسَةِ أَجْزَاءٍ ، وَكَانَ يُسَافِرُ إِلَى مِصْرَ وَغَيْرِهَا ، وَتَرَدَّدَ إِلَى صُورَ عِدَّةَ دَفَعَاتٍ ، ثُمَّ قَطَنَ بِهَا زَمَانًا ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ . كَتَبَ عَنْهُ « وَلَمْ يَكُنْ بِهِ بَأْسٌ . » وَلَهُ تَصَانِيفُ : مِنْهَا مَصَارِعَ

---

(١) سقط من الاصل هذا كلمة : « بخط » فأثبتها

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢١١

الْعُشَّاقِ ، كِتَابُ زُهْدِ السُّودَانِ . وَنَظَمَ أَشْعَارًا كَثِيرَةً فِي الزُّهْدِ ، وَالْفِقْهِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .

قَالَ الصُّورِيُّ : قَالَ لِي : وُلِدْتُ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَسَمِعْتُ الْحَدِيثَ ، وَلِي خَمْسُ سِنِينَ . وَقَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي الْمُعَمَّرِ الْأَنْصَارِيِّ : تُوُفِّيَ جَعْفَرٌ السَّرَّاجُ ، فِي حَادِي عَشَرَ مِنْ صَفَرٍ ، سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ بَابِ أَبْرَزَ ، وَكَانَ ثِقَةً . وَقَالَ السَّمْعَانِيُّ : مَوْلِدُهُ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ ، أَوْ سِتَّ عَشْرَةَ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

أَفْلَحَ عَبْدٌ عَصَى هَوَاهُ
وَفَاقَ فِي دِينِهِ وَكَاسَا (١)
وَلَمْ يَرُحْ مُدْمِناً لِخَمْرٍ
يَنْهَلُ (٢) طَاساً وَيَعَلُّ (٣) كَاسَا

وَمِنْ شِعْرِهِ :

يَا مَنْ إِذَا مَا رَضِيتُهُ حَكَماً
جَارَ عَلَيْنَا فِي حُكْمِهِ وَسَطَا

(١) أى كان كيساً ظريفاً ذكياً

(٢) النهل : الشرب أول الشرب والطاس : الاناء يشرب فيه

(٣) العل : الشرب ثانياً بعد الاولى تباعاً

قَدْ مَدَحَ اللّٰهُ أُمَّةً جُعِلَتْ

فِى مُحْكَمِ الذِّكْرِ أُمَّةً وَسَطَا[١]

وَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ السَّرَّاجُ ، نَقْلًا مِنْ كِتَابِ الْخَرِيدَةِ :

قَصَتْ وَطَرًا مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ وَأَمَّتِ[٢]

عَقِيقَ الْحِمَى مُرْخًى لَهَا فِى الْأَزِمَّةِ

وَخَبَّرَهَا الرُّوَّادُ أَنَّ لَحَاجِرٍ

حَيًا[٣] نَوَّرَتْ[٤] مِنْهُ الرِّيَاضُ نَحَنَّتِ

وَلَاحَ لَهَا بَرْقٌ مِنَ الْغَوْرِ مَوْهِنًا[٥]

كَشُعْلَةِ نَارٍ لِلطَّوَارِقِ شُبَّتِ

فَمِلْنَ بِالْأَعْنَاقِ عِنْدَ وَمِيضِهِ

تَرَاقُصُ فِى أَرْسَانِهَا وَاسْتَمَرَّتِ

---

(١) الوسط من كل شىء : أعدله ، يشير إلى قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » أى عدولا (٢) أى قصدت

(٣) أى مطر (٤) « نورت » أزهرت

(٥) أن ينقضى من الليل نحو ثلثه

وَغَنَّى لَهَا الحَادِى فَأَذْكَرَهَا الحِمَى
وَأَيَّامَهَا فِيهِ وَسَاعَاتِ وَجْرَةِ

وَقَدْ شَرَكَتْنِى فِى الحَنِينِ رَكَائِبِى
وَزِدْنَ عَلَيْنَا رَنَّةً بَعْدَ رَنَّةِ

أَقُولُ لِرَكْبٍ مُجْهِشِينَ[1] تَطَوَّحُوا
وَعَزَّ بِهِمْ مَاءٌ «رِدُوا مَاءَ عَبْرَتِى»

أَلَا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ تَعُودُ رَوَاجِعاً
لَيَالِى الصِّبَا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ تَوَلَّتِ

قَرَأْتُ بِخَطِّ الحَسَنِ بْنِ جَعْفَرِ ، بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ ، بْنِ المُتَوَكِّلِ فِى كِتَابِهِ : حَدَّثَنِى الشَّيْخُ أَبُو الفَضَائِلِ بْنُ الخَاضِبَةِ قَالَ : دَخَلَ الشَّيْخُ أَبُو سَعْدِ بْنُ أَبِى عِمَامَةَ الْوَاعِظُ ، إِلَى الْمَسْجِدِ الْمُعَلَّقِ ، مُقَابِلَ دَارِ الخِلَافَةِ ، وَكَانَ فِيهِ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ السَّرَّاجِ لِيُسَلِّمَ عَلَيْهِ ، فَالْتَقَاهُ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بِالرَّحْبِ وَالسَّعَةِ ، وَتَعَانَقَا ، وَجَلَسَا يَتَذَاكَرَانِ ،

---

(١) جهش بالبكاء : هم به ، والجهشة : الدمعة الفائضة ، والمجهشون : المندفعون إلى البكاء .

فَجَاءَ الشَّيْخُ أَبُو نَصْرٍ الْأَصْبَهَانِيُّ ، فَصَعِدَ إِلَيْهِمَا ، وَقَدْ كَانَ فِي الْحَمَّامِ ، فَكَشَفَ رَأْسَهُ ، وَقَعَدَ يَسْتَرِيحُ مِنْ كَرْبِ الْحَمَّامِ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ : غَطِّ رَأْسَكَ لَا يَنَالُكَ الْهَوَى ، فَتَتَأَذَّى ، فَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو سَعْدٍ : لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهِ رَاحَةً .

أَنْبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْأَخْضَرِ شَيْخُنَا — رَحِمَهُ اللهُ — قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْكَرَمِ الْمُبَارَكَ بْنَ الْحَسَنِ ، ابْنِ [1] الشَّهْرَزُورِيَّ الْمُقْرِئَ يَقُولُ : كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ جَعْفَرِ ، بْنِ مُحَمَّدٍ السَّرَّاجِ ، وَأَسْمَعُ مِنْهُ ، فَضَاقَ صَدْرِي مِنْهُ لِحَالِهِ ، فَانْقَطَعْتُ عَنْهُ ، ثُمَّ نَدِمْتُ وَقُلْتُ : يَفُوتُنِي مِنْهُ بِانْقِطَاعِي عَنْهُ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ ، فَقَصَدْتُهُ فِي مَسْجِدِهِ الْمُعَلَّقِ ، الْحَاذِي لِبَابِ النُّوبِيِّ ، فَلَمَّا وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَيَّ، رَحَّبَ بِي وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

وَعَدْتِ بِأَنْ تَزُورِي بَعْدَ شَهْرٍ
فَزُورِي قَدْ تَقَضَّى الشَّهْرُ زُورِي

---

(١) سقط من الاصل كلة « ابن » فأثبتناها

وَمَوْعِدُ بَيْنِنَا نَهْرُ الْمُعَلَّى

إِلَى الْبَلَدِ الْمُسَمَّى شَهْرَ زُورِ

فَأَشْهُرُ صَدِّكِ الْمَحْتُومِ حَقٌّ

وَلَـٰكِنْ شَهْرُ وَصْلِكِ شَهْرُ زُورِ

وَمِنْ شِعْرِهِ :

دَعِ الدَّمْعَ بِالْوَكْفِ[1] يُنْكِي[2] الْخُدُودَا

فَإِنَّ الْأَحِبَّةَ أَضْحَوْا خُمُودَا

دَعَا بِهِمُ هَاتِفُ الْحَادِثَاتِ

فَبَدَّلَهُمْ بِالْقُصُورِ اللُّحُودَا

دَنَتْ مِنْهُمْ نُوَبٌ لِلرَّدَى

فَأَفْنَتْ ضَعِيفَهُمُ وَالشَّدِيدَا

دُمُوعٌ يُكَفْكِفُهُنَّ الْأَسَى

عَلَيْهِمْ غِزَارٌ تُرَوِّى الصَّعِيدَا[3]

---

(١) الوكف مصدر وكف الماء : سال قطرة قطرة ، والمراد هنا : الدموع .

(٢) من نكأ الرجل القرحة : قشرها قبل أن تبرأ

(٣) أي التراب .

دُجَاهُمْ وَصُبْحُهُمْ وَاحِدٌ
وَقَدْ مَزَّقَ الدُّودُ مِنْهُمْ جُلُودَا

وَجَعَلَ كِتَابَ مَصَارِعِ الْعُشَّاقِ أَجْزَاءً ، وَكَتَبَ عَلَى كُلِّ جُزْءٍ أَبْيَاتًا مِنْ قَوْلِهِ ، فَكَانَ عَلَى الْجُزْءِ الْأَوَّلِ :

هَذَا كِتَابُ مَصَارِعِ الْعُشَّاقِ
صَرَعَتْهُمُ أَيْدِي نَوًى وَفِرَاقِ
تَصْنِيفُ مَنْ لَدَغَ الْفِرَاقُ فُؤَادَهُ
وَتَطَابَّ الرَّاقِي فَعَزَّ الرَّاقِي

وَأَنْشَدَ لَهُ[1] السَّمْعَانِيُّ فِي الْمَزِيدِ :

حَبَّذَا طَيْفُ سُلَيْمَى إِذْ طَوَى
حَذَرَ الْوَاشِي السُّرَى مِنْ ذِي طَوَى[2]
وَأَتَى الْحَيَّ طُرُوقًا وَهُمُ
بَيْنَ أَجْزَاعِ زَرُودٍ[3] فَاللِّوَى

(١) سقط من هذا الاصل : كلمة « له » فأثبتها (٢) إسم مكان (٣) إسم مكانين.

بِتُّ أَشْكُو مَا أُلَاقِيهِ إِلَى
طَيْفِهَا الطَّارِقِ مِنْ مَسِّ الْجَوَى (١)

أَشْكُرُ الْأَحْلَامَ لَمَّا جَمَعَتْ
بَيْنَنَا وَهْنًا عَلَى رَغْمِ النَّوَى

أَيُّهَا الْعَاذِلُ دَعْنِي (٢) وَالْهَوَى
لَيْسَ مَشْغُولٌ وَخَالٍ بِالسَّوَى

وَأَنْشَدَ لَهُ :

حَبَّذَا نَجْدٌ بِلَادًا لَمْ نَجِدْ
رَاحَةً لِلْقَلْبِ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا

فَإِذَا مَا لَاحَ مِنْهَا بَارِقٌ
هَاجَ أَشْوَاقِي أَوْ هَبَّتْ صَبَاهَا

لَسْتُ أَنْسَى إِذْ سُلَيْمَى جَارَةٌ
تَبْذُلُ الْوُدَّ وَتُصْفِينَا هَوَاهَا

---

(١) الجوى : حرارة الشوق

(٢) كانت فى الأصل : « منى »

ثُمَّ لَمَّا شَطَّتِ[1] الدَّارُ بِهَا

وَرَمَاهَا الْبَيْنُ مِنْ حَيْثُ رَمَاهَا

أَرْسَلَتْ طَيْفَ كَرًى لَـكِنَّهُ

زَارَنَا وَالْعَيْنُ قَدْ زَالَ كَرَاهَا

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا :

وَقَفْنَا وَقَدْ شَطَّتْ بِأَحْبَابِنَا النَّوَى

عَلَى الدَّارِ نَبْكِيهَا سَقَى رَبْعَهَا الْمُزْنُ[2]

وَزَادَتْ دُمُوعُ الْوَاكِفِينَ بِرَسْمِهَا

فَلَوْ أُرْسِلَتْ سُفْنٌ بِهَا جَرَتِ السُّفْنُ

وَلَمْ يَبْقَ صَبْرٌ يُسْتَعَانُ عَلَى النَّوَى

بِهِ بَعْدَ تَوْدِيعِ الْخَلِيطِ[3] وَلَا جَفْنُ

سَأَلْنَا الصَّبَا لَمَّا رَأَيْنَا غَرَامَنَا

يَزِيدُ بِسُكَّانِ الْحِمَى وَالْهَوَى يَدْنُو

---

(١) شطت : بعدت

(٢) المزن : المطر

(٣) الخليط : المعاشر المخالط

أَفِيكَ لِحَمْلِ الشَّوْقِ يَارِيحُ مَوْضِعٌ
فَقَدْ ضَعُفَتْ عَنْ حَمْلِ أَشْوَاقِنَا الْبُدْنُ (١)

٣٩ – جَعْفَرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، بْنِ (٢) الْقَاسِمِ الْقَالِيُّ *

جعفر القالى

هُوَ وَلَدُ أَبِي عَلِيٍّ الْقَالِيِّ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَأَبُو عَلِيٍّ وَالِدُهُ . هُوَ صَاحِبُ الْأَمَالِي وَغَيْرِهَا مِنَ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ ، وَكَانَ جَعْفَرٌ هَذَا أَيْضاً ، أَدِيباً فَاضِلاً أَرِيباً ، وَهُوَ الْقَائِلُ فِي الْمَنْصُورِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، أَمِيرِ الْأَنْدَلُسِ يَمْدَحُهُ :

وَكَتِيبَةٍ لِلشَّيْبِ جَاءَتْ تَبْتَغِي
قَتْلَ الشَّبَابِ فَفَرَّ كَالْمَذْعُورِ
فَكَأَنَّ هَذَا جَيْشُ كُلِّ مُثَلِّثٍ (٣)
وَكَأَنَّ تِلْكَ كَتِيبَةُ الْمَنْصُورِ

---

(١) البدن : جمع بدنة : وهى الناقة السمينة

(٢) كانت فى الأصل : « ابن اسماعيل القاسم » وأصلحت الى ما ذكر

(٣) كناية عن جيش النصارى ، الذين يقولون بالتثليث

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢١٢

٤٠ — جَعْفَرُ بْنُ الْفَضْلِ ، بْنِ جَعْفَرِ ، بْنِ مُحَمَّدِ ، بْنِ مُوسَى *

ابْنِ الْحَسَنِ ، بْنِ الْفُرَاتِ ، أَبُو الْفَضْلِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ

جعفر بن حنزابة

(*) ترجم له فى تاريخ مدينة السلام ، جزء ٥ صفحة ٢٧٥ بترجمة أفاض فيها ، غير أنا نقتصر على جزء منها لطولها ، وهى :

« جعفر بن الفضل ، بن جعفر ، بن محمد ، بن الفرات ، أبو الفضل ، المعروف بابن حنزابة الوزير »

نزل مصر ، وتقلد الوزارة لأميرها كافور ، وكان أبوه وزير المقتدر بالله . حدث أبو الفضل عن محمد بن ابراهيم الحضرمى ، وطبقة من البغداديين ، وعن محمد بن سعيد البرجى الحمصى ، ومحمد بن جعفر الخرائطى ، والحسين بن أحمد بن بسطام ، ومحمد بن زهير الأبليين والحسن بن محمد الدارك ، ومحمد بن عمارة ، بن حمزة الاصبهانى البنوى مجلساً ، ولم يكن عنده ، فكان يقول : من جاءنى به أغنيته ، وكان يملى الحديث بمصر ، وبسببه خرج أبو الحسين الدارقطنى إلى هناك . فانه كان يريد أن يصنف له مسندا فخرج أبو الحسن اليه ، وأقام عنده مدة يصنف له المسند وحصل له من جهته مال كثير .

وروى عنه الدارقطنى ، فى كتاب المدبج وغيره ، أحاديث إلى أن قال : قرأت فى كتاب محمد بن على ، بن عمر ، بن الفياض : ولد أبو الفضل جعفر بن الفضل ، بن جعفر ، بن محمد ابن الفرات ، فى ذى الحجة ، لثمان ليال خلون من سنة ثمان وثلاثمائة ، وذكر لى محمد بن على الصولى :

أن وفاته كانت قبل تسعين وثلاثمائه ، وقال لى عبد الله بن سبعين القيروانى : ليس كذلك ، إنما توفى فى سنة إحدى وتسعين ، وهذا القول هو الصحيح . وذكر بعض المصريين : أنه توفى يوم الاحد ، لثلاث عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول ، سنة إحدى وتسعين .

حِنْزَابَةَ ، وَحِنْزَابَةُ اسْمُ أُمِّهِمْ ، كَانَتْ جَارِيَةً ، وَكَانَتْ حِنْزَابَةُ حَمَاةَ الْمُحَسِّنِ بْنِ الْفُرَاتِ بِمِصْرَ ، وَكَانَ وَزِيرًا فَاضِلًا بَارِعًا كَامِلًا ، وَزَرَ بِمِصْرَ لِأَنُوجُورَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْأَخْشِيدِ ، ثُمَّ لِأَخِيهِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ ، ثُمَّ لِكَافُورٍ إِلَى أَنِ انْقَضَتْ دَوْلَةُ الْأَخْشِيدِيَّةِ ، وَإِلَيْهِ رَحَلَ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ ، حَتَّى صَنَّفَ لَهُ مَا صَنَّفَ فِي مِصْرَ . مَاتَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

وَفِي تَارِيخِ أَبِي مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ ، بْنِ أَحْمَدَ ، ابْنِ أَحْمَدَ ، بْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرُّوذْبَارِيِّ : أَنَّ ابْنَ حِنْزَابَةَ ، مَاتَ فِي ثَالِثَ عَشَرَ مِنْ صَفَرٍ ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فِي أَيَّامِ الْحَاكِمِ ، وَفِي سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ ، قَتَلَ الْحَاكِمُ ابْنَهُ أَبَا الْحُسَيْنِ بْنَ جَعْفَرٍ ، بْنِ الْفَضْلِ ، بْنِ الْفُرَاتِ ، وَكَانَ يُلَقَّبُ بِسَيْذُوكٍ . وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَلِيَ وَزَارَةَ الْحَاكِمِ أَبُو الْعَبَّاسِ ، الْفَضْلُ

ابْنُ جعفَرِ بْنِ الفضْلِ ، بْنِ الفُرَاتِ ابنُهُ الآخَرُ ، وَضَمِنَ مَا لَمْ يعْرِفْهُ ، فقُتِلَ بعْدَ خمْسَةِ أيَّامٍ مِنْ وِلَايَتِهِ .

وَيُرْوَى لِأَبِي الفَضْلِ جعفَرٍ هَذَانِ البَيْتَانِ ، وَلَا يُعْرَفُ لَهُ شِعْرٌ غيْرُهُ :

مَنْ أَخْمَلَ النَّفْسَ أَحْيَاهَا وَرَوَّحَهَا

وَلَمْ يَبِتْ طَاوِيًا مِنْهَا عَلَى ضَجَرِ

إِنَّ الرِّيَاحَ إِذَا اشْتَدَّتْ عَوَاصِفُهَا

فَلَيْسَ تَرْمِي سِوَى العَالِي مِنَ الشَّجَرِ

قَالَ يَحْيَ بْنُ مَنْدَةَ : قَدِمَ أَبُو الفَضْلِ بْنُ حِنْزَابَة أَصْفهَانَ ، وَسَمِعَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ ، بْنِ عَبْدِ الكَرِيمِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ حَمْزَةَ بْنِ عِمَارَةَ ، وَالْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الدَّارِكِيّ ، وَسَمِعَ بِبَغْدَادَ ، مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الْحَضَرِيّ ، وَمَنْ فِي طَبَقَتِهِ . وَهُوَ أَحَدُ الْحُفَّاظِ ، حَسَنُ الْعَقْلِ ، كَثِيرُ السَّمَاعِ ، مَائِلٌ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ وَالفَضْلِ ، نَزَلَ مِصْرَ ، وَتَقَلَّدَ الْوِزَارَةَ لِأَمِيرِهَا كَافُورٍ ، وَكَانَ أَبُوهُ وَزِيرَ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ . وَبَلَغَنِي

أَنَّهُ كَانَ يَذْكُرُ أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيِّ مَجْلِسًا ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ . وَكَانَ يَقُولُ : مَنْ جَاءَنِي بِهِ أَغْنَيْتُهُ ، وَكَانَ عَالِيَ[1] الْحَدِيثِ بِمِصْرَ ، وَإِلَيْهِ خَرَجَ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ إِلَى هُنَاكَ ، لِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُصَنِّفَ مُسْنَدًا ، فَخَرَجَ الدَّارَقُطْنِيُّ إِلَيْهِ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً فَصَنَّفَ لَهُ الْمُسْنَدَ ، وَحَصَلَ لَهُ مِنْ جِهَتِهِ مَالٌ كَثِيرٌ .

وَرَوَى عَنْهُ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي كِتَابِ[2] الْمُدَبَّجِ ، قَالَ ابْنُ مَنْدَةَ : سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ، إِسْمَاعِيلَ بْنَ مَسْعَدَةَ الْجُرْجَانِيَّ قَالَ : قَالَ حَمْزَةُ بْنُ يُوسُفَ السَّهْمِيُّ : سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عُمَرَ الْحَافِظَ الدَّارَقُطْنِيَّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ سُلَيْمَانَ الْبَاغَنْدِيِّ ، فَحَكَى عَنِ الْوَزِيرِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْفُرَاتِ ، الْمَعْرُوفِ بِابْنِ حِنْزَابَةَ حِكَايَةً ، قَالَ الشَّيْخُ حَمْزَةُ : ثُمَّ دَخَلْتُ مِصْرَ ، وَسَأَلْتُ الْوَزِيرَ أَبَا الْفَضْلِ جَعْفَرَ بْنَ الْفَضْلِ عَنِ الْبَاغَنْدِيِّ ، وَحَكَيْتُ لَهُ مَا كُنْتُ سَمِعْتُهُ مِنَ الدَّارَقُطْنِيِّ ،

---

(١) كانت فى الاصل هذا : « على الحديث » وقد أصلحت كما ذكر

(٢) وفى طبقات الحفاظ « كتاب المدبج »

فَقَالَ لِيَ الْوَزِيرُ : لَحِقْتُ الْبَاغَنْدِيَّ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ ، وَلَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَكَانَ لِلْوَزِيرِ الْمَاضِي — رَحِمَهُ اللهُ — حُجْرَتَانِ ، إِحْدَاهُمَا لِلْبَاغَنْدِيِّ ، يَجِيئُهُ يَوْمًا وَيَقْرَأُ لَهُ ، وَالْأُخْرَى لِلْيَزِيدِيِّ .

قَالَ أَبُو الْفَضْلِ : سَمِعْتُ أَبِي — رَحِمَهُ اللهُ — يَقُولُ : كُنْتُ يَوْمًا مَعَ الْبَاغَنْدِيِّ فِي الْحُجْرَةِ ، يَقْرَأُ لِي كُتُبَ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ ، فَقَامَ الْبَاغَنْدِيُّ إِلَى الطَّهَارَةِ ، فَمَدَدْتُ يَدِي إِلَى جُزْءٍ مَعَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ ، فَإِذَا عَلَى ظَهْرِهِ مَكْتُوبٌ « مُرَبَّعٌ » وَالْبَاقِي مَحْكُوكٌ ، فَرَجَعَ الْبَاغَنْدِيُّ فَرَأَى الْجُزْءَ فِي يَدِي فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ . وَسَأَلْتُهُ وَقُلْتُ : « إِيشْ[1] » هَذَا ؟ مُرَبَّعٌ ؟ ، فَتَغَيَّرَ[2] إِذْ ذَاكَ وَلَمْ أَفْطَنْ لَهُ ، لِأَنِّي أَوَّلُ مَنْ كُنْتُ دَخَلْتُ فِي كَتَبَةِ الْحَدِيثِ ، ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْهُ ، فَإِذَا الْكِتَابُ لِأَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، بْنِ مُرَبَّعٍ ، سَمِعَهُ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ .

---

(١) إيش : ذكر المراد منها فيما تقدم

(٢) في الاصل : « فتغيرت ذاك » ولعلها كما ذكرنا

قَرَأْتُ فِى تارِيخٍ لِابْنِ زُولَاقٍ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، فِى أَخْبَارِ سِيبَوَيْهِ الْمُوَسْوِسِ قَالَ : وَرَأَى سِيبَوَيْهِ جَعْفَرَ ابْنَ الْفَضْلِ بْنِ الْفُرَاتِ بَعْدَ مَوْتِ كَافُورٍ ، وَقَدْ رَكِبَ فِى مَوْكِبٍ عَظِيمٍ . فَقَالَ : مَا بَالُ أَبِى الْفَضْلِ قَدْ جَمَعَ كُتَّابَهُ ، وَلَفَّقَ أَصْحَابَهُ ، وَحَشَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ حُجَّابَهُ ، وَشَمَّرَ أَنْفَهُ ، وَسَاقَ الْعَسَاكِرَ خَلْفَهُ ، أَبَلَغَهُ أَنَّ الْإِسْلَامَ طُرِقَ ؟ أَوْ أَنَّ رُكْنَ الْكَعْبَةِ سُرِقَ ؟ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : هُوَ الْيَوْمَ صَاحِبُ الْأَمْرِ ، وَمُدَبِّرُ الدَّوْلَةِ . فَقَالَ : يَا عَجَبًا ، أَلَيْسَ بِالْأَمْسِ نَهَبَ الْأَتْرَاكُ دَارَهُ ؟ وَدَكْدَكُوا آثَارَهُ ، وَأَظْهَرُوا عَوَارَهُ[1] ، وَهُمُ الْيَوْمَ يَدْعُونَهُ وَزِيرًا ، ثُمَّ قَدْ صَيَّرُوهُ أَمِيرًا . مَا عَجَبِى مِنْهُمْ كَيْفَ نَصَبُوهُ ، بَلْ عَجَبِى كَيْفَ تَوَلَّى أَمْرَ عَدُوِّهِمْ وَرَضُوهُ .

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ : ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَأَظُنُّهُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِى نَصْرٍ الْحُمَيْدِىَّ : أَنَّ الْوَزِيرَ

---

(١) العوار : النقص

أَبَا الْفَضْلِ بْنَ حِنْزَابَةَ حَدَّثَ بِمِصْرَ ، سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، مَجَالِسَ إِمْلَاءٍ خَرَّجَهَا الدَّارَقُطْنِيُّ ، وَعَبْدُ الْغَنِيِّ ابْنُ سَعِيدٍ ، وَكَانَا كَاتِبَيْهِ وَمُخَرِّجَيْهِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْحَدِيثِ ، جَمَّ السَّمَاعِ ، مُكْرِماً لِأَهْلِ الْعِلْمِ ، مُطْعِماً لِأَهْلِ الْحَدِيثِ ، اُسْتَجْلَبَ الدَّارَقُطْنِيَّ مِنْ بَغْدَادَ وَبَرَّ إِلَيْهِ ، وَخَرَّجَ لَهُ الْمُسْنَدَ ، وَقَدْ رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي إِسْحَاقَ الْحَبَّالِيِّ مِنَ الْأَجْزَاءِ الَّتِي خُرِّجَتْ لَهُ جُمْلَةً كَثِيرَةً جِدًّا ، وَفِي بَعْضِهَا الْمُوَفَّى أَلْفاً مِنْ مُسْنَدِ كَذَا ، وَالْمُوَفَّى خَمْسَمِائَةٍ مِنْ مُسْنَدِ كَذَا ، وَهَكَذَا هِيَ سَائِرُ الْمُسْنَدَاتِ . وَقَدْ أَعْطَى الدَّارَقُطْنِيَّ مَالًا كَثِيراً ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ نَفَقَةً وَاسِعَةً ، وَلَمْ يَزَلْ فِي أَيَّامِ عُمْرِهِ يَصْنَعُ شَيْئاً مِنَ الْمَعْرُوفِ عَظِيماً ، وَيُنْفِقُ نَفَقَاتٍ كَثِيرَةً عَلَى أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ ، مِنْ أَصْنَافِ الْأَشْرَافِ وَغَيْرِهِمْ ، إِلَى أَنْ تَمَّ لَهُ أَنِ اشْتَرَى بِالْمَدِينَةِ دَاراً إِلَى جَانِبِ الْمَسْجِدِ ، مِنْ أَقْرَبِ الدُّورِ إِلَى الْقَبْرِ ، لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقَبْرِ إِلَّا حَائِطٌ وَطَرِيقٌ فِي الْمَسْجِدِ ، وَأَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ فِيهَا ، وَقَرَّرَ

عِنْدَ الأَشْرَافِ ذَلِكَ ، فَسَمَحُوا لَهُ بِذَلِكَ ، وَأَجَابُوهُ إِلَيْهِ .
فَلَمَّا مَاتَ حُمِلَ تَابُوتُهُ مِنْ مِصْرَ إِلَى الحَرَمَيْنِ ، فَخَرَجَتِ الأَشْرَافُ مِنْ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ لِتَلَقِّيهِ وَالنِّيَابَةِ فِي حَمْلِهِ ، إِلَى أَنْ حَجُّوا بِهِ ، وَطَافُوا وَوَقَفُوا بِعَرَفَةَ ، ثُمَّ رَدُّوهُ إِلَى المَدِينَةِ ، وَدَفَنُوهُ فِي الدَّارِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِذَلِكَ .

قَرَأْتُ بِخَطِّ الشَّرِيفِ النَّسَّابَةِ ، مُحَمَّدِ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ عَلِيٍّ الجَوَّانِيِّ (١) المَعْرُوفِ بِابْنِ النَّحْوِيِّ ، كَانَ الوَزِيرُ جَعْفَرُ بْنُ الفَضْلِ بْنِ الفُرَاتِ ، المَعْرُوفُ بِابْنِ حِنْزَابَةَ ، يَهْوَى النَّظَرَ إِلَى الحَشَرَاتِ مِنَ الأَفَاعِي ، وَالحَيَّاتِ وَالعَقَارِبِ ، وَأُمِّ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ ، وَمَا يَجْرِي هَذَا المَجْرَى ، وَكَانَ فِي دَارِهِ الَّتِي تُقَابِلُ دَارَ الشُّنْتُكَانِيِّ وَمَسْجِدَ وَرْشٍ . ـ وَكَانَتْ لِلْمَاذَرَائِيِّ قَبْلَ ذَلِكَ ـ قَاعَةٌ لَطِيفَةٌ مُرَخَّمَةٌ ، فِيهَا سِلَالُ الحَيَّاتِ ، وَلَهَا قَيِّمٌ فَرَّاشٌ حَاوٍ مِنَ الحُوَاةِ ، وَمَعَهُ مُسْتَخْدَمُونَ بِرَسْمِ الخِدْمَةِ ، وَنَقْلِ السِّلَالِ وَحَطِّهَا ، وَكَانَ كُلُّ حَاوٍ فِي مِصْرَ وَأَعْمَالِهَا

(١) نسبة الى الجوانية : موضع أو قرية قرب المدينة

يَصِيدُ لَهُ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَيَّاتِ ، وَيَتَبَاهَوْنَ فِي ذَوَاتِ الْعَجَبِ مِنْ أَجْنَاسِهَا ، وَفِي الْكِبَارِ وَفِي الْغَرِيبَةِ الْمَنْظَرِ ، وَكَانَ الْوَزِيرُ يُثِيبُهُمْ فِي ذَلِكَ أَوْفَى الثَّوَابِ ، وَيَبْذُلُ لَهُمُ الْجَزِيلَ حَتَّى يَجْتَهِدُوا فِي تَحْصِيلِهَا ، وَكَانَ لَهُ وَقْتٌ يَجْلِسُ فِيهِ عَلَى دِكَّةٍ مُرْتَفِعَةٍ ، وَيَدْخُلُ الْمُسْتَخْدَمُونَ وَالْحُوَاةُ ، فَيُخْرِجُونَ مَا فِي السِّلَلِ وَيَطْرَحُونَهُ فِي ذَلِكَ الرُّخَامِ ، وَيُحَرِّشُونَ بَيْنَ الْهَوَامِ ، وَهُوَ يَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ وَيَسْتَحْسِنُهُ .

فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ ، أَنْفَذَ رُقْعَةً إِلَى الشَّيْخِ الْجَلِيلِ ابْنِ الْمُدَبِّرِ الْكَاتِبِ ، وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ كُتَّابِ آبَائِهِ وَدَوْلَتِهِ ، وَكَانَ عَزِيزاً عِنْدَهُ ، وَكَانَ يَسْكُنُ فِي جِوَارِ دَارِ ابْنِ الْفُرَاتِ ، يَقُولُ لَهُ فِيهَا : نُشْعِرُ الشَّيْخَ الْجَلِيلَ ، - أَدَامَ اللهُ سَلَامَتَهُ - ، أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ ، وَعَرَضَ عَلَيْنَا الْحُوَاةُ الْحَشَرَاتِ ، الْجَارِيَ بِهَا الْعَادَاتُ ، انْسَابَ إِلَى دَارِهِ مِنْهَا الْحَيَّةُ الْبَتْرَاءُ ، وَذَاتُ الْقَرْنَيْنِ الْكُبْرَى ، وَالْعَقْرَبَانُ الْكَبِيرُ وَأَبُو صُوفَةَ ، وَمَا حَصَلُوا لَنَا إِلَّا بَعْدَ عَنَاءٍ

وَمَشقَّةٍ ، وبِجُمْلَةٍ بَذَلْنَاهَا لِلحُوَاةِ ، وَنَحْنُ نَأْمُرُ الشَّيْخَ — وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى — بِالتَّوْقِيعِ إِلَى حَاشِيَتِهِ وَصِبْيَتِهِ ، بِصَوْنِ مَا وُجِدَ مِنْهَا ، إِلَى أَنْ نُنْفِذَ الْحُوَاةَ لِأَخْذِهَا وَرَدِّهَا إِلَى سِلَالِهَا ، فَلَمَّا وَقَفَ ابْنُ الْمُدَبِّرِ عَلَى الرُّقْعَةِ قَلَبَهَا[1] وَكَتَبَ فِي ذَيْلِهَا : أَتَانِي أَمْرُ سَيِّدِنَا الْوَزِيرِ — أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ وَحَرَسَ مُدَّتَهُ — بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ الْحَشَرَاتِ ، وَالَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، أَنَّ الطَّلَاقَ يَلْزَمُهُ ثَلَاثًا إِنْ بَاتَ هُوَ أَوْ وَاحِدٌ مِنْ أَوْلَادِهِ فِي الدَّارِ ، وَالسَّلَامُ .

أَنْشَدَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ[2] عَبْدِ الْبَرِّ الْقَيْرَوَانِيُّ التَّمِيمِيُّ ، لِصَالِحِ بْنِ مُؤْنِسٍ الْمِصْرِيِّ ، يَمْدَحُ بَعْضَ آلِ الْفُرَاتِ :

قَدْ مَرَّ عِيدٌ وَعِيدُ مَا اخْضَرَّ لِي فِيهِ عُودُ

وَكَيْفَ يَخْضَرُّ عُودٌ وَالْمَاءُ مِنْهُ بَعِيدُ

يَا مَنْ لَهُ عَدَدُ الْمَجْـــدِ كُلُّهَا وَالْعَدِيدُ

آلُ الْفُرَاتِ نَدَاهُمْ عَلَى الْفُرَاتِ يَزِيدُ

---

(١) كانت فى الاصل : « أقلها » وقد أصلحناه الى ما ذكر

(٢) سقط من الاصل كلمة « عبد » وقد ذكرناها

وَأَنتَ فَضْلُكَ فِيهِمْ عَلَيْكَ مِنْهُ شُهُودُ
وَكُلُّ يَوْمٍ لِغَيْرِي مِنْ رَاحَتَيْكَ مَدِيدُ
هَلْ لِي إِلَى الرِّزْقِ ذَنْبٌ فَكَانَ مِنْهُ صُدُودُ
مَا النَّاسُ إِلَّا شَقِيٌّ فِي دَهْرِنَا وَسَعِيدُ

قَالَ ابْنُ الأَكْفَانِيِّ : أَنْبأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ النَّحَّاسِ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ ابْنِ نَصْرٍ مِنْ لَفْظِهِ قَالَ : حَضَرْتُ عِنْدَ أَبِي الْحُسَيْنِ الْمُهَلَّبِيِّ فِي دَارِهِ بِالْقَاهِرَةِ فَقَالَ لِي : كُنْتُ مُنْذُ أَيَّامٍ حَاضِراً دَارَ الْوَزِيرِ ، يَعْنِي أَبَا الْفَرَجِ بْنَ كِلِّسَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو الْعَبَّاسِ، الْفَضْلُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ ، الْوَزِيرُ ابْنُ حِنْزَابَةَ ، وَكَانَ قَدْ زَوَّجَهُ ابْنَتَهُ ، وَأَكْرَمَهُ وَأَجَلَّهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا سَيِّدِي ، مَا أَنَا بِأَرْجَلَ مِنْ أَبِيكَ ، وَلَا بِأَعْلَمَ وَلَا بِأَفْضَلَ ، وَزَادَ فِي وَصْفِهِ وَإِكْرَامِهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرِي مَا أَقْعَدَ أَبَاكَ خَلْفَ الْبَابِ ؟ شَيْلُ[1] أَنْفِهِ ، وَأَخْرَجَ يَدَهُ

---

(١) هذا كناية عن تكبره وتعاظمه

فَعَلَا بِهَا رَأْسَهُ ، وَشَالَ أَنْفَهُ إِلَى فَوْقُ وَقَالَ لَهُ : بِاللهِ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ لَا تَشِلْ أَنْفَكَ ، تَدْرِى مَا الْإِقْبَالُ ؟ نَشَاطٌ وَتَوَاضُعٌ ، تَدْرِى مَا الْإِدْبَارُ ؟ كَسَلٌ وَتَرَافُعٌ .

قَرَأْتُ فِيمَا جَمَعَهُ أَبُو عَلِيٍّ صَالِحُ بْنُ رُشْدٍ قَالَ : كَانَ أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ الْفَضْلِ الْوَزِيرُ ، قَدْ خَرَجَ إِلَى بُسْتَانِهِ بِالْمَقْسِ[1] فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو نَصْرِ بْنُ كُشَاجِمَ عَلَى تُفَّاحَةٍ بِمَاءِ الذَّهَبِ وَأَنْفَذَهَا إِلَيْهِ :

إِذَا الْوَزِيرُ تَخَلَّى لِلنِّيلِ فِى الْأَوْقَاتِ
فَقَدْ أَتَاهُ سَمِيُّـ ـاهُ جَعْفَرُ بْنُ الْفُرَاتِ[2]

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ الْحَبَّالَ يَقُولُ : لَمَّا قَصَدَ هٰؤُلَاءِ[3] مِصْرَ وَنَزَلُوا قَرِيبًا مِنْهَا ، لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، إِلَّا خَرَجَ لِلِاسْتِقْبَالِ

(١) المقس بالفتح ثم السكون وسين مهملة ، كان فى القديم يقعد عندها العامل على المقس فغلب وسمى المقس ، : وهو بين يدى القاهرة على النيل ، وكان قبل الاسلام يسمى دنين ، وكان فيه حصن ومدينة ، قبل بناء الفسطاط ، وحاصرها عمرو بن العاص ، وقاتله أهلها قتالا شديداً ، حتى افتتحها فى سنة عشرين الهجرة ، وأظنه غير قصر الشمع المذكور فى بابه وفى بابليون : ا هـ . ملخصاً معجم من البلدان ج ٨ ص ١٢٥

(٢) وانما كان سمييه لأن الجعفر : الجدول ، والفرات : نهر ، والهاء فى أتاه للنيل

(٣) يريد الفاتحين من المغرب

وَالْخِدْمَةِ ، غَيْرُ الْوَزِيرِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ حِنْزَابَةَ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ ، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي صَبِيحَتَهَا الدُّخُولُ ، اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَشَايِخُ الْبَلَدِ ، وَعَاتَبُوهُ فِي فِعْلِهِ . وَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ تُغْرِي بِدِمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَيَجْعَلُونَ تَأَخُّرَكَ عَنْهُمْ سَبَبًا لِلانْتِقَامِ . قَالَ : الْآنَ أَخْرُجُ ، نَخْرَجَ لِلسَّلَامِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَكْرَمَهُ وَبَجَّلَهُ ، وَأَجْلَسَهُ وَفِي قَلْبِهِ شَيْءٌ ، وَكَانَ إِلَى جَنْبِهِ ابْنُهُ وَوَلِيُّ عَهْدِهِ ، وَغَفَلَ الْوَزِيرُ عَنِ التَّسْلِيمِ عَلَيْهِ ، فَأَرَادَ أَنْ يَمْتَحِنَهُ بِسَبَبٍ يَكُونُ إِلَى الْوَقِيعَةِ بِهِ . فَقَالَ لَهُ : حَجَّ الشَّيْخُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : وَزُرْتَ الشَّيْخَيْنِ ؟ فَقَالَ : شُغِلْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمَا ، كَمَا شُغِلْتُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ وَلِيِّ عَهْدِهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَأُعْجِبَ مِنْ فِطْنَتِهِ ، وَتَدَارُكِهِ مَا أَغْفَلَهُ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ الْوَزَارَةَ فَامْتَنَعَ . فَقَالَ : إِذَا لَمْ تَلِ لَنَا شُغْلًا فَيَجِبُ أَلَّا تَخْرُجَ

عَنْ بِلَادِنَا ، فَإِنَّا لَا نَسْتَغْنِي أَنْ يَكُونَ فِي دَوْلَتِنَا مِثْلُكَ ، فَأَقَامَ بِهَا وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى بَغْدَادَ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ الْحَبَّالَ يَقُولُ : كَانَ يُعْمَلُ لِلْوَزِيرِ أَبِي الْفَضْلِ الْكَاغِدُ بِسَمَرْقَنْدَ ، وَيُحْمَلُ إِلَيْهِ إِلَى مِصْرَ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَكَانَ فِي خِزَانَتِهِ عِدَّةٌ مِنَ الْوَرَّاقِينَ ، فَاسْتَغْنَى بَعْضُهُمْ ، فَأَمَرَ بِأَنْ يُحَاسَبَ وَيُصْرَفَ ، فَكَمَلَ عَلَيْهِ مِائَةُ دِينَارٍ ، فَعَادَ إِلَى الْوِرَاقَةِ ، وَتَرَكَ مَا كَانَ عَزَمَ عَلَيْهِ مِنَ الِاسْتِعْفَاءِ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سَعِيدٍ الْحَبَّالَ يَقُولُ : خَرَّجَ أَبُو نَصْرٍ السِّجْزِيُّ الْحَافِظُ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ شَيْخٍ ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غَيْرِي ، وَكَانَ قَدْ خَرَّجَ لَهُ عِشْرِينَ جُزْءًا فِي وَقْتِ الطَّلَبِ ، وَكَتَبَهَا فِي كَاغِدٍ عَتِيقٍ ، فَسَأَلْتُ الْحَبَّالَ عَنِ الْكَاغِدِ ، فَقَالَ : هَـٰذَا مِنَ الْكَاغِدِ الَّذِي كَانَ يُحْمَلُ لِلْوَزِيرِ مِنْ سَمَرْقَنْدَ ، وَقَعَتْ إِلَيَّ مِنْ كُتُبِهِ

قِطْعَةً ، فَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ فِيهَا وَرَقَةً بَيْضَاءَ قَطَعْتُهَا إِلَى أَنِ اجْتَمَعَ هَذَا ، فَكَتَبْتُ فِيهِ هَذِهِ الْفَوَائِدَ .

﴿ ٤١ – جَعْفَرُ بْنُ قُدَامَةَ ، بْنِ زِيَادٍ الْكَاتِبُ * ﴾

جعفر بن قدامة

أَبُو الْقَاسِمِ ، ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ فَقَالَ : هُوَ أَحَدُ مَشَايِخِ الْكُتَّابِ وَعُلَمَائِهِمْ ، وَكَانَ وَافِرَ الْأَدَبِ ، حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ . وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ فِي صَنْعَةِ الْكِتَابَةِ وَغَيْرِهَا ، حَدَّثَ عَنْ أَبِي الْعَيْنَاءِ الضَّرِيرِ ، وَحَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ ، وَالْمُبَرِّدِ ، وَمُحَمَّدِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَالِكٍ الْخُزَاعِيِّ ، وَنَحْوِهِمْ . رَوَى عَنْهُ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ .

وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي سَعِيدٍ مَعْنِ بْنِ خَلَفٍ الْبُسْتِيِّ ، مُسْتَوْفِي بَيْتِ الزَّرْدِ وَالْفَرْشِ السُّلْطَانِيِّ الْمَلَكْشَاهِيِّ ، بِتَوْلِيَةِ نِظَامِ الْمُلْكِ قَالَ : قَالَ جَعْفَرُ بْنُ قُدَامَةَ الْكَاتِبُ :

أُسْتَمِعْ بِاللهِ يَا ابْنَ الْـ ـمُلْكِ وَالنَّجْدَةِ مِنِّي

(*) راجع تاريخ مدينة السلام ج ٥ ص ٤٢٥

يَوْمُنَا فِي الْحُسْنِ وَالْبَهْـ ـجَةِ قَدْ جَازَ التَّمَنِّي

فَأَزِرْنِي[١] نَفْسَكَ الْحُـ ـرَّةَ أَوْلَا فَاسْتَزِرْنِي

وَمِنْ خَطِّهِ قَالَ : نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عِيسَى الْوَزِيرِ لِجَعْفَرِ بْنِ قُدَامَةَ :

كَيْفَ يَخْفَى وَإِنْ أَتَانِي نَهَارًا

كَسَفَ الشَّمْسَ بِالْجَمَالِ الْبَهِيِّ

فَكِلَا حَالَتَيْهِ يَفْضَحُ سِرِّي

وَيُنَادِي بِكُلِّ أَمْرٍ خَفِيِّ

بِأَبِي أَحْسَنُ الْأَنَامِ جَمِيعًا

تَاهَ عَقْلِي بِهِ وَحَقِّ النَّبِيِّ

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ ، عَبْدِ الْمَجِيدِ ابْنِ بُشْرَانَ الْأَهْوَازِيُّ فِي تَارِيخِهِ : مَاتَ أَبُو الْقَاسِمِ جَعْفَرُ ابْنُ قُدَامَةَ ، بْنِ زِيَادٍ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ ، لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . قَالَ ابْنُ بُشْرَانَ :

---

(١) أي اجعل نفسك تزورني ، وإلا فاسمح أن أزورك

وَفِي سَنَةِ عَشْرَةٍ وَثَلاثِمِائَةٍ ، أُخْرِجَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الْوَزِيرُ إِلَى الْيَمَنِ مَنْفِيًّا ، فَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ، جَعْفَرُ بْنُ قُدَامَةَ الْكَاتِبُ فِي ذَلِكَ :

أَصْبَحَ الْمُلْكُ وَاهِيَ[1] الْأَرْجَاء
وَأُمُورُ الْوَرَى بِغَيْرِ اسْتِوَاء[2]
مُنْذُ نَادَتْ نَوَى عَلِيِّ بْنِ عِيسَى
وَاسْتَمَرَّتْ بِهِ إِلَى صَنْعَاء
فَوَحَقِّ الَّذِي يُمِيتُ وَيُحْيِي
وَهُوَ اللهُ مَالِكُ الْأَشْيَاء
لَقَدِ اخْتَلَّ بَعْدَهُ كُلُّ أَمْرٍ
وَاسْتَبَانَتْ كَآبَةُ الْأَعْدَاء
ثُمَّ صَارُوا بَعْدَ الْعَدَاوَةِ وَاللَّـ
ـهِ جَمِيعًا فِي صُورَةِ الْأَوْلِيَاء[3]

(١) أى ضعيفاً
(٢) أى بغير اعتدال واستقامة
(٣) الاولياء : الانصار والاعوان

يَتَأَلَّوْنَ[١] كُلُّهُمْ فِي عَلِيٍّ
إِنَّهُ قَدْ خَلَا مِنَ النُّظَرَاءِ

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا :

تَسْمَعُ « مُتُّ قَبْلَكَ » بَعْضَ قَوْلِي
وَلَا تَتَسَلَّلَنْ مِنِّي لِوَاذَا[٢]
إِذَا أَسْقَمْتَ بِالْهِجْرَانِ جِسْمِي
وَمُتُّ بِغُصَّتِي فَيَكُونُ مَاذَا ؟

وَمِنْ كِتَابِ الْوُزَرَاءِ لِهِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ : وَلِجَعْفَرِ بْنِ قُدَامَةَ يَمْدَحُ ابْنَ الْفُرَاتِ :

يَا ابْنَ الْفُرَاتِ وَيَا كَرِيمَ الْخِيمِ[٣] مَحْمُودَ الفِعَالِ
ضُيِّعْتُ بَعْدَكَ وَاطُّرِحْتُ وَبَانَ لِلنَّاسِ اخْتِلَالِي[٤]

---

(١) تألى : أقسم ، ويتألون : يقسمون
(٢) اللواذ الاستتار
(٣) الخيم : الطبع والسجية والخلق
(٤) اختل حاله : فسد واضطرب

وَتَغَيَّرَتْ مُذْ غَيَّرَتْ أَحْوَالَكَ الأَيَّامُ حَالِي
لَهْفاً[١] أَبَا حَسَنٍ عَلَى أَيَّامِكَ الغُرِّ الخَوَالِي
لَهْفاً عَلَيْهَا إِنَّهَا بُلِيَتْ[٢] بِأَحْوَالٍ بَوَالِي

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ المُحَاضَرَاتِ لِأَبِي حَيَّانَ قَالَ : وَقُلْتُ لِلعَرُوضِيِّ : أَرَاكَ مُنْخَرِطاً فِي سِلْكِ ابْنِ قُدَامَةَ ، وَمُنْصَبّاً إِلَيْهِ ، وَمُتَوَفِّراً عَلَيْهِ ، وَكَيْفَ يَتَّفِقُ بَيْنَكُمَا ، وَكَيْفَ تَأْتَلِفَانِ وَلَا تَخْتَلِفَانِ . فَقَالَ : إِعْلَمْ أَنَّ الزَّمَانَ وَقْتُ الاِعْتِدَالِ ، وَالرَّجُلُ كَمَا تَعْرِفُ عَلَى غَايَةِ البَرْدِ وَالغَثَاثَةِ ، وَخَسَاسَةِ[٣] الطَّبْعِ ، وَأَنَا كَمَا تَعْرِفُنِي وَتُثْبِتُنِي ، فَاعْتَدَلْنَا إِلَى أَنْ يَتَغَيَّرَ الزَّمَانُ ، ثُمَّ نَفْتَرِقُ وَنَخْتَلِفُ وَلَا نَتَّفِقُ . وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

---

(١) اللهف : الحزن على الشيء الفائت ، يقول المحزون : يا لهفي على فلان ، ويا لهف نفسي عليه .

(٢) بليت : أصيبت

(٣) في الأصل : « حباسة »

وَصَاحِبٍ أَصْبَحَ مِنْ بَرْدِهِ
كَالْمَاءِ فِي كَانُونَ أَوْ فِي شُبَاطْ [1]

نُدْمَانُهُ مِنْ ضِيقِ أَخْلَاقِهِ
كَأَنَّهُمْ [2] فِي مِثْلِ سَمِّ الْخِيَاطْ

نَادَمْتُــهُ يَوْمًا فَأَلْفَيْتُــهُ
مُتَّصِلَ الصَّمْتِ قَلِيلَ النَّشَاطْ

حَتَّى لَقَــدْ أَوْهَمَـنِي أَنَّهُ
بَعْضُ التَّمَاثِيلِ الَّتِي فِي الْبِسَاطْ

﴿ ٤٢ — جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ أَحْمَدَ ، بْنِ حُذَارٍ * ﴾

جعفر بن محمد الكاتب

الْكَاتِبُ أَبُو الْقَاسِمِ ، ذَكَرَهُ الصُّولِيُّ فِي كِتَابِ أَخْبَارِ شُعَرَاءِ مِصْرَ قَالَ : لَمْ يَكُنْ بِمِصْرَ مِثْلُهُ فِي وَقْتِهِ ، كَثِيرُ الشِّعْرِ ، حَسَنُ الْبَلَاغَةِ عَالِمٌ ، لَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ ، وَمُكَاتَبَاتٌ كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ .

---

(١) كانون وشباط : اسما شهرين بالعبرية (٢) فى الاصل : « كأنه »

(*) راجع الوافى بالوفيات للصفدى ص ٥٥

قَالَ : وَكَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، قَدْ خَرَجَ عَلَى أَبِيهِ فِي نَوَاحِي بَرْقَةَ ، عِنْدَ غَيْبَةِ أَبِيهِ بِالشَّامِ ، وَتَابَعَهُ أَكْثَرُ النَّاسِ ، ثُمَّ غَدَرَ بِهِ قَوْمٌ ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ آخَرُونَ مِنْ نَوَاحِي الْقَيْرَوَانِ ، فَظَفِرَ بِهِ أَبُوهُ ، وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ حُذَارٍ وَزِيرَ الْعَبَّاسِ وَصَاحِبَ أَمْرِهِ . قَالَ ابْنُ زُولَاقٍ مُؤَرِّخُ مِصْرَ : قُبِضَ عَلَى الْعَبَّاسِ بِنَوَاحِي الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَأُدْخِلَ إِلَى الْفُسْطَاطِ عَلَى قَتَبٍ[1] عَلَى بَغْلٍ مُقَيَّدًا[2] ، فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَنَصَبَ لِكُتَّابِهِ وَمَنْ خَرَجَ بِهِمْ إِلَى مَا خَرَجَ إِلَيْهِ دِكَّةً عَظِيمَةً رَفِيعَةَ السَّمْكِ ، فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ ، لَا أَعْرِفُ مَوْقِعَهُ مِنَ الشَّهْرِ ، وَجَلَسَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ فِي عُلْوٍ يُوَازِيهَا ، وَشَرَعَ مِنْ ذَلِكَ الْعُلُوِّ إِلَيْهَا طَرِيقًا ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ فِي خَفْخَافٍ[3] مُلْحَمٍ وَعِمَامَةٍ وَخُفٍّ ، وَبِيَدِهِ سَيْفٌ مَشْهُورٌ ، فَضَرَبَ ابْنَ حُذَارٍ ثَلَاثَمِائَةِ سَوْطٍ ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْعَبَّاسُ فَقَطَعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ مِنْ خِلَافٍ ، وَأُلْقِيَ مِنَ الدِّكَّةِ إِلَى الْأَرْضِ ،

---

(١) القتب : أكاف صغير ، شبه برذعة ، جمعه أقتاب

(٢) كانت فى الاصل : « مقيد بالجر » فأصلحتها بالنصب على الحال

(٣) الخفخاف : الثوب الجديد الذى له خفخفة أى صوت عند التحريك ، والملحم : المتلائم نسجه . وفى الاصل : « جفتان » « عبد الخالق »

وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ بِالْمَنْتُوفِ وَبِأَبِي مَعْشَرٍ ، وَاقْتَصَرَ بِغَيْرِهِمْ عَلَى ضَرْبِ السَّوْطِ . فَلَمْ تَمْضِ أَيَّامٌ حَتَّى مَاتُوا .

وَقَالَ الصُّولِيُّ : مَثَّلَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ بِابْنِ حُذَارٍ لَمَّا قَتَلَهُ . يُرْوَى أَنَّهُ تَوَلَّى قَطْعَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ بِيَدِهِ . وَمِنْ شِعْرِ ابْنِ حُذَارٍ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مِنْ أَبْيَاتٍ :

يَا كِسْرَوِيًّا فِي الْقَدِيـ ـمِ وَهَاشِمِيًّا فِي الْوَلَاءْ
يَا ابْنَ الْمُقَفَّعِ فِي الْبَيَا نِ وَيَا إِيَاساً فِي الذَّكَاءْ
يَا نَاظِراً فِي الْمُشْكِلَا تِ الْمُعْضِلَاتِ وَيَا ضِيَائِي
إِيهاً ، جُعِلْتُ فِدَاكَ فِيـ ـمَ طَوَيْتَنِي طَيَّ الرِّدَاءْ
وَتَرَكْتَنِي بَيْنَ الْحِجَا بِ أَعُومُ فِي بَحْرِ الْجَفَاءْ
وَرَغِبْتَ عَمَّا كُنْتَ تَرْ غَبُ فِيهِ مِنْ لُطْفِ الْإِخَاءْ
مِنْ بَعْدِ أَنِّي [1] كُنْتُ عِنْـ ـدَكَ وَابْنَ أُمِّكَ بِالسَّوَاءْ
فَوَحَقِّ كَفِّكَ إِنَّهَا كَفٌّ كَأَخْلَافِ [2] السَّمَاءْ

(١) ولو أنها « أن قد كنت لكانت أخف »

(٢) كانت فى الاصل : « أخلاق السماء » وهو غير ظاهر ، فأصلحتها الى : « أخلاف السماء » تشبيهاً لها بأخلاف الحيوان ، جمع خلف : والاخلاف : الأثداء

لَأُخَالِيَنَّكَ وَالْهَوَى وَلَأَصْبِرَنَّ عَنِ اللِّقَاءِ
وَلَأَشْكُوَنَّكَ مَا اسْتَطَعْـ ـتُ إِلَى جَفَاءِكَ وَالْوَفَاءِ
وَلَأَصْبِرَنَّ عَلَى رُقِيِّكَ فِي ذُرَى دَرَجِ الْعَلَاءِ
فَهُنَاكَ أَجْنِي مَا غَرَسْـ ـتُ إِلَيْكَ مِنْ ثَمَرِ الرَّجَاءِ

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

جَاءَتْ بِوَجْهٍ كَأَنَّهُ قَمَرٌ
عَلَى قَوَامٍ كَأَنَّهُ غُصُنُ
تَرْنُو بِعَيْنٍ إِذَا تُعَايِنُهَا
حَسِبْتَ أَنْ فِي جُفُونِهَا وَسَنُ (١)
حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَتْ بِمَجْلِسِهَا
وَصَارَ فِيهِ مِنْ حُسْنِهَا وَثَنُ (٢)
غَنَّتْ فَلَمْ يَبْقَ فِيَّ جَارِحَةٌ
إِلَّا تَمَنَّيْتُ أَنَّهَا أُذُنُ

---

(١) وسن الرجل : أخذه النعاس ، أو نام نوم خفيفاً
(٢) الوثن : الصنم ، والمراد أن الابصار تديم النظر إليها ، فكأنها معبودة .

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

زَارَنِي (١) زَوْرٌ (٢) ثَكِلْتُهُمُ (٣)

وَأُصِيبُوا حَيْثُمَا سَلَكُوا

أَكَلُوا حَتَّى إِذَا شَبِعُوا

حَمَلُوا الْفَضْلَ (٤) الَّذِي تَرَكُوا

﴿ ٤٣ — جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ الْأَزْهَرِ ، ﴾
﴿ ابْنِ عِيسَى الْأَخْبَارِيُّ * ﴾

جعفر الاخبارى

أَحَدُ أَصْحَابِ السِّيَرِ ، وَمَنْ عُنِيَ بِجَمْعِ الْأَخْبَارِ وَالتَّوَارِيخِ . مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ . وَمَوْلِدُهُ

---

(١) كانت فى الاصل : « زار » فأصلحتها الى ما ترى

(٢) الزور : الزائرون (٣) أى عدمتهم وفقدتهم (٤) أى الزائد

(*) ترجم له فى تاريخ مدينة السلام صفحة ٢١٠ جزء ٥ بما يأتى :

« جعفر بن محمد ، بن الأزهر ، أبو أحمد البزاز ، ويعرف بالباوردى ، « وبالطوسى »

روى عن أبى الفضل بن غسان الغلابى ، عن أبيه ، تاريخ يحيى بن معين ، وحدث أيضاً عن وهب ، وعن بقية ، ومحمد بن خالد ، بن عبدالله الواسطيين ، —

سَنَةَ مِائَتَيْنِ ، سَمِعَ مِنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ وَطَبَقَتِهِ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ التَّارِيخِ عَلَى السِّنِينَ ، وَهُوَ مِنْ جَيِّدِ الْكُتُبِ ، ذَكَرَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ .

﴿ ٤٤ – جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ خَالِدِ ، بْنِ ثَوَابَةَ ، * ﴾

جعفر بن ثوابة الكاتب

أَبُو الْحُسَيْنِ الْكَاتِبُ ، أَحَدُ الْبُلَغَاءِ الْفُصَحَاءِ ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ قِيرَاطٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ

— روى عنه أحمد بن عثمان ، والد أبى حفص بن شاهين ، وأحمد بن سلمان النجاد ، وأبو بكر الشافعى ، وأحمد بن إبراهيم الاسماعيلى الجرجانى ، وكان ثقة ، أخبرنا البرقانى ، أخبرنا أبو بكر الاسماعيلى ، أخبرنى أبو أحمد جعفر ابن محمد ، بن الازهر الطوسى ببغداد ، أخبرنا وهب بن بقية ، أخبرنا محمد بن أحمد ، بن رزق ، فيما أذن أن نرويه عنه ، أخبرنا أبو بكر محمد ، أخبرنا عبد الله الشافعى ، قال : توفى أبو أحمد ، جعفر بن محمد ، بن الازهر فى رجب سنة تسع وتسعين ومائتين .

(*) ترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات ، جزء ثالث ، قسم ثان صفحة ٦٨ قال :

هو أبو الحسين الكاتب الاسكافى ، صاحب ديوان الرسائل ، كان فاضلا بليغاً ، وموته سنة أربع وثمانين ومائتين بالرى ، ودفن بها ، ومن شعره :

قل لملك هل حقيق أن يسمى بمليك
كم قتيل لك ما بيـ ـن عبيد وملوك
وطريق لى إلى وصـ ـلك ممنوع السلوك
يا نهيك الخصر ما تر فى لذى جسم نهيك ؟

الْإِيَادِيُّ الْكَاتِبُ ، صَدِيقُ الْكَرْخِيِّينَ ، قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ[1] عَبْدُ الْوَهَّابِ ، بْنُ الْحَسَنِ ، بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ، بْنِ سُلَيْمَانَ ، ابْنِ وَهْبٍ ، وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ ، هُمَا الْوَزِيرَانِ قَالَ : كَانَ إِلَى وَالِدِي الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ دِيوَانُ الرَّسَائِلِ ، وَدِيوَانُ الْمَعَاوِنِ وَجُمْلَةُ الدَّوَاوِينِ الَّتِي كَانَتْ إِلَيْهِ فِي أَيَّامِ وَزَارَةِ أَبِيهِ لِلْمُعْتَضِدِ ، فَأَمَرَ عُبَيْدُ اللهِ ابْنَهُ ، أَنْ يَسْتَخْلِفَ أَبَا الْحُسَيْنِ ابْنَ ثَوَابَةَ عَلَى دِيوَانِ الرَّسَائِلِ ، وَدِيوَانِ الْمَعَاوِنِ ، فَصَارَ كَالْمُتَقَلِّدِ لَهُ مِنْ قِبَلِ الْوَزِيرِ ، لِكَثْرَةِ اسْتِخْدَامِهِ لَهُ فِيهِ ، ثُمَّ مَاتَ أَبِي ، فَأَقَرَّهُ جَدِّي الْوَزِيرُ عَبْدُ اللهِ عَلَى الدِّيوَانِ رِيَاسَةً ، وَبَقِيَ عَلَيْهِمْ يَتَوَارَثُونَهُ ، مَرَّةً رِيَاسَةً وَمَرَّةً خِلَافَةً ، إِلَى أَنْ تَسَلَّمَهُ الصَّابِئُ أَبُو إِسْحَاقَ مِنِ ابْنِ ابْنِهِ أَحْمَدَ .

وَكَتَبَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ هَذَا ، رُقْعَةً إِلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْوَزِيرِ فِي نُسْخَتِهَا : قَدْ فَتَحْتَ لِلْمَظْلُومِ بَابَكَ ، وَرَفَعْتَ عَنْهُ حِجَابَكَ ، فَأَنَا أُحَاكِمُ الْأَيَّامَ إِلَى عَدْلِكَ ،

(١) في نسخة العماد : « أبو أحمد »

وَأَشْكُو صَرْفَهَا(١) إِلَى عَطْفِكَ ، وَأَسْتَجِيرُ مِنْ لُؤْمِ غَلَبَتِهَا بِكَرَمِ قُدْرَتِكَ ، فَإِنَّهَا تُؤَخِّرُنِي إِذَا قَدَّمَتْ ، وَتَحْرِمُنِي إِذَا قَسَمَتْ ، فَإِنْ أَعْطَتْ أَعْطَتْ يَسِيراً ، وَإِنِ ارْتَجَعَتْ(٢) ارْتَجَعَتْ كَثِيراً ، وَلَمْ أَشْكُهَا إِلَى أَحَدٍ قَبْلَكَ ، وَلَا أَعْدَدْتُ لِإِنْصَافِهَا إِلَّا فَضْلَكَ ، وَدَفَعَ زِمَامَ الْمَسْأَلَةِ وَحَقَّ الظُّلَامَةِ حَقُّ التَّأْمِيلِ ، وَقَدَمُ(٣) صِدْقِ الْمُوَالَاةِ وَالْمَحَبَّةِ ، وَالَّذِي يَمْلَأُ يَدِي مِنَ النَّصَفَةِ ، وَيُسْبِغُ الْعَدْلَ عَلَيَّ ، حَتَّى تَكُونَ إِلَيَّ مُحْسِناً ، وَأَكُونَ بِكَ لِلْأَيَّامِ مُعْدِياً ، أَنْ تَخْلِطَنِي بِخَوَاصِّ خَدَمِكَ ، الَّذِينَ نَقَلْتَهُمْ مِنْ حَالِ الْفَرَاغِ إِلَى الشُّغْلِ ، وَمِنَ الْخُمُولِ إِلَى النَّبَاهَةِ وَالذِّكْرِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُعْدِيَنِي فَقَدِ اسْتَعْدَيْتُ ، وَتُجِيرَنِي فَقَدْ عُذْتُ(٤) بِكَ ، وَتُوَسِّعَ عَلَيَّ كَنَفَكَ(٥) ، فَقَدْ أَوَيْتُ إِلَيْهِ ، وَتَشْمَلَنِي

---

(١) صرف الايام : حوادثها وغيرها

(٢) ارتجعت : استردت وأخذت

(٣) يقال : لفلان قدم صدق : أي قدم سابقة صادقة

(٤) أي التجأت واستجرت بك (٥) الكنف : الظل والجانب والناحية ، ويقال : أنت في كنف الله : أي في حرزه وستره

بِإِحْسَانِكَ ، فَقَدْ عوَّلتُ عَليْهِ ، وَتَسْتَعْمِلَ بَدَنِي وَلِسَانِي فِيمَا يَصْلُحَانِ لِخِدْمَتِكَ فِيهِ ، فَقَدْ دَرَسْتُ كُتُبَ أَسْلَافِكَ ، وَهُمُ الْأَئِمَّةُ فِي الْبَيَانِ ، وَاسْتَضَأْتُ بِرَأْيِهِمْ ، وَاقْتَفَيْتُ آثَارَهُمُ اقْتِفَاءً جَعَلَنِي (١) بَيْنَ وَحْشِيِّ كَلَامٍ وَأَنِيسِهِ ، وَوَقَفَنِي مِنْهُ عَلَى جَادَّةٍ (٢) مُتَوَسِّطَةٍ ، يَرْجِعُ إِلَيْهَا الْغَالِي ، وَيَسْمُو نَحْوَهَا الْمُقَصِّرُ ، فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، فَكَانَتْ هَذِهِ الرُّقْعَةُ سَبَبَ اسْتِخْلَافِهِ لِأَبِي .

﴿ ٤٥ — جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ ، بْنِ حَمْدَانَ الْمَوْصِلِيُّ ، * ﴾

جعفر الموصلى

أَبُو الْقَاسِمِ الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ

(١) كانت فى الأصل : « حصلنى » وهو غير ظاهر فأصلحتها الى ماترى

(٢) الجادة : الطريق أو وسطها

(*) ترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات ، جزء ثالث ، قسم ثان ، ص ٥١ بما يأتى :
كان مضطلعا بعلوم كثيرة من الفقه ، والاصول ، والحكمة ، والهندسة ، والادب ، والشعر ، وله مصنفات كثيرة ، فى جميع ذلك ، ودخل بغداد ومدح المعتضد ، والوزير القاسم بن عبيد الله ، وكان صديقا لكل وزراء عصره ، مداحا لهم ، آنسا بهم . وبالمبرد ، وثعلب ، وأمثالهما ، من علماء الوقت ، وكانت له فى بلده دار علم ، قد جعل فيها خزانة فيها من جميع العلوم ، وقفا على كل طالب علم ، لايمنع أحد من دخولها إذا جاءها ، وإن كان معسرا أعطاه ورقا ، يفتحها كل يوم ويجلس فيها ، إذا عاد من ركوبه ، ويجتمع اليه الناس ، فيملى عليهم من —

فَقَالَ : هُوَ حَسَنُ التَّأْلِيفِ ، عَجِيبُ التَّصْنِيفِ ، شَاعِرٌ أَدِيبٌ فَاضِلٌ ، نَاقِدٌ لِلشِّعْرِ ، كَثِيرُ الرِّوَايَةِ ، مَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ . لَهُ عِدَّةُ كُتُبٍ فِي الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ . فَأَمَّا كُتُبُهُ فِي الْأَدَبِ فَهِيَ : كِتَابُ الْبَاهِرِ فِي أَشْعَارِ الْمُحْدَثِينَ ، عَارَضَ بِهِ الرَّوْضَةَ لِلْمُبَرِّدِ ، كِتَابُ الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ لَمْ يَتِمَّ ، وَلَوْ تَمَّ لَكَانَ غَايَةً فِي مَعْنَاهُ ، كِتَابُ السَّرِقَاتِ لَمْ يَتِمَّ أَيْضاً ،

— شعره ، وشعر غيره ، ومصنفاته مثل الباهر ، وغيره ، من المصنفات الحسان ، ثم يملى من حفظه ، من الحكايات المستطابة ، وشيئا من النوادر المؤلفة ، وطرفا من الفقه ، وما يتعلق به ، ولد سنة أربعين ومائتين ، وموته سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة .

كان جماعة من أهل الموصل ، حسدوه على محله وجاهه ، عند الخلفاء ، والوزراء والعلماء ، وكان قد جحد بعض أولاده ، وزعم أنه ليس منه ، فعاندوه بسببه ، وجهدوا أن يلحقوه به ، فما تم لهم ، فاجتمعوا وكتبوا فيه محضرا ، وشهدوا فيه عليه ، وعلى كل قبيحه وعظيمه ، ونفوه من الموصل ، فانحدر هاربا إلى بغداد ، ومدح المعتضد بقصيدة يشكو فيها ماناله ، ويصف مايحسنه من العلوم ، ويستشهد بثعلب ، والمبرد ، وغيرهما . وقد ذكرها ياقوت في معجمه .

وترجم له في بغية الوعاة ص ٢١٣

وَهُوَ كِتَابٌ جَيِّدٌ فِي مَعْنَاهُ ، كِتَابُ مَحَاسِنِ أَشْعَارِ الْمُحْدَثِينَ لَطِيفٌ .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْخَالِعُ : كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ ، جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْدَانَ الْمَوْصِلِيُّ ، مِمَّنْ عُمِّرَ طَوِيلًا ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبُحْتُرِيِّ مُرَاسَلَةٌ ، وَرَثَاهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ . وَمَدَحَ الْقَاسِمَ ابْنَ عُبَيْدِ اللهِ ، وَأَدْرَكَ أَبَا الْعَبَّاسِ النَّامِيَّ ، وَتَكَاتَبَا بِالشِّعْرِ .

وَقَالَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ أَبِي الزَّمْزَامِ : كَانَ ابْنُ حَمْدَانَ كَبِيرَ الْمَحَلِّ مِنْ أَهْلِ الرِّيَاسَاتِ بِالْمَوْصِلِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِهَا فِي وَقْتِهِ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَيَفْضُلُ فِي الْعُلُومِ سِوَاهُ ، مُتَقَدِّمًا فِي الْفِقْهِ ، مَعْرُوفًا بِهِ ، قَوِيًّا فِي النَّحْوِ فِيمَا يَكْتُبُهُ ، عَارِفًا بِالْكَلَامِ وَالْجَدَلِ مُبَرِّزًا فِيهِ ، حَافِظًا لِكُتُبِ اللُّغَةِ ، رَاوِيَةً لِلْأَخْبَارِ ، بَصِيرًا بِالنُّجُومِ ، عَالِمًا مُطَّلِعًا عَلَى عُلُومِ الْأَوَائِلِ ، عَالِيَ الطَّبَقَةِ فِيهَا ، وَكَانَ صَدِيقًا لِكُلِّ وُزَرَاءِ عَصْرِهِ ، مَدَّاحًا لَهُمْ ، آنِسًا بِالْمُبَرِّدِ وَثَعْلَبٍ وَأَمْثَالِهِمَا ، مِنْ

عُلَمَاءِ الْوَقْتِ ، مُفَضَّلًا عِنْدَهُمْ ، وَكَانَتْ لَهُ بِبَلَدِهِ دَارُ عِلْمٍ قَدْ جَعَلَ فِيهَا خِزَانَةَ كُتُبٍ مِنْ جَمِيعِ الْعُلُومِ ، وَقْفًا عَلَى كُلِّ طَالِبٍ لِلْعِلْمِ ، لَا يُمْنَعُ أَحَدٌ مِنْ دُخُولِهَا إِذَا جَاءَهَا غَرِيبٌ يَطْلُبُ الْأَدَبَ ، وَإِنْ كَانَ مُعْسِرًا أَعْطَاهُ وَرَقًا وَوَرِقًا[١] ، تُفْتَحُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَيَجْلِسُ فِيهَا إِذَا عَادَ مِنْ رُكُوبِهِ ، وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ النَّاسُ فَيُمْلِي[٢] عَلَيْهِمْ مِنْ شِعْرِهِ وَشِعْرِ غَيْرِهِ وَمُصَنَّفَاتِهِ ، مِثْلِ الْبَاهِرِ وَغَيْرِهِ مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ الْحِسَانِ ، ثُمَّ يُمْلِي مِنْ حِفْظِهِ مِنَ الْحِكَايَاتِ الْمُسْتَطَابَةِ ، وَشَيْئًا مِنَ النَّوَادِرِ الْمُؤَلَّفَةِ ، وَطَرَفًا مِنَ الْفِقْهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ .

وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ حَسَدُوهُ عَلَى مَحَلِّهِ وَجَاهِهِ عِنْدَ الْخُلَفَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَكَانَ قَدْ جَحَدَ بَعْضَ أَوْلَادِهِ وَزَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُ ، فَعَانَدُوهُ بِسَبَبِهِ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ نَفَاهُ ظُلْمًا ، وَاجْتَهَدُوا أَنْ يُلْحِقُوهُ بِهِ ، فَمَا تَمَّ

---

(١) الورق بفتح الراء : ما يكتب فيه ، والورق بكسر الراء : الفضة

(٢) كانت فى الاصل « هلا عليهم » وهو ليس بظاهر ، فأصلحناه الى ما ذكر ، وهذا يتفق مع الذى ذكره صاحب الوافى بالوافيات .

لَهُمْ ، فَاجْتَمَعُوا وَكَتَبُوا فِيهِ مَحْضَراً ، وَشَهِدُوا عَلَيْهِ فِيهِ بِكُلِّ قَبِيحٍ عَظِيمٍ ، وَنَفَوْهُ عَنِ الْمَوْصِلِ ، فَانْحَدَرَ هَارِبًا مِنْهُمْ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ ، وَمَدَحَ الْمُعْتَضِدَ بِقَصِيدَةٍ يَشْكُو فِيهَا مَانَالَهُ مِنْهُمْ ، وَيَصِفُ مَايُحْسِنُهُ مِنَ الْعُلُومِ ، وَيَسْتَشْهِدُ بِثَعْلَبٍ وَالْمُبَرِّدِ وَغَيْرِهِمَا . أَوَّلُهَا :

أَجِدَّكَ (١) مَايَنْفَكُّ طَيْفُكَ سَارِيًا
مَعَ اللَّيْلِ مُجْتَابًا إِلَيْنَا الْفَيَافِيَا

يُذَكِّرُنَا عَهْدَ الْحِمَى وَزَمَانَنَا
بِنَعْمَانَ وَالْأَيَّامُ تُعْطِي الْأَمَانِيَا

لَيَالِيَ مَغْنَى آلِ لَيْلَى عَلَى الْحِمَى
وَنَعْمَانُ غَادٍ (٢) بِالْأَوَانِسِ غَانِيًا (٣)

وَعَهْدُ الصِّبَى مِنْهُنَّ فَيْنَانُ (٤) مُورِقٌ
ظَلِيلُ الضُّحَى مِنْ حَائِطِ اللَّهْوِ دَانِيَا

---

(١) منصوب بمحذوف تقديره : أتجد جدك حال كونك ما تنفك

(٢) الغادى : المبكر (٣) غانياً : آهلا

(٤) فينان : يريد متهدل الاغصان ، ورجل « فينان » : حسن الشعر طويله

قَرِيبُ الْمَدَى نَائِى الْجَوَى دَانِى الْهَوَى
عَلَى مَا يَشَاءُ الْمُسْتَهَامُ مُؤَاتِيَا [١]

حَلَفْتُ بِأَخْيَافِ الْمُخَيَّمِ [٢] مِنْ مِنًى
وَمَنْ حَلَّ جَمْعًا [٣] وَالرِّعَانَ الْمَتَالِيَا

وَبِالرَّكْبِ يَأْتُمُّونَ بَطْحَاءَ مَكَّةٍ
عَلَى أَرْكُبٍ تَحْكِى الْقِسِىَّ [٤] حَوَافِيَا

طَوَاهُنَّ طَىُّ الْبِيدِ فِى غَلَسِ الدُّجَى
وَنَشْرُ الْفَيَافِى وَالْفَيَافِى كَمَا هِيَا

وَلَوْ أَنَّنِى أَبْثَثْتُ مَا بِى مِنَ الْجَوَى
شَمَارِيخَ رَضْوَى أَوْ شِمَامَ [٥] رَثَى لِيَا

وَإِنْ أَطْوِ مَا تَطْوِى الْجَوَانِحُ مِنْ هَوًى
عَنِ النَّاسِ تُخْبِرْهُمْ بِحَالِىَ حَالِيَا

---

(١) مؤاتياً : معينا ومساعداً

(٢) كانت فى الاصل « بأخياف المخم » وليس بظاهر .

(٣) يوم عرفة (٤) جمع قوس (٥) رضوى وشمام : جبلان

أَأُدْخَلُ تَحْتَ الضَّيْمِ وَالْبِيدُ وَالسُّرَى

وَأَيْدِي الْمَطَايَا النَّاعِجَاتِ عَنَادِيَا ؟ (١)

سَأَخْرُجُ مِنْ جِلْبَابِ كُلِّ مُلِمَّةٍ

خُرُوجَ الْمُعَلَّى (٢) وَالْمَنِيحُ وَرَائِيَا

إِذَا أَنَا قَابَلْتُ الْإِمَامَ مُنَاجِيًا (٣)

لَهُ بِالَّذِي مِنْ رَيْبِ دَهْرِي عَنَانِيَا

رَمَيْتُ بِآمَالِي إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي

أَذَلَّتْ مَسَاعِيهِ الْأُسُودَ الضَّوَارِيَا

وَمَا هِيَ إِلَّا رَوْحَةٌ وَادِّلَاجَةٌ (٤)

تُنِيلُ الْأَمَانِي أَوْ تُقِيمُ الْبَوَاكِيَا

وَلِي فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَدَائِحٌ

مَلَأْتُ بِهَا الْآفَاقَ حُسْنَ ثَنَائِيَا

(١) الناعجات : النوق البيض ، والعناد : العدة (٢) يقال : قدح معلى : فائز أحسن فوز ، وقدح منيح : يستمنح من صاحبه لما تعود من فوزه

(٣) أي مناجيا ما بنفسي من سر

(٤) الدلجة : السير في آخر الليل

وَأَمَتْ بِي الْآمَالُ لَا طَالِباً جَدًى[١]

وَلَا شَاكِياً إِنْفَاضَ[٢] حَالِي وَمَالِيَا

وَلَكِنَّنِي أَشْكُو عَدُوًّا مُسَلَّطاً

عَلَيَّ عَدَانِي بَغْيُهُ عَنْ مَجَالِيَا

أَيَا ابْنَ الْوُلَاةِ الْوَارِثِينَ مُحَمَّداً

خِلَافَتَهُ دُونَ الْمَوَالِي مَوَالِيَا[٣]

إِذَا مَا اعْتَزَمْتَ الْأَمْرَ أَبْرَمْتَ[٤] فَتْلَهُ

وَلَمْ تَكُ عَنْ إِمْضَائِكَ الْعَزْمَ وَانِيَا

فَلَا تَكُ لِلْمَظْلُومِ نَادَاكَ فِي الدُّجَى

لِغُرْبَتِهِ وَالدَّفْعِ لِلظُّلْمِ نَاسِيَا

وَهِيَ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ بَيْتاً ، فِيهَا بَعْدَ الْمَدْحِ : مَا يُحْسِنُهُ مِنَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ ، وَيَتَبَجَّحُ[٥] بِمَعْرِفَتِهِ إِقْلِيدِسَ وَأَشْكَالِهِ ، وَزِيَادَاتٍ زَادَهَا فِي أَعْمَالِهِ ، وَلَهُ فِي صِفَةِ اللَّيْلِ :

---

(١) الجدى : العطاء (٢) أى ذهاب مالى وسوء حالى

(٣) يريد الوارثين حال كونهم موالى جمع مولى : القريب وابن العم ، ودون الموالى متعلق بالوارثين ، والموالى جمع مولى : العبد والخادم

(٤) أى أحكمت (٥) أى يتعاظم

رُبَّ لَيْلٍ كَالبَحْرِ هَوْلاً وَكَالدَّهْـ

ـرِ امْتِدَاداً وَكَالْمِدَادِ سَوَادَا

خُضْتُهُ وَالنُّجُومُ تُوقَدْنَ حَتَّى

أَطْفَأَ الفَجْرُ ذَلِكَ الْإِيقَادَ[1]

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ : وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَوْصِلِيِّ، مِنْ قَصِيدَةٍ فِي أَبِي سُلَيْمَانَ دَاوُدَ بْنِ حَمْدَانَ :

أَعِيجِى[2] بِنَا قَبْلَ انْبِتَاتِ حِبَالِكِ

جِمَالَكِ إِنَّ الشَّوْقَ شَوْقُ جِمَالِكِ

قِفِى وَقْفَةً تَتْلُو عَلَيْكِ أُوَامَهَا

جَوَانِحُ لَا تُرْوَى بِغَيْرِ نَوَالِكِ

فَقَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ الضُّحَى بِأُوَارِهَا[3]

عَلَى مُسْتَظِلَّاتٍ بِفَيْءِ ظِلَالِكِ

---

(١) الايقاد : التوقد والاشتعال

(٢) أى أميليها واعطفيها حيث تريد

(٣) الاوار : الحرارة والوهج

وَمِنْهَا :

بِأَبْنَاءِ حَمْدَانَ الَّذِينَ كَأَنَّهُمْ

مَصَابِيحُ لَاحَتْ فِي لَيَالٍ حَوَالِكِ

لَهُمْ نِعَمٌ لَا أَسْتَقِلُّ(١) بِشُكْرِهَا

وَإِنْ كُنْتُ قَدْ سَيَّرْتُهُ فِي الْمَسَالِكِ

وَخَلَّفْتُ فِيهِ مِنْ قَرِيضٍ بَدَائِعاً

تُرَى خَلَفاً مِنْ كُلِّ بَاقٍ وَهَالِكِ

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ :

مَا شَأْنُ دَارِكِ يَا لَيْلَى نُنَاجِيهَا

فَمَا تُجِيبُ وَلَا تَرْعَى لِدَاعِيهَا

إِنَّا عَشِيَّةَ عُجْنَا بِالْمَطِيِّ بِهَا

كُنَّا نُحَيِّيكِ فِيهَا لَا نُحَيِّيهَا

لَا تُرْسِلِي الطَّيْفَ إِنَّ الطَّرْفَ فِي شُغُلٍ

عَنِ الْكَرَى بِدُمُوعٍ بَاتَ يُجْرِيهَا

(١) لايمكنني القيام بشكرها

لَأَضْرِبَنَّ بِآمَالِي إِلَى مَلِكٍ
يَقِلُّ فِي قَدْرِهِ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا
يَابْنَ الْوَزَارَةِ وَالْمَأْمُولُ بَعْدُ لَهَا
فِي سَائِرِ الْأَرْضِ دَانِيهَا وَقَاصِيهَا
مَا بَالُ مَا أَجْتَابُ عُرْضَ الْأَرْضِ مِنْ مِدَحِي
إِلَيْكَ يَسْرِي مَعَ الرُّكْبَانِ سَارِيهَا
لَمْ يَأْتِنِي نَبَأٌ عَنْهَا وَلَا خَبَرٌ
وَالْيَوْمُ كَالْحَوْلِ لِي مِمَّا أُرَاعِيهَا

وَلَهُ أَيْضاً :

وَمَا الْمَوْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ غَيْرَ أَنَّنِي
أُرَى ضَرِعاً[1] بِالْعُسْرِ يَوْماً لِذِي الْيُسْرِ
فَدَعْ قَوْلَهُمْ لَيْسَ الثَّرَاءُ مِنَ الْعُلَا
فَمَا الْفَخْرُ إِلَّا أَنْ يُقَالَ هُوَ الْمُثْرِي
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْلُ[2] الصَّدِيقَ فَلَا تَكُنْ
لَهُ آمِناً فِيمَا يُجِنُّ[3] مِنَ الْأَمْرِ

(١) أى ذليلا (٢) أى تختبره وتمتحنه (٣) أى يخفى ويستر

فَإِنْ سَتَرَتْ حَالُ امْرِىءٍ لُؤْمَ أَصْلِهِ
أَبَى اللُّؤْمُ إِلَّا أَنْ يَبِينَ مَعَ السَّتْرِ

وَلَهُ أَيضاً :

عَلَى الْخَيفِ مِنْ أَكْنَافِ بُرْقَةَ أَطْلَالُ
دَوَارِسُ عَفَّتْهَا بِبُرْقَةَ أَحْوَالُ
وَمَبْنَى خِيَامٍ مِنْ فَرِيقٍ تَفَرَّقُوا
أَيَادِي سَبَا وَالْبَيْنُ لِلشَّمْلِ مُغْتَالُ(١)
وَهُنَّ نُجُومٌ لِلنُّجُومِ ضَرَائِرٌ
وَهُنَّ لِأَكْدَارِ الْحَنَادِسِ(٢) إِقْبَالُ
أَلَا إِنَّ تَجْوَالَ الظِّبَاءِ سَوَانِحاً
لِمَنْ عَالَجَ الْوَجْدَ الْمُبَرِّحَ آجَالُ
إِلَى ابْنِ أَبِي الْعَبَّاسِ جَاذَبَنَا الْمُنَى
وَمِنْ دُونِهِ بِيدٌ يَخُبُّ(٣) بِهَا الْآلُ

---

(١) مغتال : مهلك (٢) جمع حندس : الليل الشديد السواد ، ومنه الحديث « في ليلة ظلماء حندس » أي شديدة الظلمة

(٣) الخبب : ضرب من السير ، والآل : السراب ، يترقرق الآل فيها كأنه يخب

وَمَا زَالَتِ الأَيَّامُ تَضْحَكُ عَنْهُمُ
وَتُشْرِقُ عَنْهُمْ بِالْمَكَارِمِ أَفعَالُ
أُولَئِكَ أَرْبَابُ الْعُلَى وَبَنُو النَّدَى
وَقُوَّالُ فَصْلٍ يَوْمَ مَجْدٍ وَفُعَّالُ
هُمُ وَرَّثُوهُ الْجُودَ وَالْبَذْلَ وَالنَّدَى
فَزَادَ عَلَى مَا وَرَّثُوهُ وَلَمْ يَالُ[1]

وَلَهُ يَرْثِى الْبُحْتُرِىَّ :

تَعَوَّلَتِ[2] الْبَدَائِعُ وَالْقَصِيدُ
وَأَوْدَى الشِّعْرُ مُذْ أَوْدَى الْوَلِيدُ
وَأَظْلَمَ جَانِبُ الدُّنْيَا وَعَادَتْ
وُجُوهُ الْمَكْرُمَاتِ وَهُنَّ سُودُ
فَقُلْ لِلدَّهْرِ يَجْهَدُ فِى الرَّزَايَا
فَلَيْسَ وَرَاءَ فَجْعَتِهِ مَزِيدُ

---

(١) أى لم يدخر جهداً ولا وسعاً ولم يقصر

(٢) أى رفعت صوتها بكاء وصياحا

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

تَمَكَّنَ حُبُّ عَلْوَةَ مِنْ فُؤَادِي[١]
وَمُلِّكَ[٢] أَمْرُ غَيِّي وَالرَّشَادِ

فَوَالَى بَيْنَ دَمْعِي وَالْمآقِي
وَعَادَى بَيْنَ جَفْنِي وَالرُّقَادِ

وَقَدْ طَلَبَ السَّلَامَةَ فِي سُلَيْمَى
زَمَانًا وَالسَّعَادَةَ فِي سُعَادِ

فَلَا هَاتِيكَ أَحْمَدَهَا وِصَالًا
وَلَا هَذِي ارْتَضَاهَا فِي الْوِدَادِ

وَلَهُ أَيْضًا :

أَيُّهَا الْقَرْمُ[٣] الَّذِي أَعْوَزَنَا فِيهِ النَّدِيدُ[٤]
وَأَعَانَتْهُ عَلَى الْمَجْدِ مَسَاعٍ وَجُدُودُ[٥]

---

(١) كانت فى الاصل « فى فؤادى » ولعل الظاهر ما ذكر

(٢) كانت فى هذا الاصل « علك » فأصلحناه إلى ما ترى ولعله هو الظاهر

(٣) القرم : السيد المعظم

(٤) النديد : الند والشبيه والضريب (٥) الجدود : جمع جد .

عَجِّلِ النُّجْحَ فَإِنَّ الْـمَطْلَ بِالْوَعْدِ وَعِيدُ

قَالَ عُبَيْدُ اللهِ الفَقِيرُ إِلَيْهِ مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ :

هَذَا مَعْنًى عَنَّ لِي مِنْ قَبْلُ أَنْ أَقِفَ عَلَى هَذِهِ الأَبْيَاتِ ، وَكُنْتُ أَعْجَبُ كَيْفَ فَاتَ الأَوَائِلَ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى مُطَابَقَةِ التَّجْنِيسِ وَحُسْنِ الْمَعْنَى مُدَّةً ، حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى مَاهُهُنَا ، فَعَلِمْتُ أَنَّ أَكْثَرَ مَايُنْسَبُ إِلَى الشُّعَرَاءِ مِنَ السَّرِقَاتِ ، إِنَّمَا هُوَ تَوَارُدُ الْخَوَاطِرِ ، وَوُقُوعُ حَافِرٍ عَلَى حَافِرٍ . وَأَمَّا أَبْيَاتِي فَهِيَ :

يَاسَيِّدًا بَذَّ (١) مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ
عِلْمًا وَحِلْمًا وَآبَاءً وَأَجْدَادَا

مَاذَا دَعَاكَ إِلَى وَعْدٍ تُصَيِّرُهُ
بِالْخُلْفِ وَالْمَطْلِ وَالتَّسْوِيفِ إِيعَادَا

لَاتَعْجَلَنَّ بِوَعْدٍ ثُمَّ تُخْلِفُهُ
فَيُثْمِرُ الْمَطْلُ بَعْدَ الْوُدِّ أَحْقَادَا

---

(١) بذ : فاق وسبق

فَالوَعْدُ بَزْرٌ وَلُطفُ القَوْلِ مَنْبَتُهُ
وَلَيْسَ يُجْدِى إِذَا لَمْ يَلْقَ حُصَّادَا

﴿ ٤٦ — جَعْفَرُ بْنُ مُوسَى ، يُعْرَفُ بِابْنِ الْحَدَّادِ * ﴾

جعفر بن موسى الحداد

أَبُو الفَضْلِ النَّحْوِىُّ ، كَتَبَ النَّاسُ عَنْهُ شَيْئًا مِنَ اللُّغَةِ وَغَرِيبِ الْحَدِيثِ ، وَمَا كَانَ مِنْ كُتُبِ أَبِى عُبَيْدَةَ مِمَّا سَمِعَهُ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ التَّغْلَبِىِّ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ثِقَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَأَخْبَارِهِمْ . مَاتَ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ شَعْبَانَ ، سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَدُفِنَ بِقُرْبِ مَنْزِلِهِ ظَهْرَ قَنْطَرَةِ الْبَرَدَانِ (١) .

﴿ ٤٧ — جَعْفَرُ بْنُ هَارُونَ ، بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، النَّحْوِىُّ ﴾
« الدِّينَوَرِىُّ * »

جعفر الدينورى

أَبُو مُحَمَّدٍ . رَوَى عَنْهُ ابْنُ شَاذَانَ ، فِى شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

(١) البردان : من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها ، قرب صريفين ، وهي من نواحي دجيل
(*) راجع بغية الوعاة ص ٢١٢
(*) راجع بغية الوعاة ص ٢١٢

﴿ ٤٨ — جَلْدُ بْنُ جَمَلٍ الرَّاوِيَةُ (١) ﴾

جلد بن جمل

مَا رَأَيْتُ أَحَداً مِنْ أَهْلِ التَّصْنِيفِ، وَالرِّوَايَةِ وَالتَّأْلِيفِ، ذَكَرَهُ فِي كِتَابِ تَرْجَمَةٍ، إِلَّا أَنَّ الْإِسْنَادَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ، وَالرِّوَايَةَ عَنْهُ ظَاهِرَةٌ (٢) شَهِيرَةٌ، وَكَانَ فِيمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ الَّتِي يَرْوِيهَا، عَلَّامَةً بِأَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا، عَارِفاً بِأَيَّامِهَا وَأَنْسَابِهَا.

﴿ ٤٩ جَنَّادُ بْنُ وَاصِلٍ الْكُوفِيُّ * ﴾

جناد بن واصل

أَبُو مُحَمَّدٍ، وَيُقَالُ: أَبُو وَاصِلٍ، مَوْلَى بَنِي عَاضِدَةَ، مِنْ رُوَاةِ الْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ، لَا عِلْمَ لَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَ يُصَحِّفُ وَيَكْسِرُ الشِّعْرَ، وَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأَعَارِيضِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَيَخْلِطُ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ. وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ الْكُوفِيِّينَ

---

(١) كانت فى الاصل: « الرواية »

(٢) كانت فى الاصل: « ظاهر شهير »

(*) لم نعثر فيما رجعنا إليه من مظان على من ترجم له سوى ياقوت

(*) راجع فهرست ابن النديم ص ١٣٥

الْقُدَمَاءِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْحِفْظِ فِى قِيَاسِ حَمَّادٍ الرَّاوِيَةِ .

وَحَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الطُّوسِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : مَا كَانُوا يَشُكُّونَ بِالْكُوفَةِ فِى شِعْرٍ ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُمْ اسْمُ شَاعِرٍ ، إِلَّا سَأَلُوا عَنْهُ جَنَّاداً ، فَوَجَدُوهُ لِذَلِكَ حَافِظًا ، وَبِهِ عَارِفاً عَلَى لَحْنٍ كَانَ فِيهِ ، وَكَانَ كَثِيرَ اللَّحْنِ جِدًّا ، فَوْقَ لَحْنِ حَمَّادٍ ، وَرُبَّمَا قَالَ مِنَ الشِّعْرِ الْبَيْتَ وَالْبَيْتَيْنِ .

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ : اُتَّكَلَ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَلَى حَمَّادٍ وَجَنَّادٍ ، فَفَسَدَتْ رِوَايَاتُهُمْ مِنْ رَجُلَيْنِ ، كَانَا يَرْوِيَانِ لَا يَدْرِيَانِ ، كَثُرَتْ رِوَايَاتُهُمَا وَقَلَّ عِلْمُهُمَا . وَحَدَّثَ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ جَبَلَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكُوفِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : مَرَرْتُ بِجَنَّادٍ مَوْلَى الْعَاضِدِيِّينَ وَهُوَ يُنْشِدُ :

إِعْلَمْ بِأَنَّ الْحَقَّ مَرْكَبُهُ

إِلَّا عَلَى أَهْلِ التُّقَى مُسْتَصْعَبُ

فَاقْدِرْ بِذَرْعِكَ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّمَا
رُزِقَ السَّلَامَةَ مَنْ لَهَا يَتَسَبَّبُ

فَقُلْتُ: أَبْرَقْتَ يَا جَنَّادُ؟ قَالَ: وَأَنَّى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ. قَالَ: فَلَمْ يَسْتَبِنْ ذَلِكَ. فَتَرَكْتُهُ وَانْصَرَفْتُ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَإِنَّمَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ أَنَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ يَنْقُصُ مِنْ عَرُوضِهِ وَتِدٌ، وَالثَّانِي تَامٌّ فَكَسَرَهُ وَلَمْ يَعْلَمْ. وَالْعَرَبُ لَا تَغْلَطُ بِمِثْلِ هَذَا، وَإِنَّمَا يَغْلَطُونَ بِأَنْ يُدْخِلُوا عَرُوضَيْنِ فِي ضَرْبٍ وَاحِدٍ مِنَ الشِّعْرِ لِتَشَابُهِهِمَا. فَأَمَّا هَذَا: فَالصَّوَابُ فِيهِ أَنْ يَقُولَ:

إِعْلَمْ بِأَنَّ الْحَقَّ مَرْكَبُ ظَهْرِهِ
إِلَّا عَلَى أَهْلِ التُّقَى مُسْتَصْعَبُ

وَمَعْنَى قَوْلِهِ أَبْرَقْتَ: خَلَطْتَ بَيْتًا مَكْسُورًا بِبَيْتٍ صَحِيحٍ، فَصَارَ كَالْحَبْلِ الْأَبْرَقِ عَلَى لَوْنَيْنِ. وَالْبَرْقَاءُ مِنَ الْأَرْضِ وَالْحِجَارَةِ: ذَاتُ لَوْنَيْنِ: سَوَادٍ وَبَيَاضٍ.

٥٠ — جُنَادَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْهَرَوِىُّ، *

جنادة بن محمد الهروى

أَبُو أُسَامَةَ اللُّغَوِىُّ النَّحْوِىُّ ، عَظِيمُ الْقَدْرِ ، شَائِعُ الذِّكْرِ ، عَارِفٌ بِاللُّغَةِ ، أَخَذَ عَنْ أَبِى مَنْصُورٍ الْأَزْهَرِىِّ ، وَرَوَى عَنْ أَبِى أَحْمَدَ الْعَسْكَرِىِّ [1] وَرَوَى عَنْهُ كُتُبَهُ ، ثُمَّ قَدِمَ مِصْرَ فَأَقَامَ بِهَا ، إِلَى أَنْ قَتَلَهُ الْحَاكِمُ مِنَ الْمُلُوكِ الْمِصْرِيَّةِ ،

---

(١) كانت فى الاصل : « أحمد الازهرى » وفى رواية العماد : « أحمد العسكرى » فظننا أن رواية العماد أظهر ، فأصلحنا الاصل اليها ، وكما يستدل على ذلك من ترجمته ههنا

(*) ترجم له فى بغية الوعاة ص ٢١٣ بما يأتى :

« جنادة بن محمد بن الحسين الأزدى الهروى ، أبو أسامة اللغوى »

هو عظيم القدر ، شائع الذكر ، عارف باللغة ، أخذ عن الازهرى وغيره ، وروى عن أبى أحمد العسكرى كتبه ، أخذها عنه بمصر : أبو سهل الهروى ، وكان يقرأ بجامع المقياس ، فتوقف النيل فى بعض السنين ، فقيل للحاكم : إن جنادة رجل مشئوم ، يقعد بالمقياس ، ويلقى النحو ، ويعزم على النيل ، فلذلك لم يزد ، وكان الحاكم مشهوراً سيىء السيرة ، فأمر بقتله فقتل — رحمه الله — فى ثالث عشر ذى الحجة ، سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، حضر مجلس الصاحب اسماعيل بن عباد بشيراز ، وهو شعث الزى ، ذو أطمار رثة وسخة ، فجلس قريباً من الصاحب ، وكان مشغولا ، فلما بصر به قطب وقال : قم يا كلب من ههنا . فقال له جنادة : الكلب هو الذى لا يعرف للكلب ثلاثمائة اسم ، فمد عند ذلك الصاحب يده وقال : قم إلى ههنا ، فما يجب أن يكون مكانك حيث جلست ، ورفعه إلى جانبه . وقدم مصر ، وصحب الحافظ عبد الغنى بن سعيد ، وأبا إسحاق على بن سليمان المصرى النحوى ، وكانوا يجتمعون فى دار العلم بالقاهرة ، وتجرى بينهم مباحثات ومذاكرات ، فقتل الحاكم جنادة ، وأبا إسحاق علياً — رحمهما الله تعالى — واستتر عبد الغنى .

المُنْتَسِبَةِ إِلَى الْعَلَوِيِّينَ ، فِى سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلاثِمائَةٍ . ذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو مُحَمَّدٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرُّوذَبَارِىُّ فِى تَارِيخِهِ ، الَّذِى أَلَّفَهُ فِى حَوَادِثِ مِصْرَ . وَأَخَذَ عَنْهُ بِمِصْرَ أَبُو سَهْلٍ الْهَرَوِىُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَغَيْرِهِمْ ، وَكَانَ مَجْلِسُهُ بِمِصْرَ فِى جَامِعِ الْمِقْيَاسِ ، وَهُوَ الَّذِى فِيهِ الْعَمُودُ ، الَّذِى يَعْتَبِرُونَ بِهِ زِيَادَةَ النِّيلِ مِنْ نَقْصِهِ .

وَاتَّفَقَ فِى بَعْضِ السِّنِينَ ، أَنَّ النِّيلَ لَمْ يَزِدْ زِيَادَةً تَامَّةً ، فَقِيلَ لِلْحَاكِمِ حِينَئِذٍ : إِنَّ جُنَادَةَ رَجُلٌ مَشْئُومٌ ، يَقْعُدُ فِى الْمِقْيَاسِ وَيُلْقِى النَّحْوَ ، وَيَعْزِمُ عَلَى النِّيلِ فَلِذَلِكَ لَمْ يَزِدْ . وَكَانَ مِنْ حِدَّةِ الْحَاكِمِ وَتَهَوُّرِهِ ، وَمَا عُرِفَ مِنْ سُوءِ سِيرَتِهِ ، لَا يَتَثَبَّتُ فِيمَا يَفْعَلُهُ ، وَلَا يَبْحَثُ عَنْ صِحَّةِ مَا يَبْلُغُهُ ، فَأَمَرَ مِنْ سَاعَتِهِ بِقَتْلِهِ ، فَقَتَلَهُ (١) — رَحِمَهُ اللهُ — . سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ فِى مِصْرَ مُفَاوَهَةً ، حَكَوْهُ عَنِ الْأَثِيرِ بْنِ الْبَيْسَانِىِّ ، أَخِى الْقَاضِى الْفَاضِلِ وَغَيْرِهِ ، وَاللَّفْظُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

---

(١) كانت فى الأصل : « فعله » وأراه ليس بشىء ، فأصلحتها إلى ما ذكر

٥١ — جَهْمُ بْنُ خَلَفٍ الْمَازِنِيُّ الْأَعْرَابِيُّ ،

مِنْ مَازِنِ تَمِيمٍ *

جهم بن خلف المازنى

لَهُ اتِّصَالٌ فِي النَّسَبِ بِأَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ الْمَازِنِيِّ الْمُقْرِئِ ، وَكَانَ جَهْمٌ رَاوِيَةً ، عَلَّامَةً بِالْغَرِيبِ وَالشِّعْرِ ، وَكَانَ فِي عَصْرِ خَلَفٍ الْأَحْمَرِ ، وَالْأَصْمَعِيِّ ، وَكَانُوا ثَلَاثَتُهُمْ مُتَقَارِبِينَ فِي مَعْرِفَةِ الشِّعْرِ . وَلِجَهْمٍ شِعْرٌ مَشْهُورٌ فِي الْحَشَرَاتِ وَالْجَوَارِحِ مِنَ الطَّيْرِ . وَقِيلَ : إِنَّ ابْنَ مُنَاذِرٍ قَالَ يَمْدَحُ جَهْمًا :

سُمِّيتُمُ آلَ الْعَلَاءِ لِأَنَّكُمْ
أَهْلُ الْعَلَاءِ وَمَعْدِنُ الْعِلْمِ

(*) ترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات للصفدى ، جزء ثالث ، قسم ثان صفحة ١٤٤ قال : هو أعرابى من مازن تميم ، يمتد نسبه إلى أبى عمرو بن العلاء المازنى المقرىء ، وسمى جهما ، لأنه كان جهم الرواية ، له علم تام بالشعر ، والغريب ، وعاصر الاصمعى ، وخلفا الأحمر ، ويقال : أن الثلاثة كانوا متقاربين فى المعرفة بالشعر ، وأوزانه وقوافيه ، ولصاحب الترجمة شعر مشهور ، ولكن أكثره مذكور فى وصف الطيور الجارحة ، والحشرات الصغيرة ، وله شعر جزل العبارة ، سلس الأسلوب ، ذكره ياقوت فى معجمه .

وترجم له فى بغية الوعاة ص ٢١٣

وَلَقَدْ بَنَى آلُ الْعَلَاءِ لِمَازِنٍ
بَيْتًا أَحَلُّوهُ مَعَ النَّجْمِ

وَجَهْمٌ الْقَائِلُ فِى رِوَايَةِ الْمَازِنِىِّ يَصِفُ الْحَمَامَةَ :

مُطَوَّقَةٌ كَسَاهَا اللَّـ ـهُ طَوْقًا لَمْ يَكُنْ ذَهَبَا
جُمُودُ الْعَيْنِ مَبْكَاهَا يَزِيدُ أَخَا الْهَوَى نَصَبَا
مُفَجَّعَةٌ بَكَتْ شَجْوًا فَبِتُّ بِشَجْوِهَا وَصِبًا (١)
عَلَى غُصْنٍ تَمِيلُ بِهِ جَنُوبٌ مَرَّةً وَصَبَا (٢)
تَرِنُّ (٣) عَلَيْهِ إِمَّا مَا لَ مِنْ شَوْقٍ أَوِ انْتَصَبَا
وَمَا فَغَرَتْ (٤) فَمًا وَبَكَتْ بِلَا دَمْعٍ لَهَا انْسَكَبَا

قَالَ : وَلَهُ يُخَاطِبُ الْمُفَضَّلَ الضَّبِّىَّ لَمَّا قَدِمَ الْبَصْرَةَ :

أَنْتَ كُوفِىٌّ وَلَا يَحْـ فَظُ كُوفِىٌّ صَدِيقَا
لَمْ يَكُنْ وَجْهُكَ يَا كُو فِىُّ لِلْخَيْرِ خَلِيقَا

---

(١) وصب الرجل : مرض وألم
(٢) الصبا : الشمال
(٣) ترن : تغنى
(٤) فغرت فما : فتحته

﴿ ٥٢ – جُودِى بْنُ عُثْمَانَ ، مَوْلًى لِآلِ يَزِيدَ بْنِ طَلْحَةَ * ﴾

جودى بن عثمان

الْعَنْبَسِيِّينَ ، مِنْ أَهْلِ مَوْرُورَ مِنْ بِلَادِ الْغَرْبِ ، ذَكَرَهُ الْحُمَيدِيُّ وَالزُّبَيْدِيُّ ، رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ ، فَلَقِيَ الْكِسَائِيَّ وَالْفَرَّاءَ وَغَيْرَهُمَا . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ كِتَابَ الْكِسَائِيِّ إِلَى الْغَرْبِ ، وَسَكَنَ قُرْطُبَةَ بَعْدَ قُدُومِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ ، وَفِي حَلْقَتِهِ أَنْكَرَ عَلَى عَبَّاسِ بْنِ نَاصِحٍ قَوْلَهُ (١) :

يَشْهَدُ بِالْإِخْلَاصِ يُؤْتِيهَا لِلَّهِ فِيهَا وَهُوَ نَصْرَانِى

فَلَحَنَ حَيْثُ لَمْ يُشَدِّدْ يَاءَ النَّسَبِ . وَكَانَ بِالْحَضْرَةِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَبَّاسِ بْنِ نَاصِحٍ ، فَسَاءَهُ ذَلِكَ ، فَقَصَدَ عَبَّاساً

---

(١) فى الاصل « أنكر عباس بن ناصح قوله » وسياق الكلام يقضى بزيادة على أو من

(*) ترجم له فى بغية الوعاة صفحة ٢١٣ بما يأتى :

قال فى تاريخ غرناطة ، كان نحوياً عارفاً درس العربية ، وأدب بها أولاد الخلفاء ، وظهر على من تقدمه ، وقال الزبيدى : رحل إلى المشرق ، وأخذ من الرياشى ، والفراء ، والكسائى وهو أول من أدخل كتابه إلى الأندلس ، وولى القضاء بالبيرة . وصنف كتاباً فى النحو ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة . وكان مولى لآل يزيد بن طلحة المنبسيين .

وَكَانَ مَسْكَنُهُ بِالْجَزِيرَةِ ، فَلَمَّا طَلَعَ عَلَى عَبَّاسٍ قَالَ لَهُ : مَا أَقْدَمَكَ — أَعزَّكَ اللهُ — فِي هَذَا الْأَوَانِ ؟ قَالَ : أَقْدَمَنِي لَحْنُكَ . قَالَ لَهُ عَبَّاسٌ : وَأَيُّ لَحْنٍ ؟ فَأَعْلَمَهُ . فَقَالَ لَهُ : أَلَا أَنْشَدْتَهُمْ قَوْلَ عِمْرَانَ ابْنِ حِطَّانَ :

يَوْمًا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمَنٍ
وَإِنْ لَقِيتُ مَعَدِّيًّا فَعَدْنَانِي

فَلَمَّا سَمِعَ الْبَيْتَ كَرَّ رَاجِعًا . فَقَالَ لَهُ عَبَّاسٌ : لَوْ نَزَلْتَ فَأَقَمْتَ عِنْدَنَا . فَقَالَ : مَا بِي إِلَى ذَلِكَ مِنْ حَاجَةٍ ، ثُمَّ قَدِمَ قُرْطُبَةَ ، وَاجْتَمَعَ بِجُودِيٍّ وَأَصْحَابِهِ ، فَأَعْلَمَهُمْ مَا قَالَ وَوَافَقُوهُ .

٥٣ — حَبَشِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شُعَيْبٍ الشَّيْبَانِيُّ *

حبشي بن محمد الشيباني

أَبُو الْغَنَائِمِ النَّحْوِيُّ الضَّرِيرُ ، مِنْ أَهْلِ وَاسِطَ [1] ، مِنْ

---

(١) بلد بناه الحجاج ، وقيل إنه قصر بني قبل أن تنشأ البلدة ، وسمى ما بنى حولها باسم القصر ، وهو مصروف إن أريد المكان ، ولا يصرف أن أريد البقعة

(*) ترجم له في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي ، صفحة ٢٢٥ جزء رابع ، قسم أول ، بترجمة جاءت مطابقة لما جاء في المعجم ، غير أن بها زيادات قليلة منها : أنه اشتغل بالادب ، بعد أن قدم إلى بغداد ، ولازم علي بن الشجري ، حتى برع في علم النحو ، وبلغ الغاية ، وسمع الحديث ، وكتب الأدب ، ودواوين الشعر من الحافظ محمد بن ناصر

وترجم له أيضاً في بغية الوعاة صفحة ٤٠٢

نَاحِيَةٍ تُعْرَفُ بِالْأَفْشُولِيَةِ . مَاتَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَكَانَ قَدْ وَرَدَ وَاسِطَ، وَقَرَأَ بِهَا الْقُرْآنَ وَشَيْئًا مِنَ النَّحْوِ ، ثُمَّ قَدِمَ بَغْدَادَ وَأَقَامَ بِهَا ، وَقَرَأَ عَلَى ابْنِ الشَّجَرِيِّ الْعَلَوِيِّ ، وَاللُّغَةَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي مَنْصُورٍ الْجَوَالِيقِيِّ ، وَسَمِعَ مِنْهُمَا وَمِنْ قَاضِي الْمَارِسْتَانِ . وَكَانَ عَارِفًا بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ ، تَخَرَّجَ[1] بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ، كَمُصَدِّقِ بْنِ شَبِيبٍ ، وَكَانَ يُحْسِنُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَيَقُولُ : بِهِ تَخَرَّجْتُ ، لِأَنَّ الشَّيْخَ ابْنَ الْخَشَّابِ، كَانَ مَشْغُولًا عَنَّا ، وَيَضِنُّ عَلَيْنَا بِعِلْمِهِ ، فَكَانَ انْعِكَافُنَا[2] عَلَى حَبَشِيٍّ . وَكَانَ مَعَ هَذَا الْعِلْمِ ، إِذَا خَرَجَ إِلَى الطَّرِيقِ بِغَيْرِ قَائِدٍ لَا يَهْتَدِي[3] كَمَا يَهْتَدِي الْعُمْيَانُ ، حَتَّى سُوقِ الْكُتُبِ الَّذِي

---

(١) يقال : تخرج الطالب فى الأدب : تدرب . ويقال تخرج عليه فى الفقه خلق كثير .

(٢) الانعكاف على الشيء : الاقبال عليه مع المواظبة . من عكف عليه : أقبل مواظباً

(٣) لا يهتدى : لا يعرف — يقال : هديته الطريق وإليه : عرفته فاهتدى

كَانَ يَأْتِيهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَلَمْ يَكُنْ بَعِيداً عَنْ مَنْزِلِهِ .

﴿ ٥٤ — حُبَيْشُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمنِ أَبُو قِلَابَةَ * ﴾

حبيش بن عبد الرحمن

وَقِيلَ : حُبَيْشُ بْنُ مُنْقِذٍ . كَانَ أَحَدَ الرُّوَاةِ الْفَهَمَةِ[١] . وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَصْمَعِيِّ مُمَاظَّةٌ[٢] لِأَجْلِ الْمَذْهَبِ ، لِأَنَّ الْأَصْمَعِيَّ — رَحِمَهُ اللهُ — كَانَ سُنِّيًّا حَسَنَ الاعْتِقَادِ ، وَكَانَ أَبُو قِلَابَةَ شِيعِيًّا[٣] رَافِضِيًّا[٤] ، وَلَمَّا بَلَغَتْهُ وَفَاةُ الْأَصْمَعِيِّ شَمِتَ[٥] بِهِ وَقَالَ :

---

(١) جمع فاهم : ونظيره : كاتب وكتبة ، وساحر وسحرة — وفهم الشيء : علمه

(٢) مماظة : مخاصمة ومشاتمة : مصدر ماظه أي خاصمه ، وشاتمه ونازعه — ومنه « لا تماظ جارك ، فانه يبقى وتذهب الناس » .

(٣) منسوب إلى الشيعة : وهي الفرقة على حدة — وقد غلب هذا الاسم — من يتولى عليا وأهل بيته ، حتى صار خاصاً بهم .

(٤) منسوب إلى الرافضة : وهي فرقة من الشيعة — قال الأصمعي : سموا بذلك لتركهم زيد بن علي ، وإنما تركوه ، لأنه ما كان ينكر أمامة الشيخين ، أبي بكر وعمر .

(٥) شمت به : فرح ببليته

(*) ترجم له في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي ، صفحة ٣٤٧ جزء رابع ، قسم أول ، بترجمة جاءت مضاهية لمعجم الأدباء ، ولم يزد عليها الصفدي شيئاً

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي نَعيُهُ (١)

بُعْداً (٢) وَسُحْقاً لَكَ مِنْ هَالِكِ

يَا شَرَّ مَيْتٍ خَرَجَتْ نَفْسُهُ

وَشَرَّ مَدْفُوعٍ إِلَى مَالِكِ

وَلَهُ أَيْضاً فِيهِ :

لَعَنَ اللّٰهُ أَعْظُماً حَمَلُوهَا

نَحْوَ دَارِ الْبِلَى عَلَى خَشَبَاتِ

أَعْظُماً تُبْغِضُ النَّبِيَّ وَأَهْلَ الْبَيْـ

ـتِ وَالطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ

وَكَانَ أَبُو قِلَابَةَ صَدِيقاً لِعَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمُعَذَّلِ، وَبَيْنَهُمَا مُجَالَسَةٌ وَمُمَازَحَةٌ (٣) ، وَلَهُ مَعَهُ أَخْبَارٌ .

(١) النعى والنعى : خبر الموت — يقال: جاء نعى فلان : أى خبر موته

(٢) بعداً وسحقاً : كلمتان تستعملان فى الدعاء على غيره

(٣) الممازحة : مصدر مازحه — والمزح : الدعابة

حَدَّثَ الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ : قَالَ (١) أَنْشَدْتُ أَبَا قِلَابَةَ قَوْلِي فِيهِ :

يَا رَبِّ إِنْ كَانَ أَبُو قِلَابَهْ

يَشْتِمُ فِي خَلْوَتِهِ الصَّحَابَهْ

فَابْعَثْ عَلَيْهِ عَقْرَبًا دَبَّابَهْ (٢)

تَلْسَعُهُ فِي طَرَفِ السَّبَّابَهْ

وَاُقْرِنْ (٣) إِلَيْهِ حَيَّةً مُنْسَابَهْ (٤)

وَابْعَثْ عَلَى جُوخَانِهِ سِنْجَابَهْ

قَالَ : وَأَبُو قِلَابَةَ سَاكِتٌ . فَلَمَّا قُلْتُ : « وَابْعَثْ عَلَى

---

(١) يعنى عبد الصمد (٢) الدباب : الشديد الدبيب الكثيره ، وهى دبابة ، والضعيف الذى يدب فى المشى ولا يسرع — وفى ظنى أن التاء هنا مثلها فى علامة للمبالغة والتأكيد

(٣) أمر ، من قرن الشىء بالشىء ، وصله به وجمع بينهما

(٤) أى مسرعة فى مشيها — وفى الحديث « فانسابت فى بطنه حية » أى دخلت . والجوخان البيدر للقمح ، « الجرن » فارسى معرب ، والسنجاب حيوان فى حد اليربوع أو الفأر ، هذا قول الدميرى ، فهو يريد : أرسل إلى قمحه فى جرنه ما يأتى عليه فيبتلعه ، والغرض الدعاء عليه بما يؤلم .

وقد رأيت فى مؤلف للاستاذ عبد الجواد ، أستاذ فقه اللغة بمدرسة دار العلوم ، صورة للسنجاب بذيل طويل وشعر فى رأسه مرتفع ، ونص على أنه يقفز فى مشيه كالأرنب ، ويأكل من ثمر الفاكهة . « عبد الخالق »

جُوخَانِهِ سِنْجَابَهْ » قَالَ : اللهَ [١] اللهَ ، لَيْسَ مَعَ ذَهَابِ الْخَيْرِ عَمَلٌ . حَدَّثَ الْمُبَرِّدُ فِي الرَّوْضَةِ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الصَّمَدِ ابْنُ الْمُعَذَّلِ قَالَ: جِئْتُ أَبَا قِلَابَةَ الْجَرْمِيَّ ، وَهُوَ أَحَدُ الرُّوَاةِ الْفَهِمَةِ ، وَمَعَهُ الْأُرْجُوزَةُ الَّتِي نُسِبَتْ إِلَى الْأَصْمَعِيِّ ، وَهِيَ :

تَهْزَأُ [٢] مِنِّي أُخْتُ آلِ طَيْسَلَهْ
قَالَتْ أَرَاهُ كَاللَّقَى [٣] لَا شَيْءَ لَهْ

قَالَ : فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْفَعَهَا إِلَيَّ ، فَأَبَى . فَعَمِلْتُ أُرْجُوزَتِي الَّتِي أَوَّلُهَا :

تَهْزَأُ مِنِّي وَهْيَ رُودٌ [٤] طَلَّهْ [٥]
أَنْ رَأَتِ الْأَحْنَاءَ [٦] مُقْفَعِلَّهْ [٧]

---

(١) الله الله : منصوبان على التحذير بفعل محذوف ، أى اتق الله

(٢) أى تسخر (٣) رجل لقى كفتى : مطروح (٤) يقال : امرأة رود : تمشى على مهل (٥) طله : أى حسنة نظيفة

(٦) الاحناء: جمع حنو ، بكسر الحاء وفتحها مع إسكان النون فيها — وهو كل مافيه اعوجاج ، ومنه الأحنى : وهو الأعطف أو الأحدب ، والمنحنى : وهو منعطف الوادى (٧) مقفعلة — متشنجة متقبضة

قَالَتْ أَرَى شَيْبَ الْعِذَارِ (١) أَحْتَلَهُ
وَالْوَرْدَ مِنْ مَاءِ الْيَرَنَّا (٢) حَلَّهُ

قَالَ : وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهَا لِبَعْضِ الْأَعْرَابِ ، وَأَخَذْتُ مِنْهُ تِلْكَ ، ثُمَّ مَضَى أَبُو قِلَابَةَ إِلَى الْأَصْمَعِيِّ يَسْأَلُهُ عَنْ غَرِيبِهَا . فَقَالَ لَهُ : لِمَنْ هَـذِهِ ؟ قَالَ : لِبَعْضِ الْأَعْرَابِ . فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ ، هَذِهِ لِبَعْضِ الدَّجَّالِينَ دَلَّسَهَا (٣) عَلَيْكَ ، أَمَا تَرَى فِيهَا كَيْتَ وَكَيْتَ وَكَيْتَ ؟ قَالَ : نَخْزَى أَبُو قِلَابَةَ وَاسْتَحْيَ .

﴿ ٥٥ — حُبَيْشُ بْنُ مُوسَى الضَّبِّيُّ * ﴾

حبيش بن موسى الضبي

صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي الَّذِي أَلَّفَهُ لِلْمُتَوَكِّلِ ، وَذَكَرَ فِي

---

(١) العذار : جانبا اللحية ، أى الشعر الذى يحاذى الأذن ، وبينه وبينها بياض — أو هو من الوجه : ما ينبت عليه الشعر المستطيل ، المحاذى لشحمة الأذن ، إلى أصل اللحى

(٢) اليرنا : الحناء

(٣) التدليس : يستعمل فى الكتمان مطلقاً والخداع ، والمعنى كتمها عنك خداعا

(*) ترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات للصفدى ، صفحة ٢٤٨ ، جزء رابع ، قسم أول ، بما يأتى :

حبيش بن موسى الضبى ، صاحب كتاب الأغانى ، الذى ألفه للمتوكل ، ذكر فى هذا الكتاب شيئاً لم يذكره إسحاق ولا عمرو بن نانة ، وذكر من أسماء المغنين والمغنيات فى الجاهلية والاسلام كل طريف غريب . قال محمد بن طاهر المقدسى : سألت الامام أبا اسماعيل عبدالله بن محمد الأنصارى ، عما رواه عن أبى عبد الله الحاكم النيسابورى، فقال : ثقة فى الحديث ، رافضى خبيث . قال : كان الحاكم ـ رحمه الله ـ شديد التعصب للشيعة فى —

هَذَا الْكِتَابِ أَشْيَاءَ لَمْ يَذْكُرْهَا إِسْحَاقُ، وَلَا عَمْرُو بْنُ نَانَةَ، وَذَكَرَ مِنْ أَسْمَاءِ الْمُغَنِّينَ وَالْمُغَنِّيَاتِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ كُلَّ طَرِيفٍ غَرِيبٍ. وَلَهُ: كِتَابُ الْأَغَانِي عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، وَكِتَابُ مُجِيدَاتِ[1] الْمُغَنِّيَاتِ.

﴿ ٥٦ — حَسَّانُ بْنُ مَالِكِ، بْنِ أَبِي عَبْدَةَ، اللُّغَوِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ * ﴾

حسان بن مالك اللغوى

كُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدَةَ الْوَزِيرُ، مِنْ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، وَأَهْلِ بَيْتِ جَلَالَةٍ[2] وَوَزَارَةٍ. مَاتَ عَنْ سِنٍّ عَالِيَةٍ. قِيلَ:

— الباطن، وكان يظن التسنن فى التقديم إلى الخلافة، وكان منحرفا عن معاوية، غاليا فيه وفى أهل بيته، يتظاهر به ولا يعتذر منه، قال: سمعت أبا الفتح سمكوتة الأصبهانى بهراة يقول: سمعت عبد الواحد المليحى يقول: سمعت عبد الرحمن السلمى يقول: دخلت على الحاكم أبى عبد الله وهو فى داره، لايمكنه الخروج إلى المسجد، من جهة أصحاب أبى عبد الله بن كرام، وذلك أنهم كسروا منبره، ومنعوه من الخروج، فقلت له: لو خرجت وأمليت فى فضائل هذا الرجل حديثا، لاسترحت من هذه المحنة، فقال: لايجىء من قلبى، لايجىء من قلبى، لايجىء من قلبى. قال ابن طاهر: ومن بحث عن تصانيفه رأى فيها العجائب. من هذا المعنى خاصة: الكتاب الذى صنفه وسماه فيما زعم المستدرك على الصحيحين، « لعل أكثره إنما قصد به ثلب أقوام، ومدح أقوام ». وقال أبو سعد المالينى: طالعت كتاب المستدرك على الصحيحين، الذى صنفه للحاكم من أوله الى آخره فلم أر فيه حديثا على شرطهما.

(١) كانت فى الاصل: «مجردات» وأصلحت. (٢) الجلالة: عظم القدر

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢٣٨ بما يأتى:

حسان بن مالك بن أبى عبدة اللغوى الاندلسى، أبو عبدة الوزير: من أهل اللغة والادب، واستوزره المستظهر عبد الرحمن بن هشام.

سَنَةَ عِشْرِينَ وَثَلاثِمِائَةٍ . لَهُ كِتَابٌ عَلَى مِثَالِ كِتَابِ أَبِي السَّرِيِّ سَهْلِ بْنِ أَبِي غَالِبٍ ، الَّذِي أَلَّفَهُ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، وَسَمَّاهُ كِتَابَ رَبِيعَةَ وَعَقِيلٍ ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا أُلِّفَ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَفِيهِ مِنْ أَشْعَارِهِ ثَلاثُمِائَةِ بَيْتٍ . وَذَاكَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ كِتَابُ السَّرِيِّ ، وَهُوَ مُعْجَبٌ بِهِ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَعَمِلَ هَذَا الْكِتَابَ ، وَفَرَغَ مِنْهُ تَأْلِيفاً وَنَسْخاً ، وَجَاءَ بِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى ، وَأَرَاهُ إِيَّاهُ ، فَسُرَّ بِهِ وَوَصَلَهُ (١) عَلَيْهِ . وَكَتَبَ أَبُو عَبْدَةَ لِلْمُسْتَظْهِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ هِشَامِ ، بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ ، الْمُسَمَّى بِالْخِلَافَةِ أَيَّامَ الْفِتْنَةِ ، وَكَانَ اسْتَوْزَرَهُ (٢) :

إِذَا غِبْتُ لَمْ أُحْضَرْ وَإِنْ جِئْتُ لَمْ أُسَلْ
فَسِيَّانِ مِنِّى مَشْهَدٌ (٣) وَمَغِيبُ (٤)

---

(١) وصله : أنعم عليه وأعطاه (٢) استوزر الملك فلانا : جعله له وزيرا

(٣) مشهد : مصدر ميمى من الشهادة ، وهى فى الأصل : الحضور مع المشاهدة — أو من الشهود ، أى الحضور

(٤) مغيب : مصدر بمعنى الغياب ، وهو ضد الحضور . يقول : إنى لا يرسل إلىّ إذا غبت لأحضر ، وإذا حضرت لايلتفت إلىّ

فَأَصْبَحْتُ تَيْمِيًّا وَمَا كُنْتُ قَبْلَهَا

لِتَيْمٍ وَلَـٰكِنَّ الشَّبِيهَ نَسِيبُ

أَشَارَ فِي هَذَا الْبَيْتِ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ

وَلَا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودٌ

قَالَ ابْنُ خَاقَانَ : وَكَانَ لِأَبِي عَبْدَةَ أَيَّامَ الْفِتْنَةِ حِينَ أَدْجَتِ (١) الْفِتْنَةُ لَيْلَهَا، وَأَزْجَتْ (٢) إِبِلَهَا وَخَيْلَهَا . اغْتِرَابٌ كَاغْتِرَابِ الْحَارِثِ بْنِ مُضَاضٍ (٣)، وَاضْطِرَابٌ بَيْنَ الْعَوَالِي (٤) وَالْمَوَاضِ، كَالْحَيَّةِ النَّضْنَاضِ (٥)، ثُمَّ اشْتَهَرَ بَعْدُ، وَافْتَرَّ (٦) لَهُ السَّعْدُ، وَفِي تِلْكَ الْمُدَّةِ يَقُولُ يَتَشَوَّقُ إِلَى أَهْلِهِ :

---

(١) أدجت الفتنة ليلها : أى أظلمته ، ومنه الدجى ، وهو الظلمة أو سواد الليل . والمراد : اضطراب النظام ، واختلال الأمن .

(٢) أزجت الابل : ساقتها

(٣) وكان الحارث بن مضاض مغتربا عن اليمن بعد سيل العرم ، وهو فى قبيلة جرهم ، وأقاموا بمكة وكان الملك عليها ، ولما هاجر إسماعيل مع أمه صهر إليهم عبد الخالق

(٤) العوالى : الرماح ، والمواضى : السيوف الحادة

(٥) الحية النضناض : الحية تخرج لسانها

(٦) افتر : تبسم ، والمراد رخاء العيش وخفضه

سَقَى بَلَداً أَهْلِي بِهِ وَأَقَارِبِي

غَوَادٍ(١) بِأَثْقَالِ الْحَيَا(٢) وَرَوَائِحُ(٣)

وَهَبَّتْ عَلَيْهِمْ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى

نَوَاسِمُ(٤) مِنْ بَرْدِ الظِّلَالِ فَوَائِحُ(٥)

تَذَكَّرْتُهُمْ وَالنَّأْىُ قَدْ حَالَ دُونَهُمْ

وَلَمْ أَنْسَ لَكِنْ أَوْقَدَ الْقَلْبَ لَافِحُ(٦)

وَمِمَّا شَجَانِي هَاتِفٌ فَوْقَ أَيْكَةٍ(٧)

يَنُوحُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِمَا هُوَ نَائِحُ

فَقُلْتُ: اتَّئِدْ يَكْفِيكَ أَنِّي نَازِحٌ

وَأَنَّ الَّذِي أَهْوَاهُ عَنِّي نَازِحُ

---

(١) غواد : جمع غادية ، وهي السحابة تنشأ غدوة ، أو مطرة الغداة ، ويقابلها الرائحة

(٢) الحيا بالقصر : المطر ، ويمد

(٣) روائح جمع رائحة : وهي الامطار والسحب التى تجىء رواحا أى فى العشى ، ويقابلها الغادية

(٤) نواسم جمع ناسمة : وهى الريح الطيبة — والنسيم : نفس الريح إذا كان ضعيفا ، أو أولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد

(٥) فوائح : الرياح المنتشرة الرائحة ، وهو خاص بالطيبة

(٦) لافح : محرق ، وهو مستعار للوجد والحزن ، وحرارة الشوق

(٧) الايكة : الشجرة الملتفة الكثيرة الأغصان

وَلِى صِبْيَةٌ مِثْلُ الفِرَاخِ بِقَفْرَةٍ
مَضَى حَاضِنَاهَا فَاطَّحَتْهَا (١) الطَّوَائِحُ
إِذَا عَصَفَتْ رِيحٌ أَقَامَتْ رُؤُوسَهَا
فَلَمْ تَلْقَهَا إِلَّا طُيُورٌ بَوَارِحُ (٢)

﴿ ٥٧ — الْحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زُولَاقٍ * ﴾

الحسن بن ابراهيم

أَبُو مُحَمَّدٍ ، هُوَ الْحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، بْنِ الْحُسَيْنِ ، بْنِ الْحَسَنِ ابْنِ عَلِيٍّ ، بْنِ خَلَفٍ ، بْنِ رَاشِدٍ ، بْنِ عَبْدِ اللهِ ، بْنِ سُلَيْمَانَ ،

---

(١) المعنى « رمتها الحوادث » والطوائح جمع المطوحة ، لا الطائحة ، وهو نادر ونظيره : « وأرسلنا الرياح لواقح » جمع ملقحة .

(٢) جمع بارح : وهو ما جاء عن يمينك فولاك مياسره ، ويقابله السانح . والعرب تتطير بالبارح ، وتتفاءل بالسانح .

(*) ترجم له فى كتاب وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، ج أول صفحة ١٣٤ قال : كان فاضلا فى التاريخ ، وله فيه مصنف . وكانت وفاته يوم الثلاثاء ، الخامس والعشرين من ذى القعدة . وكان جده الحسن بن على من العلماء المشاهير ، وزولاق بضم الزاى وسكون الواو ، وبعد الألف قاف . والليثى بفتح اللام وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها ثاء مثلثة ، هذه النسبة إلى ليث ، بن كنانة ، وهى قبيلة كبيرة ، قال ابن يونس المصرى : هو ليثى بالولاء .

وكانت ولادته أعنى أبا محمد بن زولاق المذكور ، فى شعبان سنة ست وثلاثمائة

وله ترجمة أخرى فى كتاب الأعلام ، جزء أول صفحة ٢٢٠ قال :

هو مؤرخ مصرى ، له خطط مصر ، وأخبار قضاة مصر ، جعله ذيلا لكتاب الكندى ، ومختصر تاريخ مصر إلى سنة تسع وأربعين هجرية

أبْنِ زُولَاقٍ الْمِصْرِيُّ اللَّيْثِيُّ ، مِنْ أَعْيَانِ عُلَمَاء أَهْلِ مِصْرَ ، وَوُجُوهِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيهِمْ . وَلَهُ عِدَّةُ تَصَانِيفَ فِي تَوَارِيخِ الْمِصْرِيَّةِ(١) . مَاتَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاء لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ، سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ ، فِي أَيَّامِ الْمُتَلَقَّبِ بِالْعَزِيزِ بِاللهِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ مَاتَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ ، فِي أَيَّامِ الْحَاكِمِ ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ . وَكَانَ لِمَحَبَّتِهِ لِلتَّوَارِيخِ ، وَالْحِرْصِ عَلَى جَمْعِهَا وَكَتْبِهَا ، كَثِيراً مَا يُنْشِدُ :

مَا زِلْتَ تَكْتُبُ فِي التَّارِيخِ مُجْتَهِداً
حَتَّى رَأَيْتُكَ(٢) فِي التَّارِيخِ مَكْتُوبَا

وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ سِيرَةِ مُحَمَّدِ بْنِ طُغْجٍ الْأَخْشِيدِ ، كِتَابُ سِيرَةِ جَوْهَرٍ ، كِتَابُ سِيرَةِ الْمَاذَرَائِيِّينَ ، كِتَابُ التَّارِيخِ الْكَبِيرِ عَلَى السِّنِينَ ، كِتَابُ فَضَائِلِ مِصْرَ ، كِتَابُ سِيرَةِ كَافُورٍ ، كِتَابُ سِيرَةِ الْمُعِزِّ ، كِتَابُ سِيرَةِ الْعَزِيزِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَكَانَ قَدْ سَمِعَ الْحَدِيثَ وَرَوَاهُ ،

---

(١) هكذا فى الاصل ، يريد الدولة المصرية (٢) يريد حتى علمت نفسك مكتوبا ولان رأى بمعنى علم اتفق فاعله ومفعوله فى ضمير المخاطب « عبد الخالق »

فَسَمِعَ مِنهُ عَبْدُ اللهِ بنُ وَهبَانَ ، بنِ أَيُّوبَ ، بنِ صَدَقَةَ وَغَيْرُهُ .
وَحَدَّثَ ابْنُ زُولَاقٍ فِي كِتَابِ سِيرَةِ العَزِيزِ المُتَغَلِّبِ عَلَى مِصْرَ ، المُنْتَسِبِ إِلَى العَلَوِيِّينَ مِنْ تَصْنِيفِهِ ، حَاكِياً عَنْ نَفْسِهِ قَالَ : لَمَّا خلعَ[1] عَلَى الوَزِيرِ يعقُوبَ بْنِ كِلِّسَ ، وَكَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ ، وَكَانَ مَكِيناً[2] مِنَ العَزِيزِ ، فَلَمَّا أَسْلمَ قَلَّدَهُ وزَارَتَهُ ، وَخلعَ عليْهِ . قَالَ ابْنُ زُولَاقٍ : وَكُنتُ حَاضِراً مَجْلِسَهُ ، فقُلْتُ : أَيُّهَا الوَزِيرُ ، رَوَى الأَعْمَشُ عَنْ زَيْدِ ابْنِ وَهْبٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : حَدَّثنِي الصَّادِقُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَّ الشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَالسَّعِيدَ مَنْ سعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ » . وَهَذَا عُلُوٌّ سَمَاوِيٌّ[3] . فَقَالَ الوَزِيرُ : لَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ ، وَإِنَّمَا أَفعَالِي وَتَوْفِيرَاتِي وَكِفَايَتِي ، وَنِيَابَتِي وَنِيَّتِي وَحِرْصِي ، الَّذِي

---

(١) الخلعة : ما يعطيه الانسان غيره من الثياب منحة . والضمير فى خلع ، يرجع إلى العزيز (٢) مكينا : عظيم القدر ، مرتفع الرتبة

(٣) انما قصد ابن زولاق التهنئة ، وأن هذا العلو السماوى علامة الرضا ، ولكن الوزير أبى إلا أن ينسب العلو إلى نفسه بعمله الذى ذكره ، وظن ابن زولاق يهجوه فى صورة مديح « عبد الخالق »

كَانَ يُهْجَى[١] ويُعابُ . وَقَدْ مَاتَ قَوْمٌ مِمَّنْ كَانَ ، وَبَقِيَ قَوْمٌ ، وَكَانَ هذَا الْقَوْلُ بِحَضْرَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ حَضَرُوا قِرَاءَةَ السِّجِلِّ[٢] ، الَّذِى خَرَجَ مِنَ الْعَزِيزِ فِى ذِكْرِ تَشْرِيفِهِ . قَالَ ابْنُ زُولَاقٍ : فَأَمْسَكْتُ وَقُلْتُ : ـ وَفَّقَ اللهُ الْوَزِيرَ ـ ، إِنَّمَا رَوَيْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا صَحِيحًا ، وَقُمْتُ وَخَرَجْتُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَىَّ ، وَانْصَرَفَ الْوَزِيرُ إِلَى دَارِهِ بِمَا حَبَاهُ[٣] الْعَزِيزُ بِهِ . قَالَ : فَحَدَّثَنِى أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحُسَيْنِىُّ الزَّيْنَبِىُّ قَالَ : عَاتَبْتُ الْوَزِيرَ عَلَى مَا تَكَلَّمَ بِهِ وَقُلْتُ : إِنَّمَا رَوَى حَدِيثًا صَحِيحًا بِجَمِيعِ طُرُقِهِ ، وَمَا أَرَادَ إِلَّا الْخَيْرَ . فَقَالَ لِى : خَفِيَ[٤] عَنْكَ ، إِنَّمَا هذَا مِثْلُ قَوْلِ الْمُتَنَبِّىءِ :

وَلِلّهِ سِرٌّ فِى عُلَاكَ وَإِنَّمَا
كَلَامُ الْعِدَى ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَيَانِ

---

(١) كانت فى الاصل : « يهجر » وأصلحت

(٢) السجل : الصك الذى يكتب فيه ، وكتاب القاضى

(٣) حباه : أعطاه : والحباء : العطاء (٤) كانت فى الاصل : « وحق عنك »

وأجمع الناس على أن ذلك هجوٌ في كافورٍ [١] ، لأنه أعلمه أنه تقدم بغير سبب . وابن زولاقٍ هجاني على لسان صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ، فما أمكنني السكوت . وكان في نفسي شيءٌ ، فجعلت كلامه سبباً . قال أبو عبد الله الزينبي : فأشهد أن الوزير لم ينقض يومه ، حتى تكلم بمثل كلامي ، الذي أوردته عن النبي صلى الله عليه وسلم . وذلك أن رجلاً عرض عليه رقعة [٢] فقال : كم رقاعٍ ، كم حرصٍ هو ذا الرجل ، يطوف البلدان ، ويتقلب [٣] في الدول ، ويسافر فلا ينجح ، وآخر يأتيه أمله عفواً ، قد فرغ الله من الأرزاق والآجال [٤] ، والمراتب ، ومن الشقاوة والسعادة ،

(١) وللمتنبي في كافور من هذا الشيء كثير ، تبدأ به القصيدة في المدح ، وهي في غاية الرداءة ، ألا ترى قوله اذ يمدحه :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وكافور كان أسود خصياً ، مملوكا للاخشيد أمير مصر ، فلما مات وكان ابنه صغيرا ، تغلب كافور فقصده القاصدون « عبد الخالق »

(٢) كل كلام الوزير الآتي : فيه رجوع الى مثل قول ابن زولاق ، وأن لاسماء اليد في الكون ، وللقدار أحكامه

(٣) ويتقلب في الدول : يكون في دولة ثم في أخرى

(٤) في الاصل « الاجلال »

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَىَّ وَضَحِكَ، وَقَطَعَ كَلَامَهُ. قَالَ ابْنُ زُولَاقٍ: وَكُنْتُ هَنَّأْتُ ابْنَ رَشِيقٍ بِهَذِهِ التَّهْنِئَةِ، فِى مَجْلِسٍ عَظِيمٍ حَفِلٍ[1]، حِينَ جَاءَتْهُ الْخِلَعُ مِنْ بَغْدَادَ وَالتَّقْلِيدُ وَأَلْبَسُوهُ. وَرَوَيْتُ لَهُ هَذَا الْخَبَرَ، فَبَكَى وَشَكَرَ، وَحَسَدَنِى[2] عَلَى ذَلِكَ أَكْثَرُ الْحَاضِرِينَ، وَكَافَأَنِى عَلَيْهِ أَحْسَنَ مُكَافَأَةٍ.

﴿ ٥٨ – الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ، بْنِ يَعْقُوبَ، يُعْرَفُ ﴾
﴿ بِابْنِ الْحَائِكِ الْهَمْدَانِى * ﴾

الحسن بن احمد الهمدانى

وَمِنْ مَفَاخِرِهَا. لَهُ: كِتَابُ الْإِكْلِيلِ فِى مَفَاخِرِ

---

(١) حفل: وهو فى الاصل مصدر أريد منه معنى حافل

(٢) الحسد: تمنى زوال نعمة المحسود أو فضيلته أو سلبهما. والفرق بينه وبين الغبطة: أن الحسد تمنى زوال نعمة المحسود إلى الحاسد، والغبطة تمنى نيل مثلها

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢٠٤ بما يأتى:

الحسن بن أحمد بن يعقوب، بن يوسف، بن داود، يعرف بالحائك الهمدانى. قال الخزرجى:

هو الاوحد فى عصره، الفاضل من سبقه، المبرز على من لحقه، لم يولد فى اليمن، مثله علماً وفهماً، ولساناً وشعراً، ورواية وفكرا، وإحاطة بعلوم العرب، من النحو واللغة والغريب والشعر، والايام والانساب، والسير والمناقب، والمثالب مع علوم العجم، فى النجوم والمساحة، والهندسة والفلك، ولد بصنعاء ونشأ بها، ثم ارتحل وجاور بمكة، وعاد فنزل صعدة، وهاجى شعراءها، فنسبوه إلى أنه هجا النبى صلى الله عليه وسلم، فسجن. وله تصانيف فى علوم: منها الاكليل فى الانساب، الحيوان، القوس، الايام، وغير ذلك وله ديوان شعر ست مجلدات

قَحْطَانَ، وَذِكْرِ الْيَمَنِ . وَلَهُ قَصِيدَةٌ سَمَّاهَا الدَّامِغَةَ فِى فَضْلِ قَحْطَانَ ، أَوَّلُهَا :

أَلَا يَا دَارُ لَوْلَا تَنْطِقِينَا

فَإِنَّا سَائِلُوكِ نُخَبِّرِينَا

وَلَهُ كِتَابُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَأَسْمَاء بِلَادِهَا ، وَأَوْدِيَتِهَا وَمَنْ يَسْكُنُهَا. وَقَرَأْتُ بِخَطِّ الْأَمِيرِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَيْسَانِيِّ، أَخِى [1] الْفَاضِلِ عَبْدِ الرَّحِيمِ فِى فِهْرِسْتِ [2] كُتُبِهِ ، وَذَكَرَ خَبَراً مِنْ كِتَابِ الْإِكْلِيلِ فِى أَنْسَابِ حِمْيَرَ وَأَخْبَارِهَا ، تَصْنِيفِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ الْهَمْدَانِىِّ ، وَكَانَ فِى سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

---

(١) الفاضل : يعنى القاضى الفاضل

(٢) فهرست : كلمة فارسية ، معربها : فهرس ، وهو الكتاب الذى تجمع فيه أسماء الكتب ، ودفتر فى أول الكتاب وآخره ، يتضمن ذكر ما فيه من الابواب والفصول ومواضعها منه ، ليسهل الوقوف على المطلوب منها .

٥٩ – الحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ ، بْنِ عَبْدِ الغَفَّارِ ، ابْنِ سُلَيْمَانَ الفَارِسِيُّ ، (*)

الحسن بن احمد الفارسي

أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ المَشْهُورُ فِي العَالَمِ اسْمُهُ ، المَعْرُوفُ تَصْنِيفُهُ وَرَسْمُهُ ، أَوْحَدُ زَمَانِهِ فِي عِلْمِ العَرَبِيَّةِ . كَانَ كَثِيرٌ مِنْ تَلَامِذَتِهِ يَقُولُ : هُوَ فَوْقَ المُبَرِّدِ . قَالَ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ ابْنُ عِيسَى الرَّبَعِيُّ : هُوَ أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ ، بْنُ أَحْمَدَ ، بْنِ عَبْدِ الغَفَّارِ ، بْنِ مُحَمَّدِ ، بْنِ سُلَيْمَانَ ، بْنِ أَبَانَ الفَارِسِيُّ ، وَأُمُّهُ

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ، صفحة ٢٠٣ بما يأتى :

قدم بغداد ، وأخذ من علماء النحو بها ، وعلت منزلته فى النحو ، وتوفى رحمه الله يوم الاحد ، السابع عشر من شهر رمضان ، وقيل ربيع الاول ، سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، وله كتب كثيرة ذكرها ياقوت .

وذكر الربعى فى صدر شرحه الايضاح ، نسب أبى على فقال :

أبو الحسن أحمد بن عبد الغفار ، بن محمد بن سليمان ، بن أبان الفارسى ، وأمه من ربيعة الفرس ، سدوسية من سدوس شيبان وكان أول من سمع الايضاح ورواه . وقال أبو القاسم بن أحمد الاندلسى : جرى ذكر الشعراء ، فقال أبوعلى : وأنا حاضر ، وإنى لأغبطكم على قول الشعر فان خاطرى لا يوافقنى على قوله ، مع تحقق بالعلوم التى هى من موارده ، فقال له رجل : فما قلت قط شيئاً منه ألبتة ؟

قال : ما أعلم أن لى شعرا إلا ثلاث أبيات فى الشيب ، لم نثبتها لان ياقوت ذكرها —

سَدُوسِيَّةٌ مِن سَدُوسٍ[1] ، شَيْبَانَ مِنْ رَبِيعَةَ الْفَرَسِ . مَاتَ بِبَغْدَادَ ، سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلاثِمائَةٍ ، فِى أَيَّامِ الطَّائِعِ لِلَّهِ ، عَنْ نَيِّفٍ[2] وَتِسْعِينَ سَنَةً . أَخَذَ النَّحْوَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ هَذَا الشَّأْنِ ، كَأَبِى إِسْحَاقَ الزَّجَّاجِ ، وَأَبِى بَكْرِ بْنِ السَّرَّاجِ ، وَأَبِى بَكْرٍ مَبْرَمَانَ ، وَأَبِى بَكْرٍ الْخَيَّاطِ . وَطَوَّفَ[3] كَثِيراً فِى بِلَادِ الشَّامِ ، وَمَضَى إِلَى طَرَابُلُسَ ، فَأَقَامَ بِحَلَبَ مُدَّةً ، وَخَدَمَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ بْنَ حَمْدَانَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ ،

— وترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢١٦ بترجمة مسهبة ، نقتطف منها ما يأتى الحسن بن أحمد ، بن عبد الغفار ، بن محمد ، بن سليمان ، الامام أبو على الفارسى المشهور ، قال كثير من تلامذته : انه أعلم من المبرد ، وبرع من طلبته جماعة كابن جنى ، وعلى بن عيسى الربعى ، وكان متهماً بالاعتزال ، ويقال : إنه لما عمل الايضاح استقصره ، فمضى وصنف التكلة ، ومما اختاره أبو على فى الايضاح ، أن (١) المستثنى بألا ينصب بالفعل المقدم بتقوية إلا . قلت : والمسألة فيها سبعة أقوال حكيتها فى جمع الجوامع من غير ترجيح ، وأنا أميل إلى القول الذى ذكره أبو على أولا ، وقد أشرت اليه فى جمع الجوامع .

(١) سدوس : بفتح السين الاولى : إسم قبيلة

(٢) النيف : كل ما زاد على العقد ، إلى أن يبلغ العقد الثانى ، وقيل : النيف من واحد إلى ثلاث ، والبضع من اربع إلى تسع — والنيف أيضاً الفضل والاحسان ، يقال نيف عليه : أى زاد — وأصله نيوف .

(٣) طوف حول الشىء وبه تطويفا وتطوافا : طاف وأكثر المشى حوله

---

(١) وسيتوضح فيما يذكره ياقوت

فأقام بها إلى أن مات. حدث الخطيب قال: قال التنوخى: ولد أبو على الفارسى بفسا[1]، وقدم بغداد واستوطنها، وعلت منزلته فى النحو حتى قال قوم من تلامذته: هو فوق المبرد وأعلم منه. وصنف كتبا عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها، واشتهر ذكره فى الآفاق، وبرع[2] له غلمان حذاق، مثل عثمان بن جنى، وعلى بن عيسى الربعى وخدم الملوك ونفق[3] عليهم، وتقدم عند عضد الدولة، فكان عضد الدولة يقول: أنا غلام أبى على النحوى فى النحو، وغلام أبى الحسين الرازى الصوفى فى النجوم. وكان متهما بالاعتزال.

وذكر أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ[4] النحوى، فى كتاب شرح الجمل للزجاجى، فى باب التعريف

---

(١) فسا: مدينة من مدن الفرس، بينها وبين شيراز سبع فراسخ، ذكر ذلك ياقوت وذكر ان منها أبا على الفارسى.

(٢) برع الرجل: فاق اصحابه فى العلم وغيره، فهو بارع

(٣) نفق عليهم: من نفق البيع ينفق: إذا راج — والمراد: راجت بضاعته العلمية عندهم، وذاع صيته. (٤) عند السيوطى: اسمه باب بن شاذ

مِنْهُ : يُحْكَى عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ : أَنَّهُ حَضَرَ يَوْمًا مَجْلِسَ أَبِي بَكْرٍ الْخَيَّاطِ ، فَأَقْبَلَ أَصْحَابُهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ يُكْثِرُونَ عَلَيْهِ الْمَسَائِلَ ، وَهُوَ يُجِيبُهُمْ وَيُقِيمُ عَلَيْهَا الدَّلَائِلَ . فَلَمَّا أَنْفَدُوا[١] أَقْبَلَ عَلَى أَكْبَرِهِمْ سِنًّا ، وَأَكْبَرِهِمْ عَقْلًا ، وَأَوْسَعِهِمْ عِلْمًا عِنْدَ نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَبْنِي مِنْ سَفَرْجَلٍ مِثْلَ عَنْكَبُوتٍ ؟ فَأَجَابَهُ مُسْرِعًا «سَفَرْرُوتٌ» . فَحِينَ سَمِعَهَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ ، وَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ : « سَفَرْرُوتٌ[٢] » . فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَقَالَ : — لَا بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ ، وَلَا أَحْسَنَ جَزَاءَكُمْ — ، خَجَلًا مِمَّا جَرَى، وَاسْتِحْيَاءً مِنْ أَبِي عَلِيٍّ .

وَمِمَّا يَشْهَدُ بِصَفَاءِ ذِهْنِهِ وَخُلُوصِ فَهْمِهِ : أَنَّهُ سُئِلَ ـ قَبْلَ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْعَرُوضِ ـ عَنْ خَرْمِ مُتَفَاعِلُنْ ، فَتَفَكَّرَ وَانْتَزَعَ[٣] الْجَوَابَ فِيهِ مِنَ النَّحْوِ فَقَالَ : لَا يَجُوزُ ، لِأَنَّ

---

(١) أنفدوا : ذهب وفنى ما عندهم من المسائل

(٢) مكررة فى الهامش أربع مرات

(٣) انتزع الجواب الخ : استخرجه واستنبطه

مُتَفَاعِلُنْ يُنْقَلُ إِلَى مُسْتَفْعِلُنْ إِذَا أُضْمِرَ (١) ، فَلَوْ خُرِمَ لَتَعَرَّضَ لِلابْتِدَاءِ بِالسَّاكِنِ . « إِذِ الْخَرْمُ : حَذْفُ الْحَرْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبَيْتِ . وَالْإِضْمَارُ (٢) تَسْكِينُ ثَانِيهِ » . وَلَمَّا خَرَجَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ لِقِتَالِ ابْنِ عَمِّهِ عِزِّ الدَّوْلَةِ ، بُخْتِيَارِ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ، دَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ فَقَالَ لَهُ : مَا رَأْيُكَ فِي صُحْبَتِنَا ؟ فَقَالَ لَهُ : أَنَا مِنْ رِجَالِ الدُّعَاءِ لَا مِنْ رِجَالِ اللِّقَاءِ ، — خَارَ (٣) اللهُ لِلْمَلِكِ فِي عَزِيمَتِهِ ، وَأَنْجَحَ قَصْدَهُ فِي نَهْضَتِهِ ، وَجَعَلَ الْعَافِيَةَ زَادَهُ ، وَالظَّفَرَ تُجَاهَهُ ، وَالْمَلَائِكَةَ أَنْصَارَهُ — . ثُمَّ أَنْشَدَهُ :

وَدَّعْتُهُ حَيْثُ لَا تُوَدِّعُهُ
نَفْسِي وَلَكِنَّهَا تَسِيرُ مَعَهْ

(١) كانت في الأصل هنا : « إذا خبن »

(٢) كانت في الأصل : « والخبن » فالناسخ وضع خبن بدل أضمر أولا ، ووضع الخبن مكان الاضمار (٣) من قوله : خار الله لك من هذا الأمر ، أي اختار . والمعنى جعل لك خيره .

ثُمَّ تَوَلَّى وَفِي الْفُؤَادِ لَهُ

ضِيقُ مَحَلٍّ وَفِي الدُّمُوعِ سَعَهْ

فَقَالَ لَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ : — بَارَكَ اللهُ فِيكَ — فَإِنِّي وَاثِقٌ بِطَاعَتِكَ ، وَأَتَيَقَّنُ صَفَاءَ طَوِيَّتِكَ(١) ، وَقَدْ أَنْشَدَنَا بَعْضُ أَشْيَاخِنَا بِفَارِسَ :

قَالُوا لَهُ إِذْ سَارَ أَحْبَابُهُ

فَبَدَّلُوهُ الْبُعْدَ بِالْقُرْبِ

وَاللهِ مَا شَطَّتْ(٢) نَوَى ظَاعِنٍ

سَارَ مِنَ الْعَيْنِ إِلَى الْقَلْبِ

فَدَعَا لَهُ أَبُو عَلِيٍّ ، وَقَالَ : أَيَأْذَنُ مَوْلَانَا فِي نَقْلِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ؟ فَأَذِنَ فَاسْتَمْلَاهُمَا مِنْهُ . وَكَانَ مَعَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ يَوْماً فِي الْمَيْدَانِ فَسَأَلَهُ : بِمَاذَا يَنْتَصِبُ الِاسْمُ الْمُسْتَثْنَى ، فِي نَحْوِ قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْداً ؟ فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ :

---

(١) الطوية : الضمير (٢) شطت : بعدت .

يَنْتَصِبُ بِتَقْدِيرِ أَسْتَثْنِي زَيْداً . فَقَالَ لَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ : لِمَ قَدَّرْتَ « أَسْتَثْنِي زَيْداً » فَنصَبْتَ ؟ هَلَّا قَدَّرْتَ « اُمْتَنَعَ زَيْدٌ » فرَفَعْتَ ، فقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : هَذَ الَّذِي ذَكَرْتُهُ جوَابٌ مَيْدَانِيٌّ ، فَإِذَا رَجَعْتُ قُلْتُ لَكَ الْجَوَابَ الصَّحِيحَ . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عَلِيٍّ فِي كِتَابِ الْإِيضَاحِ : أَنَّهُ انْتَصَبَ بِالفِعْلِ الْمُتَقَدِّمِ بِتَقْوِيَةِ إِلَّا[١] . قَالُوا : وَلَمَّا صَنَّفَ أَبُو عَلِيٍّ كِتَابَ الْإِيضَاحِ ، وَحَمَلَهُ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، اسْتَقْصَرَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ ، وَقَالَ لَهُ : مَا زِدْتَ عَلَى مَا أَعْرِفُ شَيْئاً ، وَإِنَّمَا يَصْلُحُ هَذَا لِلصِّبْيَانِ . فَمَضَى أَبُو عَلِيٍّ ، وَصَنَّفَ التَّكْمِلَةَ ، وَحَمَلَهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَقَفَ[٢] عَلَيْهَا عَضُدُ الدَّوْلَةِ قَالَ : غَضِبَ الشَّيْخُ ، وَجَاءَ بِمَا لَا نَفْهَمُهُ نَحْنُ وَلَا هُوَ . وَحَكَى ابْنُ جِنِّيٍّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : أُخْطِئُ فِي مِائَةِ مَسْأَلَةٍ لُغَوِيَّةٍ ، وَلَا أُخْطِئُ فِي وَاحِدَةٍ قِيَاسِيَّةٍ . قَالَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ جِنِّيٍّ :

---

(١) يعنى : لما دخلت عليه إلا ، قوته ، وذلك أنها أحدثت فيه معنى الاستثناء . قاله ابن يعيش . (٢) وقف عليها : اطلع عليها

قَالَ لِى أَبُو عَلِىّ الْفَارِسِىُّ : قَرَأَ عَلَىَّ عَلِىُّ بْنِ عِيسَى الرُّمَّانِىُّ كِتَابَ الْجُمَلِ وَكِتَابَ الْمُوجَزِ لِابْنِ السَّرَّاجِ فِى حَيَاةِ ابْنِ السَّرَّاجِ . وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ الْعَبْدِىُّ يَقُولُ : لَمْ يَكُنْ بَيْنَ أَبِى عَلِىّ وَبَيْنَ سِيبَوَيْهِ ، أَحَدٌ أَبْصَرُ[1] بِالنَّحْوِ مِنْ أَبِى عَلِىّ .
قَرَأْتُ بِخَطّ سَلَامَةَ بْنِ عِيَاضٍ النَّحْوِىّ مَا صُورَتُهُ : وَقَفْتُ عَلَى نُسْخَةٍ مِنْ كِتَابِ الْحُجَّةِ لِأَبِى عَلِىّ الْفَارِسِىّ ، فِى صَفَرٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بِالرَّىّ ، فِى دَارِ كُتُبِهَا الَّتِى وَقَفَهَا الصَّاحِبُ ابْنُ عَبَّادٍ — رَحِمَهُ اللهُ — وَعَلَى ظَهْرِهَا بِخَطّ أَبِى عَلِىّ مَا حِكَايَتُهُ هَذِهِ : — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِنَا الصَّاحِبِ الْجَلِيلِ ، أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ وَنَصْرَهُ وَتَأْيِيدَهُ وَتَمْكِينَهُ[2] — ، كِتَابِى فِى قُرَّاءِ الْأَمْصَارِ ، الَّذِينَ بُيِّنَتْ قِرَاءَتُهُمْ فِى كِتَابِ أَبِى بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى ، الْمَعْرُوفِ بِكِتَابِ السَّبْعَةِ ، فَمَا تَضَمَّنَ مِنْ أَثَرٍ وَقِرَاءَةٍ وَلُغَةٍ ، فَهُوَ عَنِ الْمَشَايِخِ

---

(١) أبصر منه به : أى أعلم وأخبر منه به

(٢) التمكين : مصدر مكنه من الشىء جعله ظافراً مستولياً عليه

الَّذِينَ أَخَذْتُ ذَلِكَ عَنْهُمْ ، وَأَسْنَدْتُهُ إِلَيْهِمْ ، فَمَتَى أَثَرَ[1] سَيِّدُنَا الصَّاحِبُ الْجَلِيلُ — أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ وَنَصْرَهُ وَتَأْيِيدَهُ وَتَمْكِينَهُ — حِكَايَةَ شَيْءٍ مِنْهُ عَنْهُمْ ، أَوْ عَنِّى لِهَذِهِ الْمُكَاتَبَةِ فَعَلَ . وَكَتَبَ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَارِسِيُّ بِخَطِّهِ : وَلِأَبِى عَلِيٍّ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ الْحُجَّةِ ، كِتَابُ التَّذْكِرَةِ ، قَدْ ذُكِرَتْ حَالُهُ فِى تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ ابْنِ طُوسٍ الْقَصْرِيِّ ، كِتَابُ أَبْيَاتِ الْإِعْرَابِ ، كِتَابُ الْإِيضَاحِ الشِّعْرِيِّ[2] ، كِتَابُ الْإِيضَاحِ النَّحْوِيِّ ، كِتَابُ مُخْتَصَرِ عَوَامِلِ الْإِعْرَابِ[3] ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ الْحَلَبِيَّةِ[4] ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ الْبَغْدَادِيَّةِ ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ الشِّيرَازِيَّةِ ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ الْقَصْرِيَّةِ ، كِتَابُ الْأَغْفَالِ ، وَهُوَ مَسَائِلُ أَصْلَحَهَا عَلَى

(١) أثر : أى نقل ، ومنه : حديث مأثور : أى منقول .

(٢) اسمه فى الفهرس : شرح أبيات الايضاح

(٣) انتهى ما أورده صاحب الفهرس من كتب أبى على — ولم يذكر مما يأتى إلا كتاب المسائل المصلحة

(٤) فى وفيات الاعيان : الحلبيات

الزَّجَّاج ، كِتَابُ الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ ، كِتَابُ نَقْصِ الْهَاذُورِ[1] كِتَابُ التَّرْجَمَةِ ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ الْمَنْثُورَةِ ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ الدِّمَشْقِيَّةِ ، كِتَابُ أَبْيَاتِ الْمَعَانِي ، كِتَابُ التَّتَبُّعِ لِكَلَامِ أَبِي عَلِيٍّ الْجُبَّائِيِّ فِي التَّفْسِيرِ ، نَحْوُ مِائَةِ وَرَقَةٍ ، كِتَابُ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ » ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ الْبَصْرِيَّةِ ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ الْعَسْكَرِيَّةِ ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ الْمُصْلَحَةِ مِنْ كِتَابِ ابْنِ السَّرَّاجِ ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ الْمُشْكِلَةِ ، كِتَابُ الْمَسَائِلِ الْكَرْمَانِيَّةِ ، ذَكَرَ الْمَعَرِّيُّ فِي رِسَالَةِ الْغُفْرَانِ[2] : أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ الْفَارِسِيَّ كَانَ يَذْكُرُ أَنَّ أَبَا بَكْرِ بْنَ السَّرَّاجِ ، عَمِلَ مِنَ الْمُوجَزِ النِّصْفَ الْأَوَّلَ لِرَجُلٍ بَزَّازٍ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ بِإِتْمَامِهِ . قَالَ : وَهَذَا لَا يُقَالُ إِنَّهُ مِنْ إِنْشَاءِ أَبِي عَلِيٍّ ، لِأَنَّ الْمَوْضُوعَ فِي[3] الْمُوجَزِ ، هُوَ مَنْقُولٌ مِنْ كَلَامِ ابْنِ السَّرَّاجِ فِي الْأُصُولِ

---

(١) هذا الكتاب ذكره أبو بكر بن خير فى فهرسه « ص ٣١٠ » ولم نفهم له موضوعا إلا أن يراد من الهاذور الهاذر ، غير أن هذا الوزن لم يرد فى القاموس مع كثرة ما جاء به من الوصف فى الهذر عبد الخالق

(٢) أى رسالة الغفران « طبع مصر ١٣٢١ » ص ١٣٧ (٣) فى الرسالة « من »

وَفى الْجُمَلِ ، فَكَأَنَّ أَبَا عَلِىٍّ جَاءَ بِهِ عَلَى سَبِيلِ النَّسْخِ ، لَا أَنَّهُ أُبْتَدَعَ شَيْئًا مِنْ عِنْدِهِ [(١)] نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الشَّيْخِ أَبِى سَعِيدٍ مَعْنِ بْنِ خَلَفٍ الْبُسْتِىِّ ، مُسْتَوْفِى بَيْتَىِ الزَّرْدِ وَالْفَرَسِ الْمَلِكْشَاهِىِّ بِتَوْلِيَتِهِ مِنْ نِظَامِ الْمُلْكِ ، مِنْ كِتَابٍ أَلَّفَهُ بِخَطِّهِ ، وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا حَاسِبًا .

قَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْعَلَاءِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَهْرَوَيْهِ فِى كِتَابِهِ الَّذِى سَمَّاهُ « أَجْنَاسَ الْجَوَاهِرِ » : كُنْتُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ أَخْتَلِفُ [(٢)] إِلَى أَبِى عَلِىٍّ الْفَارِسِىِّ النَّحْوِىِّ — رَحِمَهُ اللهُ — وَكَانَ السُّلْطَانُ رَسَمَ لَهُ أَنْ يَنْتَصِبَ لِى كُلَّ أُسْبُوعٍ يَوْمَيْنِ ، لِتَصْحِيحِ كِتَابِ التَّذْكِرَةِ ، لِخِزَانَةِ كَافِى الْكُفَاةِ [(٣)] ، فَكُنَّا إِذَا قَرَأْنَا أَوْرَاقًا مِنْهُ تَجَارَيْنَا [(٤)] فِى فُنُونِ الْآدَابِ ، وَاجْتَنَيْنَا مِنْ فَوَائِدِهِ ثِمَارَ الْأَلْبَابِ .

---

(١) من قوله : « نقلت الى وكان عالما إلى آخر الجملة » كلام مسوق لأجل قوله : وكان عالماً (٢) أختلف إليه : أتردد على مجلسه مرة بعد أخرى (٣) هكذا فى نسخة العماد (٤) تجارينا الخ : أى تدافعنا فى أبحاث

وَرَتعنَا[١] فِي رِيَاضِ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ ، وَالْتَقَطْنَا الدُّرَّ الْمَنْثُورَ مِنْ سِقَاطٍ[٢] فِيهِ ، فَأَجْرَى يَوْماً بَعْضُ الْحَاضِرِينَ ذِكْرَ الْأَصْمَعِيِّ ، وَأَسْرَفَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَفَضَّلَهُ عَلَى أَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ فِي أَيَّامِهِ ، فَرَأَيْتُهُ — رَحِمَهُ اللهُ — كَالْمُنْكِرِ لِمَا كَانَ يُورِدُهُ ، وَكَانَ فِيمَا ذَكَرَ مِنْ مَحَاسِنِهِ ، وَنَشَرَ مِنْ فَضَائِلِهِ أَنْ قَالَ : مَنْ ذَا الَّذِي يَجْسُرُ أَنْ يُخَطِّئَ الْفُحُولَ مِنَ الشُّعَرَاءِ غَيْرُهُ ؟ فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : وَمَا الَّذِي رَدَّ عَلَيْهِمْ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : أَنْكَرَ عَلَى ذِي الرُّمَّةِ مَعَ إِحَاطَتِهِ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَمَعَانِيهَا ، وَفَضْلِ مَعْرِفَتِهِ بِأَغْرَاضِهَا وَمَرَامِيهَا ، وَأَنَّهُ سَلَكَ نَهْجَ الْأَوَائِلِ فِي وَصْفِ الْمَفَاوِزِ ، إِذَا لَعِبَ السَّرَابُ[٣] فِيهَا ، وَرَقَصَ الْآلُ فِي نَوَاحِيهَا ، وَنَعَتَ الْجِرْيَالَ[٤]

---

(١) ورتعنا الخ : أى نعمنا ولهونا فى حدائقه الشهية (٢) سقاط فيه : السقاط بالكسر مصدر ساقط ، وما سقط من النخل من البسر — والمراد : ما يبدر منه من البليغ الكلام (٣) السراب : ماتراه نصف النهار ، كأنه ماء وليس به ، ومنه الآية الكريمة « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » والآل : السراب أيضاً ، والمراد : تلألؤه فى أجوائها ، خداعا للرائين

(٤) الجريال : الفرس ، وفى الاصل : « الحرباء »

وَقَدْ سَبَّحَ عَلَى جُدُلِهِ [١] ، وَالظَّلِيمِ وَكَيْفَ يَنْفِرُ مِنْ ظِلِّهِ ؟. وَذَكَرَ الرَّكْبَ وَقَدْ مَالَتْ طُلَاهُمْ [٢] مِنْ غَلَبَةِ الْمَنَامِ ، حَتَّى كَأَنَّهُمْ صَرَعَتْهُمْ كُؤُوسُ الْمُدَامِ ، فَطَبَّقَ مَفْصِلَ الْإِصَابَةِ [٣] فِي كُلِّ بَابٍ ، وَسَاوَى الصَّدْرَ الْأَوَّلَ مِنْ أَرْبَابِ الْفَصَاحَةِ ، وَجَارَى الْقُرُومَ [٤] الْبُزَّلَ مِنْ أَصْحَابِ الْبَلَاغَةِ ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ : وَمَا الَّذِي أَنْكَرَ عَلَى ذِي الرُّمَّةِ ؟ فَقَالَ قَوْلُهُ :

وَقَفْنَا فَقُلْنَا إِيهِ عَنْ أُمِّ سَالِمِ

لِأَنَّهُ كَانَ يَجِبُ أَنْ يُنَوِّنَهُ ، فَقَالَ : أَمَّا هَذَا فَالْأَصْمَعِيُّ مُخْطِئٌ فِيهِ ، وَذُو الرُّمَّةِ مُصِيبٌ ، وَالْعَجَبُ أَنْ يَعْقُوبَ بْنَ السِّكِّيتِ ، قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ هَذَا السَّهْوُ فِي بَعْضِ مَا أَنْشَدَهُ . فَقُلْتُ : إِنْ رَأَى الشَّيْخُ أَنْ يَصْدَعَ [٥] لَنَا

---

(١) الجدل : جمع جديل : حبل من أدم وشعر (٢) أى أعناقهم ، والمعنى : أنهم لا يستقرون على المطايا لغلبة النوم عليهم . (٣) يقال : طبق مفصل الاصابة : إذا أصاب الحجة . (٤) القروم : جمع قرم ، والمراد به السيد العظيم فى قومه — والبزل ، جمع بازل والمراد به الرجل الكامل الخبير (٥) أى أن يكشف لنا ، وهذا تجوز بشبه القول بالصدع بجامع التأثير

بِجَلِيَّةِ هذَا الخَطَإِ تَفَضَّلَ بِهِ ، فَأَمْلَى عَلَيْنَا : أَنْشَدَ ابْنُ السِّكِّيتِ لِأَعْرَابِيٍّ مِنْ بَنِي أَسَدٍ :

وَقَائِلَةٍ أَسِيتَ فَقُلْتُ جَيْرِ
أَسِيٌّ إِنَّنِي مِنْ ذَاكَ إِنَّهْ
أَصَابَهُمُ الحِمَى وَهُمْ عَوَافٍ(١)
وَكُنَّ عَلَيْهِمُ نَحْساً(٢) لَعْنَهْ(٣)
فَجِئْتُ قُبُورَهُمْ بَدْءاً وَلَمَّا
فَنَادَيْتُ القُبُورَ فَلَمْ يُجِبْنَهْ
وَكَيْفَ يُجِيبُ أَصْدَاءٌ(٤) وَهَامٌ
وَأَبْدَانٌ بُدِرْنَ وَمَا نَخِرْنَهْ(٥)

قَالَ يَعْقُوبُ : قَوْلُهُ جَيْرِ أَىْ حَقًّا ، وَهِيَ مَخْفُوضَةٌ غَيْرُ مُنَوَّنَةٍ ، فَاحْتَاجَ إِلَى التَّنْوِينِ : قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : هَذَا سَهْوٌ

(١) جمع عوف ، والعوف ، الكاد على عياله .   (٢) النحس : طالع الانسان ضد السعد .   (٣) لعنه : اللعنة بضم اللام وسكون العين : يلعنه الناس .

(٤) أصداء : جمع صدى ، وهو الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها ، وهام جمع هامة ، وهى الرأس .   (٥) نخر الشىء من باب طرب : بلى وتفتت

مِنْهُ ، لِأَنَّ هذَا « يَجْرِى مِنْهُ » مَجْرَى الْأَصْوَاتِ ، وَبَابُ الْأَصْوَاتِ كُلِّهَا ، وَالْمَبْنِيَّاتُ بِأَسْرِهَا لَا يُنَوَّنُ ، إِلَّا مَا خُصَّ مِنْهَا لِعِلَّةِ الْفُرْقَانِ فِيهَا ، بَيْنَ نَكِرَتِهَا وَمَعْرِفَتِهَا ، فَمَا كَانَ مِنْهَا مَعْرِفَةً جَاءَ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ ، فَإِذَا نَكَّرْتَهُ نَوَّنْتَهُ ، وَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّكَ تَقُولُ فِى الْأَمْرِ : صَهْ وَمَهْ ، تُرِيدُ السُّكُوتَ يَا فَتَى ، فَإِذَا نَكَّرْتَ قُلْتَ : صَهٍ وَمَهٍ ، تُرِيدُ سُكُوتًا . وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْغُرَابِ[1] : « غَاقِ » أَىِ الصَّوْتَ الْمَعْرُوفُ مِنْ صَوْتِهِ ، « وَقَوْلُ الْغُرَابِ غَاقٍ » أَىْ صَوْتًا ، وَكَذَلِكَ إِيهِ يَا رَجُلُ ، تُرِيدُ الْحَدِيثَ ، وَإِيهٍ تُرِيدُ حَدِيثًا .

وَزَعَمَ الْأَصْمَعِىُّ : أَنَّ ذَا الرُّمَّةِ أَخْطَأَ فِى قَوْلِهِ : « وَقَفْنَا فَقُلْنَا إِيهِ عَنْ أُمِّ سَالِمٍ » وَكَانَ يَجِبُ أَنْ يُنَوِّنَهُ وَيَقُولُ إِيهٍ مُنَوَّنَةٍ ، وَهَذَا مِنْ أَوَابِدِ الْأَصْمَعِىِّ ، فَاحْتَاجَ إِلَى التَّنْوِينِ . قَالَ أَبُو عَلِىٍّ : هذَا سَهْوٌ

(١) قول الغراب غاق — إلى قوله وقول الغراب غاق ، ساقط من الاصل ، ولكن فى العماد .

مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ . فَقَوْلُهُ جَيْرِ بِغَيْرِ تَنْوِينٍ ، فِي مَوْضِعِ قَوْلِهِ الْحَقُّ ، وَتَجْعَلُهُ نَكِرَةً فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَتُنَوِّنُه ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ : قُلْتُ حَقًّا . وَلَا مَدْخَلَ لِلضَّرُورَةِ فِي ذَلِكَ ، إِنَّمَا التَّنْوِينُ لِلْمَعْنَى الْمَذْكُورِ ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ . وَتَنْوِينُ هَذَا الشَّاعِرِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ .

قَالَ يَعْقُوبُ : قَوْلُهُ : أَصَابَهُمُ الْحِمَى : يُرِيدُ الْحِمَامَ . وَقَوْلُهُ بُدِرْنَ : أَيْ طُعِنَّ فِي بَوَادِرِهِمْ بِالْمَوْتِ . وَالْبَادِرَةُ : النَّحْرُ . وَقَوْلُهُ : فَجِئْتُ قُبُورَهُمْ بَدْءًا : أَيْ سَيِّدًا ، وَبَدْءُ الْقَوْمِ : سَيِّدُهُمْ . وَبَدْءُ الْجَزُورِ : خَيْرُ أَنْصِبَائِهَا . وَقَوْلُهُ : وَلَمَّا أَيْ وَلَمْ أَكُنْ سَيِّدًا إِلَّا حِينَ مَاتُوا ، فَإِنِّي سُدْتُ بَعْدَهُمْ .

قَرَأْتُ فِي مُعْجَمِ الشُّعَرَاءِ لِلسِّلَفِيِّ : أَنْشَدَنِي أَبُو جَعْفَرٍ ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ كَوْثَرٍ ، الْمُحَارِبِيُّ الْغَرْنَاطِيُّ بِدِيَارِ مِصْرَ ، قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ أَحْمَدُ بْنُ خَلَفٍ النَّحْوِيُّ لِنَفْسِهِ بِالْأَنْدَلُسِ ، فِي كِتَابِ الْإِيضَاحِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ النَّحْوِيِّ :

أَضِعِ الْكَرَى لِتَحَفُّظِ (١) الْإِيضَاحِ
وَصِلِ الْغُدُوَّ لِفَهْمِهِ بِرَوَاحِ

هُوَ بُغْيَةُ (٢) الْمُتَعَلِّمِينَ وَمَنْ بَغَى
حَمْلَ الْكِتَابِ يَلِجْهُ بِالْمِفْتَاحِ

لِأَبِي عَلِيٍّ فِي الْكِتَابِ إِمَامَةٌ
شَهِدَ الرُّوَاةُ لَهَا بِفَوْزِ قِدَاحِ (٣)

يُفْضِي (٤) إِلَى أَسْرَارِهِ بِنَوَافِذٍ (٥)
مِنْ عِلْمِهِ بَهَرَتْ (٦) قُوَى الْأَمْدَاحِ

فَيُخَاطِبُ الْمُتَعَلِّمِينَ بِلَفْظِهِ
وَيُحِلُّ مُشْكِلَهُ بِوَمْضَةِ (٧) وَاحِي

---

(١) التحفظ : الاستظهار (٢) البغية : بكسر الباء وضمها ، الحاجة — وبغى ضالته يبغيها بغاء وبغاية : أى طلبها . (٣) القداح : جمع قدح ، وهو السهم قبل أن ينصل ويراش ، وسهم الميسر ، والمراد : فوز كتابه على سائر الكتب العربية ، حيث إن سهامه ومراميه صائبة تزرى بغيرها (٤) أفضى به إلى كذا : بلغ وانتهى به اليه
(٥) نوافذ الكلام : ما مضى منه وجرى وتم ونفذ إلى أعماق القلوب ، جمع نافذة
(٦) بهره بهراً : من باب نفع ، غلبه وفضله — ومنه قيل للقمر الباهر ، لظهوره على جميع الكواكب (٧) ومضة واح : أى إشارة خفية لايعقلها الا العالمون

مَضَتِ الْعُصُورُ فَكلٌّ نَحْوٍ ظُلْمَةٌ

وَأَتَى فَكَانَ النَّحْوُ ضَوْءَ صَبَاحِ

أُوصِى ذَوِى الْإِعْرَابِ أَنْ يَتَذَاكَرُوا

بِحُرُوفِهِ فِى الصُّحْفِ وَالْأَلْوَاحِ

فَإِذَا هُمُ سَمِعُوا النَّصِيحَةَ أَنْجَحُوا

إِنَّ النَّصِيحَةَ غِبُّهَا (١) لِنَجَاحِ

وَكَتَبَ الصَّاحِبُ إِلَى أَبِى عَلِيٍّ فِى الْحَالِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا: كِتَابِى — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ ، وَأَدَامَ جَمَالَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ بِحِرَاسَةِ مُهْجَتِهِ ، وَتَنْفِيسِ (٢) مُهْلَتِهِ — ، وَأَنَا سَالِمٌ وَلِلَّهِ حَامِدٌ ، وَإِلَيْهِ فِى الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ رَاغِبٌ ، وَلِبِرِّ الشَّيْخِ ـ أَيَّدَهُ اللهُ ـ بِكِتَابِهِ الْوَارِدِ شَاكِرٌ .

فَأَمَّا أَخُونَا أَبُو الْحُسَيْنِ قَرِيبُهُ ـ أَعَزَّهُ اللهُ ـ فَقَدْ أَلْزَمَنِي

---

(١) الغب والمغبة : العاقبة (٢) التنفيس : الأمهال ومنه يقال : لك فى الامر نفسة : أى مهلة . والمراد طول عمره .

بإخراجه إلى أعظم منة ، وأتحفنى من قربه بعلق[1] مضنة ، لولا أنه قلل المقام ، واختصر الأيام . ومن هذا الذى لا يشتاق ذلك المجلس ؟ وأنا أحوج من كل حاضريه إليه ، وأحق منهم بالمثابرة عليه ، ولكن الأمور مقدرة ، وبحسب المصالح ميسرة ، غير أنا ننتسب إليه على البعد ، ونقتبس فوائده عن قرب ، وسيشرح هذا الأخ هذه الجملة — حق الشرح بإذن الله . والشيخ ـ أدام الله عزه ـ يبرد غليل شوق إلى مشاهدته ، بعمارة ما افتتح من البر بمكاتبته ، ويقتصر على الخطاب الوسط دون الخروج فى إعطاء الرتب إلى الشطط[2] ، كما يخاطب الشيخ المستفاد منه التلميذ الآخذ عنه ، ويبسط فى حاجاته ، فإننى أظننى أجدر إخوانه بقضاء مهماته ، إن شاء الله تعالى . قد اعتمدت على صاحبى أبى العلاء ـ أيده

---

(١) يقال : هذا علق مضنة : أى نفيس مما يضن به ، وهو مثل يضرب فى نفاسة الشىء .

(٢) الشطط : مجاوزة الحد فى كل شىء .

اللهُ - لِاسْتِنْسَاخِ التَّذْكِرَةِ ، ولِلشَّيْخِ - أَدَامَ اللهُ عِزَّهُ - رَأْيُهُ الْمُوَفَّقُ فِى التَّمْكِينِ ، مِنَ الْأَصْلِ وَالْإِذْنِ بَعْدَ النَّسْخِ فِى الْعَرْضِ - بِإِذْنِ اللهِ تعالَى - .

قَالَ حَدَّثَنِى عَلَمُ الدِّينِ ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَنْدَلُسِىُّ - أَيَّدَهُ اللهُ تعَالَى - قَالَ : وَجَدْتُ فِى مَسَائِلَ نَحْوِيَةٍ ، تُنْسَبُ إِلَى ابْنِ جِنِّى قَالَ : لَمْ أَسْمَعْ لِأَبِى عَلِىٍّ شِعْرًا قَطُّ ، إِلَى أَنْ دَخَلَ إِلَيْهِ فِى بَعْضِ الْأَيَّامِ رَجُلٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ ، فَجَرَى ذِكْرُ الشِّعْرِ ، فَقَالَ أَبُو عَلِىٍّ : إِنِّى لَأَغْبِطُكُمْ عَلَى قَوْلِ هَذَا الشِّعْرِ ، فَإِنَّ خَاطِرِى لَا يُوَاتِينِى[1] عَلَى قَوْلِهِ ، مَعَ تَحَقُّقِى لِلْعُلُومِ الَّتِى هِىَ مِنْ مَوَارِدِهِ . فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ : فَمَا قُلْتَ قَطُّ شَيْئًا مِنْهُ أَلْبَتَّةَ ؟ فَقَالَ : مَا أَعْهَدُ لِى شِعْرًا إِلَّا ثَلَاثَةَ أَبْيَاتٍ قُلْتُهَا فِى الشَّيْبِ ، وَهِىَ قَوْلِى :

---

(١) لا يواتينى : لا يطاوعنى

خَضَبْتُ الشَّيْبَ لَمَّا كَانَ عَيْباً
وَخَضْبُ الشَّيْبِ أَوْلَى أَنْ يُعَابَا

وَلَمْ أَخْضِبْ مَخَافَةَ هَجْرِ خِلٍّ
وَلَا عَيْباً خَشِيتُ وَلَا عِتَابَا

وَلَـكِنَّ الْمَشِيبَ بَدَا ذَمِيماً
فَصَيَّرْتُ الْخِضَابَ لَهُ عِقَابَا

فَاسْتَحْسَنَّاهَا وَكَتَبْنَاهَا عَنْهُ ، أَوْ كَمَا قَالَ . لِأَنِّي كَتَبْتُهَا عَنِ الْمُفَاوَهَةِ [١] ، وَلَمْ أَنْقُلْ أَلْفَاظَهَا .

أَخْبَرَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ الفَرَّاءُ ، عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ ، نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، بْنِ نُوحٍ الْمُقْرِىءِ ، قَالَ : أَنْبَأَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ السِّمْسِمِيُّ اللُّغَوِيُّ بِبَغْدَادَ ، أَنْبَأَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ ، بْنِ عَبْدِ الغَفَّارِ الْفَارِسِي النَّحْوِيُّ ، قَالَ : جِئْتُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ السَّرَّاجِ لِأَسْمَعَ مِنْهُ الْكِتَابَ ، وَحَمَلْتُ إِلَيْهِ مَا حَمَلْتُ ، فَلَمَّا انْتَصَفَ الْكِتَابُ عَسُرَ [٢] عَلَيَّ فِي

(١) كانت في الاصل : « المفاوضة »

(٢) يريد تصعب ، وأبدى ما يحملني على عدم الاستمرار

تَمَامِهِ ، فَانْقَطَعْتُ [١] عَنْهُ لِتَمَكُّنِي مِنَ الْكِتَابِ ، فَقُلْتُ لِنَفْسِي بَعْدَ مُدَّةٍ : إِنْ سِرْتُ إِلَى فَارِسَ ، وَسُئِلْتُ عَنْ تَمَامِهِ ، فَإِنْ قُلْتُ نَعَمْ ، كَذَبْتُ ، وَإِنْ قُلْتُ لَا ، سَقَطَتِ الرِّوَايَةُ وَالرِّحْلَةُ . وَدَعَتْنِي الضَّرُورَةُ ، فَحَمَلْتُ إِلَيْهِ رِزْمَةً [٢] ، فَلَمَّا أَبْصَرَنِي مِنْ بَعِيدٍ أَنْشَدَ :

وَكَمْ تَجَرَّعْتُ مِنْ غَيْظٍ وَمِنْ حَزَنٍ
إِذَا تَجَدَّدَ حُزْنٌ هَوَّنَ الْمَاضِي
وَكَمْ غَضِبْتُ فَمَا بَالَيْتُمْ غَضَبِي
حَتَّى رَجَعْتُ بِقَلْبٍ سَاخِطٍ رَاضِي

قَرَأْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الْخَشَّابِ : كَانَ شَيْخُنَا ، يَعْنِي أَبَا مَنْصُورٍ مَوْهُوبَ بْنَ الْخَضِرِ الْجَوَالِيقِيَّ قَلَّمَا يَنْبُلُ [٤] عِنْدَهُ مُمَارِسٌ لِلصِّنَاعَةِ النَّحْوِيَّةِ ، وَلَوْ طَالَ فِيهَا بَاعُهُ ، مَا لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ عِلْمِ الرِّوَايَةِ ، وَمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ

---

(١) فى الأصل : « قطعت » (٢) الرزمة بالكسر ويفتح : ما شد فى ثوب واحد
(٣) تجرع الغيظ : كظمه وحبسه ، والتجرع : تناول الشىء بمرارة (٤) ينبل : يصير ذا نبل أى نجابة وفضل وشرف .

مِنْ ضُرُوبِهَا ، وَلَا سِيَّمَا رِوَايَةُ الْأَشْعَارِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِمَعْرِفَتِهَا مِنْ لُغَةٍ وَقِصَّةٍ ، وَلِهَذَا كَانَ مُقَدَّمًا لِأَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ ، عَلَى أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ - رَحِمَهُمَا اللهُ -. وَأَبُو عَلِيٍّ أَبُو عَلِيٍّ فِي نَحْوِهِ. وَطَرِيقَةُ أَبِي سَعِيدٍ فِي النَّحْوِ مَعْلُومَةٌ. وَيَقُولُ : أَبُو سَعِيدٍ أَرْوَى مِنْ أَبِي عَلِيٍّ ، وَأَكْثَرُ تَحَقُّقًا بِالرِّوَايَةِ ، وَأَثْرَى (١) مِنْهُ فِيهَا : وَقَدْ قَالَ لِي غَيْرَ مَرَّةٍ : لَعَلَّ أَبَا عَلِيٍّ لَمْ يَكُنْ يَرَى مَا يَرَاهُ أَبُو سَعِيدٍ ، مِنْ مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْأَخْبَارِيَّاتِ وَالْأَنْسَابِ ، وَمَا جَرَى فِي هَذَا الْأُسْلُوبِ - كَبِيرَ أَمْرٍ -.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ : وَلَعَمْرِي إِنَّهُ قَدْ حُكِيَ عَنْهُ ، أَعْنِي أَبَا عَلِيٍّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَأَنْ (٢) أُخْطِئَ فِي خَمْسِينَ مَسْأَلَةً مِمَّا بَابُهُ الرِّوَايَةُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُخْطِئَ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ قِيَاسِيَّةٍ . هَذَا كَلَامُهُ أَوْ مَعْنَاهُ ، عَلَى أَنَّهُ

---

(١) أثرى منه فيها : أى أكثر مادة واطلاعاً منه فى الرواية

(٢) كانت فى الاصل « لأنى » وأصلحناه الى ماذكر

كَانَ يَقُولُ : قَدْ سَمِعْتُ الْكَثِيرَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ، وَكُنْتُ أَسْتَحِي أَنْ أَقُولَ : أَثْبِتُوا اسْمِي . قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ : وَكَثِيرًا مَا تُحْصَى[1] السَّقَطَاتُ[2] عَلَى الْحُذَّاقِ[3] مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَةِ النَّحْوِيَّةِ ، لِتَقْصِيرِهِمْ فِي هَذَا الْبَابِ ، فَمِنْهُ يَذْهَبُونَ ، وَمِنْ جِهَتِهِ يُؤْتَوْنَ[4] . تَمَّ هَذَا الْكَلَامُ فِي أَخْبَارِ ابْنِ الْخَشَّابِ .

وَقَرَأْتُ فِي تَارِيخِ أَبِي غَالِبِ بْنِ مُهَذَّبٍ الْمَعَرِّيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الشَّيْخُ أَبُو الْعَلَاءِ ، أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ مَضَى إِلَى الْعِرَاقِ ، وَصَارَ لَهُ جَاهٌ عَظِيمٌ عِنْدَ الْمَلِكِ فَنَاخُسْرُو . فَوَقَعَتْ لِبَعْضِ أَهْلِ الْمَعَرَّةِ[5] حَاجَةٌ فِي الْعِرَاقِ ، احْتَاجَ فِيهَا إِلَى كِتَابٍ مِنَ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ سُلَيْمَانَ ، إِلَى أَبِي عَلِيٍّ . فَلَمَّا وَقَفَ

---

(١) في الاصل : « تبنى » (٢) السقطات : الاخطاء ، وهى جمع سقطة

(٣) حذاق جمع حاذق ، وهو الماهر في عمله (٤) بالبناء للمفعول : من قولهم : أتى من جهة كذا بالبناء للمفعول (٥) كانت في الاصل : « المعرفة »

عَلَى الْكِتَابِ قَالَ : إِنِّى قَدْ نَسِيتُ الشَّامَ وَأَهْلَهُ ، وَلَمْ يُعِرْهُ طَرْفَهُ .

وَذَكَرَ شَيْخُنَا أَبُو عَلِيٍّ : أَنَّ بَعْضَ إِخْوَانِهِ سَأَلَهُ بِفَارِس إِمْلَاءَ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَمْلَى عَلَيْهِ صَدْراً [1] كَثِيراً ، وَتَقَصَّى الْقَوْلَ فِيهِ ، وَأَنَّهُ هَلَكَ فِي جُمْلَةِ مَا فَقَدَهُ ، وَأُصِيب بِهِ مِنْ كُتُبِهِ. قَالَ عُثْمَانُ بْنُ جِنِّيٍّ – رَحِمَهُ اللهُ – : وَإِنْ وَجَدْتُ نُسْخَةً وَأَمْكَنَ الْوَقْتُ ، عَمِلْتُ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً أَذْكُرُ فِيهِ جَمِيعَ الْمُعْتَلَّاتِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَأُمَيِّزُ ذَوَاتِ الْهَمْزَةِ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ وَالْيَاءِ ، وَأُعْطِي كُلَّ جُزْءٍ مِنْهُمَا حَظَّهُ مِنَ الْقَوْلِ ، مُسْتَقْصًى [2] – إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى – .

وَحَدَّثَنِي أَيْضاً أَنَّهُ وَقَعَ حَرِيقٌ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ ، فَذَهَبَ بِهِ جَمِيعُ عِلْمِ الْبَصْرِيِّينَ قَالَ : وَكُنْتُ قَدْ كَتَبْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِخَطِّي ، وَقَرَأْتُهُ عَلَى أَصْحَابِنَا ، فَلَمْ أَجِدْ مِنَ الصُّنْدُوقِ الَّذِي

---

(١) أى طائفة من أول الكتاب . (٢) من قولهم استقصى المسألة : بلغ الغاية فى البحث عنها . ومثله : تقصى

أُحترَقَ شيئًا أَلْبَتَّةَ ، إِلَّا نِصفَ كِتابِ الطَّلَاقِ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَسَنِ . وَسَأَلْتُهُ عَنْ سَلْوَتِهِ وَعَزَائِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيَّ عَاجِبًا ثُمَّ قَالَ : بَقِيتُ شَهْرَيْنِ لَا أُكَلِّمُ أَحَدًا حُزْنًا وَهَمًّا ، وَانْحَدَرْتُ(١) إِلَى الْبَصْرَةِ لِغَلَبَةِ الْفِكْرِ عَلَيَّ ، وَأَقَمْتُ مُدَّةً ذَاهِلًا مُتَحَيِّرًا أُنْقَضِيَ كَلَامُهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ .

قَرَأْتُ فِي الْمَسَائِلِ الْحَلَبِيَّةِ ، نُسْخَةَ كِتَابٍ كَتَبَهُ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ جَوَابًا عَنْ كِتَابٍ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، يَرُدُّ فِيهِ عَلَى ابْنِ خَالَوَيْهِ فِي أَشْيَاءَ أَبْلَغَهَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ نُسْخَتُهُ : قَرَأَ — أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِنَا الْأَمِيرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ — عَبْدُ سَيِّدِنَا الرُّقْعَةَ النَّافِذَةَ(٢) مِنْ حَضْرَةِ سَيِّدِنَا ، فَوَجَدَ كَثِيرًا مِنْهَا شَيْئًا لَمْ تَجْرِ عَادَةُ عَبْدِهِ بِهِ ، وَلَاسِيَّمَا مَعَ صَاحِبِ الرُّقْعَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَذْكُرُ مِنْ ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ تَحَفُّظِ هَذَا الرَّجُلِ فِيمَا يَقُولُهُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : « وَلَوْ بَقِيَ عُمَرُ

(١) انحدرت : هبطت (٢) نفذ وأنفذ الكتاب إلى فلان : أرسله

نُوحٍ مَا صَلَحَ أَنْ يقرأَ عَلَى السِّيرَافِىِّ » مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ ابْنَ بَهْزَاذَ السِّيرَافِىَّ يَقْرأُ عليهِ الصِّبْيَانُ وَمُعَلِّمُوهُمْ ، أَفَلاَ أَصْلُحُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَى مَنْ يَقْرَأُ عليهِ الصِّبْيَانُ ؟ هَذَا مَا لَا خَفَاءَ بِهِ . كَيْفَ وَهُوَ قَدْ خَلَطَ فِيمَا حَكَاهُ عَنِّى ؟ وَأَنِّى قُلْتُ : إِنَّ السِّيرَافِىَّ قَدْ قَرَأَ عَلَىَّ وَلَمْ أَقُلْ هذَا . إِنَّمَا قُلْتُ : « تَعَلَّمَ مِنِّى » أَوْ « أَخَذَ عَنِّى » هُوَ وَغَيْرُهُ مِمَّنْ يَنْظُرُ الْيَوْمَ فِى شَىْءٍ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ . وَلَيْسَ قَوْلُ الْقَائِلِ : « تَعَلَّمَ مِنِّى » مِثْلَ « قَرَأَ عَلَىَّ » ، لِأَنَّهُ قَدْ يَقْرَأُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَتَعَلَّمُ مِنْهُ ، وَقَدْ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ مَنْ لَا يَقْرَأُ عَلَيْهِ . وَتَعَلَّمَ ابْنُ بَهْزَاذَ مِنِّى فِى أَيَّامِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّرِىِّ وَبَعْدَهُ ، لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ كَانَ يَعْرِفُنِى وَيَعْرِفُهُ ، كَعَلِىِّ بْنِ عِيسَى الْوَرَّاقِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ يُونُسَ . وَمَنْ كَانَ يَطْلُبُ هَذَا الشَّأْنَ مِنْ بَنِى الْأَزْرَقِ الْكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ . وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الْفُرْسِ الَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَهُ يَغْشَانِى [1] فِى صَفِّ شُونِيزَ ، كَعَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ

---

(١) يغشاني : يأتيني

دَرَسْتَوَيْهِ النَّحْوِيُّ ، لِأَنَّهُ كَانَ جَارِي بَيْتَ بَيْتَ[(١)] قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ الْحَسَنُ بْنُ جَعْفَرٍ أَخُوهُ ، فَيَنْتَقِلَ إِلَى دَارِهِ الَّتِي وَرِثَهَا عَنْهُ فِي دَرْبِ الزَّعْفَرَانِيِّ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ « إِنِّي قُلْتُ : إِنَّ ابْنَ الْخَيَّاطِ كَانَ لَا يَعْرِفُ شَيْئاً » ، فَغَلَطٌ فِي الْحِكَايَةِ ، كَيْفَ أَسْتَجِيزُ هَذَا وَقَدْ كَلَّمْتُ ابْنَ الْخَيَّاطِ فِي مَجَالِسَ كَثِيرَةٍ ؟ . وَلَكِنِّي قُلْتُ : إِنَّهُ لَا لِقَاءَ لَهُ ، لِأَنَّهُ دَخَلَ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ مَوْتِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ ، وَصَادَفَ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى وَقَدْ صَمَّ صَمَماً شَدِيداً ، لَا يَخْرِقُ الْكَلَامُ مَعَهُ سَمْعَهُ ، فَلَمْ يُمْكِنْ تَعَلُّمُ النَّحْوِ مِنْهُ ، وَإِنَّمَا كَانَ يُعَوِّلُ فِيمَا كَانَ يُؤْخَذُ عَنْهُ ، عَلَى مَا يُمِلُّهُ[(٢)] دُونَ مَا كَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ ، وَهَذَا الْأَمْرُ لَا يُنْكِرُهُ أَهْلُ هَذَا الشَّأْنِ وَمَنْ يَعْرِفُهُمْ . وَأَمَّا قَوْلُهُ : « قَدْ أَخْطَأَ الْبَارِحَةَ فِي أَكْثَرِ مَا قَالَهُ » ، فَاعْتِرَافٌ بِمَا إِنِ اسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْهُ كَانَ حَسَناً ، وَالرُّقْعَةُ طَوِيلَةٌ

(١) بيت بيت : طرفان مركبان مبنيان على فتح الجزءين : بمعنى ملاصقاً

(٢) يمله : من أملت الكتاب على الكاتب إملالا : ألقيته عليه ، ونظيره : أمليته عليه إملاء .

فِيهَا جَوَابٌ عَنْ مَسَائِلَ أُخِذَتْ[١] عَلَيْهِ . كَانَتِ النُّسْخَةُ غَيْرَ مَرْضِيَّةٍ ، فَتَرَكْتُهَا إِلَى أَنْ يَقَعَ مَا أَرْتَضِيهِ . وَأَكْثَرُ النُّسَخِ بِالْحَلَبِيَّاتِ لَا تُوجَدُ هَذِهِ الرُّقْعَةُ فِيهَا .

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي الْفَتْحِ عُثْمَانَ بْنِ جِنِّيٍّ الَّذِي لَا أَرْتَابُ[٢] بِهِ قَالَ : وَسَأَلْتُهُ « يَعْنِي أَبَا عَلِيٍّ » فَقُلْتُ : أَقَرَأْتَ أَنْتَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ قَرَأْتُهُ عَلَيْهِ ، وَقَرَأَهُ أَبُو بَكْرٍ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ يَعْنِي السُّكَّرِيَّ . قَالَ : وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ كَتَبَ مِنْ كُتُبِ أَبِي سَعِيدٍ كَثِيراً ، وَكُتُبِ أَبِي زَيْدٍ . قَالَ : وَذَاكَرْتُهُ[٣] بِكُتُبِ أَبِي بَكْرٍ وَقُلْتُ : لَوْ عَاشَ لَظَهَرَ مِنْ جِهَتِهِ عِلْمٌ كَثِيرٌ ، وَكَلَاماً هَـذَا نَحْوُهُ فَقَالَ : نَعَمْ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُطَوِّلُ كُتُبَهُ . وَضَرَبَ لِذَلِكَ مَثَلًا قَدْ ذَهَبَ عَنِّي ، أَظُنُّهُ — بَارَكَ اللهُ لِأَبِي يَحْيَ فِي كُتُبِهِ — أَوْ شَيْئًا نَحْوَ ذَلِكَ .

---

(١) أخذت عليه : أحصيت عليه وعوتب من أجلها ، من قولهم : آخذه مؤاخذة : عاتبه . (٢) لا أرتاب به : لا أشك فيه

(٣) ذاكرته : ذاكره فى الأمر مذاكرة : كالمه فيه وخاض معه فى حديثه

قَالَ : وَفَارَقْتُ أَبَا بَكْرٍ قَبْلَ وَفَاتِهِ وَهُوَ يُشْغَلُ (١) بِالعِلَّةِ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا ، وَرَجَعْتُ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ ، ثُمَّ عُدْتُ وَقَدْ تُوُفِّيَ . وَرَأَيْتُ فِي آخِرِ كِتَابِهِ فِي مَعَانِي الشِّعْرِ خَطِّيَ الَّذِي كَانَ يُمِلُّهُ عَلَيَّ لِأَكْتُبَهُ فِيهِ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ شَيْئًا . قَالَ : وَكَانَ الأَصْمَعِيُّ يُتَّهَمُ (٢) فِي تِلْكَ الأَخْبَارِ الَّتِي يَرْوِيهَا . فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ هَذَا ؟ وَفِيهِ مِنَ التَّوَرُّعِ مَا دَعَاهُ إِلَى تَرْكِ تَفْسِيرِ القُرْآنِ وَنَحْوِ ذَلِكَ . فَقَالَ : كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ رِيَاءً وَعِنَادًا لِأَبِي عُبَيْدَةَ ، لِأَنَّهُ سَبَقَهُ إِلَى عَمَلِ كِتَابٍ فِي القُرْآنِ ، فَجَنَحَ (٣) الأَصْمَعِيُّ إِلَى ذَلِكَ .

﴿ ٦٠ — الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ ، أَبُو مُحَمَّدٍ الأَعْرَابِيُّ * ﴾

الحسن الغندجانى

الْمَعْرُوفُ بِالأَسْوَدِ الغَنْدَجَانِيِّ اللُّغَوِيُّ النَّسَّابَةُ . وَغَنْدَجَانُ :

---

(١) يشغل بالعلة : يقال : شغل عنه بكذا ، بالبناء للمفعول — أى النهى به عنه

(٢) يتهم فى تلك الأخبار : أى يشك فى صدقه فيها (٣) جنح إلى كذا : مال إليه

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢١٧ بترجمة هى بعينها الترجمة التى وردت له فى معجم الادباء

وترجم له فى كتاب نزهة الألباء صفحة ٤٣٧ بما يأتى : —

بَلَدٌ قَلِيلُ الْمَاء ، لَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا أَدِيبٌ أَوْ حَامِلُ سِلَاحٍ .
وَكَانَ الْأَسْوَدُ صَاحِبَ دُنْيَا وَثَرْوَةٍ ، وَكَانَ عَلَّامَةً نَسَّابَةً
عَارِفاً بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا ، قَيِّماً[1] بِمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهَا ،
وَكَانَ مُسْتَنَدُهُ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ أَبَا النَّدَى[2] ،
وَهَذَا رَجُلٌ مَجْهُولٌ لَا مَعْرِفَةَ لَنَا بِهِ .

وَكَانَ أَبُو يَعْلَى بْنُ الْهَبَّارِيَّةِ الشَّاعِرُ يُعَيِّرُهُ[3] بِذَلِكَ
وَيَقُولُ : لَيْتَ شِعْرِى ، مَنْ هَذَا الْأَسْوَدُ الَّذِى قَدْ نَصَبَ[4]
نَفْسَهُ لِلرَّدِّ عَلَى الْعُلَمَاء ؟ وَتَصَدَّى لِلْأَخْذِ عَلَى الْأَئِمَّةِ الْقُدَمَاء ،

— كان أديباً بارعاً فى معرفة أنساب العرب ، ومعرفة أسماء شعابهم ، وكان كثيراً ما يروى عن أبى الندى ، محمد بن أحمد ، ولم يكن بالمشهور ، وكان ابن المبارية الشاعر ، يعيب أبا محمد الاعرابى بذلك ، وصنف أبو محمد الاعرابى تصانيف لا بأس بها . منها : نزهة الأديب وفرحة الأريب ، وقيد الاوابد إلى غير ذلك ، ويحكى أنه كان يتعاطى تسويد لونه ، فكان يدهن بالزيت ويقعد فى الشمس يتشبه بالاعراب ليتحقق تلقيبه بالاعرابى .

(١) قيماً فى أحوالها : أى ملما إلماماً وافياً (٢) قال فى معجم البلدان إنه من أهل غندجان (٣) يعيره بذلك : ينسبه إلى العار ، ويقبح عليه فعله

(٤) كانت فى الأصل : « وصف نفسه على الرد » .

بِمَاذَا نُصَحِّحُ قَوْلَهُ ؟ وَنُبْطِلُ قَوْلَ الْأَوَائِلِ وَلَا تَعْوِيلَ[1] لَهُ فِيمَا يَرْوِيهِ إِلَّا عَلَى أَبِي النَّدَى ، وَمَنْ أَبُو النَّدَى فِي الْعَالَمِ ؟ لَا شَيْخٌ مَشْهُورٌ ، وَلَا ذُو عِلْمٍ مَذْكُورٍ . قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَلَعَمْرِى إِنَّ الْأَمْرَ لَكَمَا قَالَ أَبُو يَعْلَى : هَذَا رَجُلٌ يَقُولُ : أَخْطَأَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي أَنَّ هَذَا الشِّعْرَ لِفُلَانٍ ؛ إِنَّمَا هُوَ لِفُلَانٍ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَاضِحَةٍ ، وَلَا أَدِلَّةٍ لَائِحَةٍ ، أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَكُونَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَدْ ذَكَرَ مِنَ الْقَصِيدَةِ أَبْيَاتًا يَسِيرَةً فَيُنْشِدُ هُوَ تَمَامَهَا ، وَهَذَا مَا لَا يَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَعْلَمَ مِنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِى كَانَ يُقَاوِمُ الْأَصْمَعِيَّ ، وَقَدْ أَدْرَكَ صَدْرًا مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ عَنْهُمْ أُخِذَ هَذَا الْعِلْمُ ، وَمِنْهُمْ اسْتَمَدَّ أُولُو الْفَهْمِ . وَكَانَ الْأَسْوَدُ لَا يُقْنِعُهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَى أَئِمَّةِ الْعِلْمِ رَدًّا جَمِيلًا، حَتَّى يَجْعَلَهُ مِنْ بَابِ السُّخْرِيَةِ وَالتَّهَكُّمِ ، وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَالطَّنْزِ . وَالْحِكَايَةُ عَنْهُ مُسْتَفَاضَةٌ فِي أَنَّهُ كَانَ يَتَعَاطَى تَسْوِيدَ لَوْنِهِ ، وَأَنَّهُ

(١) ولا تعويل له الخ : أى ولا اعتماد له

كَانَ يَدَّهِنُ بِالْقَطِرَانِ ، وَيَقْعُدُ فِي الشَّمْسِ لِيُحَقِّقَ لِنَفْسِهِ التَّلْقِيبَ بِالْأَعْرَابِيِّ ، وَكَانَ قَدْ رُزِقَ فِي أَيَّامِهِ سَعَادَةً ، وَذَاكَ أَنَّهُ كَانَ فِي كَنَفِ الْوَزِيرِ الْعَادِلِ أَبِي مَنْصُورٍ بَهْرَامَ ابْنِ مَافِنَّةَ ، وَزِيرِ الْمَلِكِ أَبِي كَالِيجَارَ بْنِ سُلْطَانِ الدَّوْلَةِ ، بْنِ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ صَاحِبِ شِيرَازَ ، وَقَدْ خُطِبَ لَهُ بِبَغْدَادَ بِالسَّلْطَنَةِ . فَكَانَ الْأَسْوَدُ إِذَا صَنَّفَ كِتَابًا جَعَلَهُ بِاسْمِهِ ، فَكَانَ يُفْضِلُ[1] عَلَيْهِ إِفْضَالًا جَمًّا ، فَأَثْرَى مِنْ جِهَتِهِ . وَمَاتَ أَبُو مَنْصُورٍ الْوَزِيرُ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ .

وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ تَصَانِيفِهِ : أَنَّهُ صَنَّفَ فِي شُهُورِ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَقُرِئَ عَلَيْهِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَلِلْأَسْوَدِ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ السَّلِّ[2] وَالسَّرِقَةِ ، كِتَابُ فُرْجَةِ الْأَدِيبِ فِي الرَّدِّ عَلَى

---

(١) يفضل عليه : أى يحسن وينيله من فضله

(٢) السل : من سل الشىء : سرقه خفية .

يُوسُفَ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ فِي شَرْحِ أَبْيَاتِ سِيبَوَيْهِ ، كِتَابُ ضَالَّةِ الْأَدِيبِ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ فِي النَّوَادِرِ الَّتِي رَوَاهَا ثَعْلَبٌ ، كِتَابُ قَيْدِ الْأَوَابِدِ[1] فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ السِّيرَافِيِّ أَيْضاً فِي شَرْحِ أَبْيَاتِ إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى النَّمَرِيِّ فِي شَرْحِ مُشْكِلِ أَبْيَاتِ الْحَمَاسَةِ ، كِتَابُ نُزْهَةِ الْأَدِيبِ فِي الرَّدِّ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ فِي التَّذْكِرَةِ ، كِتَابُ الْخَلِيلِ مُرَتَّبٌ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ ، كِتَابٌ فِي أَسْمَاءِ الْأَمَاكِنِ :

﴿ ٦١ – الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ ، بْنِ عَبْدِ اللهِ ، بْنِ الْبَنَّاءِ * ﴾

الحسن بن أحمد المقرىء

أَبُو عَلِيٍّ الْمُقْرِىءُ ، الْمُحَدِّثُ الْحَنْبَلِيُّ . وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ

(١) قيد الاوابد : يقال : فلان مولع بأوابد الكلام ، وهى غرائبه . وبأوابد الشعر وهى التى لا تشاكل . وهو مأخوذ من قولهم : « فرس قيد الأوابد » أى جواد ، لانه إذا سار وراء الأوابد قيدها ومنعها من السير . والمعنى : أنه لسرعة عدوه يدرك الوحوش ولا تفوته ، فهو كالقيد يمنعها الشرود .

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ، صفحة ٢٥٦ بما يأتى :

هو المقرىء الحافظ ، اللغوى أبو على ، أخذ عن الاعيان المشار اليهم فى الزمان ، فى علوم القرآن ، والقراءات ، والتجويد ، والحديث وطرقه ، واللغة . وله معرفة بالحديث ، وقد صنف فى العلوم التى يعلمها عدة مصنفات . وحكى عنه أنه قال : صنفت خمسمائة مصنف ،

وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَقَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْحَمَّامِيِّ وَغَيْرِهِ . وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنِ ابْنِ (١) بُشْرَانَ وَغَيْرِهِمَا ، وَتَفَقَّهَ عَلَى الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى بْنِ الْفَرَّاءِ . وَمَاتَ فِي خَامِسِ رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَصَنَّفَ فِي كُلِّ فَنٍّ حَتَّى بَلَغَتْ تَصَانِيفُهُ مِائَةً وَخَمْسِينَ مُصَنَّفًا . مِنْهَا : كِتَابُ شَرْحِ الْإِيضَاحِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ فِي النَّحْوِ ، رَأَيْتُهُ وَكَانَ لَهُ

— وكان حلو العبارة ، متصدرا للافادة فى كل علم عاناه ، وكان حنبلى المعتقد ، وقد تكلم فيه وسأل : هل ذكره الخطيب فى التاريخ ؟ : ومع ذكره ، أمع الكذابين : أم مع أهل الصدق ؟ فقيل له : ماذكرك أصلا ، فقال : ليته ذكرنى ولو مع الكذابين . توفى يوم السبت الخامس من رجب ، سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ، ودفن فى مقبرة باب حرب

وترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢١٦ بما يأتى :

الحسن بن أحمد ، بن عبد الله ، بن البنا ، أبو على المقرىء ، والفقيه الحنبلى ، قال القفطى ، وابن النجار : قرأ بالروايات على أبى الحسن الحمامي ، وتفقه على القاضى أبى يعلى الفراء ، وسمع الحديث من هلال الحفار وخلق . وصنف فى الفنون كثيرا ، وكانت تصانيفه تدل على قلة فهم ، حدث بالكثير ، وروى عنه ابنه أبو غالب أحمد ، وأبو العز بن كادش ، وغيرهما . وقيل كان من أصحاب الحديث ، أخذ اسمه من الحسن ابن أحمد بن عبد الله النيسابورى

قال القفطى وابن النجار : إذا تأملت كلامه ، بان لك من رداءته ، وسوء تصرفه ، أنه لا يجيد العربية

(١) كانت فى الاصل : « أبى بشر » ولعل ما ذكر هو الأظهر . لتقدم روايته فى هذا الكتاب .

حَلْقَةٌ [١] بِجَامِعِ الْقَصْرِ، يُفْتِي فِيهَا وَيَقْرَأُ الْحَدِيثَ، وَحَلْقَةٌ بِجَامِعِ الْمَنْصُورِ.

وَحَدَّثَ السَّمْعَانِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ بْنَ السَّمَرْقَنْدِيِّ يَقُولُ: كَانَ وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ اسْمُهُ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ النَّيْسَابُورِيُّ، وَكَانَ سَمِعَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ ابْنُ الْبَنَّاءِ يَكْشِطُ [٢] مِنَ التَّسْمِيعِ [٣] «بُورِي» وَيَمُدُّ السِّينَ، وَقَدْ صَارَ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْبَنَّا قَالَ: كَذَا قِيلَ إِنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ. قَالَ أَبُو الْفَرَجِ: وَهَذَا الْقَوْلُ بَعِيدٌ مِنَ الصِّحَّةِ، فَإِنَّهُ قَالَ: «كَذَا قِيلَ» وَلَمْ يَحْكِ عَنْ عِلْمِهِ بِذَلِكَ، فَلَا يَثْبُتُ هَذَا. وَالثَّانِي أَنَّ الرَّجُلَ مُكْثِرٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الِاسْتِزَادَةِ لِمَا يَسْمَعُ، وَمُتَدَيِّنٌ

---

(١) حلقة بسكون اللام: كل شيء استدار، ويقال: سأله فى حلقته، أى وهو بين طلبته المحيطين به كالحلقة (٢) يكشط: كيضرب: يزيل، يقال: كشط الحرف، أزاله من موضعه (٣) ذكره فى بغية الوعاة وقال عنه أيضا: إنه يلقب بابن النجار، لانه جاء فى آخر الترجمة ما يأتى قال القفطى وابن النجار أيضا: اذا تأملت كلامه فيه «يريد فى كتاب شرح ايضاح الفارسى» بان لك من رداءته وسوء تصرفه أنه لا يحسن العربية اهـ.

وَلَا يَحْسُنُ أَنْ يُظَنَّ بِالْمُتَدَيِّنِ الْكَذِبُ . وَالثَّالِثُ أَنَّهُ قَدِ اُشْتَهَرَتْ كَثْرَةُ رِوَايَةِ أَبِي عَلِيِّ بْنِ الْبَنَّا ، فَأَيْنَ هٰذَا الرَّجُلُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ : الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ النَّيْسَابُورِيُّ ؟ وَمَنْ ذَكَرَهُ وَمَنْ يَعْرِفُهُ ؟ وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنِ اُشْتَهَرَ سَمَاعُهُ لَا يَخْفَى . وَقَالَ السَّمْعَانِيُّ وَنَقَلْتُهُ مِنْ خَطِّهِ : الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْبَنَّا الْمُقْرِىءُ الْحَافِظُ أَبُو عَلِيٍّ ، أَحَدُ الْأَعْيَانِ ، وَالْمُشَارِ إِلَيْهِمْ فِي الزَّمَانِ ، لَهُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ عِدَّةُ مُصَنَّفَاتٍ . حَكَى بَعْضُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : صَنَّفْتُ خَمْسَمِائَةِ مُصَنَّفٍ ، وَكَانَ حُلْوَ الْعِبَارَةِ .

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : وَقَرَأْتُ بِخَطِّ الْإِمَامِ وَالِدِي : سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي عَلِيٍّ الْهَمَذَانِيَّ بِهَا يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ اُبْنَ الْبَنَّا بِبَغْدَادَ . وَقَالَ : ذَكَرَنِي أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ فِي التَّارِيخِ بِالصِّدْقِ أَوْ بِالْكَذِبِ ؟ فَقَالُوا : مَا ذَكَرَكَ فِي التَّارِيخِ أَصْلًا . فَقَالَ : لَيْتَهُ ذَكَرَنِي وَلَوْ فِي الْكَذَّابِينَ .

قَالَ السَّمْعَانِيُّ : أَنبأَنا أَبُو عُثْمَانَ الْعَصَائِدِيُّ ، أَنبأَنا أَبُو عَلِيٍّ بْنُ الْبَنَّا قَالَ : كَتَبَ إِلَىَّ بَعْضُ إِخْوَانِي مِنْ أَهْلِ الأَدَبِ كِتَابًا وَضَمَّنَهُ قَوْلَ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ :

إِنْ كُنْتَ لَسْتَ مَعِي فَالْقَلْبُ مِنْكَ مَعِي
يَرَاكَ قَلْبِي وَإِنْ غُيِّبْتَ(١) عَنْ بَصَرِي
أَلْعَيْنُ تُبْصِرُ مَاتَهْوَى وَتَفْقِدُهُ
وَبَاطِنُ الْقَلْبِ لَايَخْلُو مِنَ النَّظَرِ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ لِنَفْسِهِ :

إِذَا غُيِّبَتْ أَشْبَاحُنَا كَانَ بَيْنَنَا
رَسَائِلُ صِدْقٍ فِي الضَّمِيرِ تُرَاسِلُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
تَلَاقَى بِإِخْلَاصِ الْوِدَادِ تَوَاصُلُ(٢)
وَثَمَّ أُمُورٌ لَوْ تَحَقَّقْتَ بَعْضَهَا
لَكُنْتَ لَنَا بِالْعُذْرِ فِيهَا تُقَابِلُ

(١) غيبت : يقال : غيبه ، أى أبعده ـ وتغيب عنه أى غاب
(٢) وفى بعض الروايات « تلاق بأخلاص الهوى وتواصل »

وَكَمْ غَائِبٍ وَالصَّدْرُ مِنْهُ مُسَلَّمٌ
وَكَمْ زَائِرٍ فِى الْقَلْبِ مِنْهُ بَلَابِلُ (١)

فَلَا تَجْزَعَنْ يَوْماً إِذَا غَابَ صَاحِبٌ
أَمِينٌ فَمَا غَابَ الصَّدِيقُ الْمُجَامِلُ (٢)

---

(١) بلابل : من البلبل والبلبلة : الهم ووسواس الصدر

(٢) المجامل من المجاملة : وهى المعاملة بالجميل

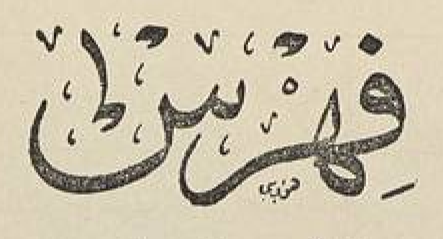
انتهى الجزء السابع

من كتاب معجم الأدباء

﴿ ويليه الجزء الثامن ﴾

(وأوله ترجمة)

﴿ الحسن بن أحمد الأستراباذى ﴾

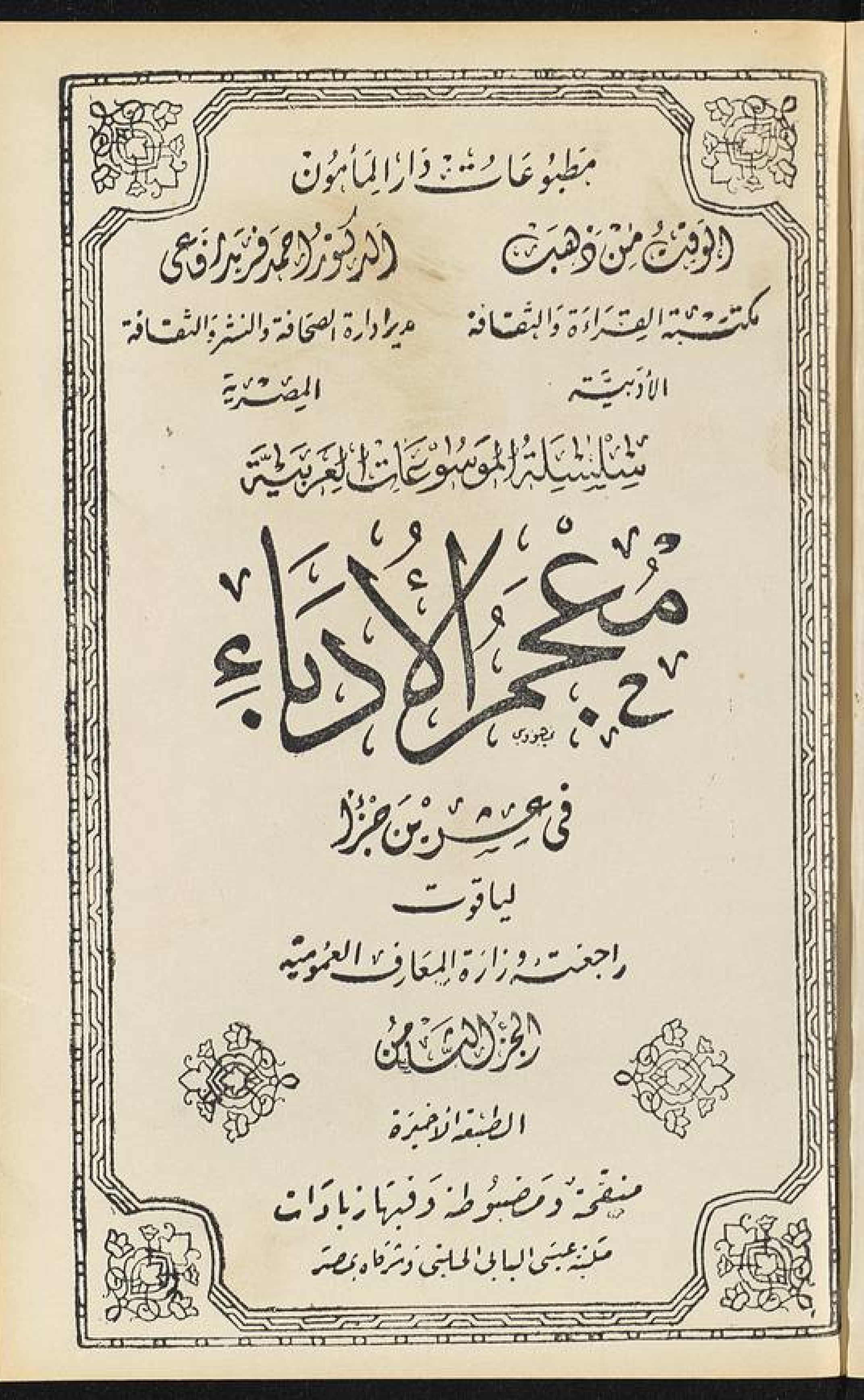


الجزء السابع

«من كتاب معجم الأدباء»

لياقوت الرومي

فهرس الجزء السابع



مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب — الدكتور أحمد فريد رفاعي

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية — مدير إدارة الصحافة والنشر والثقافة المصرية

سلسلة الموسوعات العربية

معجم الأدباء

(مجود)

في عشرين جزءا

لياقوت

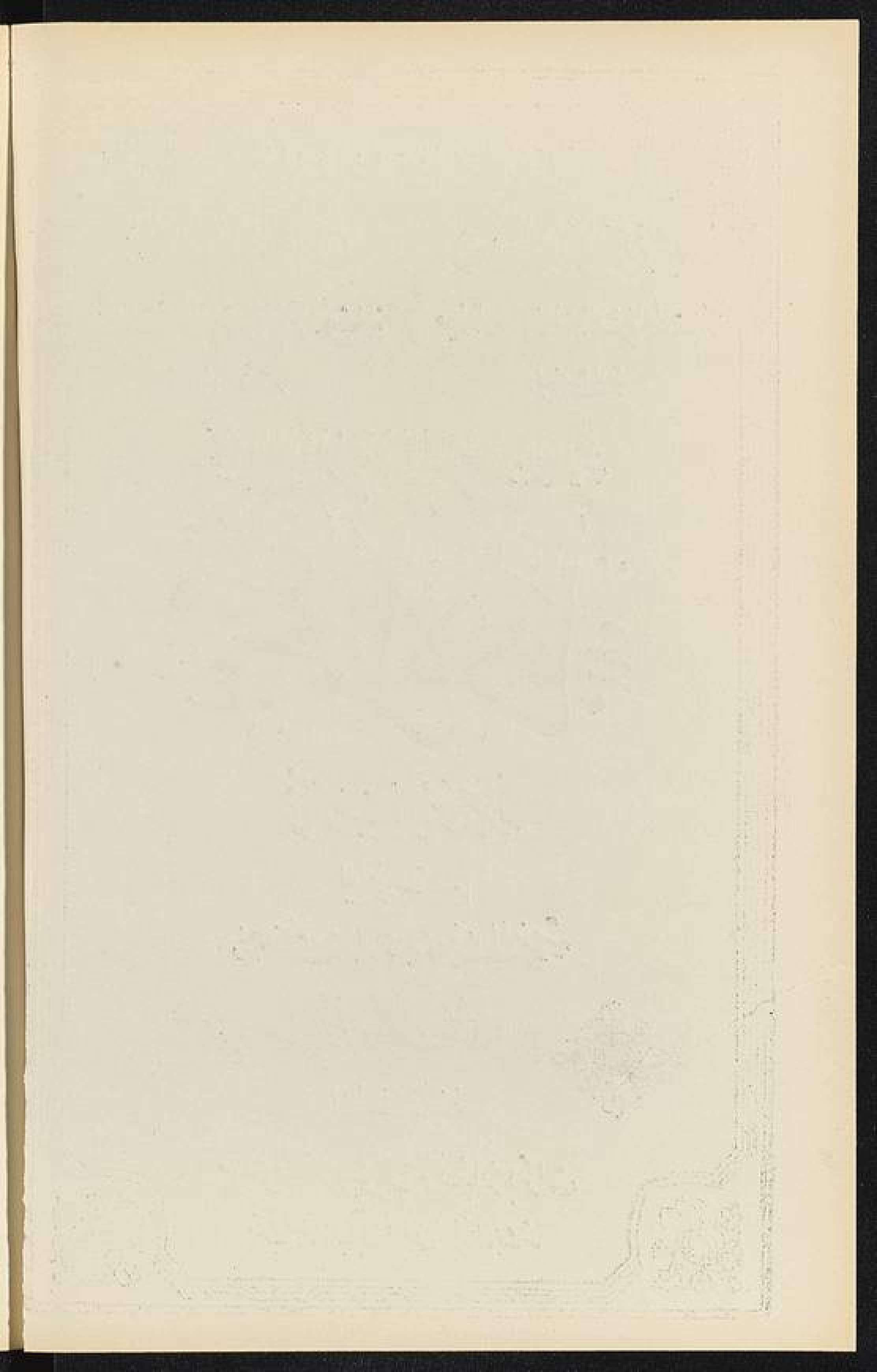
راجعته وزارة المعارف العمومية

الجزء الثامن

الطبعة الأخيرة

منقحة ومضبوطة وفيها زيادات

مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر



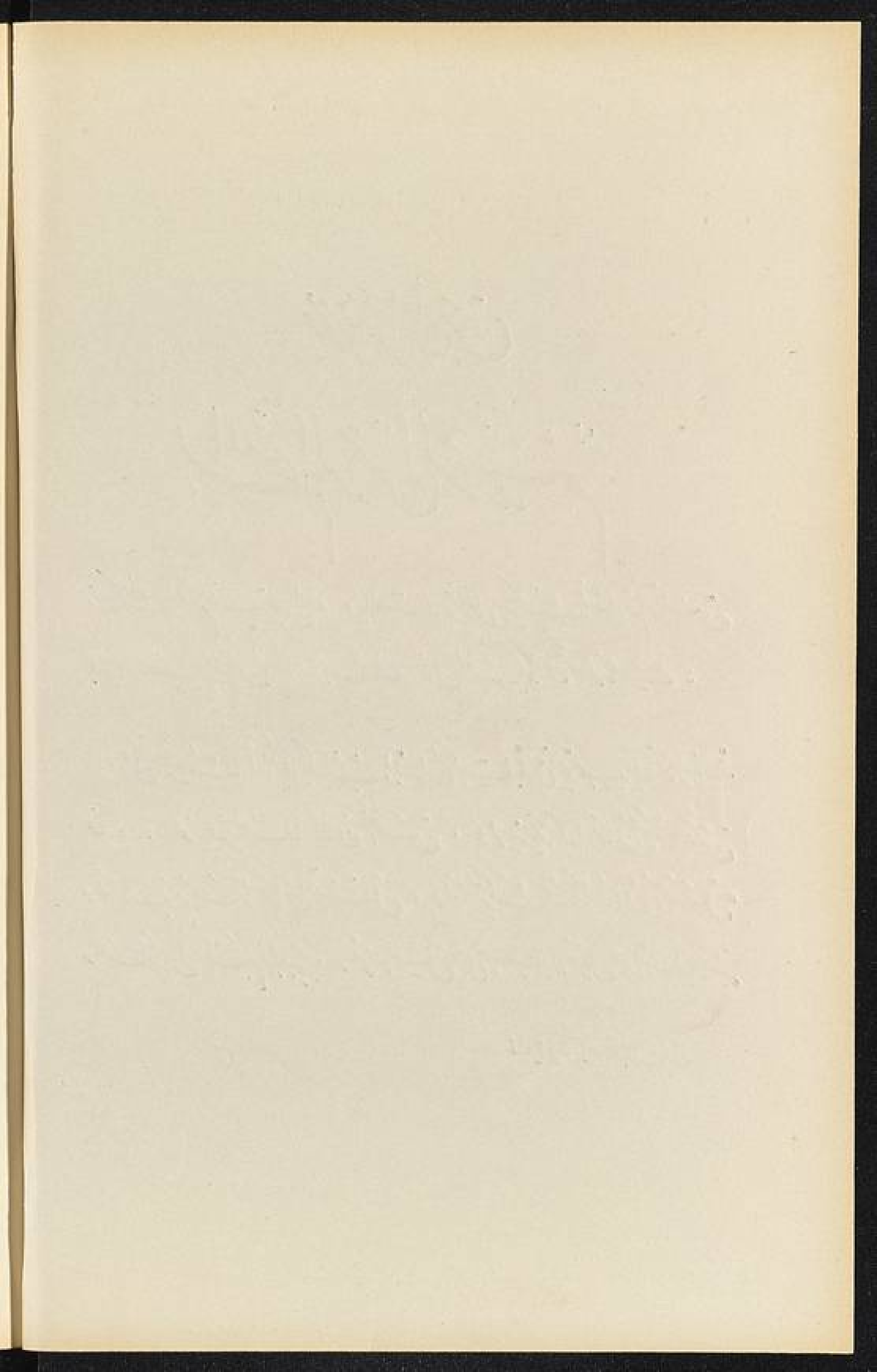
مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمدك اللهم نستعين ، وبالصلاة على نبيك نستلهم التوفيق لما يقتضيه الدين . أما بعد فقد قال العماد الأصفهاني :

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

العماد الأصفهاني



﴿ ١ — الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الأَسْتَرَابَاذِىُّ (١) * ﴾

الحسن الاستراباذى

أَبُو عَلِىٍّ النَّحْوِىُّ اللُّغَوِىُّ ، الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ ، حَسَنَةُ طَبَرِسْتَانَ ، وَأَوْحَدُ ذَلِكَ الزَّمَانِ (٢) ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ : كِتَابُ شَرْحِ الْفَصِيحِ . كِتَابُ شَرْحِ الْحَمَاسَةِ .

﴿ ٢ — الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ ، بْنِ الْحَسَنِ ، بْنِ أَحْمَدَ ﴾
﴿ ابْنِ مُحَمَّدِ ، بْنِ سَهْلِ * ﴾

الحسن بن أحمد العطار

ابْنِ سَلَمَةَ ، بْنِ عَسْكَلِ ، بْنِ حَنْبَلِ ، بْنِ إِسْحَاقَ الْعَطَّارُ الْحَافِظُ ، أَبُو الْعَلَاءِ الْهَمَذَانِىُّ ، الْمُقْرِئُ مِنْ أَهْلِ

---

(١) نسبة إلى أستراباذ : بلدة كبيرة مشهورة من أعمال طبرستان ، بين سارية وجرجان فى الأقليم الخامس أخرجت خلقا كثيرا من أهل العلم فى كل فن

(٢) لم يبين المؤلف زمانه

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢١٨ بترجمة طابقت ما جاء عنه بمعجم الادباء لفظا ومعنى ولم يزد

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة ، ص ٢١٥ بما يأتى :

الحسن بن احمد ، بن الحسن ، بن محمد ، بن سهل ، بن سلمة العطار ، أبو العلاء الهمذانى . قال القفطى :

كان إماماً فى النحو ، واللغة ، وعلوم القرآن ، والحديث ، والادب ، والزهد ، وحسن الطريقة ، والتمسك بالسنن ، قرأ القرآن بالقراءات ببغداد ، على البارع الحسين الدباس ، وبواسط ، وأصفهان ، وسمع من أبى على الحداد ، وابى القاسم بن بيان ، وجماعة . —

هَمَذَانَ . مَاتَ فِي تَاسِعَ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَذَكَرَهُ بَعْضُ الثِّقَاتِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَذَكَرَ لَهُ مَنَاقِبَ (١) كَثِيرَةً ، وَذَكَرَ نَسَبَهُ وَوِلَادَتَهُ فَقَالَ : هُوَ أَبُو الْعَلَاءِ الْحَسَنُ (٢) بْنُ أَحْمَدَ ، بْنِ الْحَسَنِ ، بْنِ أَحْمَدَ ، ابْنِ مُحَمَّدٍ ، بْنِ سَهْلٍ ، بْنِ سَلَمَةَ ، بْنِ عَنْكَلٍ ، بْنِ إِسْحٰقَ الْعَطَّارُ الْهَمَذَانِيُّ . وَكَانَ عَنْكَلٌ مِنَ الْعَرَبِ . وَأَمَّا وِلَادَتُهُ : فَإِنَّهَا كَانَتْ يَوْمَ السَّبْتِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . بِهَمَذَانَ . وَذَكَرَ مِنْ مَنَاقِبِهِ قَالَ : سَمِعْتُهُ - رَحِمَهُ اللّٰهُ - يَقُولُ : سُلِّمْتُ فِي صِغَرِي إِلَى رَجُلٍ مُعَلِّمٍ . قَالَ : سَمَّاهُ وَنَسِيتُ

— وبخراسان من أبى عبدالله الفراوى ، وحدث وسمع من الكبار والحفاظ ، وانقطع إلى إقراء القرآن والحديث إلى آخر عمره ، وكان بارعا على حفاظ عصره فى الأنساب والتواريخ ، والرجال . وله تصانيف فى أنواع شتى من العلوم . وكان يحفظ الجمهرة ، وكان عفيفاً لايتردد إلى أحد ، ولا يقبل مدرسة ولا رباطا ، وإنما كان يقرىء فى داره ، وشاع ذكره فى الآفاق : وعظمت منزلته عند الخاص والعام ، فما كان يمر على أحد إلا قام ودعا له ، حتى الصبيان واليهود ، وكانت السنة شعاره ، ولا يمس الحديث إلا متوضئاً

(١) مناقب : جمع منقبة ، وهى الفعل الكريم

(٢) فى طبقات الحفاظ ج ٤ ص ١١٨ اسمه محمد بن سهل

ٱسْمُهُ قَالَ : وَكُنْتُ أَحْفَظُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ، فَحَفِظْتُ عَلَيْهِ إِلَى سُورَةِ يُوسُفَ ، ثُمَّ أَجْرَى اللهُ لِسَانِى بِحِفْظِ الْبَاقِى مِنَ الْقُرْآنِ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، مِنْ غَيْرِ تَحَفُّظٍ وَتَكْرَارٍ ، فَضْلًا مِنْهُ جَلَّ جَلَالُهُ . قَالَ : وَسَارَ فِى لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ فِى طَلَبِ الْحَدِيثِ مِنْ جَرْبَاذَقَانَ[1] إِلَى أَصْفَهَانَ .

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : لَمَّا حَجَجْتُ كُنْتُ أَمْشِى فِى الْبَادِيَةِ رَاجِلًا قُدَّامَ الْقَافِلَةِ ، أَحْيَانًا مَعَ الدَّلِيلِ ، وَأَحْيَانًا أَخْلُفُ الدَّلِيلَ ، حَتَّى عَرَفَنِى الدَّلِيلُ[2] وَاسْتَأْنَسَ بِى وَمَالَ إِلَيَّ ، وَهُوَ يَسِيرُ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ تَكَادُ تَرُدُّ الرِّيحَ ، وَكُنْتُ أَرَى الدَّلِيلَ يَتَعَجَّبُ مِنْ قُوَّتِى عَلَى السَّيْرِ ، وَكَانَ أَحْيَانًا يَضْرِبُ نَاقَتَهُ وَيُمْعِنُ[3] فِى السَّيْرِ ، وَكُنْتُ لَا أُخَلِّى النَّاقَةَ تَسْبِقُنِى . فَقَالَ لِىَ الدَّلِيلُ يَوْمًا : تَقْدِرُ أَنْ تُسَابِقَ نَاقَتِى هَذِهِ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ . فَضَرَبَهَا وَعَدَوْتُ مَعَهَا فَسَبَقْتُهَا .

(١) بلدة كبيرة قريبة من همذان بينها وبين الكرج ، ينسب إليها جماعة من أهل العلم . وبلدة أيضا بين أستراباذ وجرجان من نواحى طبرستان ، ينسب إليها نصر الجرباذقانى ، فقيه حنق بارع فى الفقه (٢) فى الاصل الليل

(٣) يقال أمعن الفرس فى السير إمعانا ، تباعد فى عدوه

قَالَ : وَكانَ كَثِيرَ الْحِفْظِ لِلعُلُومِ ، كَثِيرَ الْمُجَاهَدَةِ فِى تَحْصِيلِهَا ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ — رَحِمَهُ اللّٰهُ — : حَفِظْتُ كِتَابَ الْجُمَلِ فِى النَّحْوِ لِعَبْدِ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِىِّ ، فِى يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ الْغَدَاةِ إِلَى وَقْتِ الْعَصْرِ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا حَفْصٍ عُمَرَ بْنَ الْحُسَيْنِ الْوَشَّاءَ الْمُقْرِىءَ يَقُولُ : سَمِعْتُ الْإِمَامَ الْحَافِظَ — رَحِمَهُ اللّٰهُ — يَقُولُ : حَفِظْتُ يَوْماً ثَلَاثِينَ وَرَقَةً مِنَ الْقِرَاءَةِ . قَالَ : وَسَمِعْتُ الْإِمَامَ الْحَافِظَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ الْحَافِظِ أَبِى الْعَلَاءِ قَالَ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ الصَّالِحَ إِبْرَاهِيمَ الْمَرْجِىَّ قَالَ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ — رَحِمَهُ اللّٰهُ — يَقُولُ : وَلَوْ أَنَّ أَحَداً أَتَانِى بِحَدِيثٍ وَاحِدٍ مِنْ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَبْلُغْنِى لَمَلَأْتُ فَاهُ ذَهَباً . قَالَ : وَكَانَ الشَّيْخُ — رَحِمَهُ اللّٰهُ — حَفِظَ الْجَمْهَرَةَ لِأَبِى بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ ، وَكِتَابَ الْمُجْمَلِ لِابْنِ فَارِسٍ ، وَكِتَابَ النَّسَبِ لِلزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ .

قَالَ : وَبَلَغَنِى عَنِ الثِّقَةِ أَنَّ الْحَافِظَ أَبَا جَعْفَرٍ — رَحِمَهُ

اللهُ — كَانَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ اللهَ تعالَى يَقُولُ لِى يَوْمَ القِيَامَةِ : مَاذَا أَتَيْتَنِي بِهِ ؟ أَقُولُ رَبِّى وَسَيِّدِى ، أَتَيْتُكَ بِأَبِى الْعَلَاءِ الْعَطَّارِ . قَالَ : وَكَانَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ الْفَضْلِ الْجَوْزِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - ، يُمْلِى يَوْمًا فِى الْجَامِعِ بِأَصْفَهَانَ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ ، إِذْ دَخَلَ الشَّيْخُ الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ - رَحِمَهُ اللهُ — مِنْ بَابِ الْجَامِعِ ، فَلَمَّا نَظَرَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ إِلَيْهِ أَمْسَكَ (١) عَنِ الْإِمْلَاءِ ، وَنَظَرَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ : أَيُّهَا الْقَوْمُ : إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا ، وَهَذَا الرَّجُلُ الْمُقْبِلُ مِنْ جُمْلَتِهِمْ ، قُومُوا نُسَلِّمْ عَلَيْهِ (٢) ، فَقَامُوا وَاسْتَقْبَلُوهُ ، وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَاعْتَنَقُوهُ . قَالَ : وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِى الْعِزِّ الْمُقْرِئِ الْقَلَانِسِيِّ الْوَاسِطِيِّ — رَحِمَهُ اللهُ — ، وَكَانَ يُفَضِّلُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ ، فَشَقَّ (٣) ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَاجْتَمَعَ بَعْضُهُمْ يَوْمًا وَفِيهِمْ

---

(١) فى الأصل : « أمسك من الاملاء » أى كف . فأبدلت من بعن

(٢) فى الأصل : « عليهم » (٣) شق ذلك عليهم : أوقعهم فى المشقة . والمراد أنهم تألموا من ذلك ألما شديدا شاقا

الشيْخُ أَبُو الْعَلَاءِ - رَحِمَهُ اللّٰهُ -، فَسأَلَهُمُ الشيْخُ أَبُو الْعِزِّ عَنِ اخْتِلَافِ الْقُرَّاءِ فِى قَوْلِهِ تعالَى « كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ » وَأَقَاوِيلِ الْأَئِمَّةِ فِيهَا ، فَسُقِطَ[1] فِى أَيْدِيهِمْ ، وَتَاهُوا فِى شَرْحِهَا ، وَمَا أَجَابُوا بِطَائِلٍ[2] . ثُمَّ أَقْبَلَ الشَّيْخُ أَبُو الْعِزِّ عَلَى الشَّيْخِ - رَحِمَهُ اللّٰهُ - وَقَالَ : تَكَلَّمْ أَنْتَ فِيهَا يَا أَبَا الْعَلَاءِ ، فَشَرَعَ فِيهَا الشَّيْخُ وَعَدَّ فِيهَا بِضْعَةَ عَشَرَ قَوْلًا ، وَأَدَّى فِيهَا حَقَّهَا بِأَحْسَنِ إِشَارَةٍ ، وَأَبْلَغِ عِبَارَةٍ . فَلَمَّا فَرَغَ ، نَظَرَ الشَّيْخُ أَبُو الْعِزِّ إِلَى أَصْحَابِهِ الْحَاضِرِينَ وَقَالَ : بِهَذَا أُفَضِّلُهُ عَلَيْكُمْ ، لَوْ أَمْهَلْتُكُمْ مُدَّةً لَمَا قَدَرْتُمْ عَلَى الَّذِى ذَكَرَ هُوَ بَدِيهَةً[3] مِنْ غَيْرِ عَزِيمَةٍ سَابِقَةٍ ، وَرَوِيَّةٍ[4] سَالِفَةٍ .

قَالَ : وَكَانَ مُحْتَرَمًا عِنْدَ الْخُلَفَاءِ وَالسَّلَاطِينِ . كَتَبَ إِلَيْهِ الْمُقْتَفِى لِأَمْرِ اللّٰهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مِنْ جُمْلَتِهِ :

---

(١) سقط فى أيديهم : أى أخطأوا وتحيروا وندموا

(٢) أى بشىء يرتاح له العقل لفائدته

(٣) البديهة : المفاجأة ، وعدم طول التفكر . وتعرب حالا

(٤) الروية : النظر والتفكر فى الامور

«وَبَعْدُ» فَإِنَّ الْأَبَ الْقِدِّيسَ[١] النَّفِيسَ، خَامِسَ أُولِى الْعَزْمِ، وَسَابِعَ السَّبْعَةِ عَلَى الْحَزْمِ، وَارِثَ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ، حَافِظَ شَرْعِ الْمُصْطَفَى أَبَا الْعَلَاءِ، ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا وَاسْتَدْعَى مِنْهُ الدُّعَاءَ. قَالَ: وَسَمِعْتُ وَلَدَهُ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ الْغَنِيِّ ابْنَ الشَّيْخِ الْحَافِظِ أَبِي الْعَلَاءِ — رَحِمَهُ اللهُ — يَقُولُ: لَمَّا دَخَلَ أَبِي عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقْتَفِي لِأَمْرِ اللهِ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — بَعْدَ اسْتِدْعَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُ، كَانَ يَأْمُرُهُ خَوَاصُّ[٢] الْخَلِيفَةِ بِتَقْبِيلِ الْأَرْضِ فِي الْمَوَاضِعِ، وَكَانَ يَأْبَى ذَلِكَ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ: دَعُونِي، إِنَّمَا السُّجُودُ لِلَّهِ تَعَالَى، فَكَفُّوا عَنْهُ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ، وَسَلَّمَ بِالْخِلَافَةِ عَلَيْهِ، فَقَامَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَجْلَسَهُ، ثُمَّ كَلَّمَهُ سَاعَةً وَسَأَلَ مِنْهُ الدُّعَاءَ، فَدَعَا وَأَذِنَ لَهُ فِي الرُّجُوعِ فَرَجَعَ، وَكَانُوا قَدْ أَحْضَرُوا الْخِلْعَةَ وَالصِّلَةَ[٣]

---

(١) القديس: الفاضل الحاصل على تمام الصلاح، والقبول عند الله، والمؤمن الذى يتوفى طاهرا فاضلا (٢) خواص الخليفة: المقربون من رجال دولته، جمع خاصة (٣) الصلة: العطية والاحسان، والجائزة، وجمعها صلات.

فَاسْتَعْفَى (١) مِنْ ذَلِكَ فَأُعْفِيَ ، وَخَرَجَ مِنْ بَغْدَادَ حَذَراً مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَآفَاتِهَا .

وَحَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ ، أَنَّ السُّلْطَانَ مُحَمَّداً لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ دَارَهُ ، نَصَحَهُ كَثِيراً وَوَعَظَهُ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ جَالِساً بَيْنَ يَدَيْهِ ، مُقْبِلاً عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ ، مُصْغِياً إِلَى كَلَامِهِ ، فَلَمَّا قَامَ لِيَخْرُجَ ، أَمَرَهُ بِتَقْدِمَةِ رِجْلِهِ الْيُمْنَى ، وَأَخْذِهِ الطَّرِيقَ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ (٢) .

وَسَمِعْتُ الْإِمَامَ أَبَا بِشْرٍ (٣) — رَحِمَهُ اللهُ — يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الْغَنِيِّ بْنَ سُرُورٍ (٤) الْمَقْدِسِيَّ يَقُولُ : كُنْتُ يَوْماً فِي خِدْمَةِ الْحَافِظِ أَبِي طَاهِرٍ السِّلَفِيِّ بِثَغْرِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، نَقْرَأُ الْحَدِيثَ ، فَجَرَى ذِكْرُ الْحُفَّاظِ إِلَى أَنِ انْتَهَى الْكَلَامُ إِلَى ذِكْرِ الْحَافِظِ أَبِي الْعَلَاءِ — رَحِمَهُ اللهُ — ، فَأَطْرَقَ

(١) استعفى : طلب منه أن يعفيه ، ويقيله من قبول العطاء

(٢) يريد الاشارة إلى التيامن ، فيما يتناول المرء عمله بأجزاء جسمه

(٣) بالاصل : « الثانى » ، ولعله : الحافى أو النامى ، ولكنهما لا يتفقان وعصر الشيخ ، لان الاول متقدم فى الزمن (٤) فى طبقات الحفاظ « ٤ : ١٦٥ » مسرور

الْحَافِظُ أَبُو طَاهِرٍ عِنْدَ ذِكْرِهِ سَاعَةً ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : قَدَّمَهُ دِينُهُ ، قَدَّمَهُ دِينُهُ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا بِشْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدِ ، بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ مَنْصُورٍ الْمُقْرِئَ الْخَطِيبَ بِشِيرَازَ ، يَذْكُرُ الْحَافِظَ أَبَا الْعَلَاءِ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — وَيُثْنِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَنْشَدَ يَقُولُ :

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ

قَالَ : وَسَمِعْتُ الْإِمَامَ أَبَا نَصْرٍ أَحْمَدَ بْنَ الْإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِي الْفَرَجِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الشَّعَّارِ يَقُولُ : سَمِعْتُ الْإِمَامَ أَبَا الْحَسَنِ الْحَرَّانِيَّ يَقُولُ : كُنْتُ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ ، فَرَأَيْتُ شَيْخاً فِي الطَّوَافِ ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ تَفَرَّسْتُ (١) فِيهِ الْخَيْرَ وَالصَّلَاحَ ، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى طَوَافَهُ ، فَدَنَوْتُ

(١) تفرست فيه الخير : أى تعرفته بالظن الصائب — ومنه « اتقوا فراسة المؤمن ، فانه ينظر بنور الله »

مِنْهُ ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْوَطَنِ ، فَسَمَّى لِي مَوْطِنًا بَعِيدًا ، ذَكَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ ، وَنَسِيَهُ أَبُو نَصْرٍ .
قَالَ أَبُو الْحَسَنِ : فَقُلْتُ : أَيُّ شَيْءٍ الْمَقْصِدُ بَعْدَ بُلُوغِكَ بَيْتَ رَبِّكَ ؟ فَقَالَ : مَقْصِدِي الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ ، فَتَعَجَّبْتُ فِي نَفْسِي وَقُلْتُ : سَتَظْفَرُ إِنْ شَاءَ اللهُ بِمَقْصُودِكَ ، وَتَنَالُ مَطْلُوبَكَ ، وَبَكَيْتُ حَتَّى غَلَبَنِي الْبُكَاءُ . فَقَالَ لِي : وَمِمَّ بُكَاؤُكَ ؟ فَقُلْتُ : إِنَّ الْحَافِظَ أَبَا الْعَلَاءِ الَّذِي تَقْصِدُهُ وَتَأْمُلُ بُلُوغَهُ ، قَدْ كُنْتُ مُسْتَفِيدًا مِنْهُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً ، قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ خَتْمًا ، وَسَمِعْتُ مِنْهُ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ ، فَتَعَجَّبَ مِنْ قَوْلِي وَقَامَ إِلَيَّ ، وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيَّ ، وَهُوَ يُفَدِّينِي (١) بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ ، وَغَابَ عَنِّي .

قَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا بِشْرٍ يَقُولُ : لَمَّا دَخَلْتُ عَلَى الْإِمَامِ أَبِي الْمُبَارَكِ الْمُقْرِيءِ بِشِيرَازَ ، جَعَلَ يَذْكُرُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ

(١) يفديني بأبيه وأمه : أى يقول لى : أفديك بأبى وأمي — ويريدون بذلك الدعاء له .

الْحَافِظَ أَبَا الْعَلَاءِ الْهَمَذَانِيَّ - رَحِمَهُ اللهُ - وَيُثْنِي عَلَيْهِ.
ثُمَّ أَنْشَدَ مُتَمَثِّلًا :

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ

قَالَ : رَحَلَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى [١] الْمَغْرِبِ ، وَكَانَ لَهُ حَظٌّ [٢] فِي كُلِّ عِلْمٍ ، وَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ هِيَ مِنْ غُرَرِ [٣] الْقَصَائِدِ ، وَذَكَرَ أَحْوَالَهُ فِي سَفْرَتِهِ ، وَمَا أَصَابَهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْمَشَاقِّ . وَمِنْ شِعْرِهِ فِيهِ أَيْضًا :

سَعَى إِلَيْكَ عَلَى قُرْبٍ وَمِنْ بُعُدٍ
مَنْ كَانَ ذَا رَغْبَةٍ فِي الْعِلْمِ وَالسَّنَدِ [٤]

---

(١) أقصى المغرب : أى أبعده — وجمعه أقاص ، وأقصى المغرب : بلاد مراكش.
(٢) حظ فى كل علم : أى مكانة
(٣) غرر القصائد : جمع غرة — وهي من كل شيء أوله وأكرمه — والمراد : أغزرها مادة وفصاحة وبلاغة ، وأقواها تأثيراً فى النفوس
(٤) السند : المراد سند الحديث . يقال : أسند الحديث إلى المحدث : عزاه ورفعه إليه .

حَتَّى أَنَاخَ بِمَغْنَاكَ (١) الْكَرِيمِ وَقَدْ

كَلَّتْ رَكَائِبُهُ فِى الْعُنْفِ (٢) وَالسَّنَدِ

لِذَاكَ أَنْأَى وَمَا أَوْعَتْ أَنَامِلُهُ

لَكِنْ وَعَى قَلْبُهُ مَاشَاءَ مِنْ مَدَدِ

وَمَا أَنَاخَ بِمَغْنَى غَيْرِكُمْ أَحَدٌ

إِلَّا وَنُودِىَ ، مَابِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ

وَقَدْ قَصَدْتُكَ مِنْ أَقْصَى الْمَغَارِبِ لَا

أَبْغِى سِوَاكَ لِوَجْهِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ

وَمَا امْتَطَيْتُ سِوَى رِجْلَىَّ رَاحِلَةً

وَقَدْ غَنِيتُ عَنِ الْعَيْرَانَةِ (٣) الْأُجُدِ

وَهَذِهِ رِحْلَةٌ (٤) بِكْرٌ كَشَفْتُ لَهَا

عَنْ سَاقِ ذِى عَزَمَاتٍ (٥) غَيْرِ مُتَّئِدِ

---

(١) بمغناك : المغنى ، المنزل الذى غنى به أهله ، أى أقاموا ثم ظعنوا

(٢) العنف : السير الشديد ، والسند هنا : من سند ذنب الناقة خطر فضربت قطاتها يمنة ويسرة ، والقطاة العجز وما بين الوركين (٣) العيرانة الأجد : الناقة القوية

(٤) رحلة بكر : أى لم يتقدمها مثلها

(٥) عزمات : جمع عزمة : وهى الثبات والصبر فيما يعزم عليه

عِنَايَةٌ لَمْ تَكُنْ قَبْلِي لِذِي طَلَبٍ
وَحُظْوَةٌ لَمْ تَكُنْ(١) فِي غَابِرِ الْأَبَدِ

هَلْ كَانَ قَبْلَكَ حَبْرٌ أُمَّةٌ رَجُلٌ ؟
وَسَارَ مُدَّةَ حَوْلٍ سَيْرَ مُجْتَهِدِ

أَبَا الْعَلَاءِ(٢) الْكُلُّ إِنَّكَ فِي
أَقْصَى الْعِرَاقِ مُقِيمٌ مِنْهُ فِي بَلَدِ

وَقَدْ فَشَا لَكَ ذِكْرٌ فِي الْبِلَادِ كَمَا
فَاحَتْ أَزَاهِرُ رَوْضٍ لِلْغَمَامِ نَدِى

قَالَ : وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ — رَحِمَهُ اللهُ — يَقُولُ يَوْماً لِمَنْ حَضَرَهُ : إِنْ خَلَّفَ أَبُو الْعَلَاءِ دِينَاراً أَوْ دِرْهَماً بَعْدَ مَوْتِهِ ، فَلَا تُصَلُّوا عَلَيْهِ . وَقَدْ كَانَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ لَا يُبْقِي عَلَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَكُلُّ مَا آتَاهُ اللهُ مِنْهُمَا يَصْرِفُهُ فِي الْيَوْمِ ، وَيُنْفِقُهُ فِي قَضَاءِ الدُّيُونِ وَمُرَاعَاةِ النَّاسِ ، فَمَاتَ وَلَمْ يُخَلِّفْ دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً ، حَتَّى بِيعَتْ دَارُهُ وَقُضِيَ مِنْهُ دَيْنُهُ . قَالَ :

---

(١) فى الأصل : « لكم » وغابر هنا : بمعنى ماض

(٢) يريد أن لك العلاء كله وهذا تعبير جاءت فيه أل مكان الضمير فبدل كله قال الكل

وَكَانَ - رَحِمَهُ اللهُ - شَدِيدَ التَّمَسُّكِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ لَا يَسْمَعُ بَاطِلًا أَوْ يَرَى مُنْكَرًا إِلَّا غَضِبَ لِلهِ ، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يُدَاهِنْ [١] فِيهِ . قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا رَشِيدٍ رَاشِدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْمُعَدِّلَ يَقُولُ : كُنْتُ عِنْدَ الشَّيْخِ يَوْمًا فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو الْحُسَيْنِ الْعَبَّادِيُّ الْوَاعِظُ زَائِرًا ، وَجَلَسَ عِنْدَهُ زَمَانًا وَجَعَلَ يُكَلِّمُ الشَّيْخَ إِلَى أَنْ جَرَى فِي كَلَامِهِ ، وَقَدْ عَزَمْتُ غَيْرَ مَرَّةٍ عَلَى الْإِتْيَانِ إِلَى الْخِدْمَةِ ، لَكِنْ مَنَعَنِي كَوْنُ الْكَوْكَبِ الْفُلَانِيِّ فِي الْبُرْجِ الْفُلَانِيِّ ، فَزَجَرَهُ [٢] الشَّيْخُ وَقَالَ : السُّنَّةُ أَوْلَى أَنْ تُتَّبَعَ ، فَقَامَ الْعَبَّادِيُّ خَجِلًا وَخَرَجَ .

وَكَانَ مِنْ وَرَعِهِ فِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُ مَا كَانَ يُتَرْجِمُ [٣] الْحَدِيثَ لِلْعَامَّةِ رِعَايَةً

---

(١) ولم يداهن : يقال داهنه مداهنة وأدهنه : خدعه وختله وأظهر له خلاف مايضمر

(٢) كانت فى الاصل : « فزبره »

(٣) يترجم الحديث للعامة : أى يفسره بلغتهم - يقال : ترجم كلامه : إذا فسره بلسان آخر ، ومنه الترجمان ، وجمعه تراجم ، كزعفران وزعافر

مِنْهُ لِلصِّدْقِ ، وَاسْتُدْعِيَ(١) مِنْهُ بِهَمَذَانَ أَنْ يُفَسِّرَ لِلنَّاسِ حَدِيثًا وَاحِدًا فَأَجَابَ ، وَقَعَدَ لِذَلِكَ ، فَلَمَّا شَرَعَ فِي الْكَلَامِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ فِي الدَّوْلَةِ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَغْفَرَ ثُمَّ رَجَعَ وَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢) ، وَاسْتُدْعِيَ مِنْهُ ثَانِيًا بِالْكَرْخِ كَذَلِكَ ، فَرَوَى حَدِيثًا فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ وَفِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ « حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ » فَفَسَّرَ لَفْظَةَ الْجَنَّةِ قَبْلَ أَنْ يُفَسِّرَ لَفْظَةَ « حَتَّى يَدْخُلَ » كَأَنَّهُ قَدَّمَ لَفْظَةَ « الْجَنَّةِ » عَلَى لَفْظَةِ « حَتَّى يَدْخُلَ » فِي تَرْجَمَتِهِ ، فَاسْتَغْفَرَ وَرَجَعَ ، وَأَتَى بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَنْطُوقِ بِهِ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يَتَحَرَّجُ عَنِ الْقَصَصِ وَالْكَلَامِ فِيهِ وَالتَّنَمُّقِ(٣) وَالتَّكَلُّفِ حَذَرًا مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ . وَلَمَّا قَصَدَ السُّلْطَانُ

---

(١) استدعى منه : أى طلب منه (٢) من قوله : « وكان فى الدولة » إلى قوله : واستدعى ساقط من الأصل ، فأثبتناه نقلا عن نسخة العماد ، وإلى هنا لم يتم شىء من الحديث ولعله لم يفسر وإلا فاذا ؟ (٣) التنمق : التحسين والتزين فى الكلام وغيره

مُحَمَّدٌ بَغْدَادَ ، وَحَاصَرَهَا وَخَالَفَ الإِمَامَ الْمُقْتَفِى لِأَمْرِ اللهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ . كَانَ الشَّيْخُ - رَحِمَهُ اللهُ - يَقْرَأُ صَحِيحَ الْبُخَارِىِّ بِهَمَذَانَ عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الْأَوَّلِ - رَحِمَهُ اللهُ - عَلَى أُسْلُوبٍ [1] ، يَحْضُرُهُ لِسَمَاعِ الْكِتَابِ عَامَّةُ أَهْلِ الْبَلَدِ ، مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَالصُّوفِيَّةِ وَالْعَوَامِّ ، فَصَرَّحَ بِالْقَوْلِ قَائِمًا عَلَى الْمِنْبَرِ ، بِأَنَّ السُّلْطَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ جُنُودِهِ خَارِجَةٌ [2] مَارِقَةٌ . ثُمَّ قَالَ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ عَسْكَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رَمَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ بِسَهْمٍ ، وَجَاءَهُ آخَرُ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ ، فَنَزَعَ السَّهْمَ مِنْ جِرَاحِهِ ، يَكُونُ هُوَ أَيْضًا خَارِجِيًّا بَاغِيًا ، وَكَرَّرَ الْقَوْلَ فِى ذَلِكَ مِرَارًا . قَالَ : وَسُئِلَ الشَّيْخُ - رَحِمَهُ اللهُ - عَنْ سَبَبِ أَكْثَرِ اشْتِغَالِهِ بِعِلْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَقَالَ : إِنِّى نَظَرْتُ فِى ابْتِدَاءِ أَمْرِى فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ النَّاسِ عَنْ تَحْصِيلِ هَذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ مُعْرِضِينَ ، وَعَنْ دِرَاسَتِهِمَا لَاهِينَ ،

(١) كانت فى الأصل : « أسليه » وأصلحت (٢) خارجة مارقة : الخوارج قوم يخالفون السلطان والجماعة ويخرجون عن الطاعة ، والمروق وصفهم يقال : مرق من الدين ، خرج منه بضلالة أو بدعة

فَاشْتَغَلْتُ بِهِمَا ، وَأَنفَقْتُ عُمُرِى فِى[1] تَحْصِيلِهِمَا حِسْبَةً .
قَالَ : وَرَأَى — رَحِمَهُ اللهُ — قِلَّةَ رَغْبَةِ الْخَلْقِ فِى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ ، وَالرِّحْلَةِ وَلِقَاءِ الشُّيُوخِ ، فَاتَّخَذَ[2] مَهْدًا وَعَزَمَ عَلَى الْمُضِىِّ إِلَى بَغْدَادَ وَأَصْفَهَانَ لِلرِّوَايَةِ ، وَرَفْعِ مَنَاوِرِ[3] الْعِلْمِ وَإِحْيَاءِ السُّنَّةِ حِسْبَةً ، فَمَنَعَهُ الضَّعْفُ وَالْكِبَرُ ، وَأَدْرَكَتْهُ الْمَنِيَّةُ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ النِّيَّةِ . قَالَ : سَمِعْتُ الثِّقَةَ يَقُولُ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ — رَحِمَهُ اللهُ — يَقُولُ : كُنْتُ وَاقِفًا يَوْمًا عَلَى بَابِ دَارِ الشَّيْخِ أَبِى الْعِزِّ الْقَلَانِسِىِّ — رَحِمَهُ اللهُ — فِى حَرٍّ شَدِيدٍ أَنْتَظِرُ الْإِذْنَ ، فَمَرَّ بِى إِنْسَانٌ فَرَآنِى عَلَى تِلْكَ الْحَالِ وَاقِفًا فَقَالَ لِى : أَيُّهَا الرَّجُلُ ، لَوْ أَنَّكَ تَصِيرُ إِمَامًا يُقْرَأُ عَلَيْكَ ، وَيُقْتَدَى بِكَ ، أَهَكَذَا كُنْتَ تَفْعَلُ

---

(١) فى الاصل : « على » حسبة إسم من الاحتساب ، يقال أحتسب الأجر على الله : أدخره عنده ، لا يرجو أجر الدنيا (٢) فاتخذ مهدا : أى أعد وهيأ لنفسه فراشا ومؤنة للرحلة (٣) ورفع مناور العلم . المناور جمع منارة : وهى بناء عال ينار للاهتداء كالفنار ـ مستعار لهداية العلم للناس ، وإنارة سبل الحياة لهم بنشره وتعليمه ، وجمعها الصحيح مناور لاتقلب الواو همزة لانها أصلية ، والقلب إذا كانت زائدة . وكانت فى الاصل : « منائر »

أَنتَ بِطَالِبَةِ الْعِلْمِ وَمَنْ يَأْتِيكَ مِنَ الْغُرَبَاءِ ؟ فَذَرَفَتْ(١) عَيْنَاىَ فَقُلْتُ : لَا إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَأَشْهَدْتُ اللهَ تَعَالَى فِى نَفْسِى فِى تِلْكَ الْحَالِ ، عَلَى أَنِّى لَا آخُذُ عَلَى التَّعْلِيمِ وَالْإِقْرَاءِ وَالتَّحْدِيثِ(٢) أَجْرًا ، وَلَا أَبْخَلُ بِعِلْمِى عَلَى أَحَدٍ ، وَأَبْذُلُهُ حِسْبَةً ، فَكَانَ كَمَا قَالَ ، وَيَقْعُدُ لِطَلَبَةِ الْعِلْمِ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى آخِرِهِ .

قَالَ : وَكَانَ الشَّيْخُ — رَحِمَهُ اللهُ — لَا يُرَى طُولَ نَهَارِهِ إِلَّا كَاتِبًا لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ مُطَالِعًا لَهُ ، أَوْ مُشْتَغِلًا بِهِ ، أَوْ مُصْغِيًا إِلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ . هٰكَذَا كَانَ دَأْبُهُ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْعَلُ لَيْلَتَهُ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ ، يَكْتُبُ فِى ثُلُثٍ ، وَيَتَفَكَّرُ فِى ثُلُثٍ ، وَيَنَامُ فِى ثُلُثٍ ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ عِنْدَ انْتِبَاهِهِ مِنَ النَّوْمِ : يَا كَرِيمُ يَا كَرِيمُ

---

(١) ذرف الدمع : سال ، وبابه ضرب وذرفانا بفتح الراء ـ ويقال : ذرفت عينه : أى سال دمعها (٢) التحديث . مصدر حدث . وهو الاخبار . والمراد هنا التحديث الخاص ، وهو إخبار خاص بما سمع من لفظ الشيخ . من قول أو فعل ، أو تقرير نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنه الحديث . وأما الخبر : فهو ماجاء عن غيره . والأثر ما روى عن الصحابة ـ وهذا على الصحيح . وقيل غير ذلك

أَكْرَمَنَا . وَكَانَ مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَى النَّاسِ وَإِقْبَالِ الْخَلْقِ عَلَيْهِ ، وَتَبَرُّكِهِمْ بِهِ ، أَنَّهُ كَانَ يَصْعُبُ عَلَيْهِ الْمُرُورُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِى مُضِيِّهِ وَرُجُوعِهِ ، لِازْدِحَامِ الْخَلْقِ عَلَيْهِ . وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّبَّانِ يَتَحَلَّقُونَ حَوَالَيْهِ ، يَدْفَعُونَ عَنْهُ زَحْمَةَ النَّاسِ وَهُوَ يَمُرُّ فِى وَسَطِهِمْ مُطْرِقاً ، لَا يَشْتَغِلُ بِأَحَدٍ وَهُوَ يَقُولُ : يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ عَلَى الْقَبِيحِ .

قَالَ : سَمِعْتُ الْعَدْلَ عُمَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : دَخَلْنَا عَلَى الْإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِى الْعَلَاءِ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ وَهُوَ يَكْتُبُ ، فَقَعَدْنَا عِنْدَهُ سَاعَةً ، فَوَضَعَ مَا فِى يَدِهِ ، وَقَامَ لِيَتَوَضَّأَ فَنَظَرْنَا فِيمَا كَتَبَ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ بَيَّضَ [1] كُلَّ مَوْضِعٍ فِيهِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى ، أَوْ ذِكْرٌ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَعَجَّبْنَا مِنْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا رَجَعَ سَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : إِنِّى لَمَّا كُنْتُ أَكْتُبُ ذَلِكَ شَكَكْتُ فِى

(١) بيض : أى تركه أبيض بدون كتابة كما يفهم من السياق

الْوُضُوءِ ، فَمَا جَوَّزْتُ أَنْ أَكْتُبَ بِيَدِى أَسْمَاءَ اللهِ تعالى ، أَوْ ذِكْرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا شَاكٌّ فِى الْوُضُوءِ .

وَكَانَ الشَّيْخُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ إِذَا نَزَلَ بِالنَّاسِ شِدَّةٌ أَوْ بَلَاءٌ ، يَجِىءُ إِلَيْهِ النَّاسُ وَيَسْأَلُونَهُ الدُّعَاءَ فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّى أَخَافُ عَلَى نَفْسِى أَكْثَرَ مِمَّا يَخَافُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ . وَكَانَ كَثِيراً مَا يَقُولُ : لَيْتَنِى كُنْتُ بَقَّالًا أَوْ حَلَّاجاً[1] ، لَيْتَنِى نَجَوْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ « رَأْساً بِرَأْسٍ ، لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا » .

قَالَ : وَسَمِعْتُ وَالِدِى يَحْكِى عَنِ الْإِمَامِ عَبْدِ الْهَادِى بْنِ عَلِيٍّ ـ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ـ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ أَمْشِى يَوْماً مَعَ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْحَافِظِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فِى الشِّتَاءِ فِى وَحَلٍ شَدِيدٍ فِى رِجْلَيْهِ مَدَاسٌ خَفِيفٌ ، يَكَادُ يَدْخُلُ فِيهَا الطِّينُ ، فَقُلْتُ لَهُ يَا أَخِى : لَوْ لَبِسْتَ مَدَاساً غَيْرَ هَذَا يَصْلُحُ لِلشِّتَاءِ فَقَالَ : إِذَا لَبِسْتُ غَيْرَهَا لَهَتْ عَيْنِى[2] عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا .

---

(١) الحلاج . من يندف القطن . حتى يخلص الحب منه — والقطن حليج ومحلوج

(٢) لهت عينى الخ . أى غفلت . وسلت عنه

فَرُبَّمَا نظَرْتُ إِلَى مُنكَرٍ أَوْ فَاحِشَةٍ ، وَفِى دَوَامِ نَظَرِى إِلَيْهَا وَحِفْظِى لَهَا عَنِ الوَحَلِ ، شُغِلَ عَنْ ذَلِكَ وَحِفْظُ لِلبَصَرِ .

قَالَ : وَكَرَامَاتُهُ مَشْهُورَةٌ بَيْنَ النَّاسِ ، مِنْهَا مَا كَتَبَ بِهِ إِلَىَّ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ المُقْرِىءُ قَالَ : سَمِعْتُ الأُسْتَاذَ بَهْلَةَ الطَّحَّانَ يَقُولُ : حَمَلْتُ أَحْمَالَ الحِنْطَةِ مِنْ دَارِ الشَّيْخِ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ لِأَطْحَنَهَا لِأَهْلِهِ ، فَلَمَّا طَحَنْتُهَا وَوَضَعْتُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ ، قَصَدَ بَعْضُ مَنْ فِى الطَّاحُونَةِ مِنَ المُسْتَحِقِّينَ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ الدَّقِيقِ ، لِيَخْبِزَ مِنْهُ رَغِيفًا ، فَصِحْتُ عَلَيْهِ وَمَنَعْتُهُ مِنَ الأَخْذِ ، فَلَمَّا رَدَدْتُ الأَحْمَالَ إِلَى دَارِ الشَّيْخِ مِنَ الغَدِ ، تَبَسَّمَ الشَّيْخُ فِى وَجْهِى وَقَالَ : وَيْلَكَ يَا بَهْلَةُ ، لِمَ مَنَعْتَ الرَّجُلَ أَنْ يَأْخُذَ قَبَضَاتٍ مِنَ الدَّقِيقِ ؟ فَتَحَيَّرْتُ مِنْ قَوْلِهِ ، وَقَبَّلْتُ فِى الحَالِ رِجْلَيْهِ ، وَتُبْتُ عَلَى يَدَيْهِ ، وَاسْتَغْفَرْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا سَلَفَ مِنِّى مِنَ الذُّنُوبِ ، وَصِرْتُ مُعْتَقِدًا فِى كَرَامَاتِ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى .

قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ : كُنْتُ يَوْمًا فِى خِدْمَةِ الشَّيْخِ — رَضِىَ اللهُ عَنْهُ — نَأْكُلُ الْغَدَاءَ ، فَدَقَّ الْبَابَ دَاقٌّ ، فَقُمْتُ وَفَتَحْتُ لَهُ الْبَابَ . فَإِذَا بِالشَّيْخِ الصَّالِحِ مَسْعُودٍ النَّمَّالِ ، فَاسْتَأْذَنْتُ لَهُ ، فَدَخَلَ وَقَعَدَ عِنْدَ الشَّيْخِ إِلَى الطَّعَامِ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَاعَةٍ نَظَرَ إِلَى مَسْعُودٍ وَقَالَ يَا مَسْعُودُ : لَوْ أَنَّ النُّطْفَةَ الَّتِى قَدَّرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِى سَابِقِ عِلْمِهِ،أَنْ يَخْلُقَ مِنْهَا خَلْقًا صُبَّتْ عَلَى الْأَرْضِ ، لَظَهَرَ مِنْ ذَلِكَ الْخَلْقُ . فَلَمَّا سَمِعَ مَسْعُودٌ النَّمَّالُ هَذَا الْكَلَامَ انْزَعَجَ وَبَكَى وَصَاحَ . فَتَعَجَّبْنَا مِنْ تِلْكَ الْحَالَةِ . فَلَمَّا سَكَنَ ، سَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِ انْزِعَاجِهِ وَتَوَاجُدِهِ (١) مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ . فَقَالَ لِى : اعْلَمْ أَنِّى

---

(١) من الموجدة : أى الغضب ، من قولهم : وجد عليه يجد وجداً وجدة : غضب

ملاحظة : مثل هذه الاخبار لا ينبغى أن تكون معتقداً ولا أن تكون برهاناً على أن فلاناً مقبول أو غير مقبول،ولا يليق بنا أن نجعلهاذات شأن فى ديننا ، إن هذا الشيخ العظيم الحافظ الحسن بن أبى العلاء صاحب الترجمة ؟ يأنف ويغضب من أن يقال عنه مثل هذا ، إنه رجل عظيم ذو مكانة عظمى ،وقيمة سامية لزهده وورعه،وعلمه وآدابه العالية ، فلن يزيده مثل هذا،ولن ينقص من قدره أن لا كرامة تنسب إليه، ولا أريد بهذا نكران كرامة الأولياء ، ولكن تفسيرها بمثل هذه الأمور ليس من الشرع فى شىء « عبد الخالق »

تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مُنْذُ سِنِينَ كَثِيرَةً ، وَمَا رُزِقْتُ مِنْهَا وَلَدًا ، وَأَنِّى جِئْتُ الْيَوْمَ لِأَسْأَلَ مِنْهُ الدُّعَاءَ ، حَتَّى يَرْزُقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدًا صَالِحًا . فَقَبْلَ سُؤَالِي إِيَّاهُ حَدَّثَنِي بِمَا فِى قَلْبِي ، وَأَظْهَرَ لِي سِرِّى ، وَأَسْمَعَنِي مَا سَمِعْتُمْ ، قَالَ : ثُمَّ دَعَاهُ الشَّيْخُ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — وَدَعَا لَهُ ، وَسَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْوَلَدَ ، وَنَاوَلَهُ شَيْئًا مِنْ بَقِيَّةِ طَعَامِهِ وَقَالَ : أَطْعِمْهَا أَهْلَكَ . قَالَ : ثُمَّ رَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ ، فَقَالَ لِي : قَدْ رَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ابْنًا وَبِنْتًا بِبَرَكَةِ دُعَاءِ الشَّيْخِ وَهِمَّتِهِ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا بَكْرٍ عَبْدَ الْغَفَّارِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْغَفَّارِ ، وَكَانَ خَالَ وَلَدِ الشَّيْخِ — رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — يَقُولُ لِي : هَلْ عَلِمْتَ سَبَبَ وَفَاةِ أُخْتِي ، يَعْنِي الَّتِي كَانَتْ حَلِيلَةَ الشَّيْخِ — رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمَا ؟ — قُلْتُ : لَا . قَالَ : قَالَتْ أُخْتِي : كَانَ لِلشَّيْخِ فِى الدَّارِ بَيْتٌ مُخْتَصٌّ بِهِ لَا يَدْخُلُهُ غَيْرُهُ ، وَكَانَ يَأْذَنُ لِي فِى بَعْضِ

اللَّيَالِى بِدُخُولِى فِيهِ ، وَفِى أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ وَأَغْلَبِ اللَّيَالِى ، يُغْلِقُ الْبَابَ عَلَى نَفْسِهِ وَيَخْلُو فِيهِ بِنَفْسِهِ ، وَأَبِيتُ أَنَا فِى الدَّارِ وَحْدِى ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَىَّ ، حَتَّى أَقْلَقَ نَهَارِى (١) ، وَأَسْهَرَ لَيْلِى . فَبَيْنَا أَنَا مُتَفَكِّرَةٌ فِى بَعْضِ تِلْكَ اللَّيَالِى ، إِذْ قُلْتُ فِى نَفْسِى : لِمَ لَا أَقُومُ فَأَرْتَقِى الرِّوَاقَ (٢) ، وَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ كُوَّةِ (٣) الْبَيْتِ لِأَقِفَ عَلَى حَالِهِ ؟ فَقُمْتُ وَارْتَقَيْتُ الرِّوَاقَ ، فَقَبْلَ بُلُوغِى الْكُوَّةَ رَأَيْتُ نُوراً عَظِيماً ، وَضِيَاءً سَاطِعاً مِنَ الْبَيْتِ أَضَاءَ مِنْهُ كُلُّ شَىْءٍ ، فَتَقَدَّمْتُ وَنَظَرْتُ فِى الْبَيْتِ ، فَرَأَيْتُ الشَّيْخَ جَالِساً فِى مَكَانِهِ ، وَحَوْلَهُ جَمَاعَةٌ يَقْرَءُونَ عَلَيْهِ ، وَكُنْتُ أَرَى سَوَادَهُمْ ، وَأَسْمَعُ حِسَّهُمْ (٤) ، غَيْرَ أَنِّى لَا أَرَى

(١) أقلق نهارى وأسهر ليلى : مجاز عقلى ، من إسناد الفعل إلى الزمان ونظيره : نهاره صائم ، والمراد قلق الانسان وسهره فيهما ، والقلق : الاضطراب والانزعاج ، واستعماله فى الأرق من كلام المولدين (٢) الرواق من البيت : الشقة التى دون الشقة العليا ، والجمع أروقة (٣) الكوة : الخرق فى الحائط ، والجمع كوات ، وكوى (٤) الحس : الصوت مطلقاً — تقول : مر شخص بقربى ولم أره ، ولكن سمعت حسه أى صوته الخفى ، وتقول : ما سمعت منه حساً أى صوتاً

صُوَرَهُمْ . فَهَالَنِي ذَلِكَ ، وَوَقَعْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ لَا أَشْعُرُ شَيْئًا ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ الشَّيْخَ وَاقِفًا عَلَى رَأْسِي ، فَأَقَامَنِي وَتَلَطَّفَ بِي ، وَقَالَ لِي : مَاذَا (١) دَهَاكِ ؟ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي . فَقَالَ لِي : كُفِّي عَنْ هذَا ، وَلَا تُخْبِرِي بِمَا رَأَيْتِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ ، إِنْ كُنْتِ تُرِيدِينَ رِضَايَ . فَقَبِلْتُ مِنْهُ ذَلِكَ ، وَكَتَمْتُ سِرَّهُ حَتَّى أَمْرَضَنِي ، وَحُمِلْتُ مَرِيضَةً إِلَى دَارِ أَبِي .

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ : وَقَالَ لِيَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ ، وَاشْتَدَّ عِنْدَنَا مَرَضُهَا ، وَكُنَّا نَسْأَلُهَا عَنْ سَبَبِ مَرَضِهَا ، وَكَانَتْ تَعَلَّلُ بِأَشْيَاءَ إِلَى أَنْ وَقَعَتْ فِي هَوْلِ الْمَوْتِ ، وَسِيَاقِ (٢) النَّزْعِ ، فَنَظَرَتْ إِلَيْنَا وَبَكَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ : أُوصِيكُمْ بِزَوْجِي أَبِي الْعَلَاءِ وَاسْتِرْضَائِهِ ، وَالْآنَ بَدَا (٣) لِي أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِسَبَبِ مَوْتِي ، ثُمَّ قَصَّتْ

(١) ماذا دهاك ؟ : أى ما الذى أصابك ونزل بك إلى هنا . أقول هذه رواية لا أعرف مقدار صدقها (٢) وسياق النزاع : أى الشروع فى نزع الروح وخروجها

(٣) يقال : بدا له فى الأمر بدوا وبداءا وبداة : نشأ له فيه رأى غير رأيه الاول ، فصرفه عنه .

عَلَيْنَا هَذِهِ الْقِصَّةَ ، وَفَارَقَتِ الدُّنْيَا - رَحِمَهَا اللَّهُ - .

قَالَ : وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا الْعَلَاءِ أَحْمَدَ بْنَ الْحَسَنِ الْحَدَّادَ الْعَارِفَ يَقُولُ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ عُمَرَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَيْفَةَ ، مِنْ نَسْلِ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — يَقُولُ : كُنْتُ مَعَ الْحَافِظِ أَبِي الْعَلَاءِ فِي بَعْضِ الْأَسْفَارِ ، فَأَدْرَكْنَا شَيْخًا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، وَانْتَخَبَ [1] الْحَافِظُ جُزْءًا مِنْ مَسْمُوعِهِ وَقَرَأَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ سَلَّمْنَا [2] عَلَيْهِ وَارْتَحَلْنَا مِنْ عِنْدِهِ ، فَوَصَلْنَا إِلَى نَهَرٍ عَظِيمٍ ، فَلَمَّا عَبَرْنَا النَّهَرَ ، وَقَعَ ذَلِكَ الْجُزْءُ مِنَّا وَضَاعَ ، وَضَاقَ قَلْبُ الْحَافِظِ لِذَلِكَ ضِيقًا شَدِيدًا . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ ، اسْتَقْبَلَنَا رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ ، حَسَنُ [3] الشَّارَةِ ، وَسَلَّمَ عَلَيْنَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْحَافِظِ وَقَالَ : مَا الَّذِي أَصَابَكَ ؟ وَمَا سَبَبُ حُزْنِكَ ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْحَافِظُ قِصَّةَ الْجُزْءِ وَكَيْفِيَّةَ ضَيَاعِهِ ، فَقَالَ : خُذِ الْقَلَمَ وَاكْتُبْ

---

(١) انتخب عليه : من النخبة — وهي المختار من كل شىء — ولعل المراد : انتزع جزءا مختارا وقرأه عليه (٢) فى الاصل : « وسلما » (٣) حسن الشارة : من قولهم : حسن الصورة والمشورة ، أى المنظر والمخبر

عَنِّى جَمِيعَ مَا ضَاعَ عَنْكَ فِى ذَلِكَ الْجُزْءِ ، وَأَخَذَ الْحَافِظُ الْقَلَمَ مُتَعَجِّباً يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ يُمْلِى وَالْحَافِظُ يَكْتُبُ إِلَى أَنْ فَرَغَ ، فَلَمَّا فَرَغَ الْحَافِظُ أَخَذَ بِبَعْضِ ثِيَابِهِ فَقَالَ : أَنْشُدُكَ[1] اللهَ مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا أَخُوكَ الْخَضِرُ ، وَبُعِثْتُ إِلَيْكَ لِهَذَا الْأَمْرِ . ثُمَّ غَابَ عَنَّا فَلَمْ نَرَهُ .

سَمِعْتُ الشَّيْخَ الصَّالِحَ سُنْقُرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ غُلَامَ شَيْخِنَا أَبِى طَاهِرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ، بْنِ أَحْمَدَ الْعَطَّارِ ، — رَحِمَهُ اللهُ — ابْنِ[2] الشَّيْخِ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ : إِنِّى خَدَمْتُ الشَّيْخَ ـ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ ـ سِنِينَ كَثِيرَةً ، فَرَأَيْتُ الْعَجَائِبَ الْكَثِيرَةَ فِى خَلَوَاتِهِ . مِنْهَا : أَنَّهُ قَامَ لَيْلَةً لِيَتَوَضَّأَ ، فَقَالَ لِى أَسْتَقِ الْمَاءَ مِنَ الْبِئْرِ ، فَجِئْتُ وَأَرْسَلْتُ الدَّلْوَ فِيهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ الدَّلْوُ إِلَى رَأْسِ الْبِئْرِ نَظَرْتُ فِيهَا ،

---

(١) أنشدك الله : قسم : أى أستحلفك ، وأقسم عليك بالله

(٢) كانت فى الأصل : « أخى »

فَإِذَا الدَّلْوُ مَمْلُوءٌ ذَهَبًا أَحْمَرَ ، أَضَاءَ الدَّارَ حُمْرَتُهُ ، فَصِحْتُ صَيْحَةً عَظِيمَةً . فَقَالَ لِى أَيُّهَا الشَّيْخُ : مَاذَا أَصَابَكَ ؟ فَأَرَيْتُهُ الدَّلْوَ ، فَاسْتَرْجَعَ [١] ثُمَّ اسْتَغْفَرَ [٢] ، وَقَالَ لِى : اقْلِبِ الدَّلْوَ فِى الْبِئْرِ ، فَإِنَّا نَطْلُبُ الْمَاءَ لَا الذَّهَبَ . قَالَ : فَقَلَبْتُهَا ثُمَّ أَخَذَ الدَّلْوَ مِنْ يَدِى وَاسْتَقَى الْمَاءَ وَقَالَ لِى : يَا سُنْقُرُ ، إِيَّاكَ [٣] إِيَّاكَ أَنْ تُخْبِرَ بِمَا رَأَيْتَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ مَا دُمْتُ حَيًّا .

قَالَ : رَأَيْتُ بِخَطِّ الثِّقَةِ ذَكَرَ أَنَّهُ نَقَلَ مِنْ خَطِّ الشَّيْخِ أَبِى الْفَتْحِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ وَهْبٍ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ ، بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ جَعْفَرٍ الْجُوزَقَانِىَّ يَقُولُ : كُنْتُ نَائِمًا ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَرَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ ، كَأَنَّ النَّاسَ يُهْرَعُونَ إِلَى رِبَاطِ [٤] أَبِى الْفَرَجِ ، أَحْمَدَ بْنِ عَلِىٍّ

---

(١) استرجع : أى استعاذ بقوله « إنا لله وإنا إليه راجعون » (٢) كانت بالاصل : « استأخر » وأصلحت (٣) إياك إياك : تحذير من إتيان ما بعدهما ، وهما منصوبان بفعل محذوف وجوباً تقديره ، احذر (٤) الرباط : أصله مصدر من رابط الجيش : إذا لزم ثغر العدو ، والرباط أيضا واحد الرباطات المبنية للفقراء ، وهو المراد هنا

الْمُقْرِىء — رَحْمَةُ اللهِ عليهِ — قَالَ : فَسأَلتُ مالِهؤُلَاء ؟
فَقَالُوا : إنَّ أَنسَ بْنَ مَالِكٍ — رَضِىَ اللهُ عَنْهُ — ، نَزَلَ فِى
رِبَاطِ الْمُقْرِىء ، فَفَرِحتُ وَأَسْرَعْتُ ، وَقَصَدْتُ الْإِمَامَ
الْحَافِظَ أَبَا الْعَلَاء وَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ ، فَلَمَّا سَمِعَ مِنِّى فَرِحَ
وَنَشِطَ ، وقَامَ وَأَخَذَ جُزْءًا وَاحِداً مِنْ أَحَادِيثِ أَنسِ بْنِ
مَالِكٍ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - ، وَجَاءَ معِى حَتَّى دَخَلْنَا الرِّبَاطَ ،
فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِى الرِّبَاطِ ،
وَرَأَيْنَا أَنسَ بْنَ مَالِكٍ عَنْ يَسَارِهِ ، فَقَدِّمْنَا إِلَى رَسُولِ
اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ ، وَجَلَسْنَا بَيْنَ
يَدَيْهِ ، فَاسْتَأْذَنَهُ أَبُو الْعَلَاءِ فِى قِرَاءَةِ ذَلِكَ الْجُزْء عَلَيْهِ ،
فَأَذِنَ لَهُ فَابْتَدَأَ أَبُو الْعَلَاءِ بِالقِرَاءَةِ ، وَقَرَأَ ذَلِكَ الْجُزْءَ
قِرَاءَةً حَسَنَةً مُبَيِّنَةً صَحِيحَةً ، وَرَأَيْتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَتَبَسَّمُ مِنَ الفَرَحِ مَرَّةً إِلَى وَجْهِهِ ، وَمَرَّةً إِلَى وَجْهِى ،
فَلَمَّا قَرَأَ الْجُزْءَ أُنْتَبِهْتُ مِنَ النَّوْمِ ، فَقُمْتُ وَتَوَضَّأْتُ
وَصَلَّيْتُ الصَّلَاةَ شُكْراً لِلهِ تَعَالَى عَلَى مَارَأَيْتُ فِى الْمَنَامِ .

قَالَ : وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ عُمَرَ بْنَ أَبِي رَشِيدِ بْنِ طَاهِرٍ الزَّاهِدَ يَقُولُ : رَآنِي يَوْماً الشَّيْخُ عَلِيٌّ الشَّاذَانِيُّ صَاحِبُ الْكَرَامَاتِ الظَّاهِرَةِ . فَقَالَ لِي يَا عُمَرُ : اذْهَبْ إِلَى الْحَافِظِ أَبِي الْعَلَاءِ وَقَبِّلْ جَبِينَهُ عَنِّي ، فَإِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ أَنَّ مَنْ قَبَّلَ جَبْهَتَهُ مُوقِناً مُحْتَسِباً — غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ — .

قَالَ : وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ الزَّاهِدَ وَكَانَ مِنَ الْأَبْدَالِ [1] ، « إِنْ شَاءَ اللّٰهُ » يَقُولُ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ سَعِيداً الْمُتَّقِيَّ وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ يَقُولُ : رَأَيْتُ جَنَّاتِ [2] عَدْنٍ مَفْتُوحَةً أَبْوَابُهَا ، وَإِذَا النَّاسُ كُلُّهُمْ وُقُوفٌ يَنْظُرُونَ دُخُولَ شَخْصٍ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْبَابِ وَكَادَ يَدْخُلُ جَنَّةَ عَدْنٍ ، سَأَلْتُ مَنْ هَذَا الشَّخْصُ الَّذِي يَدْخُلُ جَنَّةَ عَدْنٍ قَبْلَ دُخُولِ الْخَلَائِقِ ؟ فَقَالُوا : الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ وَمَنْ كَانَ يُحِبُّهُ فِي

---

(١) الابدال : قوم من الصالحين ، قيل : لاتخلو الدنيا منهم ، لايموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس ـ قيل : وهم سبعون ، أربعون بالشام ، وثلاثون بغيرها ـ قال ابن دريد : الواحد بديل وبعد فهل لجملة ان شاء الله هنا من سبب ؟

(٢) جنات عدن : يقال : عدن بالمكان يعدن ويعدن عدنا وعدونا : أقام به ـ قيل : ومنه جنات عدن ، أى إقامة لمكان الخلود .

اللهِ عزَّ وجلَّ ، فتضرَّعتُ[١] وبكيتُ وقلتُ : وأنا أيضاً مِمَّن يحبُّه فى اللهِ عزَّ وجلَّ ، دعونى أدخلْ . فقالَ شخصٌ : صدقَ : دعوه يدخلْ ، فدخلتُ معَ القومِ وهمْ يقولونَ : « أدخلوها بِسلامٍ آمنينَ »

قالَ المصنِّفُ : وحكى لِىَ الشيْخُ الإمامُ أبو عبدِ اللهِ زُبيرُ بنُ محمّدِ بنِ زُبيرٍ المشكانىُّ — رحمهُ اللهُ — فقالَ : رأيتَ ليلةً منَ الليالِى فى المنامِ كأنَّ الإمامَ أبا العلاءِ — رضىَ اللهُ عنهُ — يمشِى إلى الحجِّ ، وهوَ جالسٌ فِى المهدِ مربَّعٌ ، والمهدُ يمشى فِى الهواءِ بينَ السماءِ والأرضِ ، فعدوتُ[٢] خلفهُ ، فنزلَ المهدُ منَ السماءِ إلى الأرضِ وشىءٌ مثلُ الوتِدِ ، وخرجَ منْ ذلكَ المهدِ فتعلَّقتُ بهِ ، فقامَ المهدُ يمشى فى الهواءِ وأنا متعلِّقٌ بهِ حتَّى وصلْنا الفُراتَ ، فأخذنِى العطشُ فقلتُ للحافظِ : إنِّى عطشانُ

(١) فتضرعت : تضرع إلى الله ، ابتهل وتذلل ، أو تضرع فى طلب الحاجة

(٢) فعدوت : من العدو — وهو الجرى

أُرِيدُ أَنْ أَشْرَبَ ، فَقَالَ لِى : تعالَ حَتَّى تَشْرَبَ مِنْ زَمْزَمَ ، فَمَشَيْنَا حَتَّى وَصَلْنَا مَكَّةَ فَدَخَلْتُ الْحَرَمَ ، وَشَرِبْتُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ، وَرَأَيْتُ فِى الْحَرَمِ خَلْقاً كَثِيراً ، وَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْحَافِظِ أَبِى الْعَلَاءِ ، جَالِساً عَلَى تَلٍّ فِى الْحَرَمِ أَعْلَى مِنْ سَطْحِ الْحَرَمِ ، وَمَا مَعَهُمَا أَحَدٌ غَيْرُهُمَا ، وَهُمَا يَسْتَقْبِلَانِ الْكَعْبَةَ ، وَيَنْظُرَانِ إِلَى فَوْقُ ، وَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَكَلَّمُ مَعَ أَحَدٍ نَحْوَ(١) فَوْقِ الْكَعْبَةِ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ قَامَ إِلَيْهِ ، وَرَأَيْتُ شَيْخَنَا الْحَافِظَ أَبَا الْعَلَاءِ شَاخِصاً بِبَصَرِهِ إِلَى الَّذِى يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ الْكَعْبَةِ ، وَلَا يَلْتَفِتُ يَمِيناً وَلَا شِمَالًا ، فَقُلْتُ فِى نَفْسِى : أَذْهَبُ فَأُبْصِرُ مَنِ الَّذِى يَتَكَلَّمُ(٢) النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ

(١) نحو فوق الكعبة : أى جهة أعلاها ـ والنحو يطلق فى اللغة على خمسة معان ـ وهى القصد ، والجهة ، والقدر ، والمثل ، والبعض ـ وقد جمعها بعضهم فى قوله :

نحونا نحو دارك ياحبيبى ... وجدنا نحو ألف من رقيب
وجدناهم عواة نحو كلب ... تمنوا منك نحواً من شريب

(٢) كانت فى الأصل : « يكلم »

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معهُ ؟ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ ، فَتَقَدَّمْتُ وَنَظَرْتُ إِلَى فَوْقِ الْكَعْبَةِ ، فَرَأَيْتُ عَرْشَ الرَّحْمَنِ - جَلَّ جَلَالُهُ - وَاقِفًا فَوْقَ الْكَعْبَةِ ، وَرَأَيْتُ الرَّحْمَنَ - جَلَّ جَلَالُهُ - عَلَيْهِ ، فَأَشَارَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِ « اسْأَلِ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى » ، فَسَأَلْتُ اللهَ تَعَالَى أَرْبَعَ حَاجَاتٍ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ بِالْفَارِسِيَّةِ « كردم » وَسَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَةً فَفَعَلَ ، فَنَوَيْتُ الرُّجُوعَ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَتَذْهَبُ ؟ فَوَقَفْتُ أَنْتَظِرُ أَمْرَهُ . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْفَارِسِيَّةِ : « شكرانه كو » فَوَقَفْتُ وَقَرَأْتُ « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ » خَمْسَمِائَةِ مَرَّةٍ . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « حَسَنٌ » ، فَرَجَعْتُ وَتَرَكْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا مَعَ الْحَافِظِ أَبِي الْعَلَاءِ عَلَى ذَلِكَ التَّلِّ ، وَيَنْظُرَانِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

---

(١) الرسول عربي والقرآن بلسان عربي مبين فما معنى الفارسية في الكلام هنا وما أشبه هذا بقول الفقهاء : إن سؤال القبر بالسرياني . ورأيي أن الرؤيا كلها إن صدق قائلها إنما هي تمثيل لعظمة الهمذاني إلا أن التصوير لم يكن جيداً في العبارة عبد الخالق

وَقَدْ مَدَحَهُ أَفَاضِلُ عَصْرِهِ بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَغْرِبِيُّ ، وَقَدْ خَرَجَ الشَّيْخُ فَحُجِبَتِ الشَّمْسُ غَيْماً(١) فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

ظَهَرْتَ فَأَخْفَتْ وَجْهَهَا الشَّمْسُ هَيْبَةً
وَشَوْقاً إِلَى مَرْآكَ أَسْبَلَتِ الدَّمْعَا

وَلَمَّا رَأَتْ مَسْعَاكَ كَفَّتْ شُؤُونَهَا
لِئَلَّا تَرَى شَيْئاً يَصُدُّكَ(٢) عَنْ مَسْعَى

وَقَدْ كَانَ ذَاكَ الْقَطْرُ أَيْضاً دِلَالَةً
عَلَى أَنَّ مَوْلَى الْجَمْعِ قَدْ رَحِمَ الْجَمْعَا

وَلَا شَكَّ أَنَّ اللهَ يَرْحَمُ أُمَّةً
حَلَلْتَ بِهَا قَطْعاً(٣) أَقُولُ بِذَا قَطْعَا

وَقَدْ مَدَحَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَغْرِبِيُّ هَذَا بِقَصَائِدَ حِسَانٍ ، وَقَدْ أَفْرَدَهَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ ، مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُودِ ، بْنِ أَبْرَاهِيمَ ، بْنِ الْفَرَجِ ، مُؤَلِّفُ هَذِهِ الْمَنَاقِبِ ، ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ

---

(١) غيما : لعل هذا صوابها ، وفى الأصل : « عما »

(٢) فى الاصل : وتصدك ، وشيئا بالاصل : « حيا »

(٣) قطعا الخ : أى جزما لا شك فيه : ومنه : هذا قول مقطوع بصحته .

وَالْأَصلُ يَشْتَمِلُ عَلَى سِتَّةِ أَجْزَاء بِخَطِّهِ كُلُّهَا — رَحِمَهُ اللهُ — .
وَقَدْ ذَكَرَ فِيهِ بَعْدَ ذِكْرِ الْقَصَائِدِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا : سَمِعْتُ أَبَا بِشْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدِ ، بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هِبَةِ اللهِ ، بْنِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ سَهْلٍ — رَحِمَهُ اللهُ — يَقُولُ : كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَغْرِبِيُّ بِأَصْفَهَانَ فِي مَدْرَسَةِ النِّظَامِ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا بَلَغَ قَوْلَهُ — عَزَّ وَجَلَّ — « وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » قَامَ وَصَرَخَ ، وَتَرَكَ أَمْتِعَتَهُ وَكُتُبَهُ ، وَأَقْبَلَ إِلَى الصَّحْرَاء هَائِمًا[1] ، وَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَلَا سُمِعَ لَهُ خَبَرٌ وَلَا أَثَرٌ .

وَأَنْشَدَ مُوَفَّقُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَكِّيُّ الْخَطِيبُ الْحَافِظُ فِي مَدْحِهِ :

حِفْظُ الْإِمَامِ أَبِي الْعَلَاء الْحَافِظِ
بِالرَّجْلِ يَنْكُتُ[2] هَامَ حِفْظِ الْجَاحِظِ

---

(١) هائما من هام على وجهه ، يهيم هيما وهيمانا : ذهب لايدرى أين يتوجه ؟ فهو هائم . (٢) ينكت الخ يقال : نكت الارض بقضيب أو بأصبع ينكتها نكتا : ضربها به فأثرفيها ، يفعلون ذلك حال التفكر — والهام الرأس — والمراد ، تفضيل علم الامام أبى العلاء على علم الجاحظ .

عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ بَحْرُهُ مِنْ جَدْوَلٍ
مُتَشَعِّبٍ مِنْ بَحْرِ بَحْرٍ الْحَافِظِ

مَا إِنْ رَأَيْنَا قَبْلَ بَحْرِكَ مَنْ لَهُ
بَحْرٌ طَفُوحٌ كَالْأَتِىِّ اللَّافِظِ (١)

أَحْيَيْتَ مَاقَدْ غَاضَ (٢) مِنْ سُنَنِ الْعُلَا
وَالْعِلْمِ قَبْلَكَ بِالْيَرَاعِ الْغَائِظِ

بَهَظَ (٣) الْبَرَايَا عِبْءُ أَذْنَى عِلْمِهِ
أَعْظِمْ بِهِ مِنْ عِبْءِ عِلْمٍ بَاهِظِ

كَمْ وَاعِظٍ ، لِي أَنْ أُجَاوِزَ (٤) هَجْرَهُ
لَوْ كَانَ يَنْجَعُ فِيَّ وَعْظُ الْوَاعِظِ

---

(١) البيت فى الأصل :

ما إن رأينا قبل بحرك من بحر طفوح الأتى لافظ

وهو محرف وغير مستقيم الوزن ، والطفوح : المملوء الطامي . والأتى : السيل يجرف ما أمامه . واللافظ : القاذف (٢) جاءت فى الأصل : « فاظ » ومعناه مات ، وفى العماد « فاض » فجعلناها : غاض ، وهو أنسب وأوضح ، وإن كان الشعر ركيكا لاقيمة له (٣) بهظ البرايا الخ : أى غلبهم علمه ، وثقل عليهم فعجزوا عن محاكاته ـ وقوله : أعظم به : تعجب من وفرة علمه ، والباهظ الثقيل ، يقال : أمر باهظ : أى شاق ثقيل (٤) كانت بالأصل : « أجاور » وأصلحت إلى ماذكر وكانت هجره فى الأصل : « هجوه » وينجع : أى يؤثر من نجع فيه الدواء أو الطعام أو الكلام : دخل فأثر فيه

غَاظَ الْأَعَادِي جَاهُهُ لِعُلُومِهِ

فَرَدَدْتُ غَيْظَهُمْ بِهَذَا الْقَائِظِ (١)

وَأَنْشَدَ أَيْضًا فِي مَدْحِهِ :

وَلَيْسَ اعْتِرَافُ الْحَاسِدِينَ بِفَضْلِهِ

لِشَيْءٍ سِوَى أَنْ لَيْسَ يُمْكِنُهُمْ جَحْدُ

بَدَا كَعَمُودِ (٢) الْفَجْرِ مَا فِيهِ شُبْهَةٌ

فَهَلْ لَهُمْ مِنْ أَنْ يُقِرُّوا بِهِ ، بُدُّ ؟

وَأَنْشَدَ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ أَفْضَلُ الدِّينِ أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الدَّمَانْجِيرُ (٣) الْكَرْخِيُّ ، — رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ — فِي مَدْحِهِ :

صَبْرًا فَأَيَّامُ الْهُمُومِ تَزُولُ

وَالدَّهْرُ يُعْطِيكَ الْمُنَى وَيُنِيلُ

---

(١) كان الشطر الثانى بالأصل : « ردت غيظهم بهذا الغائظ » وأصلح

(٢) عمود الفجر : ضوءه ـ وبد : أى فرار ـ يقال : لابدمن كذا : أى لافرار منه

(٣) كذا بالاصل ، ولعله : الدامنكير ، على أن بعض الناس يكتب الجيم كافا خطأ وينطق بها جيما فهذا من هذا

وَيَثُوبُ [1] مِنْ فَلَكِ السَّعَادَةِ ثَاقِبًا
قَمَرُ الأَمَانِي وَالنُّحُوسُ أُفُولُ
لَا تَيأَسَنَّ إِذَا أَلَمَّ مُلِمَّةٌ
إِنَّ الشَّدَائِدَ تَعْتَرِي [2] وَتَحُولُ
وَالفَضْلُ لَا يُزْرِي [3] بِهِ عَدَمُ الْغِنَى
أَوَ لَيْسَ يَحْسُنُ فِي الرِّمَاحِ ذُبُولُ
مَا إِنْ يَضُرُّ الْعَضْبَ بَعْدَ مَضَائِهِ
يَوْمَ الْقِرَاعِ إِذَا عَرَتْهُ فُلُولُ [4]

---

(١) كانت فى الأصل : « يبدو » وأصلحت الى يؤوب . أى يعود ـ وثاقبا ناقدا على حد قوله تعالى : « فأتبعه شهاب ثاقب » ـ والنحوس : جمع نحس ، وهو ضد السعد ـ يقال « يوم نحس وأيام نحس » ـ وأفول : جمع آفل . يقال : أفل القمر أفولا : أى غاب ، فهو آفل والجمع أفل وأفول . ومنه « فلان كعبه سافل ، ونجمه آفل »

(٢) تعترى : تصيب ـ وتحول : تتحول وتزول

(٣) يزرى به : أى يعيبه ـ يقال : أزرى به وأزراه : عابه ـ وذبول : مصدر ذبل يذبل ذبلا وذبولا : أى ذوى وجف ، ورمح ذابل : رقيق لاصق بالليط أى الجلد ، والشعراء تستعمل الذوابل صفة للرماح ، وقد يجعلونها اسما للرماح ، من باب إقامة الموصوف ، كقول أبى الطيب :

عدوية بدوية من دونها سلب النفوس ونار حرب توقد
وهواجل وصواهل ونواصل وذوابل وتهدد وتوعد

(٤) العضب : مصدر عضبه يعضبه عضبا : قطعه ـ وهو أيضا السيف القاطع ، وصف بالمصدر ، قال أبو العلاء :

يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الرمح يمسكه لسالا

وعرته : أى أصابته ـــ والفلول : ثلم السيف ، وهي ثلمه

لَاتَشْتَغِلْ بِالْعُسْرِ وَاطْوِ مُشَمِّراً
بُسُطَ الْفَيَافِى وَالشَّبَابُ مَقِيلُ[1]

وَالْبَسْ سَوَادَ اللَّيْلِ مُرْتَدِيًا بِهِ
إِنَّ التَّجَلُّدَ لِلرِّجَالِ جَمِيلُ

حَتَّى تُنِيخَ الْعِيسَ فِى كَنَفِ الْعُلَا
حَيْثُ التَّحَرُّمُ بِالنَّجِيِّ كَفِيلُ[2]

كَنَفِ الْإِمَامِ الْقَرْمِ قُطْبِ الدِّينِ مَنْ
جَوْبُ الْفَلَا إِلَّا إِلَيْهِ فُضُولُ[3]

---

(١) المقيل : مصدر قال يقيل قيلا وقائلة وقيلولة ومقالا ومقيلا : نام فى « القائلة » أى منتصف النهار ، أو استراح فى الظهيرة ـ ويريد بكون الشباب مقيلا : أنه فى حياة المرء كالقيلولة . (٢) تنيخ : من أناخ الرجل الجمل إناخة : أبركه فى المناخ ـ والعيس : الابل البيض يخالط بياضها سمرة ، أو ظلمة خفية ، الواحد أعيس ، والواحدة عيساء . قال الشاعر :

أقول لحاديى همذان لما أثارا صرمة حمراً وعيسا

أى بيضاً ـ ويقال : هى كرائم الابل ، والعيس : لون العيس

(٣) القرم : الفحل من الابل . والمراد به هنا : السيد أو العظيم ، على التشبيه بالفحل المذكور . وقد اجتمعا كلاهما فى قول المتنبى يمدح سيف الدولة :

ولكنا نداعب منك قرما تراجعت القروم له حقاقا

أى ولكنا نمازح منك سيدا عظيما ، صارت فحول الرجال بالنسبة اليه كالنياق بالنسبة إلى فحول الجمال . وجوب الفلا : قطعها ، والفلاة ، القفر أو الصحراء الواسعة ، أو المفازة وجمعها فلا ، وفلوات وأفلاء . والفضول : التدخل فيما لايعنى

صَدْرِ الزَّمَانِ أَبِى الْعَلَاءِ سَمَيْدَعٍ (١)

غُرُّ الْمَعَالِى فِى ذُرَاهُ تَقِيلُ

وَهِىَ طَوِيلَةٌ .

وَلِمُوَفَّقِ الدِّينِ مَكِّىٍّ خَطِيبِ خُوَارِزْمَ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ فِى مَدْحِهِ . مِنْهَا :

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ فِى النَّاسِ خَالِداً

أَيَا خَيْرَ مَنْ فِى الْأَرْضِ خَالًا وَوَالِدَا

لِتَرْوِى أَحَادِيثَ النَّبِىِّ مُحَمَّدٍ

وَتُحْيِى مَسَانِيداً وَتَزْوِى مُعَانِدَا (٢)

فَهَذَا دُعَائِى بِالْحَجُونِ (٣) وَبِالصَّفَا

وَهَذَا مَرَامِى حَيْثُمَا كُنْتُ سَاجِدَا

قَالَ : وَسَمِعْتُ الثِّقَةَ يَقُولُ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ — رَضِىَ اللهُ

---

(١) السميدع : السيد الكريم ، أو الشريف أو الشجاع (٢) المسانيد جمع مسند ، وهو الحديث المسند إلى قائله — وتزوى : وتمنعه من الظهور ، والمعاند : المعارض (٣) الحجون : جبل بمكة ، والصفا جمع الصفاة ، من مشاعر مكة ، بلحف جبل أبى قبيس

عَنْهُ — يَقُولُ : لَمَّا مَاتَ فُلَانٌ « أَحَدُ أَصْدِقَائِهِ ذَكَرَ اسْمَهُ وَنَسَبَهُ » : شَقَّ عَلَىَّ مَوْتُهُ ، وَأَثَّرَ فِىَّ وَفَاتُهُ ، فَكُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَكْتُبُ كُلَّ سَنَةٍ كِتَابَ الْوَصِيَّةِ ، وَأَنَا سَمِعْتُ مِنْهُ حِينَئِذٍ صَغِيراً وَهُوَ يَقُولُ : غَدًا مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ شَهْرِ اللهِ الْأَصَمِّ[1] ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُجَدِّدَ مَعَ رَبِّى عَهْدًا ، وَهَذَا كِتَابُ وَصِيَّتِهِ :

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْقَادِرِ الْيُوسُفِىُّ ، وَهِبَةُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الشَّيْبَانِىُّ قَالَا : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِىٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِىٍّ التَّمِيمِىُّ ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْقَطِيعِىُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ، - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِىَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا حَقُّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَبِيتُ

---

(١) فى الأصل : « الأصب »

لَيلَتَينِ وَلَهُ شَيءٌ يُوصِي فِيهِ ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكتُوبَةٌ عِندَهُ » .

وَأَخبَرَنَا الشَّيخُ أَبُو القَاسِمِ ، زَاهِرُ بنُ طَاهِرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ الحَافِظُ ، أَخبَرَنَا أَبُو عُثمَانَ سَعدُ بنُ مُحَمَّدٍ البَحِيرِيُّ ، أَخبَرَنَا أَبُو الخَيرِ الحَنبَلِيُّ ، وَأَبُو بَكرٍ مُحَمَّدُ ابنُ أَحمَدَ بنِ عَقِيلٍ قَالَا : أَخبَرَنَا أَبُو بَكرٍ مُحَمَّدُ بنُ حَفصِ بنِ جَعفَرٍ ، حَدَّثَنَا إِسحٰقُ بنُ إِبرَاهِيمَ العُصَيُّ ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بنُ يَزِيدَ الأَنصَارِيُّ ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ أَبِي ذِئبٍ ، عَن نَافِعٍ ، عَنِ ابنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا - ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَن لَم يُحسِنِ الوَصِيَّةَ عِندَ المَوتِ ، كَانَ نَقصاً فِي مُرُوءَتِهِ وَعَقلِهِ » قِيلَ : وَكَيفَ يُوصِي ؟ قَالَ : يَقُولُ :

« اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرضِ ، عَالِمَ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ ، الرَّحمٰنَ الرَّحِيمَ ، إِنِّي أَعهَدُ (١) إِلَيكَ فِي دَارِ الدُّنيَا ، إِنِّي أَشهَدُ أَن لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ وَحدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً

---

(١) يقال : عهد إليه فى الأمر : تقدم ، ومنه فى سورة يس : « ألم أعهد إليكم يا بنى آدم »

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ ، وَالْحِسَابَ وَالْقَدَرَ حَقٌّ ، وَالْمِيزَانَ حَقٌّ ، وَأَنَّ الدِّينَ كَمَا وَصَفْتَ ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ كَمَا شَرَعْتَ ، وَأَنَّ الْقَوْلَ كَمَا حَدَّثْتَ ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَمَا أَنْزَلْتَ ، جَزَى اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ ، وَحَيَّا مُحَمَّدًا مِنَّا بِالسَّلَامِ :

« اللَّهُمَّ يَا عُدَّتِي(١) عِنْدَ كُرْبَتِي ، وَيَا صَاحِبِي عِنْدَ شِدَّتِي ، وَيَا وَلِيَّ نِعْمَتِي ، إِلَهِي وَإِلَهَ آبَائِي ، لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي أَقْرُبْ مِنَ الشَّرِّ ، وَأَتَبَاعَدْ مِنَ الْخَيْرِ ، فَآنِسْنِي فِي قَبْرِي مِنْ وَحْشَتِي ، وَاجْعَلْ لِي عَهْدًا يَوْمَ أَلْقَاكَ » .

ثُمَّ يُوصِي بِحَاجَتِهِ . وَتَصْدِيقُ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ ، « لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ(٢) إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا » فَهَذَا

---

(١) العدة : ما أعددته لحوادث الدهر ، من المال والسلاح ، والمراد : يا من أعتمد عليه ، وأستعين به عند المصائب (٢) فى الاصل : « لا تنفع الشفاعة » وما أثبتناه نص الكتاب

عَهْدُ الْمَيِّتِ. وَهَذِهِ وَصِيَّتُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.
وَنَقَلْتُهَا مِنْ خَطِّهِ : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا
مَا أَوْصَى بِهِ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ ، بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ
الْعَطَّارِ ، طَوْعاً فِي صِحَّةِ عَقْلِهِ وَبَدَنِهِ ، وَجَوَازِ أَمْرِهِ ، أَوْصَى
وَهُوَ يَشْهَدُ « أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي
الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ[١] مِنَ الذُّلِّ ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ » وَيَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ « أَرْسَلَهُ
بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ، لِيُظْهِرَهُ[٢] عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ
كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ
تَسْلِيماً كَثِيراً ، وَيَشْهَدُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَالنَّارَ حَقٌّ ،
وَالْبَعْثَ حَقٌّ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ[٣] فِيهَا ، وَأَنَّ

---

(١) الولى : كل من ولى أمر واحد ، فهو وليه (٢) ليظهره : ليعينه وينصره على جميع الأديان وقد فعل ما أسطع هذا وأبينه إلا من طمست بصيرته !! عبد الخالق

(٣) لا ريب : لا شك ولا تهمة

اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ » وَأَنَّهُ جَلَّ وَعَزَّ جَامِعُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي (١) ، وَيَنْفُذُهُمُ (٢) الْبَصَرُ ، وَيَشْهَدُ أَنَّ صَلَاتَهُ وَنُسُكَهُ ، وَمَحْيَاهُ وَمَمَاتَهُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرَ (٣) وَهُوَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنَّهُ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا ، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ إِخْوَانًا ، وَأَنَّهُ يَدِينُ (٤) لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَذْهَبِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ ، وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِجَمِيعِ كُتُبِهِ الْمُنَزَّلَةِ ، وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى ، وَكَلِمَاتِهِ

---

(١) الداعى : من يدعو الناس إلى الحشر . (٢) وينفذهم البصر : قيل معناه — ينفذ بصر الرحمن حتى يأتى عليهم كلهم — قال الكسائى : نفذنى بصره ينفذنى : أى بلغنى وجاوزنى — وقيل معناه : ينفذهم بصر الناظر لاستواء الصعيد

(٣) فى العماد « أمرت وأنا أول المسلمين » ونرى أن الرواية هنا أوفق لأن الاولية فى الاسلام ليست إلا للرسول ، فهى متبعة عند التلاوة مستبدل بها ما يناسب القول عند إظهار الخضوع « عبد الخالق » (٤) يدين لله . أى يتعبد — والدين عند العلماء ، وضع إلهى سائق ذوى العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل — وهذا يشمل العقائد والاعمال .

التَّامَّاتِ ، وَجَمِيعِ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَأَنْبِيَائِهِ الْمُرْسَلِينَ أَنْ[١] يُحْيِيَهُ عَلَى ذَلِكَ حَيًّا ، وَيُمِيتَهُ عَلَى ذَلِكَ إِذَا تَوَفَّاهُ ، وَأَنْ يَبْعَثَهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَأَوْصَى نَفْسَهُ وَخَاصَّتَهُ وَقَرَابَتَهُ ، وَمَنْ سَمِعَ وَصِيَّتَهُ بِتَقْوَى اللهِ ، وَأَنْ يَعْبُدُوهُ فِي الْعَابِدِينَ ، وَيَحْمَدُوهُ فِي الْحَامِدِينَ ، وَيَذْكُرُوهُ فِي الذَّاكِرِينَ ، وَلَا يَمُوتُنَّ إِلَّا وَهُمْ مُسْلِمُونَ ، وَأَوْصَى إِلَى الشَّيْخِ أَبِي مَسْعُودٍ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْخَازِنِ فِي جَمِيعِ تَرِكَتِهِ ، وَمَا يُخَلِّفُهُ بَعْدَهُ ، وَفِي قَضَاءِ دُيُونِهِ ، وَاقْتِضَاءِ دُيُونِهِ[٢] وَإِنْفَاذِ وَصَايَاهُ ، وَذَكَّرَهُ فِي ذَلِكَ بِتَقْوَى اللهِ وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ ، وَحَذَّرَهُ أَنْ يُبَدِّلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَوْ يُغَيِّرَهُ ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : « فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ، إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

وَكَتَبَ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ مُوصِيهَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ

---

(١) سقط من الاصل « أن » (٢) يقال . قضى الغريم دينه : أداه ، واقتضى منه حقه اقتضاء : أخذه وطلبه منه

الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَطَّارِ ، فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ السَّابِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي مَنْ شَهِدَ قَبْضَ رُوحِ الشَّيْخِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : كُنَّا قُعُوداً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَكُنَّا نُحِبُّ أَنْ نُلَقِّنَهُ كَلِمَةَ الشَّهَادَةِ رِعَايَةً لِلسُّنَّةِ ، وَمَعَ هَذَا كُنَّا نَخْشَى مِنْ هَيْبَتِهِ ، وَنَحْذَرُ سُوءَ الْأَدَبِ ، فَبَقِينَا مُتَحَيِّرِينَ حَتَّى قُلْنَا لِلرَّجُلِ مِنْ أَصْحَابِ الشَّيْخِ : اقْرَأْ أَنْتَ سُورَةَ يس . فَرَفَعَ الرَّجُلُ صَوْتَهُ يَقْرَأُ السُّورَةَ ، وَكُنَّا نَنْظُرُ إِلَيْهِ وَنُرَاقِبُ حَالَهُ ، فَدَهِشَ الْقَارِئُ وَأَخْطَأَ فِي الْقِرَاءَةِ ، فَفَتَحَ الشَّيْخُ عَيْنَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ ، فَسُرِرْنَا بِذَلِكَ وَحَمِدْنَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ، ثُمَّ جِيءَ إِلَيْهِ بِقَدَحٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الدَّوَاءِ ، وَوُضِعَ الْقَدَحُ عَلَى شَفَتِهِ ، فَوَلَّى وَجْهَهُ وَرَدَّ الْقَدَحَ بِفِيهِ ، وَفَتَحَ عَيْنَهُ وَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، رَافِعاً بِهَا صَوْتَهُ وَفَاضَتْ نَفْسُهُ – رَحِمَهُ اللهُ ، وَرَضِيَ عَنْهُ

وَأَرْضَاهُ ، وَجَعَلَ أَعْلَى الْجِنَانِ مَأْوَاهُ — . وَكَانَ ذَلِكَ قُبَيْلَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ [١] لَيْلَةَ الْخَمِيسِ ، التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى ، عَامَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ [٢] ، وَدُفِنَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي مَسْجِدِهِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الْإِمَامُ رُكْنُ الدِّينِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ ، الْقَائِمُ مَقَامَهُ ، وَخَلِيفَتُهُ عَلَى أَوْلَادِهِ ، وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ . — رَحِمَهُ اللهُ — .

وَالْكِتَابُ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى مَنَاقِبِهِ ، كِتَابٌ ضَخْمٌ جَلِيلٌ . وَإِنَّمَا كَتَبْتُ هَذِهِ النُّبْذَةَ [٣] لِيُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى فَضْلِهِ وَمَرْتَبَتِهِ — رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ — ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَجْمَعِينَ .

---

(١) العشاء الآخرة . وقت العشاء — وقالوا . العشاءان ، المغرب والعتمة

(٢) سنة ٥٩٩ هذه رواية العماد ، وفى الاصل : سنة ٩٦٧

(٣) النبذة : الناحية . يقال : جلس فلان نبذة أى ناحية ، وربما استعملت النبذة للقطعة من الشىء على حدة ، كالنبذة من الكتاب ، والجمع نبذ

﴿ ٣ - الْحَسَنُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي عَبَّادٍ ﴾
﴿ الْيَمَنِيُّ النَّحْوِيُّ * ﴾

الحسن بن اسحاق اليمنى

مِنْ وُجُوهِ[1] الْيَمَنِ ، كَانَ يَصْحَبُ الْفَقِيهَ يَحْيَى بْنَ أَبِي الْخَيْرِ ، وَعَمُّهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي عَبَّادٍ نَحْوِيٌّ أَيْضاً يُذْكَرُ فِي مَوْضِعِهِ . وَصَنَّفَ الْحَسَنُ هَذَا مُخْتَصَراً فِي النَّحْوِ مَشْهُوراً بِالْيَمَنِ ، يَقْرَؤُهُ الْمُبْتَدِئُونَ ، وَهُوَ قَرِيبُ الْعَهْدِ ، تُقَارِبُ وَفَاتُهُ سَنَةَ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَهُوَ الْقَائِلُ :

لَعَمْرُكَ مَا اللَّحْنُ مِنْ شِيمَتِي
وَلَا أَنَا مِنْ خَطَإٍ أَلْحَنُ

---

(١) وجوه اليمن : أشرافهم

(*) ترجم له فى كتاب بغية الوعاة صفحة ٢١٨ بما يأتى :

الحسن بن إسحاق ، أبو محمد اليمنى ، يعرف بابن أبى عباد ، وهى كنية أبيه . قال الخزرجى : إمام النحاة فى قطر اليمن ، كانت الرحلة فى علم النحو إليه ، وإلى ابن أخيه إبراهيم ، وكان الحسن هذا فاضلا مشهورا ، وصنف مختصرا فى النحو ، يدل على فضله ومعرفته ، وفيه بركة ظاهرة ، يقال إن سببها أنه ألفه تجاه الكعبة ، وكان كلما فرغ من باب طاف أسبوعاً ودعا لقارئه ، وكان موجودا فى أوائل المائة الخامسة

وله ترجمة أخرى فى كتاب أنباه الرواة ، صفحة ٢٧١

وَلَـكِنَّنِي قَدْ عَرَفْتُ الْأَنَا
مَ نُخَاطِبُ كُلًّا بِمَا يُحْسِنُ

﴿ ٤ – الْحَسَنُ بْنُ أَسَدِ بْنِ الْحَسَنِ الْفَارِقِيّ * ﴾

الحسن الفارق

أَبُو نَصْرٍ ، شَاعِرٌ رَقِيقُ [١] الْحَوَاشِي ، مَلِيحُ النَّظْمِ ، مُتَمَكِّنٌ مِنَ الْقَافِيَةِ ، كَثِيرُ التَّجْنِيسِ [٢] ، قَلَّمَا يَخْلُو لَهُ

---

(١) يقال : عيش رقيق الحواشي : ناعم رغيد ، وصاحبه منعم . ومن هنا يشبه الشعر بالعيش الناعم إذا دخل الأسماع من غير استئذان .

(٢) الجناس أو التجنيس عند علماء البديع : هو تشابه الكلمتين فى اللفظ فقط مع المماثلة التامة أو بدونها قليلا ، وهو من المحسنات اللفظية

(*) ترجم له فى كتاب أنباه الرواة ج أول صفحة ٢٥٤

هو معدن الأدب ، ومنبع كلام العرب ، فاضل مكانه ، وعلامة زمانه ، له النثر الرائع ، والنظم الذائع ، والنحو المعرب ، عن مشكل الاعراب . وله التصنيف البديع فى شرح اللمع إلى غير ذلك ، مما ليس لأديب فى مثله طمع ، كان فى زمان نظام الملك الحسن بن إسحاق الطوسى الوزير والسلطان ملك شاه ، وكان مستولياً على آمد فى ديوانها ، متولياً لجباية أموالها ، وقبض عليه وصودر ، وتوسط الطبيب الكامل فى خلاصه ، والتنبيه على مكانته من الفضل ، وشعره سائر فى الآفاق ، تتناشده الرفاق

أخبرنا أبو طاهر السلفى فى إجازته العامة ، أنشدنى أبو الحسن على بن السند الفارق الشروطى بميافارقين . أنشدنا أبو نصر الحسن بن أسد الفارق النحوى لنفسه :

يا من هواه بقلبي مقداره ما يحد

وجدت له ما صورته :

الحسن بن أسد ، بن الحسن ، أبو نصر الفارق ، النحوى الشاعر ، من أهل ميا فارقين ، وكان ذا أدب غزير ، وفضل كثير ، وله كتاب شرح اللمع ، أجاد فيه وزاد ، وأورد زائدا عن المراد ، وإذا أنعم الناظر فيه النظر ، وجده قد شرح كلام ابن جنى —

بَيْتٌ مِنْ تَصْنِيعٍ (١) وَإِحْسَانٍ وَبَدِيعٍ . كَانَ فِي أَيَّامِ نِظَامِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ مَلِكْشَاه ، وَشَمِلَهُ مِنْهُمَا الْجَاهُ (٢) ، تخلَصَهُ الْكَامِلُ الطَّبِيبُ (٣) فِي أَيَّامِ (٤) نِظَامِ الْمُلْكِ ، بَعْدَ

— المجموع بكلام المبسوط ، وأوجز فى العبارة ، حتى صار كالاشارة ، وإذا أردت تحقيق هذا فانظر كلامه فيه على الكلام والقول تجده قد اختار ما ورد فى صدر كتاب الخصائص ، وإذا نظرت الى كلامه فى العوامل ، وجدته قد اختار الكلام على الحروف فى سر الصناعة ، ومن أين لابن أسد ، فى ميا فارقين ، الا ما ينقله من كتب المصنفين . وانما هي من تصنيف أبى سعيد ، وبعض تصانيف ابن جنى ، وليس ذلك بقليل ، فانه نقل شرح أبى سعيد بخطه وهو فيما بلغنى وقف بخزانة جامع ميا فارقين ، وكان فى زمن نظام الملك وملك شاه ، قد تولى الديوان بآمد ، وأساء التدبير فيه ، لكهولته وتداخله لخفق معه ، واعتقل ، الى أن شفع فيه طبيب كان حظيا بحضرة ملك شاه ، فأطلق سراحه ، وانتقل إلى ميا فارقين ، وقد باضت الرياسة فى رأسه ، وفرخت ، وجرت بميا فارقين حركة جلب لأجلها متولّ من قبل السلطان ، فاجتمع أهل المدينة على من يولونه ، واجتمع رأيهم على رجل من بيت آل نباتة الخطباء ، ليتولى الاصلاح بين متخاصمين ، فأقام أياماً ، ثم رأى الامر لا يستقر على ما هو عليه ، فاعتزل الأمر ولزم منزله ، فتهيأ لها ابن أسد الفارق ، فنزل القصر بها ، وحكم وما أحكم ، وجرت أحوال قضت له بالانفصال على غير جميل ، وخاف سطوة السلطان ، فخرج منها إلى —

(١) صناعة التنويع عند البديعيين ، أن يذكر المتكلم موصوفاً ، ثم يفرع عليه فى التشبيه أنواعاً متعددة كقول الشاعر :

وإذا تفتق نور شعرك ناضرا ... فالحسن بين مرصع ومصرع
كالزهر أو كالسحر أو كالبدر أو ... كالوشى فى برد عليه موشع

(٢) يظهر أن المراد بالجاه السطوة والاستبداد

(٣) الطبيب فى الاصل : لم تذكر ، ولكنها ذكرت فى بغية الوعاة فزدناها لذلك

(٤) كان ابو سالم الطبيب مستولياً على آمد فى أيام ناصر الدولة . فلعل جملة « تخلصه الكامل الطبيب » موضعها « بعد الجاه » كما ذكرناها

أَنْ قَبَضَ عَلَيْهِ وَأَسَاءَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ مُسْتَوْلِيًا عَلَى آمِدَ وَأَعْمَالِهَا ، مُسْتَبِدًّا بِاسْتِيفَاءِ أَمْوَالِهَا . وَكَانَ نَحْوِيًّا

— حلب وأقام مدة ، ثم حمله حب الرياسة والوطن ، فعاد طالباً لها ، ولما حصل بحران ، قبض عليه نائب السلطان وشنقه .

ومن أعجب ما اتفق ، أنه قال عند عزمه على المسير من حلب أبياتاً كانت طيرة عليه ، وهي :

لو ان قلبك لما قيل قد بانوا	يوم النوى صخره صماء صوان
لعيل صبرك مغلوباً ونم بما	أخفيته مدمعاً للسر صوان
زجرت أشياء فى أشياء تشبهها	إذ بينهن رضاعات وألبان
فقال لى الطلح يوم طالح ونوى	وحقق البين عندى ما وأى البان
واستحلبت حلب جفنى فانحلبا	وبشرتنى بحز القتل حزان
فالجفن من حلب ما انفك من حلب	والقلب بعدك من حران حران

وكان قتله بحران ، فى شهور سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وله أشعار كثيرة ومقطعات يعتمد فى أكثرها التجنيس ، الى أن صار له بذلك أنسة تامة ، وعناية عامة ، وله كتاب فى الألغاز مشهور ، وكان عزباً مدة عمره يكره النسل ، ومما يحكى من لوثته : أنه كان اذا رأى صغيرا قد لبس ، وزين واجتيز به عليه ، يبالغ فى سب أبويه ويقول : هما عرضاه لى يرغبانى فى مثله . ومن لوثته أيضا ما حكى عنه أهل بلده ، وهو أنه كان يجلس فى دهليز له إلى جانب شباك يشرف على الطريق المسلوك ، فسمع ليلة رجلا سكران ينشد نصف بيت من السكان وكان وهو .

غسلت له فتركت له ما جاء إلى ولا التفت

وانتظر ابن أسد إتمام البيت فلم يتمه ، وسار فى قصده ، فخرج ابن أسد يخب فى الطين والظلمة والمزاريب على رأسه ، وهو يسير خلفه يسمع تمام البيت ، فسار طويلا واتفق أن السكران زلق ووقع ، فقال عند وقوعه :

مشى يعجب وخطوه زلق وقع فى الطين

فقال له : يا ظالم ، كنت قلت هذا من قريب ، ثم رجع . يريد أن يقول : إن الذى قلته ليس بشىء : ليتنى ما تعبت ، ولا تحملت ما تحملت . « عبد الخالق »

رَأْساً [١] وَإِمَاماً فِى اللُّغَةِ يُقْتَدَى بِهِ . وَصَنَّفَ فِى الْآدَابِ تَصَانِيفَ تَقُومُ لَهُ مَقَامَ شَاهِدَىْ عَدْلٍ بِفَضْلِهِ ، وَعِظَمِ قَدْرِهِ . مِنْهَا : كِتَابُ شَرْحِ اللُّمَعِ كَبِيرٌ كِتَابُ الْإِفْصَاحِ فِى شَرْحِ أَبْيَاتٍ مُشْكِلَةٍ .

حَدَّثَنِى الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُوَفَّقُ الدِّينِ أَبُو الْبَقَاءِ يَعِيشُ ابْنُ عَلِىِّ بْنِ يَعِيشَ النَّحْوِىُّ قَالَ : حَدَّثَنِى قَاضِى عَسْكَرِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِىٍّ قَالَ : قَدِمَ عَلَى ابْنِ مَرْوَانَ صَاحِبِ دِيَارِ بَكْرٍ شَاعِرٌ مِنَ الْعَجَمِ يُعْرَفُ بِالْغَسَّانِىِّ . وَكَانَ مِنْ عَادَةِ ابْنِ مَرْوَانَ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِ شَاعِرٌ يُكْرِمُهُ وَيُنْزِلُهُ ، وَلَا يَجْتَمِعُ بِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِيَسْتَرِيحَ مِنْ سَفَرِهِ ، وَيُصْلِحَ شِعْرَهُ ، ثُمَّ يَسْتَدْعِيهِ . وَاتَّفَقَ أَنَّ الْغَسَّانِىَّ لَمْ يَكُنْ أَعَدَّ شَيْئاً فِى سَفَرِهِ ، ثِقَةً بِقَرِيحَتِهِ ، فَأَقَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْهِ بِعَمَلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ يُسْتَدْعَى وَلَا يَلِيقُ أَنْ يَلْقَى الْأَمِيرَ بِغَيْرِ مَدِيحٍ ، فَأَخَذَ

---

(١) نحو يا رأسا : أى رئيساً فى علم النحو

قَصِيدَةً مِنْ شِعْرِ ابْنِ أَسَدٍ لَمْ يُغَيِّرْ فِيهَا إِلَّا اسْمَهُ [1] .
وَعَلِمَ ابْنُ مَرْوَانَ بِذَلِكَ ، فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : يَجِيءُ هَذَا الْعَجَمِيُّ فَيَسْخَرُ مِنَّا ؟ ثُمَّ أَمَرَ بِمُكَاتَبَةِ ابْنِ أَسَدٍ ، وَأَمَرَ أَنْ يَكْتُبَ الْقَصِيدَةَ بِخَطِّهِ وَيُرْسِلَهَا إِلَيْهِ ، فَخَرَجَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ ، فَأَنْهَى [2] الْقَضِيَّةَ إِلَى الْغَسَّانِيِّ وَكَانَ هَذَا بِآمِدَ .
وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ جَلْدٌ [3] فَكَتَبَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى ابْنِ أَسَدٍ كِتَابًا يَقُولُ فِيهِ : إِنِّى قَدِمْتُ عَلَى الْأَمِيرِ ، فَأُرْتِجَ [4] عَلَىَّ قَوْلُ الشِّعْرِ مَعَ قُدْرَتِى عَلَيْهِ ، فَادَّعَيْتُ قَصِيدَةً مِنْ شِعْرِكَ اسْتِحْسَانًا لَهَا وَعَجَبًا بِهَا ، وَمَدَحْتُ بِهَا الْأَمِيرَ . وَلَا أُبْعِدُ أَنْ تُسْأَلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ سُئِلْتَ فَرَأْيُكَ الْمُوَفَّقُ فِى الْجَوَابِ .
فَوَصَلَ غُلَامُ الْغَسَّانِيِّ قَبْلَ كِتَابِ ابْنِ مَرْوَانَ ، فَجَحَدَ ابْنُ أَسَدٍ أَنْ يَكُونَ عَرَفَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ، أَوْ وَقَفَ عَلَى قَائِلِهَا

---

(١) لعله سقط من الكلام جملة : وعلم الخ وقد جئنا بها لينتظم القول .
(٢) انهى اليه الخبر : أبلغه اليه فانتهى إليه وتناهى : أى بلغ
(٣) رجل جلد : أى صلب قوى : من الجلد والجلادة ، أى الصلابة
(٤) أرتج عليه : على ما لم يسم فاعله : أى لم يقدر على الكلام أو القراءة من أرتج الباب ، أغلقه

قَبْلَ هذَا . فَلَمَّا وَرَدَ الْجَوَابُ عَلَى ٱبْنِ مَرْوَانَ ، عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ وَأَسَاءَ إِلَى السَّاعِي وَشَتَمَهُ وَقَالَ : إِنَّمَا قَصَدْتُكُمْ فَضِيحَتِي بَيْنَ الْمُلُوكِ ، وَإِنَّمَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى هذَا الْفِعْلِ الْحَسَدُ مِنْكُمْ لِمَنْ أُحْسِنُ إِلَيْهِ ؟ ثُمَّ زَادَ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى الْغَسَّانِيِّ ، وَانْصَرَفَ إِلَى بِلَادِهِ ، فَلَمْ يَمْضِ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا مُدَيْدَةٌ (١) حَتَّى ٱجْتَمَعَ أَهْلُ مَيَّافَارِقِينَ إِلَى ٱبْنِ أَسَدٍ ، وَدَعَوْهُ إِلَى أَنْ يُؤَمِّرُوهُ (٢) عَلَيْهِمْ ، وَيُسَاعِدُوهُ عَلَى الْعِصْيَانِ ، وَإِقَامَةِ الْخُطْبَةِ لِلسُّلْطَانِ مَلِكْشَاهَ وَحْدَهُ ، وَإِسْقَاطِ ٱسْمِ ٱبْنِ مَرْوَانَ مِنَ الْخُطْبَةِ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ ٱبْنَ مَرْوَانَ ، فَحَشَدَ لَهُ وَنَزَلَ عَلَى مَيَّافَارِقِينَ مُحَاصِراً فَأَعْجَزَهُ أَمْرُهَا ، فَأَنْفَذَ إِلَى نِظَامِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ يَسْتَمِدُّهُمَا (٣) ، فَأَنْفَذَا إِلَيْهِ جَيْشاً وَمَدَداً مَعَ الْغَسَّانِيِّ الشَّاعِرِ الْمَذْكُورِ آنِفاً ، وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ عِنْدَ نِظَامِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ ، وَصَارَ مِنْ أَعْيَانِ

---

(١) مديدة تصغير مدة : وهي المدة القصيرة (٢) أن يؤمروه : أى يجعلوه أميرا عليهم يتولى شؤونهم (٣) يستمدهما : يطلب منهما مددا

الدَّوْلَةِ ، وَصَدَقُوا فِى الزَّحْفِ عَلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى أَخَذُوهَا عَنْوَةً ، وَقُبِضَ عَلَى ابْنِ أَسَدٍ ، وَجِيءَ بِهِ إِلَى ابْنِ مَرْوَانَ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ ، فَقَامَ الْغَسَّانِىُّ وَشَدَّدَ الْعِنَايَةَ فِى الشَّفَاعَةِ فِيهِ ، فَامْتَنَعَ ابْنُ مَرْوَانَ امْتِنَاعًا شَدِيداً مِنْ قَبُولِ شَفَاعَتِهِ وَقَالَ : إِنَّ ذَنْبَهُ وَمَا اعْتَمَدَهُ مِنْ شَقِّ الْعَصَا ، يُوجِبُ أَنْ يُعَاقَبَ عُقُوبَةَ مَنْ عَصَى ، وَلَيْسَ عُقُوبَةٌ غَيْرُ الْقَتْلِ . فَقَالَ : بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ مَا يُوجِبُ قَبُولَ شَفَاعَتِي فِيهِ ، وَأَنَا أَتَكَفَّلُ بِهِ أَلَّا يَجْرِىَ مِنْهُ بَعْدُ شَىْءٌ يُكْرَهُ . فَاسْتَحْيَى مِنْهُ وَأَطْلَقَهُ لَهُ ، فَاجْتَمَعَ بِهِ الْغَسَّانِىُّ وَقَالَ لَهُ : أَتَعْرِفُنِى ؟ قَالَ : لَا وَاللهِ ، وَلَكِنَّنِي أَعْرِفُ أَنَّكَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ ، مَنَّ اللهُ بِكَ عَلَىَّ لِبَقَاءِ مُهْجَتِي[1] . فَقَالَ لَهُ : أَنَا الَّذِى ادَّعَيْتُ قَصِيدَتَكَ وَسَتَرْتَ عَلَىَّ ، وَمَا جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ . فَقَالَ ابْنُ أَسَدٍ : مَا رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِقَصِيدَةٍ جُحِدَتْ فَنَفَعَتْ صَاحِبَهَا

(١) أى روحى — والمهجة : الدم ، وقيل : دم القلب خاصة ، والمراد هنا : بقاء حياتى

أَكْثَرَ مِنْ نَفْعِهَا إِذَا أُدِّعَاهَا غَيْرَ هَذِهِ . ـ فَجَزَاكَ اللهُ عَنْ مُرُوءَتِكَ خَيْراً ـ ، وَانْصَرَفَ الغَسَّانِيُّ مِنْ حَيْثُ جَاءَ .

وَأَقَامَ ابْنُ أَسَدٍ مُدَّةً سَاءَتْ حَالُهُ ، وَجَفَاهُ إِخْوَانُهُ ، وَعَادَاهُ أَعْوَانُهُ ، وَلَمْ يُقْدِمْ أَحَدٌ عَلَى مُقَارَبَتِهِ وَلَا مُرَافَدَتِهِ [1] ، حَتَّى أَضَرَّ بِهِ العَيْشُ ، فَعَمِلَ قَصِيدَةً مَدَحَ بِهَا ابْنَ مَرْوَانَ ، وَتَوَصَّلَ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَقَفَ ابْنُ مَرْوَانَ عَلَيْهَا غَضِبَ وَقَالَ : مَا يَكْفِيهِ [2] أَنْ يَخْلُصَ مِنَّا رَأْساً بِرَأْسٍ ، حَتَّى يُرِيدَ مِنَّا الرِّفْدَ وَالمَعِيشَةَ ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي بِنَفْسِهِ ، فَاذْهَبُوا بِهِ فَاصْلُبُوهُ ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَلَبُوهُ ، ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ .

وَمِنْ شِعْرِ الحَسَنِ بْنِ أَسَدٍ الفَارِقِيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ :

بِنْتُمْ فَمَا كَحَلَ الكَرَى [3]

لِي بَعْدَ وَشْكِ [4] البَيْنِ عَيْنَا

---

(١) مرافدته : أى معاونته ومساعدته ، من الارفاد ، وهو الاعانة والاعطاء

(٢) فى العماد : « ما يكفيه » ، وفى الاصل : « لا يكفيه » (٣) فى الاصل : « الكرى »

(٤) وشك البين : سرعة الفراق والعين هنا العضو المعروف

وَلَقَدْ غَدَا [١] كَاَفِي بِكُمْ

أُذُنًا عَلَىَ لَكُمْ وَعَيْنَا [٢]

فَأَسَلْتُ بَعْدَ فِرَاقِكُمْ

مِنْ نَاظِرِى بِالدَّمْعِ عَيْنَا [٣]

فَحَكَتْ مَدَامِعُهَا الْغِزَا

رُ مِنَ الْغُيُومِ الْغُرِّ عَيْنَا [٤]

جَادَتْ عَلَى أَثَرٍ شَفَى

عَيْنًا [٥] لَهُمْ لَمْ تَلْقَ عَيْنَا [٦]

مِنْ كُلِّ وَاضِحَةِ التَّرَا

ئِبِ [٧] سَهْلَةِ الْخَدَّيْنِ عَيْنَا [٨]

---

(١) غدا : أى صار ، وكلفى : أى حي لكم حبا شديدا

(٢) أى رقيب (٣) أى عين الماء (٤) أى السحاب

(٥) أى أقر عيناً من الشفاء بالنظر ، ولهم راجع لأثر ، وضمير لهم راجع للاحبة

(٦) أى الانسان (٧) الترائب : عظام الصدر ، جمع تريبة

(٨) أى « واسعة العينين » وأصلها عيناء بالمد قصرت للشعر

غَرَّاءَ تَحْسَبُ وَجْهَهَا
لِلشَّمْسِ حِينَ تَرَاهُ عَيْنَا (١)

أَمْسَيْتُ فِي حُبِّي لَهَا
عَبْدًا أُضَامُ وَكُنْتُ عَيْنَا (٢)

لَا قَرَّ رَكْبٌ (٣) بِالرَّكَا
ئِبِ إِذْ بِهِنَّ سَرَيْنَ عَيْنَا (٤)

غَاظَ (٥) الْحَسُودَ لَنَا الْوِصَا
لُ فَلَا — رَعَاهُ اللَّهُ — عَيْنَا (٦)

فَذَمَمْتُ حَرْفًا عَايَنَتْ
عَيْنَايَ فِي أُولَاهُ عَيْنَا (٧)

(١) أى شعاعا فمن معانى العين شعاع الشمس (٢) أى سيداً

(٣) فى الاصل : « ولا حركت ركب بالركاب » وأصلحت إلى ما ترى

(٤) أى جماعة (٥) فى الاصل : « غار » وفى العماد : « عاب » ولا رعاه الله ، جملة دعائية تقال فى الذم ، أى لا حفظه الله

(٦) يريد رعياً ، فالعين : الرعى ، من انابة إسم الذات عن المصدر

(٧) العين هنا : الحرف المعروف ، والحرف فى البيت : الكلمة ، وانما ذمه ، لأنه يذكره بالعين الذى هو الرقيب « عبد الخالق »

كَانَتْ تُنَاصِفُنَا (١) بِصَا

فِى الْوُدِّ لَا وَرِقًا وَعَيْنَا (٢)

لَهْفِى (٣) وَقَدْ أَبْصَرْتُ فِى

مِيزَانِ ذَاكَ الْوَصْلِ عَيْنَا (٤)

كَمْ مِنْ أَخٍ فِينَا وَعَى

مَا لَمْ نَكُنْ فِيهِ وَعَيْنَا (٥)

وَمُصَاحِبٍ صَنَفْتُ فِى

غَدَرَاتِهِ لِلْعَيْنِ عَيْنَا (٦)

وَقَالَ فِى الشَّمْعَةِ :

وَنَدِيمَةٍ (٧) لِى فِى الظَّلَامِ وَحِيدَةٍ

مِثْلِى مُجَاهِدَةٍ كَمِثْلِ جِهَادِى

---

(١) تناصفنا : أى تقاسمنا . والورق : الفضة (٢) أى ذهب (٣) لهفى : كلمة يتحسر بها على ما فات (٤) أى نقصان (٥) أى سمعنا (٦) يريد : ورب صاحب كثير الغدر ، صنعت فى أفعاله عيناً آخر ، أى كتاباً آخر مثل كتاب العين للخليل « عبد الخالق » (٧) النديم والنديمة : المنادم على الشرب ، أو الرفيق والصاحب ، من المنادمة ، والجمع ندام ، وندماء ، وندمان .

فَاللَّوْنُ لَوْنِي ، وَالدُّمُوعُ كَأَدْمُعِي

وَالْقَلْبُ قَلْبِي ، وَالسُّهَادُ سُهَادِي

لَا فَرْقَ فِيمَا بَيْنَنَا لَوْ لَمْ يَكُنْ

لَهَبِي خَفِيًّا وَهْوَ مِنْهَا بَادِي

وَلَهُ أَيْضًا :

أَرِيقًا مِنْ رُضَابِكَ (١) أَمْ رَحِيقًا

رَشَفْتُ فَلَسْتُ مِنْ سُكْرِي مُفِيقَا

وَلِلصَّهْبَاءِ أَسْمَاءٌ وَلَكِنْ

جَهِلْتُ بِأَنَّ فِي الْأَسْمَاءِ رِيقَا

حَمَتْنِي عَنْ حُمَيَّا (٢) الْكَأْسِ نَفْسٌ

إِلَى غَيْرِ الْمَعَالِي لَنْ تَتُوقَا

وَمَا تَرْكِي لَهَا شُحٌّ وَلَكِنْ

طَلَبْتُ فَمَا وَجَدْتُ لَهَا صَدِيقَا

---

(١) الرضاب : الريق المرشوف . والرشف : المص بالشفتين . والرحيق : الخمر . ومفيق ، من أفاق السكران من سكره : صحا (٢) الحميا : سورة الخمر ، والخمر نفسها ، ومن كل شيء : شدته وأوله . يقال : هو شديد الحميا : أي عزيز النفس أبي

وَلَهُ أَيْضاً :

وَإِخْوَانٍ بَوَاطِنُهُمْ قِبَاحٌ
وَإِنْ كَانَتْ ظَوَاهِرُهُمْ مِلَاحَا[(١)]

حَسِبْتُ مِيَاهَ وُدِّهِمُ عِذَاباً[(٢)]
فَلَمَّا ذُقْتُهَا كَانَتْ مِلَاحَا

وَلَهُ أَيْضاً :

وَوَقْتٍ غَنِمْنَاهُ مِنَ الدَّهْرِ مُسْعِدٍ
مُعَارٍ[(٣)]، وَأَوْقَاتُ السُّرُورِ عَوَارِى

مَعَانِيهِ مِمَّا نَبْتَغِيهِ جَمِيعُهَا
كَوَاسٍ[(٤)] وَمِمَّا لَا نُرِيدُ عَوَارِى

أَدَارَ عَلَيْنَا الْكَاسَ فِيهِ ابْنُ أَرْبَعٍ
وَعَشْرٍ لَهُ بِالْكَاسِ أَىُّ مَدَارِ!

(١) ملاحا : جمع مليح أى حسن ، ويقال : ملح الشىء يملح من باب ظرف ، أى حسن ، فهو مليح وملاح (٢) عذابا : جمع عذب ، وهو الماء الطيب ، وبابه سهل وملاحا : جمع ملح ، وهو ضد العذب (٣) معار : من العارية : يقال : أعاره الشىء : أعطاه إياه عارية (٤) كواس : جمع كاسية ، والكاسى ذو الكسوة خلاف العارى — وهو مستعار لتحليه بالأخلاق والمحاسن وضروب الجمال مما يبتغيه المحب ، مع خلوه من كل ما يشينه

تَنَاوَلْتُهَا مِنْهُ بِكَفٍّ كَأَنَّمَا
أَنَامِلُهَا تَحْتَ الزُّجَاجِ مَدَارِي

وَلَهُ أَيْضاً :

تَيَّمَ (١) قَلْبِي شَادِنٌ أَغْيَدُ
مُمَلَّكٌ (٢) فَالنَّاسُ لَهُ أَعْبُدُ
لَوْ جَازَ أَنْ يُعْبَدَ فِي حُسْنِهِ
وَظَرْفِهِ (٣) كُنْتُ لَهُ أَعْبُدُ

وَلَهُ أَيْضاً :

هَوِيتُ بَدِيعَ الْحُسْنِ لِلْغُصْنِ قَدُّهُ (٤)
وَلِلظَّبْيِ عَيْنَاهُ وَخَدَّاهُ لِلْوَرْدِ

---

(١) تيم من التيم بالفتح : وهو ذهاب العقل وفساده من الهوى . والشادن : الظبي إذا قوى واستغنى عن أمه. والأغيد : الناعم المتثنى ، ومنه الغادة ، المرأة اللينة البينة الغيد .

(٢) هكذا فى العماد ، وبالاصل : « يملك » وأعبد ، جمع عبد : ضد الحر ، والبيت كله على المجاز (٣) الظرف : الكياسة والعقل ، وأعبد ، فعل مضارع من العبادة

(٤) أى القامة والتقطيع

غَزَالٌ مِنَ الْغِزْلَانِ لَـٰكِنْ أَخَافُهُ
وَإِنْ كُنْتُ مِقْدَاماً[١] عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ

وَلَهُ أَيْضاً :

وَلُرُبَّ دَانٍ مِنكَ يُكْرَهُ قُرْبُهُ
وَتَرَاهُ وَهُوَ عَنَاءُ[٢] عَيْنِكَ وَالْقَذَى
فَاعْرِفْ وَخَلِّ مُجَرِّباً[٣] هٰذَا الْوَرَى
وَاتْرُكْ لِقَاءَكَ ذَا كَفَافاً وَالْقَ ذَا

وَلَهُ أَيْضاً :

أَيَا لَيْلَةً زَارَ فِيهَا الْحَبِيبُ
أَعِيدِى لَنَا مِنكِ وَصْلاً وَعُودِى
فَإِنِّى شَهِدْتُكِ مُسْتَمْتِعاً
بِهِ بَيْنَ رَنَّةِ نَايٍ وَعُودِ

(١) المقدام والمقدامة : الرجل الكثير الأقدام على العدو . والورد : الجرى . والورد أيضاً الأسد فيكون توكيداً بالمرادف (٢) وفى الاصل : « غشاء » وفى العماد : « عشا » (٣) مجربا حال فهو يقول : اعرف وتخل حال كونك مجربا وهكذا كفافا من الشطر الثانى فيقول : اترك والق حال كونك معطياً المثل بالمثل

وَطِيبِ حَدِيثٍ كَزَهْرِ الرِّيَاضِ
تَضَوَّعَ (١) مَا بَيْنَ مِسْكٍ وَعُودِ

سَقَتْكِ الرَّوَاعِدُ (٢) مِنْ لَيْلَةٍ
بِهَا أُخْضَرَ يَابِسُ عَيْشِي وَعُودِي

وَفِى (٣) لِي بِوَعْدٍ وَلَا تُخْلِفِيهِ
إِخْلَافَ دَهْرٍ بِهِ فِي وُعُودِي

فَلَمَّا تَقَضَّيْتِ أَمْرَضْتِنِي
فَزُورِي مَرِيضَكِ يَوْمًا وَعُودِي (٤)

وَلَهُ أَيْضًا :

يَا مَنْ حَكَى ثَغْرُهُ الدُّرَّ النَّظِيمَ (٥) وَمَنْ
تَخَالُ أَصْدَاغَهُ السُّودَ الْعَنَاقِيدَا

---

(١) تضوع : أى فاح وقوله : ما بين مسك وعود : المراد بالعود هنا : ضرب من الطيب يتبخر به (٢) وقوله : سقتك الرواعد : الخ : جمع راعدة : وهي السحابة ذات الرعد وقوله : إخضر يابس عودى الخ : يريد به الغصن بعد أن يقطع .

(٣) فى : فعل أمر من وفى يفى ، مسند إلى ياء المخاطبة ، من الوفاء بالوعد ، وقوله : فى وعودى جمع وعد : متعلق بإخلاف (٤) وعودى من عاد المريض يعوده إذا زاره

(٥) النظيم : المنظوم المنسق ، والأصداغ جمع صدغ : وهو الشعر المتدلى على مابين العين والأذن وللانسان صدغان ـ والسود العناقيد ، من تقديم الصفة على الموصوف والعناقيد جمع عنقود : العنب . ولايخفى مافى هذا التشبيه من الجمال والوسامة وحسن الطلعة .

إِعْطِفْ عَلَى مُسْتَهَامٍ[١] ضُمَّ مِنْ أَسَفٍ
عَلَى هَوَاكِ وَفِي حَبْلِ الْعَنَا قِيدَا

وَلَهُ أَيْضاً :

بِنْتُمْ[٢] فَمَا لَحَظَ الطَّرْفُ الْوَلُوعُ بِكُمْ
شَيْئاً يُسَرُّ بِهِ قَلْبِي وَلَا لَمَحَا

فَلَوْ مَحَا فَيْضُ[٣] دَمْعٍ مِنْ تَكَاثُرِهِ
إِنْسَانَ عَيْنٍ إِذاً إِنْسَانَهُ لَمَحَا

وَلَهُ أَيْضاً :

أَيَا كَمْ أُعَانِي الْوَجْدَ فِي كُلِّ صَاحِبٍ
وَلَسْتُ أَرَاهُ لِي كَوَجْدِي وَاجِدَا

---

(١) المستهام : الذى ذهب فؤاده ، وخلب عقله من الحب أو غيره ، فهو مستهام الفؤاد .
والعنا : المشقة وقصر للضرورة ، وقيدا : صيغة المجهول بمعنى انقاد أى صار منقاداً

(٢) بنتم : من البين ، وهو الفراق ـ ولحظه من اللحظ : وهو النظر بمؤخر العين . ولمح
من اللمح : وهو النظر الخفيف . (٣) وفيض دمع : أى دمع كثير يفيض من كثرته .
من إضافة الصفة إلى الموصوف يريد أن فيض الدمع إذا نجم منه ذهاب إنسان العين ،
لكان ذلك الدمع ماحياً إنسان عينى

إِذَا كُنْتُ ذَا عُدْمٍ تَحَزَّبَ مُجَانِبٌ

وَتَلْقَاهُ لِي سِلْمًا إِذَا كُنْتُ وَاجِدَا

أُحَاوِلُ فِي دَهْرِي خَلِيلًا مُصَافِيًا

وَهَيْهَاتَ خِلًّا صَافِيًا لَسْتُ وَاجِدَا (١)

وَلَهُ أَيْضًا :

بَعُدْتَ فَأَمَّا الطَّرْفُ مِنِّي فَسَاهِدٌ (٢)

لِشَوْقِي وَأَمَّا الطَّرْفُ مِنْكَ فَرَاقِدُ

فَسَلْ عَنْ سُهَادِي أَنْجُمَ اللَّيْلِ إِنَّهَا

سَتَشْهَدُ لِي يَوْمًا بِذَاكَ الْفَرَاقِدُ

قَطَعْتُكَ إِذْ أَنْتَ الْقَرِيبُ لِشِقْوَتِي

وَوَاصَلَنِي قَوْمٌ إِلَيَّ أَبَاعِدُ

فَيَا أَهْلَ وُدِّي إِنْ أَبَى وَعْدَ قُرْبِنَا

زَمَانٌ ، فَأَنْتُمْ لِي بِهِ إِنْ أَبَى عِدُوا (٣)

---

(١) فاعل هيهات مقدر : وخليلا مصافيا مفعول بواجدا التي هي خبر ليس «عبد الخالق»

(٢) ساهد : من السهاد وهو الأرق ، وضده راقد ـ والفراقد جمع فرقد ، والفرقدان : نجمان قريبان من القطب (٣) يا أحبائي : أنتم لي بدل الزمان ، فإن أبى أن يعدني بقربهم فعدوا ، فانظر أساوب البيت وما فيه من شبه التعقيد «عبد الخالق»

وَلَهُ أَيضاً :

لَا يَصْرِفُ الْهَمَّ إِلَّا شَدْوُ مُحْسِنَةٍ
أَوْ مَنْظَرٌ حَسَنٌ تَهْوَاهُ أَوْ قَدَحُ[1]

وَالرَّاحُ لِلْهَمِّ أَنْفَاهَا نُخُذْ طَرَفاً
مِنْهَا وَدَعْ أُمَّةً فِي شُرْبِهَا قَدَحُوا[2]

بِكْرٌ تَخَالُ إِذَا مَا الْمَزْجُ[3] خَالَطَهَا
سُقَاتَهَا أَنَّهُمْ زَنْداً بِهَا قَدَحُوا

وَلَهُ أَيضاً :

بَعُدْتَ فَقَدْ أَضْرَمْتَ مَا بَيْنَ أَضْلُعِي
بِبُعْدِكَ نَاراً شَجْوُ قَلْبِي وَقُودُهَا

وَكَلَّفْتُ نَفْسِي قَطْعَ بَيْدَاءَ لَوْعَةً
تَكِلُّ بِهَا هُوجُ[4] الْمَهَارِي وَقُودُهَا

---

(١) القدح : الكأس (٢) وقدحوا من القدح : وهو الطعن (٣) فى الأصل « ما المدح » وقدحوا الأخيرة من قدح الزند : إذا رام الإيراء به (٤) هوج : جمع هوجاء : وهى الناقة المسرعة ، كأن بها هوجا . وقوله : المهارى . جمع مهرية : وهى إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان ، وهى نجائب سريعة تسبق الخيل ، والقود جمع قوداء . وهى السهلة القياد. ولوعة مفعول لأجله لكلف وجملة تكل صفة اللوعة

وَلَهُ أَيْضاً :

تَجَلَّدْ عَلَى الدَّهْرِ وَاصْبِرْ لِكُلِّ مَا

عَلَيْكَ الْإِلٰهُ مِنَ الرِّزْقِ أَجْرَى [١]

وَلَا يُسْخِطَنَّكَ صَرْفُ الْقَضَاء

فَتَعْدَمَ إِذْ ذَاكَ حَظًّا [٢] وَأَجْرَا

فَمَا زَالَ رِزْقُ امْرِىءٍ طَالِبٍ

بَعِيداً إِلَيْهِ دُجَى اللَّيْلِ يُسْرَى [٣]

تَوَقَّعْ إِذَا ضَاقَ أَمْرٌ عَلَيْ

كَ خَيْراً فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرَا

وَلَهُ أَيْضاً :

قَدْ كَانَ قَلْبِي صَحِيحاً كَالْحَمَى زَمَناً

فَمُذْ أَبَاحَ [٤] الْهَوَى مِنْهُ الْحِمَى مَرِضَا

فَكَمْ سَخِطْتُ عَلَى مَنْ كَانَ شِيمَتُهُ

وَقَدْ أَبْحَتُ [٥] لَهُ فِيكَ الْحِمَامَ رِضَا

(١) أجرى عليه الرزق : أفاضه وعينه (٢) والحظ : النصيب ، والأجر : المكافأة والإثابة (٣) ويسرى : من السرى : وهو السير ليلا

(٤) في الأصل : « باح » وأصلحت (٥) أبحتك الشيء : أي أحللته لك . والحمام : الموت

يَامَنْ إِذَا فَوَّقَتْ[١] سَهْمًا لَوَاحِظُهُ
أَضْحَى لَهَا كُلُّ قَلْبٍ قُلَّبٍ غَرَضَا

أَنَا الَّذِى إِنْ يَمُتْ حُبًّا يَمُتْ أَسَفًا
وَمَا قَضَى فِيكِ مِنْ أَغْرَاضِهِ غَرَضَا

أُلْبِسْتُ ثَوْبَ سَقَامٍ فِيهِ صَارَ لَهُ
جِسْمِى لِرِقَّتِهِ مِنْ سُقْمِهِ حَرَضَا[٢]

وَصِرْتُ وَقْفًا عَلَى هَمٍّ يُجَاذِبُنِى
أَيْدِى الصَّبَابَةِ فِيهِ كُلَّمَا عَرَضَا[٣]

مَا إِنْ قَضَى اللهُ شَيْئًا فِى خَلِيقَتِهِ
أَشَدَّ مِنْ زَفَرَاتِ[٤] الْحُبِّ حِينَ قَضَى

فَلَا قَضَى كَلِفٌ[٥] نَحْبًا فَأَوْجَعَنِى
أَنْ قِيلَ إِنَّ الْمُحِبَّ الْمُسْتَهَامَ قَضَى

---

(١) فوق السهم : وضعه فى الفوق والمراد رمي به الغرض والهدف

(٢) الحرض : الفساد (٣) هذا البيت وما قبله زيادة سقطت من الأصل ، مثبتة فى العماد (٤) زفرات : جمع زفرة ، وهى : استيعاب النفس من شدة الغم والحزن

(٥) الكلف : المحب ، وقضى نحبه : أى مات

وَلَهُ أَيْضاً :

تُرَاكَ يَا مُتْلِفَ جِسْمِي وَيَا
مُكْثِرَ إِعْلَالِي وَأَمْرَاضِي
مِنْ بَعْدِ مَا أَضْنَيْتَنِي (١) سَاخِطاً
عَلَيَّ فِي حُبِّكَ أَمْ رَاضِي ؟

الحسن بن بشر الآمدى

﴿ ٥ – الْحَسَنُ بْنُ بِشْرِ بْنِ يَحْيَى الْآمِدِيُّ ﴾
﴿ النَّحْوِيُّ الْكَاتِبُ * ﴾

أَبُو الْقَاسِمِ ، صَاحِبُ كِتَابِ الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ الطَّائِيَّيْنِ . كَانَ حَسَنَ الْفَهْمِ ، جَيِّدَ الدِّرَايَةِ (٢) وَالرِّوَايَةِ ، سَرِيعَ الْإِدْرَاكِ .

(١) من أضناه المرض : أى هزله (٢) الدراية : العلم بالشىء — ومنه : « وما يدريك لعله يزكى » أى ما تدرى

(*) ترجم له فى كتاب انباه الرواة ، ج أول صفحة ٢٦٥ بترجمة ضافية نقتطف منها ما يأتى قال :

هو أبو القاسم الحسن بن بشر ، الآمدى الأصل ، البصرى المنشأ ، إمام فى الأدب ، له شعر حسن واتساع تام فى علم الشعر ومعانيه ، ودراية وحفظ ، وصنف كتبا فى ذلك حسانا ، وكان فى البصرة كاتبا للقضاة من بنى عبد الواحد ، صحب المشايخ والجلة ، مثل أبى إسحاق الزجاج وطبقته . قال : حدثنى أبو إسحاق الزجاج قال : كنا ليلة بحضرة القاسم بن عبيد الله نشرب وهو وزير ، فغنت بدعة جارية عريب بشعر ذكره ياقوت . إلى آخر ما فى ترجمته

وكان الآمدى يكتب خطا حسنا من خطوط الأوائل ، وهو أقرب خط إلى الصحة ، وكتب الكثير ، وصنف كتبا حسانا ذكرها ياقوت . وكان مولده بالبصرة وقدم بغداد —

رَأَيْتُ سَمَاعَهُ عَلَى كِتَابِ الْقَوَافِي لِأَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ ،
وَقَدْ سَمِعَهُ عَلَى نِفْطَوَيْهِ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، ثُمَّ
وَجَدْتُ خَطَّهُ عَلَى كِتَابِ تَبْيِينِ قُدَامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ وَفِي نَقْدِ
الشِّعْرِ ، وَقَدْ أَلَّفَهُ لِأَبِي الْفَضْلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْعَمِيدِ

— وأخذ عن الحسن على بن سليمان الاخفش ، وأبى إسحاق الزجاج ، وأبى بكر بن دريد ، وأبى بكر بن السراج اللغة والأخبار فى آخر عمره ، واتسع فى الآداب وبرز فيها ، وانتهت رواية الشعر القديم والأخبار فى آخر عمره بالبصرة اليه ، وكان يكتب بمدينة السلام لأبى جعفر بن هارون ، بن محمد بن الضبي ، خليفة أحمد بن هلال صاحب عمان لحضرة المقتدر بالله ، وكانت وفاته سنة سبعين وثلاثمائة . وكان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يعمله من الكتب ، ومن شعره يستدعى صديقا له :

عندى أخى وأخوك فى الادب
نسب له فضل على النسب
فى ساحة للهو نعمرها
بالجد أحيانا وباللعب
ولنا حديث بيننا حسن
كالنور بين منابت العشب
وكأنما كاساتنا شهب
تهوى إلى الأحزان والكرب
وبدا لنا المنثور فى حلل
يدعو الى اللذات والطرب
كم منظر للعين فيه وكم
فيه لدى الآداب من أرب
تحكى قشور الدر أبيضه
والصفر منه قراضة الذهب —

وَقَدْ قَرَأَهُ عَلَيْهِ ، وَكَتَبَ خَطَّهُ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَثَلاثِمائَةٍ . وَقَالَ ابْنُ النَّدِيمِ فِي الفِهْرِسْتِ الَّذِى أَلَّفَهُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلاثِمائَةٍ : هُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، قَرِيبُ الْعَهْدِ ، وَأَحْسَبُهُ يَحْيَا إِلَى الْآنَ ، ثُمَّ وَجَدْتُ كِتَابَ الْقَوَافِي لِلْمُبَرِّدِ بِخَطِّ أَبِي مَنْصُورٍ الْجَوَالِيقِيِّ ذَكَرَ فِي إِسْنَادِهِ : أَنَّ عَبْدَ الصَّمَدِ بْنَ حُنَيْشٍ النَّحْوِيَّ قَرَأَهُ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْآمِدِيِّ

— وله ضروب أشبهت فلق الـ
يا قوت حين هوت من السحب
يوم يطيب إذا حضرت وان
غيبت عنا فيه لم يطب
فاجمع بوجهك شمل لذتنا
يا قدوة فى العلم والأدب
واعلم بأنك إن أجبت ولم
تكن الجواب لنا فلم تجب

وقال يرثى المعمرى :

يا عين أذرى الدموع وانسكبى
أصبح ترب العلوم فى الترب
لقيت بالمعمرى يوم ثوى
أول رزء بآخر الأدب
كان على أعجمى نسبته
فضيلة من فضائل العرب

وله ترجمة أخرى فى كتاب بغية الوعاة ، صفحة ٢١٨

فِى سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَفِى تَارِيخِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ فِى هَذِهِ السَّنَةِ يَعْنِى فِى سَنَةِ سَبْعِينَ : مَاتَ الْحَسَنُ ابْنُ بِشْرٍ الْآمِدِىُّ بِالْبَصْرَةِ .

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُحَسِّنُ التَّنُوخِىُّ : حَدَّثَنِى أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ الْآمِدِىُّ، كَاتِبُ الْقُضَاةِ مِنْ بَنِى عَبْدِ الْوَاحِدِ بِالْبَصْرَةِ ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ ، وَاتِّسَاعٌ تَامٌّ[1] فِى الْأَدَبِ ، وَدِرَايَةٌ وَحِفْظٌ ، وَكُتُبٌ مُصَنَّفَةٌ قَالَ : حَدَّثَنِى أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ قَالَ : كُنَّا لَيْلَةً بِحَضْرَةِ الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللّٰهِ نَشْرَبُ وَهُوَ وَزِيرٌ ، فَغَنَّتْ بِدْعَةُ جَارِيَةُ عَرِيبٍ :

أَدَلَّ فَأَكْرِمْ بِهِ مِنْ مُدِلٍّ
وَمِنْ ظَالِمٍ لِدَمِى مُسْتَحِلِّ

إِذَا مَا تَعَزَّزَ قَابَلْتُهُ
بِذُلٍّ وَذَلِكَ جُهْدُ[2] الْمُقِلِّ

---

(١) اتساع تام فى الادب : أى إكثار فيه (٢) جهد المقل : أى غاية مايفعله الانسان

وَأَسْلَمْتُ خَدِّي لَهُ خَاضِعًا

وَلَوْلَا مَلَاحَتُهُ (١) لَمْ أَذِلِّ

فَأَدَّتْ فِيهِ صَنْعَةً (٢) حَسَنَةً جِدًّا ، فَطَرِبَ الْقَاسِمُ عَلَيْهِ طَرَبًا شَدِيداً ، وَاسْتَحْسَنَ الصَّنْعَةَ جِدًّا وَالشِّعْرَ فَأَفْرَطَ . فَقَالَتْ بِدْعَةُ يَا مَوْلَايَ : إِنَّ لِهَذَا الشِّعْرِ خَبَرًا حَسَنًا أَحْسَنَ مِنْهُ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَتْ هُوَ لِأَبِي حَازِمٍ الْقَاضِي . قَالَ : فَعَجِبْنَا مِنْ ذَلِكَ مَعَ شِدَّةِ تَقَشُّفِ (٣) الْقَاضِي أَبِي حَازِمٍ وَوَرَعِهِ وَتَقَبُّضِهِ . فَقَالَ الْوَزِيرُ : بِاللهِ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، ارْكَبْ إِلَى أَبِي حَازِمٍ وَاسْأَلْهُ عَنْ هَذَا الشِّعْرِ وَسَبَبِهِ . فَبَاكَرْتُهُ (٤) وَجَلَسْتُ حَتَّى خَلَا وَجْهُهُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا رَجُلٌ بِزِيِّ الْقُضَاةِ عَلَيْهِ قَلَنْسُوَةٌ ، فَقُلْتُ : بَيْنَنَا شَيْءٌ أَقُولُهُ

(١) الملاحة : الحسن — ولم أذل : أى لم أخضع . وكسرت اللام ، وهو جائز فى المضعف الثلاثى إذا جزم ، إذ يجوز الفتح والكسر فى آخره ، من أجل التخلص من الساكنين . هذا ان كسرت عينه او فتحت والضم إن ضمت عينه « عبد الخالق »

(٢) أى غناء (٣) تقشف : أى زهد — ورجل متقشف أى يتبلغ بالقوت ويلبس المرقع . والورع : التقى (٤) باكرته : يقال : باكره : أتاه بكرة ، وسبق إليه فى أول أحواله

عَلَى خَلْوَةٍ ؟ فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا مِمَّنْ أَكْتُمُهُ شَيْئًا . فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْخَبَرَ ، وَسَأَلْتُ عَنِ الشِّعْرِ وَالْخَبَرِ ، فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ : هَذَا شَيْءٌ كَانَ فِي الْحَدَاثَةِ قُلْتُهُ فِي وَالِدَةِ هَذَا « وَأَوْمَأَ إِلَى الْقَاضِي الْجَالِسِ ، وَإِذَا هُوَ ابْنُهُ » وَكُنْتُ إِلَيْهَا مَائِلًا ، وَكَانَتْ لِي مَمْلُوكَةً ، وَلِقَلْبِي مَالِكَةً ، فَأَمَّا الْآنَ ، فَلَا عَهْدَ لِي بِمِثْلِهِ مُنْذُ سِنِينَ ، وَلَا عَمِلْتُ شِعْرًا مُنْذُ دَهْرٍ طَوِيلٍ ، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِمَّا مَضَى . قَالَ : فَوَجَمَ[1] الْفَتَى حَتَّى ارْفَضَّ[2] عَرَقًا ، وَعُدْتُ إِلَى الْقَاسِمِ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَضَحِكَ مِنْ خَجَلِ الِابْنِ وَقَالَ : لَوْ سَلِمَ مِنَ الْعِشْقِ أَحَدٌ لَكَانَ أَبَا حَازِمٍ مَعَ تَقَبُّضِهِ ، وَكُنَّا نَتَعَاوَدُ[3] ذَلِكَ زَمَانًا .

قَالَ الْمُؤَلِّفُ : كَانَ هَذَا الْخَبَرُ بِتَرْجَمَةِ إِسْحَاقَ الزَّجَّاجِ أَحْرَى ، إِلَّا أَنَّ فِي أَوَّلِهِ مِنْ إِيضَاحِ حَالِ الْآمِدِيِّ مَا سَاقَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ .

---

(١) وجم من الامر وجوماً فهو واجم : أى اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام

(٢) ارفض عرقاً : أى تصبب العرق منه من شدة الحزن

(٣) نتعاود : يقال عاود الرجل معاودة وعودا : رجع إلى الأمر الأول ، ومنه : « الشجاع معاود » لأنه لا يمل المراس

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ : كَانَ قَدْ وُلِّيَ القَضَاءَ بِالْبَصْرَةِ — فِي سَنَةِ نَيِّفٍ وَخَمْسِينَ وَثَلاثِمائَةٍ — رَجُلٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ صُرِفَ بِهِ ، لِأَنَّهُ وُلِّيَ صَارِفاً لِأَبِي الحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَاحِدِ الهَاشِمِيِّ ، فَقَالَ فِيهِ أَبُو القَاسِمِ الحَسَنُ ابْنُ بِشْرٍ الآمِدِيُّ ، كَاتِبُ القَاضِيَيْنِ أَبِي القَاسِمِ جَعْفَرٍ ، وَأَبِي الحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَاحِدِ :

رَأَيْتُ قَلَنْسُوَةً تَسْتَغِيـ
ـثُ مِنْ فَوْقِ رَأْسٍ تُنَادِي خُذُونِي
وَقَدْ قَلِقَتْ وَهْيَ طَوْراً تَمِيـ
ـلُ مِنْ عَنْ يَسَارٍ وَمِنْ عَنْ يَمِينِ
فَطَوْراً تَرَاهَا فُوَيْقَ[1] القَفَا
وَطَوْراً تَرَاهَا فُوَيْقَ الجَبِينِ

---

(١) فويق القفا : فويق تصغير فوق — والقفا : مؤخر العنق ، ويذكر ويؤنث ، وجمعه أقف وأقفية وأقفاء ، ويستعمل في غير ذلك كقولهم : لا أفعله قفا الدهر : أي طوله . ورد قفاً أو على قفاه : أي هرم

فَقُلْتُ لَهَا أَيُّ شَيْءٍ دَهَاكِ ؟

فَرَدَّتْ بِقَوْلِ كَئِيبٍ (١) حَزِينِ

دَهَانِي أَنْ لَسْتُ فِي قَالَبِي (٢)

وَأَخْشَى مِنَ النَّاسِ أَنْ يُبْصِرُونِي

وَأَنْ يَعْبَثُوا بِمِزَاحٍ مَعِي

وَإِنْ فَعَلُوا ذَاكَ بِي قَطَّعُونِي (٣)

فَقُلْتُ لَهَا مَرَّ مَنْ تَعْرِفِين

مِنَ الْمُنْكِرِينَ لِهَذِي الشُّؤُونِ

وَمَنْ كَانَ يُصْفَعُ (٤) فِي الدِّينِ لَا

يَمَلُّ وَيَشْتَدُّ فِي غَيْرِ لِينِ

---

(١) كئيب : من الكآبة : وهي الغم وسوء الحال ، والانكسار من الحزن

(٢) قالبي : بكسر اللام وفتحها : وهو الشيء الذي يفرغ فيه الجواهر وغيرها ليكون مثالا لما يصاغ منها ، وما يقلب به الخف ويجعل فيه ، لكي يستقيم . والمراد ليس لابسي أهلالي (٣) في الاصل : « فطعوني » وقد أثبتنا ما في العماد ، لأنه الصواب.

(٤) الصفع : الضرب باليد مبسوطة على القفا ، فهو صفعان

وَيُلْمَحُ[١] مِلْئَكَ كَيْلَ التَّمَا

مِ إمَّا عَلَى صِحَّةٍ أَوْ جُنُونِ

فَفَارَقَهَـــا ذَلِكَ الِانْزِعَاجُ

وَعَادَتْ إِلَى حَالِهَا فِى السُّكُونِ

وَحَدَّثَ ابْنُ نَصْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِى يَوْمًا أَبَا الفَرَجِ الْبَبَّغَا الشَّاعِرَ : أَنَّ أَبَا الفَرَجِ مَنْصُورَ بْنَ بِشْرٍ النَّصْرَانِىَّ الْكَاتِبَ ، كَانَ مُنْقَطِعًا إِلَى أَبِى الْعَبَّاسِ بْنِ مَاسَرْجِس ، فَأَنْفَذَهُ[٢] مَرَّةً إِلَى أَبِى عُمَرَ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ عَامِلِ الْبَصْرَةِ فِى بَعْضِ حَاجَاتِهِ ، فَعَادَ مِنْ عِنْدِهِ مُغْضَبًا لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَوْفِ لَهُ الْقِيَامَ عِنْدَ دُخُولِهِ ، وَأَرَادَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِنْفَاذَهُ بَعْدَ أَيَّامٍ ، فَأَبَى وَقَالَ : لَوْ أَعْطَيْتَنِى زَوْرَقَ ابْنِ الْخَوَاسْتِيِنِىّ مَمْلُوءًا كِيمِيَا[٣] ،

---

(١) البيت هكذا فى الاصل .

وبلمح ملاك كيل التمام

والظاهر أن صحته كما ذكرنا أى ومعنى من كان يلمح فيرى أنه يملؤك ملئاً كأنه كيل كيلا تاماً على قدرك (٢) أنفذه إلى فلان : أرسله (٣) يطلق الكيميا على ما يحاولون به تكوين الذهب أو الفضة من بعض العناصر الموجودة

كُلُّ مِثْقَالٍ مِنهُ إِذَا وُضِعَ عَلَى أَلْفِ مِثْقَالٍ صُفْرًا[١] صَارَ ذَهَبًا إِبْرِيزًا مَا مَضَيْتُ إِلَيْهِ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ مُغِيظًا. وَهَذَا زَوْرَقٌ مَعْرُوفٌ بِالْبَصْرَةِ، وَحِمْلُهُ ثَلاثُمِائَةِ أَلْفِ رِطْلٍ، وَقَدْ رَأَيْتُ دَوَاتَىْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ بِشْرٍ. وَقَدْ حَكَى لَهُ أَنَّ ابْنَ عَلَّانٍ قَاضِيَ الْقُضَاةِ بِالْأَهْوَازِ، ذَكَرَ أَنَّهُ رَأَى قَبَجَةً[٢] وَزْنُهَا عَشَرَةُ أَرْطَالٍ فَقَالَ: هَذَا مُحَالٌ. فَقِيلَ لَهُ: تَرُدُّ قَوْلَ ابْنِ عَلَّانٍ؟ قَالَ: فَإِنْ قَالَ ابْنُ عَلَّانَ: إِنَّ عَلَى شَاطِئِ جَيْحُونَ نَخْلًا يَحْمِلُ غَضَارًا[٣] صِينِيًّا مُجَزَّعًا بِسَوَادٍ أَقْبَلُ مِنْهُ؟ وَقُلْتُ لِأَبِي الْفَرَجِ: وَلِلنَّاسِ عَادَاتٌ فِي الْمُبَالَغَاتِ، وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِهَا. فَقَالَ لِي: كَانَ الْآمِدِيُّ النَّحْوِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْمُوَازَنَةِ، يَدَّعِي هَذِهِ الْمُبَالَغَاتِ عَلَى أَبِي تَمَّامٍ، وَيَجْعَلُهَا اسْتِطْرَادًا[٤] لِعَيْبِهِ إِذَا ضَاقَ عَلَيْهِ الْمَجَالُ فِي ذَمِّهِ، وَأَوْرَدَ فِي كِتَابِهِ قَوْلَهُ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا:

---

(١) الصفر: النحاس. والإبريز من كل شيء: الخالص منه (٢) القبجة واحدة القبج: وهو الحجل، وتطلق القبجة على الذكر والانثى (٣) الغضار: خزف، وفى القاموس أنه يحمل لدفع العين (٤) الاستطراد: هو سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر، وهو غير مقصود بالذات، بل بالعرض

مِنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَلَّا تُجِيبَا

خَضَبَتْ خَدَّهَا إِلَى لُؤْلُؤِ الْعِقْـ

ـدِ دَماً أَنْ رَأَتْ شَوَاتِى [1] خَضِيبَا

كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إِلَّا

لَا الْفَظِيعَيْنِ مِيتَةً وَمَشِيبَا

ثُمَّ قَالَ : هَذِهِ مِنْ مُبَالَغَاتِهِ الْمُسْرِفَةِ . ثُمَّ قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : هَـذِهِ وَاللهِ الْمُبَالَغَةُ الَّتِي يَبْلُغُ بِهَا السَّمَاءَ . وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ الْمُخْتَلِفِ وَالْمُؤْتَلِفِ فِي أَسْمَاءِ الشُّعَرَاءِ ، كِتَابُ نَثْرِ الْمَنْظُومِ ، كِتَابُ الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ أَبِي تَمَّامٍ وَالْبُحْتُرِيِّ ، كِتَابٌ فِي أَنَّ الشَّاعِرَيْنِ لَا يَتَّفِقُ خَوَاطِرُهُمَا ، كِتَابُ مَا فِي عِيَارِ [2] الشِّعْرِ لِابْنِ طَبَاطَبَا مِنَ الْخَطَإِ ، كِتَابُ فَرْقِ مَا بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْمُشْتَرَكِ مِنْ مَعَانِي الشِّعْرِ ،

---

(١) شواتى : الشواة واحدة الشوى : وهى قحف الرأس أى جلدته ، ومنه قوله تعالى : « نزاعة للشوى » أى الاطراف . ويقال : اختضب بالحناء ونحوه . وتخضب : أى تلون

(٢) عيار الشيء : ماجعل نظاما له ، يقاس به ويسوى ، ومنه عيار الموازين والمكاييل والنقود وغيرها .

كِتَابُ تَفْضِيلِ شِعْرِ امْرِىءِ الْقَيْسِ عَلَى الْجَاهِلِيِّينَ ، كِتَابٌ فِى شِدَّةِ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ ، كِتَابُ تَبْيِينِ غَلَطِ قُدَامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ فِى كِتَابِ نَقْدِ الشِّعْرِ ، كِتَابُ مَعَانِى شِعْرِ الْبُحْتُرِىِّ ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ عَمَّارٍ فِيمَا خَطَّأَ فِيهِ أَبَا تَمَّامٍ ، كِتَابُ فَعَلْتُ وَأَفْعَلْتُ غَايَةٌ لَمْ يُصَنَّفْ مِثْلُهُ ، كِتَابُ الْحُرُوفِ مِنَ الْأُصُولِ فِى الْأَضْدَادِ رَأَيْتُهُ بِخَطِّهِ فِى نَحْوِ مِائَةِ وَرَقَةٍ ، كِتَابُ دِيوَانِ شِعْرِهِ نَحْوُ مِائَةِ وَرَقَةٍ . وَقَرَأْتُ فِى كِتَابٍ أَلَّفَهُ أَحَدُ بَنِى عَبْدِ الرَّحِيمِ الْوُزَرَاءِ الَّذِينَ مَدَحَهُمْ مِهْيَارٌ وَغَيْرُهُ وَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَهُ قَالَ :

أَخْبَرَنِى الْقَاضِى أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوخِىُّ عَنْ أَبِيهِ أَبِى عَلِىٍّ الْمُحَسِّنِ : أَنَّ مَوْلِدَ أَبِى الْقَاسِمِ الْحَسَنِ بْنِ بِشْرٍ الْآمِدِىِّ بِالْبَصْرَةِ ، وَأَنَّهُ قَدِمَ بَغْدَادَ يَحْمِلُ عَنِ الْأَخْفَشِ ، وَالْحَامِضِ ، وَالزَّجَّاجِ ، وَابْنِ دُرَيْدٍ ، وَابْنِ السَّرَّاجِ وَغَيْرِهِمُ اللُّغَةَ وَالنَّحْوَ . وَرَوَى الْأَخْبَارَ فِى آخِرِ عُمُرِهِ بِالْبَصْرَةِ . وَكَانَ يَكْتُبُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ لِأَبِى جَعْفَرٍ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدٍ الضَّبِّىِّ

خَلِيفَةِ أَحْمَدَ بْنِ هِلَالٍ صَاحِبِ عُمَانَ ، بِحَضْرَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ وَوِزَارَتِهِ ، وَلِغَيْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ . وَكَتَبَ بِالْبَصْرَةِ لِأَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ ، وَأَبِي أَحْمَدَ طَلْحَةَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْمُثَنَّى ، وَبَعْدَهُمَا لِقَاضِي الْبَلَدِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْهَاشِمِيِّ عَلَى الْوُقُوفِ الَّتِي تَلِيهَا الْقُضَاةُ وَيَحْضُرُ بِهِ فِي مَجْلِسِ حُكْمِهِ ، ثُمَّ لِأَخِيهِ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ لَمَّا وُلِّيَ قَضَاءَ الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ لَزِمَ بَيْتَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ . وَكَانَ كَثِيرَ الشِّعْرِ ، حَسَنَ الطَّبْعِ ، جَيِّدَ الصَّنْعَةِ ، مُشْتَهِرًا بِالتَّشْبِيهَاتِ(١) .

وَلِأَبِي الْقَاسِمِ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ جَيِّدَةٌ مَرْغُوبٌ فِيهَا . مِنْهَا : كِتَابُ الْمُوَازَنَةِ بَيْنَ الْبُحْتُرِيِّ وَأَبِي تَمَّامٍ فِي عَشَرَةِ أَجْزَاءٍ(٢) ، وَهُوَ كِتَابٌ حَسَنٌ وَإِنْ كَانَ قَدْ عِيبَ عَلَيْهِ فِي مَوَاضِعَ مِنْهُ ، وَنُسِبَ إِلَى الْمَيْلِ مَعَ الْبُحْتُرِيِّ فِيمَا أَوْرَدَهُ ، وَالتَّعَصُّبِ(٣) عَلَى أَبِي تَمَّامٍ فِيمَا ذَكَرَهُ . وَالنَّاسُ بَعْدُ فِيهِ عَلَى فَرِيقَيْنِ : فِرْقَةٌ قَالَتْ

---

(١) كانت فى الاصل : « الشبهات » (٢) الكتاب مطبوع يتناوله الناس ولا يبلغ جزءا ، فن أين العشرة ، اللهم الا إذا جعلنا كل عدد من الصفحات جزءا «عبد الخالق»

(٣) التعصب على أبى تمام : من قولهم تعصب على فلان : مال عنه وقاومه

بِرَأْيِهِ حَسَبَ رَأْيِهِمْ فِي الْبُحْتُرِيِّ وَغَلَبَةِ حُبِّهِمْ لِشِعْرِهِ. وَطَائِفَةٌ أَسْرَفَتْ فِي التَّقْبِيحِ لِتَعَصُّبِهِ، فَإِنَّهُ جَدَّ وَاجْتَهَدَ فِي طَمْسِ [1] مَحَاسِنِ أَبِي تَمَّامٍ، وَتَزْيِينِ مَرْذُولِ [2] الْبُحْتُرِيِّ. وَلَعَمْرِي إِنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ بَلَغَ فِي كِتَابِهِ إِلَى قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ:

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا

وَشَرَعَ فِي إِقَامَةِ الْبَرَاهِينِ عَلَى تَزْيِيفِ [3] هَذَا الْجَوْهَرِ الثَّمِينِ، فَتَارَةً يَقُولُ: هُوَ مَسْرُوقٌ، وَتَارَةً يَقُولُ: هُوَ مَرْذُولٌ، وَلَا يَحْتَاجُ الْمُتَعَصِّبُ [4] إِلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَعَصُّبَاتِهِ، وَلَوْ أَنْصَفَ وَقَالَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ بِقَدْرِ فَضَائِلِهِ، لَكَانَ فِي مَحَاسِنِ الْبُحْتُرِيِّ كِفَايَةٌ عَنِ التَّعَصُّبِ بِالْوَضْعِ [5] مِنْ أَبِي تَمَّامٍ. وَلَهُ أَيْضاً: كِتَابُ الْخَاصِّ وَالْمُشْتَرَكِ، تَكَلَّمَ فِيهِ

---

(١) طمس الشىء طمسا: محاه وغير معالمه (٢) مرذول الشىء: رديئه (٣) تزييف: مصدر زيفه عند القوم، أى تكلم عندهم فى حقه بما يعيبه (٤) كانت فى العماد، وفى الاصل هذا: « المصنف » (٥) الوضع من أبى تمام: أى الحط من قيمته

عَلَى الفَرْقِ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي الَّتِي تَشْتَرِكُ الْعَرَبُ فِيهَا ، وَلَا يُنْسَبُ مُسْتَعْمِلُهَا إِلَى السَّرِقَةِ وَإِنْ كَانَ قَدْ سُبِقَ إِلَيْهَا ، وَبَيْنَ الْخَاصِّ الَّذِي ابْتَدَعَهُ الشُّعَرَاءُ وَتَفَرَّدُوا بِهِ وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ ، وَمَا قَصَّرَ فِي إِيضَاحِ ذَلِكَ وَتَحْقِيقِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَصَانِيفِهِ الَّتِي ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ فِيمَا تَقَدَّمَ . وَمِنْ شِعْرِهِ :

يَا وَاحِدًا كَانَ فِي الزَّمَانِ
لَا مَنْ[1] يُجَارِيهِ أَوْ يُدَانِي ؟

دَعْنِي مِنْ نَائِلٍ جَزِيلٍ
يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِهِ لِسَانِي[2]

فَلَسْتُ وَاللهِ مُسْتَمِيحًا
وَلَا أَخَا مَطْمَعٍ تَوَانِي[3]

وَهَبْ إِذَا كُنْتَ لِي وَهُوبًا
مِنْ بَعْضِ أَخْلَاقِكَ الْحِسَانِ[4]

---

(١) يريد أن يمدح فهو يقول له : أنت فى الزمان الأوحد لا إنسان يجاريك أو يدانيك (٢) يقول دعنى مما يظنه الناس سبباً فى المدح : فلم لم أمدحك لنائل جزيل أعجز عن شكره (٣) فانى لست ممن يطلب العطاء أو له مطمع (٤) أى ولكن الذى أطمع فيه هبة من أخلاقك الحسان

وَقَالَ فِي أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَافَرَّوْخِيِّ وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا لَا يُجَارَى ، لَكِنَّهُ كَانَ تَمْتَامًا (١) :

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى تَتَعْتُعِهِ (٢) إِذَا
رَامَ الْكَلَامَ وَلَفْظِهِ الْمُعْتَاصِ
وَانْظُرْ إِلَى الْحِكَمِ الَّتِي يَأْتِي بِهَا
تَشْفِيكَ عِنْدَ تَطَلُّقٍ وَخَلَاصِ
فَالدُّرُّ لَيْسَ يَنَالُهُ غُوَّاصُهُ
حَتَّى تَقَطَّعَ أَنْفُسُ الْغُوَّاصِ

وَفِي النَّشْوَارِ : حَدَّثَنِي أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ الْآمِدِيُّ قَالَ : قَالَ أَبُو أَحْمَدَ : طَلْحَةُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُثَنَّى ، وَقَدْ تَجَارَيْنَا (٣) عَلَى خَلْوَةٍ لِلْحَدِيثِ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُ

---

(١) تمتاما : من قولهم : تمتم الرجل تمتمة . إذا تردد فى التاء ، فهو تمتام بالفتح ـ وقال أبو زيد : هو الذى يعجل فى الكلام ولا يفهمك (٢) تتعتعه : من قولهم : تعتتع فى الكلام : تردد من حصر أوعى . والمعتاص : الصعب النطق . (٣) تجارينا : يقال : تجاروا فى الحديث : تسالموا وتوافقوا .

وَبَيْنَ أَبِي الْقَاسِمِ الْبُرَيْدِيِّ ، وَتَدْبِيرِ (١) كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِ ، وَأَشَرْتُ عَلَيْهِ بِأَنْ يَهْرُبَ مِنَ الْبَصْرَةِ وَلَا يُقِيمَ ، وَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُغَيِّرَ زِيَّهُ (٢) فَقَالَ : لَسْتُ أُفَكِّرُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا : رُؤْيَا رَأَيْتُهَا مُنْذُ لَيَالٍ كَثِيرَةٍ . فَقُلْتُ : مَاهِيَ ؟ فَقَالَ : رَأَيْتُ ثُعْبَانًا عَظِيمًا قَدْ خَرَجَ مِنْ هَذَا الْحَائِطِ ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى حَائِطٍ فِي مَجْلِسِهِ وَهُوَ يُرِيدُنِي فَطَلَبْتُهُ فَأَتَيْتُهُ (٣) فِي الْحَائِطِ . فَتَأَوَّلْتُ ذَلِكَ أَنَّ الثُّعْبَانَ الْبُرَيْدِيُّ وَأَنِّي أَغْلِبُهُ . قَالَ : فَحِينَ قَالَ : « فَأَتَيْتُهُ فِي الْحَائِطِ » سَبَقَ إِلَى قَلْبِي أَنَّ الْبُرَيْدِيَّ هُوَ الثَّابِتُ ، وَأَنَّ الْحَائِطَ حِيَاطَةٌ لَهُ دُونَ أَبِي أَحْمَدَ . فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ لَهُ : إِنَّ الْخَبَرَ مُسْتَفِيضٌ لَمَّا كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ رَأَى فِي مَنَامِهِ ، كَأَنَّهُ وَابْنَ الزُّبَيْرِ اصْطَرَعَا فِي صَعِيدٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فَطَرَحَ ابْنُ الزُّبَيْرِ

---

(١) التدبير هو قريب من التفكر ، الا أن التفكر تصرف القلب بالنظر فى الدليل ، والتدبر تصرفه بالنظر فى العواقب (٢) لعله سقط من الاصل كلمة « زيه » فذكرناها ليستقيم الكلام (٣) قوله أتيته فى الحائط : المراد هنا : أهلكته

عَبْدَ الْمَلِكِ تَحْتَهُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَأَوْتَدَهُ [١] بِأَرْبَعَةِ أَوْتَادٍ فِيهَا . وَأَنَّهُ أَنْفَذَ رَاكِباً إِلَى الْبَصْرَةِ ، حَتَّى لَقِيَ ابْنَ سِيرِينَ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا كَأَنَّهَا لَهُ ، وَكَتَمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ سِيرِينَ : هَذِهِ الرُّؤْيَا لَيْسَتْ رُؤْيَاكَ ، فَلَا أُفَسِّرُهَا لَكَ ، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : هَذِهِ الرُّؤْيَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، فَإِنْ صَدَقْتَنِي فَسَّرْتُهَا لَكَ ، فَقَالَ : هُوَ كَمَا وَقَعَ لَكَ . فَقَالَ : قُلْ لَهُ : إِنْ صَحَّتْ رُؤْيَاكَ هَذِهِ فَسَتَغْلِبُ ابْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَمْلِكُ الْأَرْضَ مِنْ صُلْبِكَ أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ . فَمَضَى الرَّجُلُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَخْبَرَهُ ، فَعَجِبَ مِنْ فِطْنَةِ ابْنِ سِيرِينَ فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ : مِنْ أَيْنَ قُلْتَ ذَلِكَ ؟ فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْغَالِبَ فِي النَّوْمِ هُوَ الْمَغْلُوبُ ، وَتَمَكُّنُهُ عَلَى الْأَرْضِ : غَلَبَةُ عَلَيْهَا ، وَالْأَوْتَادُ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي أَوْتَدَهَا فِي الْأَرْضِ : هُمْ مُلُوكٌ يَتَمَكَّنُونَ مِنَ الْأَرْضِ كَمَا تَمَكَّنَتِ الْأَوْتَادُ .

---

(١) أوتده الخ : أى أثبته

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الآمِدِىُّ : فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ لِأَبِى أَحْمَدَ هذَا ، وَمَا وَقَعَ لِى مِنَ الْقِيَاسِ عَلَيْهِ فِى تَفْسِيرِ رُؤْيَاهُ ، فَكَرِهْتُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَكُونُ سُوءَ أَدَبٍ وَقَبَاحَةَ عِشْرَةٍ ، وَنَعْياً[1] لِنَفْسِهِ ، فَمَا مَضَتِ الْأَيَّامُ حَتَّى قَبَضَ الْبُرَيْدِىُّ عَلَيْهِ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ .

❁ ٦ — أَبُو الْحَسَنِ الْبُورَانِىُّ * ❁

أبو الحسن البورانى

مُعْتَزِلِىٌّ نَحْوِىٌّ ، ذَكَرَهُ الْمُقَدَّرُ[2] عِنْدَ ذِكْرِهِ لِجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ النَّحْوِيِّينَ فَقَالَ : وَأَبُو الْحَسَنِ الْبُورَانِىُّ ، نَاهِيكَ[3] تَدْقِيقاً فِى مَسَائِلِ الْكِتَابِ ، وَكَانَ فِى أَيَّامِ أَبِى عَلِىٍّ الْفَارِسِىِّ وَطَبَقَتِهِ .

---

(١) فى نسخة العماد «ونعياً» : وفى الاصل «وتعباً» والاولى «أصح» فذكرناها لذلك

(٢) أظنه ، أبا منصور المقدر الاصبهانى (٣) وناهيك : من قولهم : هذا رجل ناهيك من رجل — قيل معناه : كافيك به ، — وهى كلمة يتعجب بها فى مقام المدح ، ثم كثر حتى استعمل فى كل تعجب . ويقال أيضاً : ناهيك به ، فتكون الباء زائدة ، والهاء مبتدا ، كما تقول فى نحو بحسبك زيد وهى هنا خبر عن أبو الحسن

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٣١

﴿ ٧ – الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ﴾

﴿ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ * ﴾

الحسن بن الحسين السكرى

ابْنِ الْعَلَاءِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، الْمَعْرُوفُ بِالسُّكَّرِيِّ ، أَبُو سَعِيدٍ النَّحْوِيُّ اللُّغَوِيُّ ، الرَّاوِيَةُ (١) الثِّقَةُ (٢) الْمُكْثِرُ . مَاتَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَوْلِدُهُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ . سَمِعَ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ ، وَأَبَا حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيَّ ، وَالْعَبَّاسَ بْنَ الْفَرَجِ الرِّيَاشِيَّ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ حَبِيبٍ ، وَالْحَارِثَ ابْنَ أَبِي أُسَامَةَ ، وَأَحْمَدَ بْنَ الْحَارِثِ الْخَزَّازَ وَخَلْقًا سِوَاهُمْ . وَأَخَذَ عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ التَّارِيخِيُّ . وَكَانَ ثِقَةً صَادِقًا يُقْرِئُ الْقُرْآنَ ، وَانْتَشَرَ عَنْهُ مِنْ كُتُبِ الْأَدَبِ مَا لَمْ يَنْتَشِرْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ نُظَرَائِهِ . وَكَانَ إِذَا جَمَعَ جَمْعًا فَهُوَ الْغَايَةُ فِي الِاسْتِيعَابِ وَالْكَثْرَةِ .

---

(١) الراوية : هو الذى يحمل الحديث أو الشعر ، وينقله إلى غيره ، والهاء فيه للمبالغة .

(٢) الثقة : مصدر يوصف به ، فيقال : هو عالم ثقة : أى أمين

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢١٨

حَدَّثَ أَبُو الْكَرَمِ خَمِيسُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَوْزِيُّ النَّحْوِيُّ الْحَافِظُ الْوَاسِطِيُّ فِي أَمَالِيهِ، ـ وَلَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ بَابٌ ـ قَالَ: قَدِمَ أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ السُّكَّرِيُّ بَغْدَادَ، فَحَضَرَ مَجْلِسَ أَبِي زَكَرِيَّا الْفَرَّاءِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ شَيْخُ النَّاسِ بِهَا، فَأَمْلَى الْفَرَّاءُ بَابًا فِي التَّصْغِيرِ قَالَ فِيهِ: الْعَرَبُ تَقُولُ: هُوَ الْهَنُ وَتَصْغِيرُهُ الْهُنَيُّ، وَتَثْنِيَتُهُ فِي الرَّفْعِ الْهُنَيَّانِ، وَفِي النَّصْبِ وَالْجَرِّ الْهُنَيَّيْنِ، وَأَنْشَدَ عَلَيْهِ قَوْلَ الْقَتَّالِ الْكِلَابِيِّ:

يَا قَاتَلَ اللهُ صُلْعَانًا[1] تَجِيءُ بِهِمْ
أُمُّ الْهُنَيَّيْنِ مِنْ زَنْدٍ لَهَا وَارِي[2]

فَأَمْسَكَ أَبُو سَعِيدٍ حَتَّى إِذَا انْقَضَى الْمَجْلِسُ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ أَحَدٌ سِوَى الْفَرَّاءِ، تَقَدَّمَ أَبُو سَعِيدٍ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُ: ـ أَكْرَمَكَ اللهُ ـ أَنَا رَجُلٌ غَرِيبٌ وَقَدْ مَرَّ شَيْءٌ، أَتَأْذَنُ لِي فِي ذِكْرِهِ؟ فَقَالَ

---

(١) جمع أصلع: ما ذهب من شعر الرأس أو بعضه من داء الثعلب

(٢) ورى: يقال: ورى الزند وورى، يرى «من باب ضرب وحسب» وريا: خرجت ناره. فهو وار

أذكُرُهُ . فقالَ : إنّكَ قلتَ هُوَ الهَنُ ، وتَثْنِيَتُهُ في الرَّفعِ الهُنَيَّانِ ، وفي النصبِ والجرِّ الهُنَيَّيْنِ ، وهذا جميعُهُ كما قُلْتَ ، ثمَّ أنشدتَ قولَ الكِلابيِّ :

يا قاتلَ اللهُ صُلعانًا تَجِيءُ بِهِمْ
أُمُّ الهُنَيَّيْنِ مِنْ زَنْدٍ لها وارِي

وليسَ هكذا أنشدَناهُ أشياخُنا . قالَ الفرّاءُ : ومَنْ أشياخُكَ ؟ قالَ : أبو عُبيدةَ ، وأبو زيدٍ ، والأصمعيُّ . قالَ الفرّاءُ : وكيفَ أنشدَهُ أشياخُكَ ؟ فقالَ[1] : زعموا أنَّ الهِنبَرَ بوزنِ الخِنصَرِ : ولدُ الضبعِ . وأنَّ القتّالَ قالَ :

يا قاتلَ اللهُ صُلعانًا تَجِيءُ بِهِمْ
أُمُّ الهُنَيْبِرِ مِنْ زَنْدٍ لها وارِي

على التصغيرِ . ففكّرَ الفرّاءُ ساعةً وقالَ : ـ أحسنَ اللهُ عنِ الإفادةِ بحُسْنِ الأدبِ جزاءَكَ ـ .

قالَ المؤلِّفُ ياقوتُ بنُ عبدِ اللهِ : هكذا وجدتُ هذا

(١) في الاصل هذا : « قال » وفي العماد : « فقال » فذكرناها لذلك

الْخبرَ فِى أَمَالِى الْجوْزِىِّ، وَهُوَ مَا عَلِمْتُ مِنَ الْحُفَّاظِ، إِلا أَنَّهُ غَلِطَ فِيهِ مِنْ وُجُوهٍ، وَذَلِكَ أَنَّ السُّكَّرِىَّ لَمْ يَلْقَ الْأَصْمَعِىَّ وَلَا أَبَا عُبَيْدَةَ، وَلَا أَبَا زَيْدٍ، وَإِنَّمَا رَوَى عَمَّنْ رَوَى عَنْهُمْ: كَابْنِ حَبِيبٍ، وَابْنِ أَبِى أُسَامَةَ، وَالْخَزَّازِ وَطَبَقَتِهِمْ. ثُمَّ إِنَّ السُّكَّرِىَّ وُلِدَ فِى سَنَةِ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ. وَأَبُو عُبَيْدَةَ مَاتَ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ[1]. وَأَبُو زَيْدٍ مَاتَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ. وَالْأَصْمَعِىُّ مَاتَ فِى سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، أَوْ خَمْسَ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ، فَمَتَى قَرَأَ عَلَيْهِمْ؟ وَهَذِهِ الْجَمَاعَةُ الْمَذْكُورَةُ هُمْ فِى طَبَقَةِ الْفَرَّاءِ، لِأَنَّ الْفَرَّاءَ مَاتَ فِى سَنَةِ سَبْعٍ وَمِائَتَيْنِ، وَلَعَلَّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ عَنْ غَيْرِ السُّكَّرِىِّ، وَأَوْرَدَهَا خَمِيسٌ عَنْهُ سَهْوًا، وَأَوْرَدْتُهَا أَنَا كَمَا وَجَدْتُهَا.

وَلِلسُّكَّرِىِّ مِنَ الْكُتُبِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ: كِتَابُ أَشْعَارِ هُذَيْلٍ، كِتَابُ النَّقَائِضِ،

(١) هكذا فى الاصل: « تسع عشرة ومائتين » والذى فى العماد مات سنة تسع أو عشر ومائتين

كِتَابُ النبَاتِ ، كِتَابُ الوُحُوش جوَّدَ[1] فِي تَصْنِيفِهِ ، كِتَابُ المَنَاهِلِ والقُرَى ، كِتَابُ الأبيَاتِ السَّائِرَةِ . وعَمِلَ أَشْعَارَ جَمَاعَةٍ مِنَ الشُّعَرَاء ، مِنهُمْ : امْرُؤُ القَيْسِ ، النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ ، النَّابِغَةُ الجَعْدِيُّ ، زُهَيْرٌ ، الحُطَيْئَةُ ، لَبِيدٌ ، تَمِيمُ بْنُ مُقْبِلٍ ، دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ ، الأَعْشَى ، مُهَلْهِلٌ ، مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيْرَةَ ، أَعْشَى بَاهِلَةَ ، الزِّبْرِقَانُ بْنُ بَدْرٍ ، بِشْرُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ ، المُتَلَمِّسُ ، الرَّاعِي ، الشَّمَّاخُ ، الكُمَيْتُ ، ذُو الرُّمَّةِ ، الفَرَزْدَقُ . وَلَمْ يَعْمَلْ شِعْرَ جَرِيرٍ ، وَعَمِلَ شِعْرَ أَبِي نُوَاسٍ ، وَتَكَلَّمَ عَلَى مَعَانِيهِ وَغَرِيبِهِ فِي نَحْوِ أَلْفِ وَرَقَةٍ وَلَمْ يَتِمَّ ، وَإِنَّمَا عَمِلَ مِقْدَارَ ثُلُثَيْهِ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ : وَرَأَيْتُهُ بِخَطِّ الحُلْوَانِيِّ ، وَكَانَ الحُلْوَانِيُّ قَرِيبَ أَبِي سَعِيدٍ السُّكَّرِيِّ . وَعَمِلَ شِعْرَ قَيْسِ بْنِ الخَطِيمِ ، وَهُدْبَةَ بْنِ خَشْرَمٍ ، وَابْنِ أَحْمَرَ العُقَيْلِيِّ ، وَالأَخْطَلِ ، وَغَيْرِ هَؤُلَاء .

وَأَمَّا أَشْعَارُ القَبَائِلِ فَإِنَّهُ عَمِلَ مِنْهُمْ : أَشْعَارَ بَنِي

---

(١) جوده : أي حسنه ، وجعله جيدا

هُذَيْلٍ ، أَشْعَارَ بَنِي شَيْبَانَ ، وَبَنِي رَبِيعَةَ ، أَشْعَارَ بَنِي يَرْبُوعٍ ، أَشْعَارَ بَنِي طَيِّءٍ ، أَشْعَارَ بَنِي كِنَانَةَ ، أَشْعَارَ بَنِي ضَبَّةَ ، أَشْعَارَ بَجِيلَةَ ، أَشْعَارَ بَنِي الْعَنْبَرِ[1] ، أَشْعَارَ بَنِي يَشْكُرَ ، أَشْعَارَ بَنِي حَنِيفَةَ ، أَشْعَارَ بَنِي مُحَارِبٍ ، أَشْعَارَ الْأَزْدِ ، أَشْعَارَ بَنِي نَهْشَلٍ ، أَشْعَارَ بَنِي عَدِيٍّ ، أَشْعَارَ بَنِي أَشْجَعَ ، أَشْعَارَ بَنِي نُمَيْرٍ[2] ، أَشْعَارَ بَنِي عَبْدِ وُدٍّ ، أَشْعَارَ بَنِي مَخْزُومٍ ، أَشْعَارَ بَنِي سَعْدٍ[3] ، أَشْعَارَ بَنِي الْحَارِثِ ، أَشْعَارَ الضِّبَابِ ، أَشْعَارَ فَهْمٍ وَعَدْوَانَ ، أَشْعَارَ مُزَيْنَةَ .

وَحَدَّثَ الصُّولِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى ثَعْلَبٍ فَنُعِيَ إِلَيْهِ السُّكَّرِيُّ فَتَمَثَّلَ[4] :

الْمَرْءُ يُخْلَقُ وَحْدَهُ ... وَيَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَحْدَهْ

وَالنَّاسُ بَعْدُ هَالِكٌ ... هَلْ مَنْ رَأَيْتَ النَّاسَ بَعْدَهْ

(١) الفهرست : العنبر (٢) الفهرست : تميم (٣) الفهرست : أسد

(٤) فتمثل : يقال : تمثل بالشيء وتمثله : ضرب به مثلا

٨ — الْحَسَنُ بْنُ الْخَطِيرِ[1] *

الحسن بن الخطير

أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالظَّهِيرِ ، كَانَ فَقِيهًا لُغَوِيًّا نَحْوِيًّا ، مَاتَ بِالْقَاهِرَةِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي شُهُورِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . حَدَّثَنِي بِجَمِيعِ مَا أُورِدُهُ عَنْهُ هٰهُنَا مِنْ خَبَرِهِ وَوَفَاتِهِ ، تِلْمِيذُهُ الشَّرِيفُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْإِدْرِيسِيُّ ، الْحَسَنِيُّ الصَّعِيدِيُّ بِالْقَاهِرَةِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ قَالَ : كَانَ الظَّهِيرُ يَكْتُبُ عَلَى كُتُبِهِ فِي فَتَاوِيهِ ـ الْحَسَنُ النُّعْمَانِيُّ ـ . فَسَأَلْتُهُ عَنْ هٰذِهِ النِّسْبَةِ فَقَالَ : أَنَا نُعْمَانِيٌّ ، أَنَا مِنْ وَلَدِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، وَمَوْلِدِي بِقَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِالنُّعْمَانِيَّةِ ، وَمِنْهَا ارْتَحَلْتُ إِلَى شِيرَازَ ، فَتَفَقَّهْتُ[2] بِهَا فَقِيلَ لِيَ الْفَارِسِيُّ ، وَانْتَحَلُ[3] مَذْهَبَ النُّعْمَانِ ، وَأَنْتَصِرُ لَهُ فِيمَا وَافَقَ اجْتِهَادِي . وَكَانَ عَالِمًا بِفُنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ ، كَانَ قَارِئًا

---

(١) فى نسخة العماد « ابن الخطير » (٢) فتفقهت فى العماد — وفى الاصل : فتفهت

(٣) وانتحل : يقال : فلان ينتحل مذهب كذا ، وقبيلة كذا إذا انتسب إليه

(*) راجع بغية الوعاة ٢١٩

بِالعَشْرِ والشَّوَاذِّ ، عَالِمًا بِتَفسِيرِ القُرْآنِ وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ ، وَالفِقْهِ وَالخِلَافِ [١] ، وَالكَلَامِ [٢] وَالمَنطِقِ ، وَالحِسَابِ وَالهَيْئَةِ وَالطِّبِّ ، مُبَرِّزًا [٣] فِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ ، وَالعَرُوضِ وَالقَوَافِي ، وَرِوَايَةِ أَشْعَارِ العَرَبِ وَأَيَّامِهَا ، وَأَخْبَارِ المُلُوكِ مِنَ العَرَبِ وَالعَجَمِ . وَكَانَ يَحْفَظُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ هَذِهِ العُلُومِ كِتَابًا ، فَكَانَ يَحْفَظُ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ كِتَابَ لُبَابِ التَّفْسِيرِ لِتَاجِ القُرَّاءِ ، وَفِي الفِقْهِ كِتَابَ الوَجِيزِ لِلغَزَالِيِّ ، وَفِي فِقْهِ أَبِي حَنِيفَةَ كِتَابَ الجَامِعِ الصَّغِيرِ لِمُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ نَظْمِ النَّسَفِيِّ ، وَفِي الكَلَامِ كِتَابَ نِهَايَةِ الإِقْدَامِ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ، وَفِي اللُّغَةِ كِتَابَ الجَمْهَرَةِ لِابْنِ دُرَيْدٍ ، كَانَ يَسْرُدُهَا [٤] كَمَا يَسْرُدُ القَارِئُ الفَاتِحَةَ .

---

(١) قوله والخلاف : أى المسائل الخلافية ، لأنها خلاف المتفق عليها — وقال بعضهم : الاختلاف يستعمل فى قول بنى على دليل ، والخلاف فيما لا دليل عليه

(٢) والكلام : أى علم العقائد « التوحيد » وسمى كلاما لكثرة الكلام فى أدلته

(٣) مبرزاً : من قولهم : برز الرجل : فاق أصحابه (٤) يسردها : يقال : سرد الحديث والقراءة : أجاد سياقهما وأتى بهما على ولاء

وَقَالَ لِي : كُنْتُ أَكْتُبُ أَلْوَاحاً وَأَدْرُسُهَا كَمَا أَدْرُسُ الْقُرْآنَ ، فَحَفِظْتُهَا فِي مُدَّةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَكَانَ يَحْفَظُ فِي النَّحْوِ كِتَابَ الْإِيضَاحِ لِأَبِي عَلِيٍّ ، وَعَرُوضَ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ ، وَكَانَ يَحْفَظُ فِي الْمَنْطِقِ أُرْجُوزَةَ أَبِي عَلِيِّ بْنِ سِينَا ، وَكَانَ قَيِّماً بِمَعْرِفَةِ قَانُونِ الطِّبِّ لَهُ ، وَكَانَ عَارِفاً بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ ، وَيُنَاظِرُ أَهْلَهَا بِهَا ، حَتَّى لَقَدْ سَمِعْتُ بَعْضَ رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ يَقُولُ لَهُ : لَوْ حَلَفْتُ أَنَّ سَيِّدَنَا كَانَ حَبْراً[1] مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ لَحَلَفْتُ ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ هَذِهِ النُّصُوصَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ إِلَّا مَنْ تَدَرَّبَ بِهَذِهِ اللُّغَةِ .

وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ عِلْمَ الْأَدَبِ ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُ الشَّيْخَ أَبَا الْفَتْحِ عُثْمَانَ بْنَ عِيسَى النَّحْوِيَّ الْبَلَطِيَّ ، وَهُوَ شَيْخُ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، يَسْأَلُهُ سُؤَالَ الْمُسْتَفِيدِ عَنْ

---

(١) حبرا : الحبر مصدر ، والعالم أو الصالح من العلماء — وقال أبو عبيد : والذى عندى أنه الحبر بالفتح ومعناه : العالم بتحبير الكلام ، والعلم وتحسينه — وفى ديوان الأدب : الحبر بالكسر أفصح ، لأنه يجمع على أفعال . وكان الليث والسكيت يقولان بالفتح والكسر للعالم ، ذمياً كان أم مسلماً ، بعد أن يكون من أهل الكتاب ، وقال أهل المعانى : الحبر : العالم الذى صناعته تحبير المعانى بحسن البيان عنها وإتقانها . والأحبار مختص بعلماء اليهود من ولد هارون

حُرُوفٍ مِنْ حُوشِىِّ[١] اللُّغَةِ ، وَسَأَلَهُ يَوْماً بَحَضْرِى عَمَّا وَقَعَ فِي أَلْفَاظِ الْعَرَبِ عَلَى مِثَالِ شَقَحْطَب ، فَقَالَ : هَذَا يُسَمَّى فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْمَنْحُوت[٢] ، وَمَعْنَاهُ : أَنَّ الْكَلِمَةَ مَنْحُوتَةٌ مِنْ كَلِمَتَيْنِ ، كَمَا يَنْحَتُ النَّجَّارُ خَشَبَتَيْنِ ، وَيَجْعَلُهُمَا وَاحِداً فَشَقَحْطَبَ مَنْحُوتٌ مِنْ شِقٍّ وَحَطَبٍ . فَسَأَلَهُ الْبَلَطِيُّ أَنْ يُثْبِتَ لَهُ مَاوَقَعَ مِنْ هَذَا الْمِثَالِ لِيُعَوِّلَ فِي مَعْرِفَتِهَا عَلَيْهِ ، فَأَمْلَاهَا عَلَيْهِ فِي نَحْوِ عِشْرِينَ وَرَقَةً مِنْ حِفْظِهِ ، وَسَمَّاهَا كِتَابَ تَنْبِيهِ الْبَارِعِينَ عَلَى الْمَنْحُوتِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ .

قَالَ : وَرَأَيْتُ السَّعِيدَ أَبَا الْقَاسِمِ هِبَةَ اللهِ بْنَ الرَّشِيدِ جَعْفَرِ بْنِ سَنَاءِ الْمُلْكِ ، يَسْأَلُهُ عَنْ وَجْهِ الِامْتِحَانِ عَنْ كَلِمَاتٍ مِنْ غَرِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَهُوَ يُجِيبُ عَنْهَا بِشَوَاهِدِهَا[٣] . وَكَانَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ عَبْدُ الرَّحِيمِ الْبَيْسَانِيُّ قَدْ وَضَعَهُ عَلَى ذَلِكَ .

---

(١) كانت فى الأصل : « حواشى اللغة »

(٢) المنحوت : النحت فى اصطلاح أهل اللغة العربية ، جعل كلمتين كلمة واحدة كالعبشمى فى النسبة إلى عبد شمس ، والجعفلة : من جعلت فداءك ، وما إلى ذلك .

(٣) هكذا فى نسخة العماد ، وفى الأصل : « بشواردها » .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي عَنْ نَفْسِهِ قَالَ : لَمَّا دَخَلْتُ خُوزِسْتَانَ لَقِيتُ بِهَا الْمُجِيرَ الْبَغْدَادِيَّ تِلْمِيذَ الشَّهْرَسْتَانِيِّ ، وَكَانَ مُبَرِّزًا فِي عُلُومِ النَّظَرِ [١] فَأَحَبَّ صَاحِبُ خُوزِسْتَانَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَنَا لِلْمُنَاظَرَةِ فِي مَجْلِسِهِ ، وَبَلَغَنِي ذَلِكَ ، فَأَشْفَقْتُ مِنَ الِانْقِطَاعِ لِمَعْرِفَتِي بِوُفُورِ بِضَاعَةِ الْمُجِيرِ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ ، وَعَرَفْتُ أَنَّ بِضَاعَتَهُ مِنَ اللُّغَةِ نَزْرَةٌ [٢] ، فَلَمَّا جَلَسْنَا لِلْمُنَاظَرَةِ وَالْمَجْلِسُ غَاصٌّ بِالْعُلَمَاءِ ، فَقُلْتُ لَهُ : نَعْرِضُ [٣] الْكَلَامَ إِذًا ، أَفَرَأَيْتَ الْعَلَّةَ [٤] إِلَى قَرِينِهَا فَارِهًا [٥] فِي وَبْصَانَ [٦] ، أَوِ الْجِسَادَ [٧] إِذَا تَأَشَّبَ [٨] بِأَبِي [٩] الْمُغْبِثِ؟ [١٠] فَاحْتَاجَ إِلَى أَنْ يَسْتَفْسِرَ مَا قُلْتُ ، فَشَنَّعْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ : اُنْظُرْ إِلَى الْمُدَّعِي رُتْبَةَ الْإِمَامَةِ يَجْهَلُ لُغَةَ الْعَرَبِ ، الَّتِي بِهَا

---

(١) علوم النظر : يعنى علم الكلام وأدواته ، كالمنطق وآداب البحث ، والمناظرة .
(٢) نزرة : قليلة (٣) فى الاصل : « نعرض » . وفى نسخة العماد : تعرض
(٤) العلة : الزوجة (٥) فارها : رجل فاره بين الفراهة . (٦) وبصان : شهر ربيع الآخر ، من أسمائهم القديمة (٧) الجساد : بكسر الجيم ، الزعفران .
(٨) تأشب : وائتشب : أى اختلط (٩) بأبى فى العماد . وفى الاصل : « بى »
(١٠) فى الاصل المغيث ولعلها كما ذكرنا : وهى أقط يلت بالسمن — والغبثة أيضا لون إلى الغبرة

نَزَلَ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَجَاءَ حَدِيثُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَالْمُنَاظَرَةُ : إِنَّمَا اشْتُقَّتْ مِنَ النَّظِيرِ ، وَلَيْسَ هَذَا بِنَظِيرِى ، لِجَهْلِهِ بِأَحَدِ الْعُلُومِ الَّتِى يَلْزَمُ الْمُجْتَهِدَ الْقِيَامُ بِهَا ، وَكَثُرَ لَغَطُ[1] أَهْلِ الْمَجْلِسِ ، وَانْقَسَمُوا فَرِيقَيْنِ فِرْقَةً لِى ، وَفِرْقَةً عَلَىَّ ، وَانْفَضَّ[2] الْمَجْلِسُ عَلَى ذَلِكَ ، وَشَاعَ فِى النَّاسِ أَنِّى قَطَعْتُهُ[3] . وَكَانَ الظَّهِيرُ قَدْ أَقَامَ بِالْقُدْسِ مُدَّةً ، فَاجْتَازَ بِهِ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ عُثْمَانُ بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ ، فَرَآهُ عِنْدَ الصَّخْرَةِ يُدَرِّسُ ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَعُرِّفَ مَنْزِلَتَهُ مِنَ الْعِلْمِ ، فَأَحْضَرَهُ عِنْدَهُ ، وَرَغَّبَهُ فِى الْمَصِيرِ مَعَهُ ، لِيَقْمَعَ[4] بِهِ شِهَابَ الدِّينِ أَبَا الْفَتْحِ الطُّوسِىَّ لِشَىْءٍ نَقَمَهُ[5] عَلَيْهِ ، فَوَرَدَ مَعَهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ كُلَّ شَهْرٍ سِتِّينَ دِينَاراً ، وَمِائَةَ رِطْلٍ خُبْزاً وَخَرُوفاً وَشَمْعَةً كُلَّ يَوْمٍ ، وَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْجُنْدِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَصَارَ

---

(١) اللغط : الصوت والجلبة . والصياح المختلط (٢) فى الاصل : « انفك »
(٣) القطع : هو حسم الكلام بالقول الفصل حتى يذل المقطوع (٤) ليقمع به : قمعته قمعا : أذللته (٥) نقمه عليه : نقمت عليه أمره ، ونقمت منه نقما : من باب ضرب : بمعنى كره .

لَهُ سُوقٌ قَائِمٌ ، إِلَى أَنْ قَرَّرَ الْعَزِيزُ الْمُنَاظَرَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الطُّوسِيِّ فِي غَدِ عِيدٍ ، وَعَزَمَ الظَّهِيرُ أَنْ يَسْلُكَ مَعَ الطُّوسِيِّ وَقْتَ الْمُنَاظَرَةِ طَرِيقَ الْمُجِيرِ مِنَ الْمُغَالَطَةِ ، لِأَنَّ الطُّوسِيَّ كَانَ قَلِيلَ الْمَحْفُوظِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ جَرِيئًا مِقْدَامًا شَدِيدَ الْمُعَارَضَةِ ، وَاتَّفَقَ أَنْ رَكِبَ الْعَزِيزُ يَوْمَ الْعِيدِ ، وَرَكِبَ مَعَهُ الظَّهِيرُ وَالطُّوسِيُّ ، فَقَالَ الظَّهِيرُ لِلْعَزِيزِ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ : أَنْتَ يَا مَوْلَانَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَوَجَدَ الطُّوسِيُّ السَّبِيلَ إِلَى مَقْتَلِهِ فَقَالَ : وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ وَكَيْفَ تُزَكِّي[1] عَلَى اللهِ تَعَالَى ؟ فَقَالَ لَهُ الظَّهِيرُ : قَدْ زَكَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ . فَقَالَ : أَبَيْتَ يَا مِسْكِينُ إِلَّا جَهْلًا ، مَا تُفَرِّقُ بَيْنَ التَّزْكِيَةِ عَنِ اللهِ ، وَالتَّزْكِيَةِ عَلَى اللهِ ؟ وَأَنْتَ مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ هَذَا مِنْ أَهْلِ

(١) تزكى على الله : يقال : زكى نفسه : مدحها ، وزكاه الله : أنماه الله وطهره وأصلحه . يقول : كيف تفتات على الله فى حكم غيب عنك ؟

الْجَنَّةِ ؟ مَا أَنْتَ إِلَّا كَمَا زَعَمُوا : أَنَّ فَأْرَةً وَقَعَتْ فِي دَنِّ[1] خَمْرٍ ، فَشَرِبَتْ فَسَكِرَتْ ، فَقَالَتْ أَيْنَ الْقِطَاطُ[2] ؟ فَلَاحَ لَهَا هِرٌّ ، فَقَالَتْ : لَا تُؤَاخِذِ السُّكَارَى بِمَا يَقُولُونَ . وَأَنْتَ شَرِبْتَ مِنْ خَمْرِ دَنِّ نِعْمَةِ هَذَا الْمَلِكِ فَسَكِرْتَ ، فَصِرْتَ تَقُولُ خَالِياً : أَيْنَ الْعُلَمَاءُ ؟ فَأَبْلَسَ[3] وَلَمْ يَجِدْ جَوَاباً وَانْعَرَفَ ، وَقَدْ انْكَسَرَتْ حُرْمَتُهُ عِنْدَ الْعَزِيزِ ، وَشَاعَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ بَيْنَ الْعَوَامِّ ، وَصَارَتْ تُحْكَى فِي الْأَسْوَاقِ وَالْمَحَافِلِ . فَكَانَ مَآلُ أَمْرِهِ أَنِ انْضَوَى[4] إِلَى الْمَدْرَسَةِ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْأَمِيرُ تَرْكُونُ الْأَسَدِيُّ ، يُدَرِّسُ بِهَا مَذْهَبَ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَى أَنْ مَاتَ . وَكَانَ قَدْ أَمْلَى كِتَاباً فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، وَصَلَ مِنْهُ بَعْدَ سِنِينَ إِلَى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » فِي نَحْوِ مِائَتَيْ وَرَقَةٍ ، وَمَاتَ وَلَمْ يَخْتِمْ تَفْسِيرَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ . وَلَهُ :

---

(١) دن خمر : الدن واحد الدنان : وهو الخابية (٢) القطاط جمع قط (٣) فأبلس : أى سكت غما ، والابلاس : الانكسار والحزن (٤) انضوى إليه انضواء : انضم اليه ولجأ وأوى

كِتَابٌ فِى شَرْحِ الصَّحِيحَيْنِ عَلَى تَرْتِيبِ الْحُمَيْدِىِّ سَمَّاهُ كِتَابَ الْحُجَّةِ ، اُخْتَصَرَهُ مِنْ كِتَابِ الْإِفْصَاحِ فِى تَفْسِيرِ الصِّحَاحِ لِلْوَزِيرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، وَزَادَ عَلَيْهِ أَشْيَاءَ وَقَعَ اُخْتِيَارُهُ عَلَيْهَا ، وَكِتَابٌ فِى اُخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَفُقَهَاءِ الْأَنْصَارِ وَلَمْ يَتِمَّ . وَلَهُ خُطَبٌ وَفُصُولٌ وَعِظِيَّةٌ مَشْحُونَةٌ بِغَرِيبِ اللُّغَةِ وَحُوشِيِّهَا .

٩ — اَلْحَسَنُ بْنُ دَاوُدَ الرَّقِّىُّ *

الحسن ابن داود الرقى

أَبُو عَلِىٍّ ، لَا أَعْرِفُ مِنْ أَمْرِهِ إِلَّا مَا وَجَدْتُهُ بِخَطِّ أَبِى الْحَسَنِ عَلِىِّ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الشِّمْشِىِّ اللُّغَوِىِّ . حَدَّثَنَا النَّيْسَابُورِىُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ النَّاقِطُ قَالَ : حَدَّثَنَا النَّاقِطُ قَالَ : حَدَّثَنَا الْقَاضِى أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ كَامِلِ بْنِ خَلَفِ بْنِ شَجَرَةَ قَالَ : قَالَ لِى أَبُو أَحْمَدَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْبَرْذِىُّ : سَمِعْتُ مِنَ الْحَسَنِ بْنِ دَاوُدَ أَبِى عَلِىٍّ الرَّقِّىِّ بِسُرَّ مَنْ رَأَى ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ كِتَابَهُ

(*) لم نعثر فيما رجعنا اليه من مظان على من ترجم له سوى ياقوت

الَّذِى يُسَمِّيهِ كِتَابَ الْخَلِيِّ ، وَكَانَ وَقْتَ كَتَبْنَا عَنْهُ قَدْ جَازَ الثَّمَانِينَ ، وَأَخْرَجَ إِلَيَّ أَبُو أَحْمَدَ الْكِتَابَ ، فَإِذَا هُوَ الْكِتَابُ الَّذِى سَمَّاهُ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى فَصِيحَ الْكَلَامِ . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ النَّاقِطُ : قَالَ ابْنُ كَامِلٍ : وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ دَاوُدَ مُؤَدِّبَ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ وَزِيرِ الْمُعْتَضِدِ .

﴿ ١٠ – الْحَسَنُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ الْحَسَنِ الْقُرَشِيُّ * ﴾

الحسن ابن داود القرشى

الْمَعْرُوفُ بِالْبَقَّارِ الْمُقْرِئِ ، يُكْنَى أَبَا عَلِيٍّ ، أُمَوِيٌّ كُوفِيٌّ ، قَرَأَ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الْقَاسِمِ بْنِ أَحْمَدَ ، الْمَعْرُوفِ بِالْخَيَّاطِ التَّمِيمِيِّ ، الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْقَمْلِيِّ أَيْضاً – عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ ابْنِ حَبِيبٍ الشَّمُّونِيِّ الْكُوفِيِّ ، عَنْ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ خَلِيفَةَ الْأَعْشَى ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ ، عَنْ عَاصِمٍ – قِرَاءَةَ عَاصِمٍ . وَمَاتَ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَصَنَّفَ كُتُباً مِنْهَا : كِتَابُ قِرَاءَةِ الْأَعْشَى ، كِتَابُ اللُّغَةِ فِي مَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَأُصُولِ النَّحْوِ ، ذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢١٩

الْهَمَذَانِىُّ فِى كِتَابِ الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ لَهُ فِى نَسَبِ الْبَقَّارِ: « الْحَسَنُ ابْنُ دَاوُدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَوْنِ بْنِ مُنْذِرِ بْنِ صَبِيحٍ الْقُرَشِيُّ النَّحْوِىُّ، وَكَانَ مَوْصُوفاً بِحُسْنِ الْقِرَاءَةِ وَطِيبِ النَّغَمِ[1] جِدًّا ».

وَقَالَ ابْنُ النَّجَّارِ فِى تَارِيخِ الْكُوفَةِ: وَمِنْ[2] خِيَارِ رِجَالِ عَاصِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبٍ الصَّيْرَفِىُّ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَمْلِىِّ اخْتِلَافَاتٌ فِى حُرُوفٍ يَسِيرَةٍ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنْهُمْ: أَبُو عَلِىٍّ الْحَسَنُ بْنُ دَاوُدَ الْبَقَّارُ، وَكَانَ حَاذِقاً بِالنَّحْوِ، لَفَّاظاً بِالْقُرْآنِ، صَاحِبَ أَلْحَانٍ، وَكَانَ يُصَلِّى بِالنَّاسِ التَّرَاوِيحَ بِالْجَامِعِ بِالْكُوفَةِ، وَصَلَّى فِيهِ ثَلَاثاً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَ أَحَدَ الْمُجَوِّدِينَ[3].

﴿ ١١ — الْحَسَنُ بْنُ رَشِيقٍ الْقَيْرَوَانِىُّ * ﴾

الحسن ابن رشيق

مَوْلَى الْأَزْدِ، كَانَ شَاعِراً أَدِيباً، نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا،

---

(١) النغم: من قولهم فلان: حسن النغمة: أى حسن الصوت فى القراءة

(٢) فى الاصل: « ومن تاريخ » (٣) المجودين: من جود القارىء: حافظ على التجويد فى قراءته

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢٠

حَاذِقًا عَرُوضِيًّا ، كَثِيرَ التَّصْنِيفِ ، حَسَنَ التَّأْلِيفِ ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ شَرَفٍ الْأَدِيبِ مُنَاقَضَاتٌ[1] وَمُحَاقَدَاتٌ[2] ، وَصَنَّفَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ عِدَّةَ تَصَانِيفَ . كَانَ أَبُوهُ رَشِيقٌ رُومِيًّا ، ذَكَرَ ذَلِكَ هُوَ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ شَرَفٍ ، بَعْدَ ذِكْرِهِ نَسَبَ ابْنِ شَرَفٍ : هُوَ ابْنُ امْرَأَةٍ نَائِحَةٍ ثُمَّ قَالَ : وَأَمَّا أَنَا — فَنَضَّرَ اللهُ وَجْهَ هَذَا الشَّيْخِ فِيَّ[3] ، وَأَتَمَّ بِهِ النِّعْمَةَ عَلَيَّ — ، فَمَا أَبْغِي بِهِ أَبًا ، وَلَا أَرْضَى بِمَذْهَبِهِ مَذْهَبًا ، رَضِيتُ بِهِ رُومِيًّا ، لَا دَعِيًّا[4] ، وَلَا بِدْعِيًّا[5] .

تَأَدَّبَ ابْنُ رَشِيقٍ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ الْقَزَّازِ ، الْقَيْرَوَانِيِّ النَّحْوِيِّ اللُّغَوِيِّ ، وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْقَيْرَوَانِ . وَمَاتَ بِالْقَيْرَوَانِ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، عَنْ سِتٍّ وَسِتِّينَ سَنَةً ، ذَكَرَ ابْنُ رَشِيقٍ هَذَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي

---

(١) مناقضات : أى مخالفات فى الرأى . (٢) محاقدات : من الحقد أى ضغائن .

(٣) فى الأصل : « فنظر الله فى وجه هذا الشيخ إلى » (٤) الدعى : المتهم فى نسبه ، والذى يدعى غير أبيه ، وجمعه أدعياء (٥) بدعيا : منسوب إلى البدعة : وهى زيادة فى الدين أو نقصان منه بعد الاكمال ، من الاهواء والاعمال . وقيل : ما أحدث وخالف كتابا أو سنة أو إجماعا أو أثرا ، فهو البدعة الضالة ، وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئا من ذلك ، فهو البدعة المحمودة ، والجمع بدع

شُعَرَاءِ عَصْرِهِ، وَوَسَمَهُ بِالنَّمُوذَجِ [1] فَقَالَ فِي آخِرِهِ: صَاحِبُ الْكِتَابِ هُوَ حَسَنُ بْنُ رَشِيقٍ، مَوْلًى مِنْ مَوَالِي الْأَزْدِ، وُلِدَ بِالْمُحَمَّدِيَّةِ سَنَةَ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ، وَتَأَدَّبَ بِهَا يَسِيراً. وَقَدِمَ إِلَى الْحَضْرَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَامْتَدَحَ سَيِّدَنَا ـ خَلَّدَ اللهُ دَوْلَتَهُ ـ.

« قَالَ الْمُؤَلِّفُ يَعْنِي الْمُعِزَّ بْنَ بَادِيسَ بْنِ الْمَنْصُورِ » سَنَةَ عَشْرٍ بِقَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا:

ذُمَّتْ لِعَيْنِكَ أَعْيُنُ الْغِزْلَانِ
قَمَرٌ أَقَرَّ لِحُسْنِهِ الْقَمَرَانِ [2]

وَمَشَتْ وَلَا وَاللهِ مَاحِقْفُ [3] النَّقَا
مِمَّا أَرَتْكَ وَلَا قَضِيبُ الْبَانِ [4]

وَثَنُ [5] الْمَلَاحَةِ غَيْرَ أَنَّ دِيَانَتِي
تَأْبَى عَلَيَّ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ

---

(١) كانت فى الأصل: « الانموذج » وهو لحن، وقد سبق الكلام عليه

(٢) القمران: الشمس والقمر (٣) حقف النقا: المموج من الرمل

(٤) البان: شجر سبط القوام لين يشبه به القد لتثنيه (٥) الوثن: الصنم، والمعنى: معبود الحسن والجمال

مِنْهَا :

يَا بْنَ الْأَعِزَّةِ مِنْ أَكَابِرِ حِمْيَرٍ
وَسُلَالَةِ الْأَمْلَاكِ مِنْ قَحْطَانِ

مِنْ كُلِّ أَبْلَجَ (١) وَاضِحٍ (٢) بِلِسَانِهِ
يَضَعُ السُّيُوفَ مَوَاضِعَ التِّيجَانِ

قَالَ : وَمِنْ مَدْحِهِ الْقَصِيدَةُ الَّتِي دَخَلَ بِهَا فِي جُمْلَتِهِ ، وَنُسِبَ إِلَى خِدْمَتِهِ ، فَلَزِمَ الدِّيوَانَ وَأَخَذَ الصِّلَةَ وَالْحُمْلَانَ :

لَدْنُ (٣) الرِّمَاحِ لِمَا يَسْقِي أَسِنَّتَهَا
مِنْ مُهْجَةِ الْقَيْلِ أَوْ مِنْ ثُغْرَةِ الْبَطَلِ

لَوْ أَثْمَرَتْ مِنْ دَمِ الْأَعْدَاءِ سُمْرُ قَنًا
لَأَوْرَقَتْ عِنْدَهُ سُمْرُ الْقَنَا الذُّبُلِ

إِذَا تَوَجَّهَ فِي أُولَى كَتَائِبِهِ
لَمْ تَفْرِقِ الْعَيْنُ بَيْنَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ

---

(١) يقال : رجل أبلج الوجه : أى مشرقه (٢) فى نسخة العماد الخطية « واضع »
(٣) أى لين ، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف القيل : الملك — ثغرة البطل : نقرة فى نحره

فَالْجَيْشُ يَنْفُضُ حَوْلَيْهِ أَسِنَّتَهُ

نَفْضَ الْعُقَابِ جَنَاحَيْهِ مِنَ الْبَلَلِ

يَأْبَى الْأُمُورَ عَلَى رِفْقٍ وَفِي دَعَةٍ

عَجْلَانَ كَالْفَلَكِ الدَّوَّارِ فِي مَهَلِ

قَالَ: وَمِنْ رِثَائِهِ:

أَمَا لَئِنْ صَحَّ مَاجَاءَ الْبَرِيدُ بِهِ

لَيَكْثُرَنَّ مِنَ الْبَاكِينَ أَشْيَاعِي

مَازِلْتُ أَفْزَعُ مِنْ يَأْسٍ وَمِنْ طَمَعٍ

حَتَّى تَرَفَّعَ يَأْسِي فَوْقَ أَطْمَاعِي

فَالْيَوْمَ أُنْفِقُ كَنْزَ الْعُمْرِ أَجْمَعَهُ

لَمَّا مَضَى وَاحِدُ الدُّنْيَا بِإِجْمَاعِ

قَالَ: وَمِنْ هِجَائِهِ:

قَالُوا رَأَيْنَا فُرَاتًا (١) لَيْسَ يُوجِعُهُ

مَا يُوجِعُ النَّاسَ مِنْ هَجْوٍ إِذَا قُذِفَا

---

(١) أى كالفرات فى السعة وكثرة الماء، بمعنى أن كل مايقال يغرق فيه ولا أثر له.

وَلَهُ مِنْ كِتَابِ سِرِّ السُّرُورِ :

مُعَتَّقَةٌ يَعْلُو الْحَبَابُ مُتُونَهَا
فَتَحْسَبُهُ فِيهَا نَثِيرَ جُمَانِ (١)

رَأَتْ مِنْ لُجَيْنٍ رَاحَةً لِمُدِيرِهَا
فَطَافَتْ لَهُ مِنْ عَسْجَدٍ بِبَنَانِ

وَمِنْ غَيْرِ كِتَابِهِ لَهُ :

وَمِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةٌ
مِنَ الْعُمْرِ لَمْ تَتْرُكْ لِأَيَّامِهَا ذَنْبَا

خَلَوْنَا بِهَا نَنْفِي الْقَذَا عَنْ عُيُونِنَا
بِلُؤْلُؤَةٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا سَكْبَا

وَمِلْنَا لِتَقْبِيلِ الثُّغُورِ وَلَثْمِهَا
كَمَيْلِ جَنَاحِ الطَّيْرِ يَلْتَقِطُ الْحَبَّا (٢)

قَالَ الْأَبِيوَرْدِيُّ : هَذَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

---

(١) جمان : جمع جمانة ، ونثير بمعنى منثور (٢) البيت الثالث فى نسخة المهاد

كَمْ مِنْ عِنَاقٍ لَنَا وَمِنْ قُبَلٍ
مُخْتَلَسَاتٍ حِذَارَ مُرْتَقِبِ

نَقْرَ الْعَصَافِيرِ - وَهْيَ خَائِفَةٌ
مِنَ النَّوَاطِيرِ - (١) يَانِعَ الرُّطَبِ

وَلَهُ أَيْضاً :

قَدْ حَنَّكَتْ (٢) مِنِّى التَّجَا
رِبُ (٣) كُلَّ شَىْءٍ غَيْرَ جُودِى

أَبَدًا أَقُولُ لَئِنْ كَسَبْـ
ـتُ لَأَقْبِضَنَّ بِيَدَىْ شَدِيدِ

حَتَّى إِذَا أَثْرَيْتُ عُدْ
تُ إِلَى السَّمَاحَةِ مِنْ جَدِيدِ

إِنَّ الْمُقَامَ بِمِثْلِ حَا
لِى لَا يَتِمُّ مَعَ الْقُعُودِ

(١) النواطير : جمع ناطور : وهو حارس الكرم وحافظه ، يريد قبلا تشبه نقر العصافير ليانع الرطب (٢) وفى الاصل : حكمت فأصلحت الى حنكت أى أحكمت

(٣) التجارب : تجربة ، وجربت الشىء تجريبا : اختبرته مرة بعد أخرى

لَا بُدَّ لِي مِنْ رِحْلَةٍ
تُدْنِي مِنَ الْأَمَلِ الْبَعِيدِ

وَلَهُ أَيْضاً :

فِي النَّاسِ مَنْ لَا يُرْتَجَى نَفْعُهُ
إِلَّا إِذَا مُسَّ بِإِضْرَارِ
كَالْعُودِ لَا يُطْمَعُ فِي طِيبِهِ
إِنْ أَنْتَ لَمْ تَمْسَسْهُ بِالنَّارِ

وَمِمَّا أَوْرَدَهُ ابْنُ رَشِيقٍ لِنَفْسِهِ فِي النَّمُوذَجِ :

أَقُولُ كَالْمَأْسُورِ فِي لَيْلَةٍ
أَلْقَتْ عَلَى الْآفَاقِ كَلْكَالَهَا[1]
يَا لَيْلَةَ الْهَجْرِ الَّتِي لَيْتَهَا
قَطَّعَ سَيْفُ الْهَجْرِ أَوْصَالَهَا
مَا أَحْسَنَتْ جُمْلٌ[2] وَلَا أَجْمَلَتْ
هَـذَا وَلَيْسَ الْحُسْنُ إِلَّا لَهَا

(١) الكلكل والكلكال : الصدر ، أو مابين الترقوتين . والمراد به هنا لازمه وهو ثقله ، أي ليلة كثيرة الهم (٢) فى العماد : وفى الاصل « جمله »

وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ أَيْضاً :

أُحِبُّ أَخِي وَإِنْ أَعْرَضْتُ عَنْهُ
وَقَلَّ عَلَى مَسَامِعِهِ كَلَامِي

وَلِي فِي وَجْهِهِ تَقْطِيبُ[١] رَاضٍ
كَمَا قَطَّبْتَ فِي وَجْهِ الْمُدَامِ[٢]

وَرُبَّ تَجَهُّمٍ[٣] مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ
وَضِغْنٍ كَامِنٍ تَحْتَ ابْتِسَامِ

وَلَهُ أَيْضاً :

مَنْ جَفَانِي فَإِنَّنِي غَيْرُ جَافٍ
صِلَةً[٤] أَوْ قَطِيعَةً فِي عَفَافِ

رُبَّمَا هَاجَرَ الْفَتَى مَنْ يُصَافِيهِ
وَلَاقَى بِالْبِشْرِ مَنْ لَا يُصَافِي

---

(١) يقال : قطب قطبا وقطوبا ، وقطب . الرجل ، زوى ما بين عينيه وكلح فهو مقطب (٢) المدام والمدامة : الخمر (٣) فى وفيات الاعيان : تقطب ، — ويقال : تجهمه وتجهم له : استقبله بوجه عبوس . (٤) يريد : أصله صلة ، أو أقطعه قطيعة ، ولكن لاضرر منها ، إذ أنها قطيعة فى عفة عن الاضرار به « عبد الخالق »

وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ فِى كِتَابِ فَسْخِ اللُّمَحِ :

الْمَرْءُ فِى فُسْحَةٍ كَمَا عَلِمُوا
حَتَّى يُرَى شِعْرُهُ وَتَأْلِيفُهُ

فَوَاحِدٌ مِنْهُمَا صَفَحْتَ لَهُ
عَنْهُ وَجَازَتْ لَهُ زَخَارِيفُهُ[1]

وَآخَرٌ نَحْنُ[2] مِنْهُ فِى غَرَرٍ
إِنْ لَمْ يُوَافِقْ رِضَاكَ تَثْقِيفُهُ

وَقَدْ بَعَثْنَا كِيسَيْنِ مِلْؤُهُمَا
نَقْدُ امْرِىءٍ حَاذِقٍ وَتَزْيِيفُهُ[3]

فَانْظُرْ وَمَا زِلْتَ أَهْلَ مَعْرِفَةٍ
يَا مَنْ لَنَا عِلْمُهُ وَمَعْرُوفُهُ

ثُمَّ قَالَ فِى وَرَقَةٍ أُخْرَى تَمَامَ الْأَبْيَاتِ الْعَيْنِيَّةِ ، وَمَا وَجَدْتُهَا أَعْنِى الْأَبْيَاتَ الَّتِى هَذِهِ تَمَامُهَا :

---

(١) جمع زخرف : وهو التحسين والتزيين ، وزخرف الكلام : أباطيله المموهة . يريد فواحد منهما إما صفحت له عنه وأجزت زخاريفه ، وإما نازعته القول .

(٢) فى العماد : والأصل : « نجرى » (٣) يريد أن شعره مثل كيسين ملئتا دراهم ، منها الزائف ومنها الخالى من الزيف

وَلَوْ غَيْرُكَ الْمَوْسُومُ عِنْدِى بِرِيبَةٍ
لَأَعْطَيْتُ فِيهِ مُدَّعِي الْقَوْمِ مَا ٱدَّعَى

فَلَا تَتَخَالَجَكَ[١] الظُّنُونُ فَإِنَّهَا
مَآثِمُ وَٱتْرُكْ لِلصَّنَائِعِ[٢] مَوْضِعَا

فَوَاللهِ مَا طَوَّلْتُ[٣] بِاللَّوْمِ فِيكُمُ
لِسَانًا وَلَا عَرَّضْتُ لِلذَّمِّ مَسْمَعَا

وَلَا مِلْتُ عَنْكُمْ بِالْوِدَادِ وَلَا ٱنْطَوَتْ[٤]
حِبَالِي وَلَا وَلَّى ثَنَائِي مُوَدِّعَا

بَلَى رُبَّمَا أَكْرَمْتُ نَفْسِي فَلَمْ تَهُنْ
وَأَجْلَلْتُهَا عَنْ أَنْ تَذِلَّ وَتَخْضَعَا

فَبَايَنْتُ[٥] لَا أَنَّ الْعَدَاوَةَ بَايَنَتْ
وَقَاطَعْتُ لَا أَنَّ الْوَفَاءَ تَقَطَّعَا

---

(١) تتخالجك : تتناوبك وتتجاذبك (٢) الصنائع جمع صنيعة : وهى الاحسان والصنع الجميل (٣) طوله : جعله طويلا ، والمراد : لم أمدد لسانى بالكلام فى عرضكم . (٤) انطوت : جمت كأنها انقطعت (٥) أى قاطعتكم وليس هذا ، لأن العداوة الباعثة على المقاطعة ، كما أن المقاطعة لم تكن لأن الوفاء زال عبد الخالق

وَخَتَمَ كِتَابَ الْعُمْدَةِ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

إِنَّ الَّذِى صَاغَتْ يَدِى وَفَمِى
وَجَرَى لِسَانِى فِيهِ أَوْ قَلَمِى

مِمَّا عُنِيتُ بِسَبْكِ خَالِصِهِ
وَاُخْتَرْتُهُ مِنْ جَوْهَرِ الْكَلِمِ

لَمْ أُهْدِهِ إِلَّا لِتَكْسُوَهُ
ذِكْرًا يُجَدِّدُهُ عَلَى الْقِدَمِ

لَسْنَا نَزِيدُكَ فَضْلَ مَعْرِفَةٍ
لَكِنَّهُنَّ مَصَايِدُ الْكَرَمِ

فَاقْبَلْ هَدِيَّةَ مَنْ أَشَدْتَ[1] بِهِ
وَنَسَخْتَ[2] عَنْهُ آيَةَ الْعَدَمِ

لَا تُخْسِنُ الدُّنْيَا أَبَا حَسَنٍ
تَأْتِى[3] بِمِثْلِكَ فَائِقَ الْهِمَمِ

---

(١) أشاد بذكره : أى رفعه بالثناء عليه . (٢) نسخ الشىء : أزاله وأبطله .

(٣) تأتى : يريد أن تأتى

١٢ – الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ صَافِيٍّ *

الحسن بن صافى

أَبُو نِزَارٍ النَّحْوِيُّ ، وَكَانَ أَبُوهُ صَافِيٌّ مَوْلَى الْحُسَيْنِ الْأَرْمَوِيِّ التَّاجِرِ ، وَكَانَ لَا يَذْكُرُ ٱسْمَ أَبِيهِ إِلَّا بِكُنْيَتِهِ ، لِئَلَّا يُعْرَفَ أَنَّهُ مَوْلًى ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِمَلِكِ النُّحَاةِ . قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ عَسَاكِرٍ الْحَافِظُ : ذَكَرَ لِي أَنَّهُ وُلِدَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ بِشَارِعِ دَارِ الرَّقِيقِ ، ثُمَّ ٱنْتَقَلَ إِلَى الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ إِلَى جِوَارِ حَرَمِ الْخِلَافَةِ ، وَهُنَاكَ قَرَأَ الْعِلْمَ وَتَخَرَّجَ . وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنَ الشَّرِيفِ أَبِي طَالِبٍ الزَّيْنَبِيِّ ، وَقَرَأَ الْفِقْهَ عَلَى أَحْمَدَ ، وَأُصُولَ الْفِقْهِ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ بْنِ بُرْهَانٍ ، وَالْخِلَافَ عَلَى أَسْعَدَ الْمِيهَنِيِّ ، وَالنَّحْوَ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي زَيْدٍ الْأَسْتَرَابَاذِيِّ الْفَصِيحِيِّ ، وَفُتِحَ لَهُ الْجَامِعُ وَدَرَّسَ ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى بِلَادِ خُرَاسَانَ وَكَرْمَانَ (١)

---

(١) وقد تكسر الكاف ، وقيل ان الكسر لحن

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢٠

وَغَزْنَةَ ، وَدَخَلَ إِلَى الشَّامِ وَقَدِمَ دِمَشْقَ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا وَعَادَ إِلَيْهَا وَاسْتَوْطَنَهَا إِلَى أَنْ مَاتَ بِهَا ، فِى تَاسِعِ شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْبَابِ الصَّغِيرِ ، وَكَانَ قَدْ نَاهَزَ[١] الثَّمَانِينَ ، وَكَانَ صَحِيحَ الِاعْتِقَادِ كَرِيمَ النَّفْسِ ، ذَكَرَ لِى أَسْمَاءَ مُصَنَّفَاتِهِ : كِتَابُ الْحَادِى فِى النَّحْوِ مُجَلَّدَتَانِ ، كِتَابُ الْعُمَدِ فِى النَّحْوِ مُجَلَّدَةٌ وَهُوَ كِتَابٌ نَفِيسٌ ، كِتَابُ الْمُقْتَصَدِ فِى التَّصْرِيفِ مُجَلَّدَةٌ ضَخْمَةٌ ، كِتَابِ أُسْلُوبِ الْحَقِّ فِى تَعْلِيلِ الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ ، وَشَىْءٍ مِنَ الشَّوَاذِّ مُجَلَّدَتَانِ ، كِتَابُ التَّذْكِرَةِ السَّفَرِيَّةِ[٢] انْتَهَتْ إِلَى أَرْبَعِمِائَةِ كُرَّاسَةٍ ، كِتَابُ الْعَرُوضِ مُخْتَصَرٌ مُحَرَّرٌ[٣] ، كِتَابٌ فِى الْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِىِّ سَمَّاهُ الْحَاكِمَ مُجَلَّدَتَانِ ، كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ فِى أُصُولِ الْفِقْهِ ، كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ فِى أُصُولِ الدِّينِ ، كِتَابُ دِيوَانِ شِعْرِهِ ، كِتَابُ الْمَقَامَاتِ

---

(١) ناهز الثمانين : داناها وقاربها . (٢) فى البغية : « السنجرية » وفى العماد : « التذكرة السفرية » كما هنا . (٣) من حرر الكتاب ، حسنه ، وأصلحه .

حَذَا حَذْوَ الْحَرِيرِيّ . وَمِنْ شِعْرِهِ يَمْدَحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

يَا قَاصِدًا يَثْرِبَ(١) الْفَيْحَاءَ مُرْتَجِيًا
أَنْ يَسْتَجِيرَ بِعَلْيَا خَاتَمَ الرُّسُلِ

خُذْ عَنْ أَخِيكَ مَقَالًا إِنْ صَدَعْتَ بِهِ(٢)
مُدِحْتَ فِي آخِرِ الْأَعْصَارِ وَالْأُوَلِ

قُلْ يَا مَنِ الْفَخْرُ مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ فَإِنْ
تُذْكَرِ الْفَخْرُ لَمْ يَصْدِفْ(٣) وَلَمْ يَمِلِ

صِيتٌ(٤) إِذَا طُلِبَتْ غَايَاتُهُ خَرَقَتْ
سَبْعًا طِبَاقًا(٥) فَبَذَّتْ كُلَّ ذِي أَمَلِ

عَلَوْتَ وَازْدَدْتَ حَتَّى عَادَ مُنْتَزِحًا(٦)
جِبْرِيلُ عَمَّا لَهُ قَدْ كَانَ لَمْ يَطُلِ

---

(١) يثرب : المدينة المنورة التى بها قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، والفيحاء : الواسعة

(٢) صدعت به : جهرت من قوله : « فأصدع بما تؤمر » أى شبه التبليغ بصدع الزجاج بجامع أن كلا له تأثيره البالغ (٣) صدف عنه : أعرض (٤) الصيت : الذكر الحسن

(٥) يريد السموات السبع (٦) عاد بمعنى صار ـ ومنتزحا بمعنى مبتعدا

وَعُدْتَ والكِبْرُ قَدْ نَافَى عُلاكَ فَمَا
عَدَوْتَ شِيمَةَ سَبْطِ(١) الْخَلْقِ مُبْتَهِلِ
أَتَتْكَ غُرٌّ قَوَافِي الْمَدْحِ خَاضِعَةً
لَدَيْكَ فَاقْبَلْ ثَنَاءً غَيْرَ مُنْتَحَلِ(٢)
ثَنَاءَ مَنْ لَمْ يَجِدْ وَجْنَاءَ(٣) تَحْمِلُهُ
إِلَيْكَ أَوْ صُدَّ بِالإِقْتَارِ(٤) عَنْ جَمَلِ

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

حَنَانَيْكَ(٥) إِنْ جَاءَتْكَ يَوْماً خَصَائِصِى(٦)
وَهَالَكَ(٧) أَصْنَافُ الْكَلَامِ الْمُسَخَّرِ

(١) يقال : هو سبط الجسم : أى معتدل القوام حسن القد (٢) انتحل الشعر أو القول : ادعاه لنفسه ، وهو لغيره ، فيريد غير مدعى ولا مختلقا (٣) الوجناء . الناقة الشديدة (٤) الاقتار . من ، أقتر الرجل . قل ماله وافتقر (٥) حنانيك . بلفظ التثنية . كلبيك ، وسعديك ، أى تحنن على مرة بعد أخرى ، وحنانا بعد حنان . والتثنية فيه للتكثير لا للدلالة على الاثنين . والعرب تقول : حنانك يارب ، وحنانيك يارب ، بمعنى واحد ، أى رحمتك (٦) جمع خاصة : وهي ما كان خاصا يريد ان رأيت من القول مالا يقوله غيرى (٧) هالك : يقال : هال فلان الامر . أفزعه وعظم عليه . من الهول

فَسَلْ مُنْصِفاً عَنْ حَالَتِي غَيْرَ جَائِرٍ
يُخَبِّرْكَ أَنَّ الْفَضْلَ لِلْمُتَأَخِّرِ

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ مُنِيرٍ يَهْجُو مَلِكَ النُّحَاةِ ، وَكَانَ قَدْ كَتَبَ أَبُو نِزَارٍ إِلَى بَعْضِ الْقُضَاةِ « الْعَاصِوِيّ » :

أَيَا مَلِكَ النَّحْوِ [١] وَالْحَاءُ مِنْ
تَهَجِّيهِ مِنْ تَحْتُ قَدْ أَعْجَمُوهَا

أَتَانَا قِيَاسُكَ هَـذَا الَّذِي
يُعَجِّمُ [٢] أَشْيَاءَ قَدْ أَعْرَبُوهَا

وَلَمَّا تَصَنَّعْتُ فِي الْعَاصِوِيِّ
غَدَا وَجْهُ جَهْلِكَ [٣] فِيهِ وَجُوهَا

وَقَالُوا قَفَا [٤] الشَّيْخُ إِنَّ الْمُلُو
كَ إِذْ دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا

(١) كانت فى الاصل : « النحاة » وفى العماد : « النحو » . (٢) أى يجعله أعجميا
(٣) فى الاصل : « وجهك » وفى العماد : « جهلك » (٤) قفا : يقفو قفوا
وقفوا : تبع ، يريد عمل بما فى الآية

فَبَلَغَتْ أَبْيَاتُهُ مَلِكَ النُّحَاةِ فَأَجَابَهُ بِأَبْيَاتٍ مِنْهَا :

أَيَابْنَ مُنِـيرٍ حَسِبْتَ الْهِجَا
ءَ رُتْبَةَ فَخْرٍ فَبَالَغْتَ فِيهَا

جَمَعْتَ الْقَوَافِيَ مِنْ ذَا وَذَا
وَأَفْسَدْتَ أَشْيَاءَ قَدْ أَصْلَحُوهَا

وَفِي آخِرِهَا :

فَقَالُوا قَفَا الشَّيْخُ إِنَّ الْمُلُو
كَ إِذَا أَخْطَأَتْ سُوقَةٌ أَدَّبُوهَا

قَالَ الْبَلَطِيُّ : كَانَ مَلِكُ النُّحَاةِ قَدِمَ إِلَى الشَّامِ ، فَهَجَاهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ ، ابْنُ مُنِيرٍ وَالْقَيْسَرَانِيُّ ، وَالشَّرِيفُ الْوَاسِطِيُّ . وَاسْتَخَفَّ[1] بِهِ ابْنُ الصُّوفِيِّ وَلَمْ يُوَفِّهِ قَدْرَ مَدْحِهِ ، فَعَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَمَدَحَ جَمَالَ الدِّينِ ، وَجَمَاعَةً مِنْ رُؤَسَائِهَا وَقُضَاتِهَا . فَلَمَّا نَبَتْ[2] بِهِ الْمَوْصِلُ ، قِيلَ

(١) استخف به ، أي استهان (٢) نبت به الموصل : أي لم يجد بها قرارا

لَهُ : لَوْ رَجَعْتَ إِلَى الشَّامِ ، فَقَالَ : لَا أَرْجِعُ إِلَى الشَّامِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ ابْنُ الصُّوفِيِّ ، وَابْنُ مُنِيرٍ ، وَالْقَيْسَرَانِيُّ ، وَالشَّرِيفُ الْوَاسِطِيُّ ، فَقُتِلَ الشَّرِيفُ الْوَاسِطِيُّ ، وَمَاتَ ابْنُ مُنِيرٍ وَالْقَيْسَرَانِيُّ فِي مُدَّةِ سَنَةٍ ، وَمَاتَ الصُّوفِيُّ بَعْدَهُمْ بِأَشْهُرٍ .

وَحَدَّثَنِي شَيْخُنَا أَبُو الْبَقَاءِ . يَعِيشُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنِ يَعِيشَ النَّحْوِيُّ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ لِمَلِكِ النُّحَاةِ غُلَامٌ وَكَانَ سَيِّءَ الْعِشْرَةِ ، قَلِيلَ الْمُبَالَاةِ بِمَوْلَاهُ مَلِكِ النُّحَاةِ ، فَأَرْسَلَهُ يَوْمًا فِي شُغُلٍ لِيَتَعَجَّلَهُ فِي إِنْجَازِهِ ، فَأَبْطَأَ فِيهِ غَايَةَ الْإِبْطَاءِ ، ثُمَّ جَاءَ بِعُذْرٍ غَيْرِ جَمِيلٍ ، وَكَانَ يَحْضُرُ مَلِكَ النُّحَاةِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْدِقَائِهِ وَالتَّلَامِذَةِ ، فَغَضِبَ مَلِكُ النُّحَاةِ ، وَخَرَجَ عَنْ حَدِّ الْوَقَارِ الَّذِي كَانَ يَلْتَزِمُهُ وَيَتَوَخَّاهُ [1] وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ [2] أَخْبِرْنِي ، مَا سَبَبُ قِلَّةِ مُبَالَاتِكَ بِي ،

---

(١) توخى الأمر توخياً : تعمده ، وتطلبه دون سواه (٢) ويلك : الويل : حلول الشر والهلاك ، ويدعى به لمن وقع فى هلكة يستحقها — ويل لك — ونظيره : ويله ، أصلها : ويل لأمه ، وتستعمل أيضاً فى الدعاء على الشخص ثم استعملت فى التعجب والاستحسان مثل « قاتله الله » « ولا أب لك » ونحوهما .

وَاُطَّرَاحِكَ لِقَبُولِ أَوَامِرِى ؟ أَنِكْتُكَ قَطُّ ؟ فَبَادَرَ الْغُلَامُ وَقَالَ : لَا وَاللهِ يَا مَوْلَاىَ ، مَعَاذَ [1] اللهِ أَنْ تَفعَلَ ذَلِكَ بِي ، فَإِنَّكَ أَجَلُّ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : وَيْلَكَ ، فَنِكْتَنِي قَطُّ ؟ فَحَرَّكَ الْغُلَامُ رَأْسَهُ مُتَعَجِّباً مِنْ كَلَامِهِ وَسَكَتَ . فَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ أَدْرِكْنِي بِالْجَوَابِ ، هَذَا مَوْضِعُ السُّكُوتِ ؟ — لَارَعَاكَ اللهُ — يَا ابْنَ الْفَاعِلَةِ ، عَجِّلْ ، قُلْ مَا عِنْدَكَ ، قُلْ ، فَقَالَ : لَا وَاللهِ . قَالَ : فَمَا السَّبَبُ فِي أَنَّكَ لَا تَقْبَلُ قَوْلِي ، وَلَا تُسْرِعُ فِي حَاجَتِي ؟ فَقَالَ لَهُ إِنْ كَانَ سَبَبُ الِانْبِسَاطِ لَا يَكُونُ إِلَّا هَذَيْنِ ، فَأَعِدُكَ أَلَّا أَعُودَ إِلَى مَا تَكْرَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ .

قَالَ الْعِمَادُ : أَقَامَ مَلِكُ النُّحَاةِ بِالشَّامِ فِي رِعَايَةِ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودِ بْنِ زَنْكِيٍّ ، وَكَانَ مَطْبُوعاً [2] مُتَنَاسِبَ

---

(١) معاذ الله : يريد اعوذ بالله (٢) مطبوعاً : المطبوع ، ما نشأ عليه الطبع ، والمطبوع من الشعراء : الذى يأتى بالشعر من دون تكلف ، وتتبع قاعدة موضوعة لذلك

الْأَحْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، يَحْكُمُ عَلَى أَهْلِ التَّمْيِيزِ بِحُكْمِ مَلِكٍ[١] فَيُقِيلُ وَلَا يُسْتَقَالُ[٢] ، وَكَانَ يَقُولُ : هَلْ سِيبَوَيْهِ إِلَّا مِنْ رَعِيَّتِي ؟ وَلَوْ عَاشَ ابْنُ جِنِّيٍّ لَمْ يَسَعْهُ إِلَّا حَمْلُ غَاشِيَتِي[٣] ، مُرُّ الشَّكِيمَةِ[٤] ، حُلْوُ الشِّيمَةِ[٥] ، يَضُمُّ يَدَهُ عَلَى الْمِائَةِ وَالْمِائَتَيْنِ ، وَيَمْشِي وَهُوَ مِنْهَا صِفْرُ الْيَدَيْنِ ، مُولَعٌ بِاسْتِعْمَالِ الْحَلَاوَاتِ السُّكَّرِيَّةِ ، وَإِهْدَائِهَا إِلَى جِيرَانِهِ وَإِخْوَانِهِ ، مُغْرًى[٦] بِإِحْسَانِهِ إِلَى خُلْصَانِهِ[٧] وَخِلَّانِهِ .

قَالَ الْعِمَادُ : أَذْكُرُهُ وَقَدْ وَصَلَتْ إِلَيْهِ خِلْعَةٌ[٨] مِصْرِيَّةٌ ، وَجَائِزَةٌ سَنِيَّةٌ ، فَأَخْرَجَ الْقَمِيصَ الدَّبِيقِيَّ[٩] إِلَى السُّوقِ ، فَبَلَغَ دُونَ عَشَرَةِ دَنَانِيرَ ، فَقَالَ : قُولُوا : هَذَا قَمِيصُ

---

(١) فى الاصل ملكه : وفى البغية ص ٢٢٠ علمه (٢) وكانت فى الاصل « ولا يستثقل » وفى البغية : يستقال (٣) غاشيتى : المراد بالغاشية أنه يكون من أتباعه وخدمه

(٤) فى الاصل : « مر الشقيمة » (٥) الشيمة : الطبيعة . وهذا وما قبله راجعان الى صفاته التى سبق ذكرها (٦) مغرى : أى مولع (٧) خلصانه : الخلصان ، الخالص من الأخوان والأصحاب ، يستوى فيه الواحد والجمع (٨) خلعة : إسم من خلعت عليه ثوباً ، ألبسته إياه (٩) الدبيق : نسبة الى دبيق : بلد بمصر ، منها الثياب الدبيقية كان لها ذكر فيما سبق

مَلِكٍ كَبِيرٍ ، أَهْدَاهُ إِلَى مَلِكٍ كَبِيرٍ ، لِيَعْرِفَ النَّاسُ قَدْرَهُ ، فَيَخْلَبُوا عَلَيْهِ الْبِدَرَ عَلَى الْبِدَارِ ، وَلِيُجِلُّوا قَدْرَهُ فِى الْأَقْدَارِ ، ثُمَّ قَالَ : أَنَا أَحَقُّ إِذَا جَهِلُوا[1] حَقَّهُ ، وَتَنَكَّبُوا فِيهِ[2] سُبُلَ الْوَاجِبِ وَطُرُقَهُ .

وَمِنْ ظَرِيفِ مَا يُحْكَى عَنْ مَلِكِ النُّحَاةِ : أَنَّ نُورَ الدِّينِ مَحْمُوداً خَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً ، وَنَزَلَ لِيَمْضِىَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَرَأَى حَلْقَةً عَظِيمَةً فَمَالَ إِلَيْهَا لِيَنْظُرَ مَا هِىَ ؟ فَوَجَدَ رَجُلاً قَدْ عَلَّمَ تَيْساً لَهُ اسْتِخْرَاجَ الْخَبَايَا[3] وَتَعْرِيفَهُ مَا يَقُولُ لَهُ مِنْ غَيْرِ إِشَارَةٍ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ مَلِكُ النُّحَاةِ ، قَالَ الرَّجُلُ لِذَلِكَ التَّيْسِ : فِى حَلْقَتِى رَجُلٌ عَظِيمُ الْقَدْرِ ، شَائِعُ الذِّكْرِ ، مَلِكٌ فِى زِىِّ سُوقَةٍ ، أَعْلَمُ النَّاسِ ، وَأَكْرَمُ النَّاسِ ، وَأَجْمَلُ النَّاسِ ، فَأَرِنِى إِيَّاهُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ التَّيْسُ الْحَلْقَةَ ، وَخَرَجَ حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَلِكِ النُّحَاةِ ، فَلَمْ يَتَمَالَكْ مَلِكُ النُّحَاةِ أَنْ

---

(١) فى الأصل : « أنا أحق إذا جهلوا به إذا جهلوا حقه » ولعل هذا من أخطاء النساخ (٢) قوله تنكبوا فيه سبل الواجب وطرقه : يقال : تنكب عن الطريق ، تجنبه ، واعتزله ، (٣) الخبايا : جمع خبء وخبيئة ، وهو ما خبىء وأخفى

خَلَعَ تِلْكَ الخِلْعَةَ ، وَوَهَبَهَا لِصَاحِبِ التَّيْسِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نُورَ الدِّينِ فَعَاتَبَهُ وَقَالَ : أَسْتَخْفَفْتَ بِخِلْعَتِنَا حَتَّى وَهَبْتَهَا مِنْ طُرُقِيٍّ ؟ فَقَالَ يَا مَوْلَانَا : عُذْرِى فِى ذَلِكَ وَاضِحٌ ، لِأَنَّ فِى هَذِهِ الْمَدِينَةِ زِيَادَةً عَلَى مِائَةِ أَلْفِ تَيْسٍ ، مَا فِيهِمْ مَنْ عَرَفَ قَدْرِى إِلَّا هَذَا التَّيْسُ ، فَجَازَيْتُهُ عَلَى ذَلِكَ . فَضَحِكَ مِنْهُ نُورُ الدِّينِ وَسَكَتَ .

وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَسْتَخِفُّ بِالْعُلَمَاءِ ، فَكَانَ إِذَا ذُكِرَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَقُولُ : كَلْبٌ مِنَ الْكِلَابِ . فَقَالَ رَجُلٌ يَوْمًا : فَلَسْتَ إِذًا مَلِكَ النُّحَاةِ ، إِنَّمَا أَنْتَ مَلِكُ الْكِلَابِ ، فَاسْتَشَاطَ[1] غَضَبًا وَقَالَ : أَخْرِجُوا عَنِّى هَذَا الفُضُولِيَّ . وَقَالَ السَّمْعَانِيُّ : دَخَلَ أَبُو نِزَارٍ بِلَادَ غَزْنَة وَكَرْمَانَ ، وَلَقِىَ الْأَكَابِرَ ، وَتُلُقِّىَ مَوْرِدُهُ بِالْإِكْرَامِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ بِلَادَ خُرَاسَانَ وَانْصَرَفَ إِلَى كَرْمَانَ ، وَخَرَجَ مِنْهَا

---

(١) استشاط غضباً : أى التهب غيظا

إِلَى الشَّامِ . قَالَ : وَقَرَأْتُ فِيمَا كَتَبْتُهُ (١) بِوَاسِطَ ، وَلَا أَدْرِي عَمَّنْ سَمِعْتُهُ لِأَبِي نِزَارٍ النَّحْوِيِّ :

أَرَاجِعٌ لِي عَيْشِيَ الْفَارِطْ (٢)
أَمْ هُوَ عَنِّي نَازِحٌ شَاحِطْ ؟؟
أَلَا وَهَلْ تُسْعِفُنِي أَوْبَةٌ (٣)
يَسْمُو بِهَا نَجْمُ الْمُنَى الْهَابِطْ (٤) ؟
أَرْفُلُ فِي مِرْطِ (٥) ارْتِيَاحٍ وَهَلْ
يَطْرُقُ سَمْعِي « هَذِهِ وَاسِطْ » ؟
يَا زَمَنِي عُدْ لِي فَقَدْ رُعْتَنِي
حَتَّى عَرَانِي شَيْبِيَ الْوَاخِطْ (٦)
كَمْ أَقْطَعُ الْبَيْدَاءَ فِي لَيْلَةٍ
يَقْبِضُ ظِلِّي خَوْفُهَا الْبَاسِطْ ؟ (٧)

---

(١) كانت فى الاصل : « كتبه » (٢) الفارط : السابق (٣) أوبة : رجعة
(٤) الهابط : النازل (٥) مرط بكسر الميم : كساء من صوف أوخز ، يؤتزر به ، وربما تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به . (٦) الواخط : صفة الشيب ، ووخطه الشيب يخطه وخطاه : خالطه أو فشا شيبه ، أو استوى سواده وبياضه

(٧) يريد أن ظله الباسط ينقبض لخوفه من كثرة ما قطع من البيداء فى الليل . مخوف فاعل يقبض ، وباسط صفة ظلى « عبد الخالق »

أَأَرْقُبُ الرَّاحَةَ أَمْ لَا وَهَلْ
يَعْدِلُ يَوْماً دَهْرِىَ الْقَاسِطْ[١] ؟؟
أَيَا ذَوِى وُدِّى أَمَا اشْتَقْتُمْ
إِلَى إِمَامٍ جَأْشُهُ[٢] رَابِطْ ؟
وَهَلْ عُهُودِى عِنْدَكُمْ غَضَّةٌ[٣]
أَمْ أَنَا فِى ظَنِّى إِذًا غَالِطْ ؟
لِيَهْنِكُمْ مَا عِشْتُمُ وَاسِطٌ
إِنِّى لَكُمْ يَا سَادَتِى غَابِطْ

وَأَنْشَدَ لَهُ :

الْجَيْشُ[٤] وَالْبَرَمُ الْكَثِيرُ مَنْظُومُ ذَلِكَ وَالنَّثِيرُ

(١) القاسط : الظالم ، ومن لطائف اللغة أن قسط بمعنى ظلم « ومنه قوله تعالى : وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » وأقسط بمعنى عدل ومنه قوله تعالى : « إن الله يحب المقسطين » وليس بين العدل والظلم إلا فتح قاف المصدر فيكون ظلما ، وكسرها فيكون عدلا . « عبد الخالق »

(٢) جأشه رابط : الجأش ، رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ، أو نفس الانسان وفلان رابط الجأش : أى يربط نفسه عن الفرار لشجاعته ، والجمع جؤوش

(٣) غضة : من قولهم : شباب غض ، أى ناضر ، والمراد أو أنتم كما عهدتكم من الود والاخلاص أم تغيرتم ؟ (٤) فى الاصل « الحيش » وصوابها ما ذكر والبرم كجبل : لفيف من الناس المختلطين ، والشاعر بصدد أنه يذكر أشياء مما يألفه ، من ذلك اجتماع الناس

وَدُخَانُ عُودِ الْهِنْدِ وَالشَّمْعُ الْمُكَفَّرُ[١] وَالْعَبِيرُ
وَرَشَاشُ مَاءِ الْوَرْدِ قَدْ عُرِفَتْ بِهِ تِلْكَ النُّحُورُ
وَمَثَالِثُ الْعِيدَانِ يُسْعِدُ[٢] جَسَّهَا بَمٌّ[٣] وَزِيرُ
وَتَخَافُقُ[٤] النَّايَاتِ يَخْفِقُ[٥] بَيْنَهَا الطَّبْلُ الْقَصِيرُ
وَالشُّرْبُ بِالْقَدَحِ الصَّغِيرِ يَحُثُّهُ[٦] الْقَدَحُ الْكَبِيرُ
أَحْظَى لَدَىَّ مِنَ الْأَبَاعِرِ وَالْحُدَاةُ بِهَا تَسِيرُ
لِلْعَبْدِ أَنْ يَلْتَذَّ فِي دُنْيَاهُ وَاللهُ الْغَفُورُ

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

يَابْنَ الَّذِينَ تَرَفَّعُوا فِي مَجْدِهِمْ
وَعَلَتْ أَخَامِصُهُمْ[٧] فُرُوعَ شَمَامِ[٨]

---

(١) المكفر : قد يكون المراد أنه كالكافور لوناً ، فصيغ من الكافور « مكفر »
(٢) يسعد : أى يساعد ، وجسها : المراد بالجس ، الضرب على العود
(٣) البم من العود : أغلظ أوتاره وأغلظ أصواته ، والجمع بموم — والزير : الدقيق من الاوتار ، أو أحدها . (٤) تخافق النايات : أى تصويتها عند معالجتها .
(٥) كانت فى الاصل : « يغلق » هو كما تقول خفقته بالدرة جعلتها تضربه ضربا أشبه بالمس (٦) يحثه يأتى أثره حثيثا (٧) أخامصهم : جمع أخمص : وهو مالا يصيب الارض من باطن القدم (٨) شمام كسحاب : جبل وفروعه عالية

أَنَا عَالِمٌ مَلِكٌ بِكَسْرِ اللَّامِ فِـ

يمَا أَدَّعِيهِ (١) لَا بِفَتْحِ اللَّامِ

أَنْشَدَنِي عَفِيفُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ الزَّاكِى بْنِ أَبِي الْفَوَارِسِ ، السَّلمِيُّ الْحَرَّانِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الصَّيْرَفِيِّ الدِّمَشْقِيّ قَالَ : أَنْشَدَنِي فُتْيَانُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ فُتْيَانَ الْأَسَدِيُّ النَّحْوِيُّ فِي مَلِكِ النُّحَاةِ ، وَكَانَتْ قَدْ عَضَّتْ يَدَ مَلِكِ النُّحَاةِ سِنَّوْرٌ فَرَبَطَهَا بِمِنْدِيلٍ عَظِيمٍ :

عَتَبْتُ عَلَى قِطِّ مَلْكِ النُّحَاةِ

وَقُلْتُ : أَتَيْتَ بِغَيْرِ الصَّوَابِ

عَضَضْتِ يَدًا خُلِقَتْ لِلنَّدَى

وَبَثِّ (٢) الْعُلُومِ وَضَرْبِ الرِّقَابِ

فَأَعْرَضَ عَنِّي وَقَالَ اتَّئِدْ

أَلَيْسَ الْقِطَاطُ أَعَادِي الْكِلَابِ ؟

---

(١) كانت فى الاصل : « أدعى » والمراد : أنه ملك النحاة . وليس ملكا ، إذ النحو ليس من شأن الملائكة (٢) بث العلوم : أى نشرها وتفريقها

قَالَ : فبلغتهُ الأَبْيَاتُ فغَضِبَ مِنهَا ، إلَّا أَنَّهُ لَمْ يدْرِ مَنْ قَائِلُهَا ؟ ثُمَّ بَلَغهُ أَنِّي قُلْتُهَا وَبَلَغَنِي ذَلِكَ ، فَانْقَطَعْتُ عَنْهُ حيَاءً مُدَّةً ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ شِعْراً أَعْتَذِرُ إِلَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَيَّ :

يَاخَلِيلَيَّ نِلْتُمَا النَّعْمَاءَ
وَتَسَنَّمْتُمَا الْعَلَا (١) وَالْعَلَاءَ

أَلْمِمَا (٢) بِالشَّاغُورِ وَالْمَسْجِدِ (٣) الْمَعْمُورِ وَاسْتَمْطِرَا بِهِ الْأَنْوَاءَ (٤)

وَامْنَحَا صَاحِبِي الَّذِي كَانَ فِيهِ
كُلَّ يَوْمٍ تَحِيَّةً وَثَنَاءَ

ثُمَّ قُولَا لَهُ اعْتَبَرْنَا الَّذِي فُهْتَ بِهِ مَادِحاً وَكَانَ هِجَاءَ

(١) العلا والعلاء : الرفعة والشرف . (٢) ألما : أى ائتيا هذه الاماكن ، فانزلا بها ، وزوراها زيارة . (٣) فى العماد : « بالمسجد » (٤) الأنواء : جمع نوء : وهو المطر .

وَقَبِلْنَا فِيهِ اعْتِذَارَكَ عَمَّا

قَالَهُ الْجَاهِلُونَ عَنْكَ افْتِرَاءَ

الشَّاغُورُ مَحِلَّةٌ بِدِمَشْقَ بِالْبَابِ الصَّغِيرِ . وَقَالَ فُتْيَانُ[1] ابْنُ الْمُعَلِّمِ الدِّمَشْقِيُّ : رَأَيْتُ أَبَا نِزَارٍ فِى النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ فَقُلْتُ لَهُ : مَافَعَلَ اللهُ بِكَ ؟ فَقَالَ : أَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةً مَافِى الْجَنَّةِ مِثْلُهَا ، فَتَعَلَّقَ بِحِفْظِى مِنْهَا أَبْيَاتٌ وَهِىَ :

يَاهَذِهِ أَقْصِرِى عَنِ الْعَذَلِ[2]

فَلَيْسَ فِى الْحَقِّ وَيْكِ[3] مِنْ قِبَلِ[4]

يَارَبِّ هَاقَدْ أَتَيْتُ مُعْتَرِفًا

بِمَا جَنَتْهُ يَدَاىَ مِنْ زَلَلِ[5]

مَلْآنَ كَفٍّ بِكُلِّ مَأْثَمَةٍ

صِفْرَ يَدٍ مِنْ مَحَاسِنِ الْعَمَلِ

---

(١) فى معجم البلدان ، أن فتيان هذا نسبته الشاغورى . (٢) العذل : اللوم :
(٣) ويك : وى اسم فعل مضارع ، بمعنى أتعجب ، والكاف ضمير المخاطبة
(٤) من قبل : القبل ، الطاقة والمقدرة — ومنه قوله تعالى « فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها » (٥) زلل : المرة منه زلة : وهى السقطة والخطيئة .

فَكَيْفَ أَخْشَى نَاراً مُسَعَّرَةً (١)

وَأَنْتَ يَارَبُّ فِى الْقِيَامَةِ لِى

قَالَ : فَوَاللهِ مُنْذُ فرَغْتُ مِنْ إِنْشَادِهَا مَاسَمِعْتُ حَسِيسَ (٢) النَّارِ .

١٣ — الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، الْمَعْرُوفُ بِلُغْدَةَ وَلُكْذَةَ (٣) « أَيْضاً الْأَصْبَهَانِىُّ »

الحسن بن عبد الله الأصبهانى

أَبُو عَلِىٍّ ، قَدِمَ بَغْدَادَ ، وَكَانَ جيِّدَ الْمَعْرِفَةِ بِفُنُونِ الْأَدَبِ ، حَسَنَ الْقِيَامِ (٤) بِالْقِيَاسِ ، مُوَفَّقاً فِى كَلَامِهِ ، وَكَانَ إِمَاماً فِى النَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، وَكَانَ فِى طَبَقَةِ أَبِى حَنِيفَةَ الدِّينَوَرِىِّ ، مَشَايِخُهُمَا سَوَاءٌ ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا مُنَاقَضَاتٌ (٥) .

---

(١) مسعرة : متقدة . (٢) حسيس النار : إشارة إلى قوله تعالى « لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون » (٣) وفى البغية ص ٢٢٢ : المعروف بلكذة « بضم اللام وسكون الكاف وفتح الذال » ويقال : لغدة ، بالغين والدال

(٤) بالقياس : القياس لغة التقدير . وفى المنطق : قول مؤلف من قضايا ، إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر

(٥) ترجم له فى بغية الوعاة ص ٢٢٢

قَالَ حَمْزَةُ بْنُ حَسَنٍ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِ أَصْبَهَانَ :

وَقَدِمَ عَلَى ابْنِ رُسْتُمٍ الدَّعِيرِيِّ مِنْ سَامَرَّا : إِبْرَاهِيمُ بْنُ غَيْثٍ الْبَغْدَادِيُّ وَكَانَ أَصْبَهَانِيًّا ، خَرَجَ فِي صِغَرِهِ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَبَرَعَ فِي عِلْمِ النَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، وَهُوَ جَدُّ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَعْقُوبَ الْفَقِيهِ . وَرَوَى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَأَبِي زَيْدٍ ، وَقَدِمَ الْخَصِيبُ بْنُ أَسْلَمَ الْبَاهِلِيُّ صَاحِبُ الْأَصْمَعِيِّ وَرَوَى عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ غَيْثٍ ، وَأَبِي عُمَرَ الْخِرَقِيِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ ، وَعَنِ الْبَاهِلِيِّ صَاحِبِ الْأَصْمَعِيِّ [١] ، وَعَنِ الْكَرْمَانِيِّ صَاحِبِ الْأَخْفَشِ : أَخَذَ أَبُو عَلِيٍّ لُغْدَةُ عِلْمَ اللُّغَةِ . وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ يَحْضُرُ مَجْلِسَ أَبِي إِسْحَاقَ وَيَكْتُبُ عَنْهُ ، ثُمَّ خَالَفَهُ وَقَعَدَ عَنْهُ ، وَجَعَلَ يَنْقُضُ عَلَيْهِ مَا يُمْلِيهِ .

قَالَ حَمْزَةُ : وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ فِي [٢]

---

(١) إنما ذكر ياقوت هؤلاء الذين ذكرهم تبريراً لما قاله من — وعن الكرمانى — أخذ أبو على لغدة (٢) كانت فى الاصل : « عن »

أَصْبَهَانَ ، - وَصَارَ فِيهَا رَئِيسًا يُؤْخَذُ عَنْهُ - جَمَاعَةٌ : مِنْهُمْ أَبُو عَلِيٍّ لُغْدَةُ ، وَكَانَ رَأْسًا فِي اللُّغَةِ وَالْعِلْمِ وَالشِّعْرِ وَالنَّحْوِ . حَفِظَ فِي صِغَرِهِ كُتُبَ أَبِي زَيْدٍ ، وَأَبِي عُبَيْدَةَ ، وَالْأَصْمَعِيِّ ، ثُمَّ تَتَبَّعَ [1] مَافِيهَا ، فَامْتَحَنَ بِهَا الْأَعْرَابَ الْوَافِدِينَ أَصْبَهَانَ ، وَكَانُوا يَفِدُونَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبَانَ ، فَيَضْرِبُونَ خِيَمَهُمْ بِفِنَاءِ دَارِهِ ، فِي بَاغِ [2] سَلْمِ بْنِ عَوْدٍ ، وَيَقْصِدُهُمْ أَبُو عَلِيٍّ كُلَّ يَوْمٍ ، فَيُلْقِي عَلَيْهِمْ مَسَائِلَ شُكُوكِهِ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ ، وَثَبَّتَ تِلْكَ الْأَوْصَافَ عَنْ أَلْفَاظِهِمْ فِي الْكِتَابِ الَّذِي سَمَّاهُ كِتَابَ النَّوَادِرِ . ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ نَظِيرٌ بِالْعِرَاقِ . قَالَ : وَكِتَابُ النَّوَادِرِ هَذَا كِتَابٌ كَبِيرٌ ، يَقُومُ بِإِزَاءِ كُلِّ مَاخُرِّجَ إِلَى النَّاسِ مِنْ كُتُبِ أَبِي زَيْدٍ فِي النَّوَادِرِ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ الصِّغَارِ : كِتَابُ الصِّفَاتِ ، كِتَابُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ ، كِتَابُ

---

(١) تتبع مافيها : يقال : تتبع الأمر : طلبه وبحث عنه مليا . ويقال : تتبعت أحواله : أى تطلبتها شيئا بعد شيء فى مهلة مدققاً (٢) اسم مكان فيه دار ابن عود .

خَلْقِ الْفَرَسِ، وَكُتُبٌ أُخَرُ كَثِيرَةٌ مِنْ صِغَارِ الْكُتُبِ، وَلَهُ رُدُودٌ عَلَى عُلَمَاءِ اللُّغَةِ، وَعَلَى رُوَاةِ الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ، قَدْ جَمَعْنَاهَا نَحْنُ فِى كِتَابٍ وَأَنْفَذْنَاهُ إِلَى أَبِى إِسْحَاقَ الزَّجَّاجِ — رَحِمَهُ اللهُ —.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ : وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ: كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى الشُّعَرَاءِ نَقَضَهُ عَلَيْهِ أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينَوَرِىُّ، كِتَابُ النُّطْقِ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَبِى عُبَيْدٍ فِى غَرِيبِ الْحَدِيثِ، كِتَابُ عِلَلِ النَّحْوِ، كِتَابٌ مُخْتَصَرٌ فِى النَّحْوِ، كِتَابُ الْهَشَاشَةِ وَالْبَشَاشَةِ، كِتَابُ التَّسْمِيَةِ، كِتَابُ شَرْحِ مَعَانِى الْبَاهِلِىِّ، كِتَابُ نَقْضِ عِلَلِ النَّحْوِ، كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى ابْنِ قُتَيْبَةَ فِى غَرِيبِ الْحَدِيثِ.

وَأَفْرَدَ حَمْزَةُ الْأَصْبَهَانِىُّ فِى كِتَابِ أَصْبَهَانَ أَشْعَاراً لِلُغْدَةَ مِنْهَا:

ذَهَبَ الرِّجَالُ الْمُقْتَدَى بِفِعَالِهِمْ[1]
وَالْمُنْكِرُونَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُنْكَرِ

---

(١) الفعال بالكسر جمع فعل : وهو العمل، والفعال بالفتح : الفعل الحسن والكرم

وَبَقِيتُ فِى خَلَفٍ يُزَيِّنُ بَعْضُهُمْ
بَعْضاً لِيَسْتُرَ مُعْوِرٌ(١) عَنْ مُعْوِرِ

مَا أَقْرَبَ الْأَشْيَاءَ حِينَ يَسُوقُهَا
قَدَرٌ وَأَبْعَدَهَا إِذَا لَمْ تُقْدَرِ

الْجَدُّ(٢) أَنْهَضُ بِالْفَتَى مِنْ كَدِّهِ(٣)
فَانْهَضْ بِجَدٍّ فِى الْحَوَادِثِ أَوْ ذَرِ

وَإِذَا تَعَسَّرَتِ الْأُمُورُ فَأَرْجِهَا(٤)
وَعَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الَّذِى لَمْ يَعْسُرِ

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضاً :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِى الْمُرْ
رِ وَأَيْنَ الشَّرِيكُ فِى الْمُرِّ أَيْنَا ؟؟

الَّذِى إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِى الْقَـ
ـوْمِ وَإِنْ غِبْتَ كَانَ أُذْنًا وَعَيْنَا(٥)

---

(١) يقال : رجل معور : قبيح السريرة . (٢) أى الحظ (٣) الكد بالفتح مصدر كد يكد كدا : اشتد فى العمل وطلب الكسب ، وألح فى الطلب . قال الكميت :

غنيت فلم أرددكم عند بغية وحجت فلم أكددكم بالأصابع

(٤) أرجها : أى أجلها وأصلها أرجئها . من الأرجاء وهو تأجيل الأمر مدة ما .

(٥) إذا حضرت كان موضع سرورك ، وإن غبت كان أذنا تسمع فتطيع إذا دعوت وعينا تكلؤك وتحفظك

« عبد الخالق »

مِثْلُ تِبْرِ[١] الْعِقْيَانِ إِنْ مَسَّهُ النَّا
رُ جَلَاهُ الْجِلَاءُ فَازْدَادَ زَيْنَا

وَأَخُو السُّوءِ إِنْ يَغِبْ عَنْكَ يَسْبَعْـ
ـكَ[٢] وَإِنْ يَحْضُرْ يَكُنْ ذَاكَ شَيْنَا

جَيْبُهُ[٣] غَيْرُ نَاصِحٍ وَمُنَاهُ
أَنْ يَعِيبَ الْخَلِيلَ إِفْكًا وَمَيْنَا

فَاصْرِمَنْهُ وَلَا تَلَهَّفْ عَلَيْهِ
إِنَّ صَرْمًا لَهُ كَنَقْدِكَ[٤] دَيْنَا

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا :

بَذَلْتُ لَكَ الصَّفَاءَ بِكُلِّ جُهْدِى
وَكُنْتُ كَمَا هَوِيتَ فَصِرْتَ وَخْزَا[٥]

---

(١) قوله تبر العقيان : التبر : ماكان من الذهب غير مضروب أو غير مصوغ ، أو فى تراب معدنه . والعقيان : الذهب الخالص . وفى الأساس : ذهب ينبت نباتا ، وليس مما يذاب من الحجارة . (٢) يسبعك : يقال : سبع فلاناً شتمه ووقع فيه ، وقيل : عضه بأسنانه . (٣) جيبه : الجيب : القلب والصدر ، يقال : هو ناصح الجيب ، أى القلب والصدر ، يعنى أمينهما . (٤) كنقدك ديناً : أى كسدادك ديناً عليك (٥) من الوخز بالإبر لغرض الإيلام .

جَرَحْتَ بِعُذْيَةٍ نَخَزَتْ أَنْفِي

وَحَبْلَ مَوَدَّتِي بِيَدَيْكَ حَزَّا

فَلَمْ تَتْرُكْ إِلَى صُلْحٍ مَجَازاً[1]

وَلَا فِيهِ لِطَالِبِهِ مَهَزًّا[2]

سَتَمْكُثُ نَادِماً فِي الْعَيْشِ مِنِّي

وَتَعْلَمُ أَنَّ رَأْيَكَ كَانَ عَجْزَا

وَتَذْكُرُنِي إِذَا جَرَّبْتَ غَيْرِي

وَتَعْلَمُ أَنَّنِي لَكَ كُنْتُ كَنْزَا

﴿ ١٤ – الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَرْزُبَانِيُّ السِّيرَافِيُّ ، * ﴾

الحسن بن عبد الله المرزبانى

أَبُو سَعِيدٍ النَّحْوِيُّ الْقَاضِي ، وَسِيرَافُ بُلَيْدٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مِنْ أَرْضِ فَارِسَ ، رَأَيْتُهُ أَنَا وَبِهِ أَثَرُ عِمَارَةٍ قَدِيمَةٍ ، وَجَامِعٌ حَسَنٌ ، إِلَّا أَنَّهُ الْآنَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْخَرَابُ ، وَقَدْ

(١) مجازا : أى معبرا — والمراد لم يدع طريقا ينفذ منه إلى الصلح .

(٢) المهز والمهزة : الحركة ، ومنه قول الحريرى :

قصدته والشيخ نبغى جنى عود له مازال مهزوزا

أى مطلوباً منه ثمر العطاء ، لأن العود يهز ليسقط ثمره

(*) راجع بغية الوعاة : ص ٢٢١

كَانَ وَلِيَ الْقَضَاءَ عَلَى بَعْضِ الْأَرْبَاعِ [١] بِبَغْدَادَ ، وَمَاتَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ثَانِي رَجَبٍ ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فِي خِلَافَةِ الطَّائِعِ وَدُفِنَ فِي مَقَابِرِ الْخَيْزُرَانِ . وَكَانَ أَبُوهُ مَجُوسِيًّا اسْمُهُ بِهْزَادُ ، فَسَمَّاهُ أَبُو سَعِيدٍ عَبْدَ اللهِ ، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ يَدْرُسُ بِبَغْدَادَ الْقُرْآنَ وَالْقِرَاءَاتِ ، وَعُلُومَ الْقُرْآنِ ، وَالنَّحْوَ ، وَاللُّغَةَ ، وَالْفِقْهَ ، وَالْفَرَائِضَ [٢] . وَكَانَ قَدْ قَرَأَ عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ مُجَاهِدٍ الْقُرْآنَ ، وَعَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ دُرَيْدٍ اللُّغَةَ ، وَدَرَسَا جَمِيعًا عَلَيْهِ النَّحْوَ ، وَقَرَأَ عَلَى أَبِي بَكْرِ بْنِ السَّرَّاجِ ، وَأَبِي بَكْرٍ الْمَبْرَمَانِ النَّحْوَ ، وَقَرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ، وَدَرَسَ الْآخَرُ عَلَيْهِ الْحِسَابَ .

قَالَ الْخَطِيبُ : وَكَانَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ زَاهِدًا وَرِعًا ، لَمْ يَأْخُذْ عَلَى الْحُكْمِ أَجْرًا ، إِنَّمَا كَانَ يَأْكُلُ مِنْ كَتْبِ [٣] يَمِينِهِ ، فَكَانَ لَا يَخْرُجُ إِلَى مَجْلِسِ الْحُكْمِ وَلَا إِلَى مَجْلِسِ التَّدْرِيسِ ، حَتَّى يَنْسَخَ عَشْرَ وَرَقَاتٍ يَأْخُذُ أُجْرَتَهَا عَشَرَةَ دَرَاهِمَ ،

---

(١) الأرباع جمع ربع : أسماء مصطلح عليها « مثل قسم وثمن »

(٢) الفرائض : المواريث (٣) من كتب يمينه : أى كتابة يده ، وهو مصدر كتب كالكتابة ، وفى رأيي أنها من كسب يمينه ، نعم إن الكلام يدل على ذلك من طريقة الكتابة ولكن الكسب أعم . « عبد الخالق »

تَكُونُ بِقَدْرِ مَئُونَتِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى مَجْلِسِهِ . وَصَنَّفَ كُتُبًا مِنْهَا : شَرْحُ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ : رَأَيْتُ أَصْحَابَ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ يُكْثِرُونَ الطَّلَبَ لِكِتَابِ شَرْحِ سِيبَوَيْهِ وَيَجْتَهِدُونَ فِي تَحْصِيلِهِ . فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تَقَعُونَ فِيهِ ، وَتَزْرُونَ[1] عَلَى مُؤَلِّفِهِ ، فَمَا لَكُمْ وَلَهُ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ نَرُدَّ عَلَيْهِ ، وَنُعَرِّفَهُ خَطَأَهُ فِيهِ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : فَحَصَّلُوهُ وَاسْتَفَادُوا مِنْهُ ، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ كَمَا قَالَ أَبُو حَيَّانَ ، فَإِنِّي لَمْ أَنْقُلْ أَلْفَاظَ الْخَبَرِ لِعَدَمِ الْأَصْلِ الَّذِي قَرَأْتُهُ مِنْهُ[2] ، وَكَانَ أَبُو عَلِيٍّ وَأَصْحَابُهُ كَثِيرِي الْحَسَدِ لِأَبِي سَعِيدٍ ، وَكَانُوا يُفَضِّلُونَ عَلَيْهِ الرُّمَّانِيَّ ، فَحَكَى ابْنُ جِنِّيٍّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ : أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ قَرَأَ عَلَى ابْنِ السَّرَّاجِ خَمْسِينَ وَرَقَةً مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ ثُمَّ

---

(١) وتزرون على مؤلفه : أي تعيبونه ، وتغضون من قدره

(٢) يريد المؤلف أن يقول : إن هذا الخبر نقلته تلخيصاً من كلام أبي حيان ، فأني لم أتمكن من الأصل الذي فيه الخبر « عبد الخالق »

انْقَطَعَ ، قَالَ أَبُو عَلِيّ : فَلَقِيتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَاتَبْتُهُ عَلَى انْقِطَاعِهِ . فَقَالَ لِي : يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يُقَدِّمَ مَا هُوَ أَهَمُّ . وَهُوَ عِلْمُ الْوَقْتِ مِنَ اللُّغَةِ وَالشِّعْرِ ، وَالسَّمَاعِ مِنَ الشُّيُوخِ ، فَكَانَ يَلْزَمُ ابْنَ دُرَيْدٍ وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُ مِنْ أَهْلِ السَّمَاعِ .

وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْفَهَانِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي يَهْجُو أَبَا سَعِيدٍ السِّيرَافِيَّ :

لَسْتَ صَدْرًا (١) وَلَا قَرَأْتَ عَلَى صَدْ
رٍ وَلَا عِلْمُكَ الْبَكِيُّ (٢) بِكَافِ (٣)
لَعَنَ اللَّهُ كُلَّ شِعْرٍ وَنَحْوٍ
وَعَرُوضٍ يَجِيءُ مِنْ سِيرَافِ

وَذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمُ فَقَالَ :

---

(١) صدر القوم : رئيسهم ومقدمهم ، ومن يتصدر فى أمورهم ، والجمع صدور

(٢) البكى : القليل ، ومنه الحديث « مر بنا على عين بكية » أى قليلة الماء

(٣) فى وفيات الأعيان : « بشاف »

قَالَ لِى أَبُو أَحْمَدَ : وُلِدَ أَبُو سَعِيدٍ بِسِيرَافَ ، وَفِيهَا ابْتَدَأَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ ، وَخَرَجَ عَنْهَا قَبْلَ الْعِشْرِينَ ، وَمَضَى إِلَى عُمَانَ فَتَفَقَّهَ بِهَا ، ثُمَّ عَادَ إِلَى سِيرَافَ ، وَمَضَى إِلَى الْعَسْكَرِ فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً . « قَالَ الْمُؤَلِّفُ : وَبِهَا قَرَأَ فِيمَا أَحْسَبُ عَلَى الْمَبْرَمَانِ » قَالَ : كَانَ فَقِيهًا عَلَى مَذْهَبِ الْعِرَاقِيِّينَ ، وَوَرَدَ إِلَى بَغْدَادَ، فَخَلَفَ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنَ مَعْرُوفٍ قَاضِيَ الْقُضَاةِ عَلَى قَضَاءِ الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَكَانَ أُسْتَاذَهُ فِى النَّحْوِ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى (١) الْجَانِبَيْنِ . وَمَوْلِدُهُ قَبْلَ التِّسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ . وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ : كِتَابُ شَرْحِ سِيبَوَيْهِ ، أَلِفَاتُ الْقَطْعِ وَالْوَصْلِ ، كِتَابُ أَخْبَارِ النَّحْوِيِّينَ الْبَصْرِيِّينَ ، كِتَابُ شَرْحِ مَقْصُورَةِ ابْنِ دُرَيْدٍ ، كِتَابُ الْإِقْنَاعِ فِى النَّحْوِ لَمْ يَتِمَّ ، فَتَمَّمَهُ ابْنُهُ يُوسُفُ ، وَكَانَ يَقُولُ : وَضَعَ أَبِى النَّحْوَ فِى الْمَزَابِلِ بِالْإِقْنَاعِ ، يُرِيدُ أَنَّهُ سَهَّلَهُ حَتَّى لَا يُحْتَاجَ إِلَى مُفَسِّرٍ ، كِتَابُ شَوَاهِدِ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ ،

(١) فى الفهرست : ثم الجانبين ، ثم الجانب الشرقى

كِتَابُ الْوَقْفِ وَالِابْتِدَاء ، كِتَابُ صَنْعَةِ الشِّعْرِ وَالْبَلَاغَةِ ، كِتَابُ الْمَدْخَلِ إِلَى كِتَابِ سِيبَوَيْهِ ، كِتَابُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ .

قَرَأْتُ بِخَطِّ أَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَلَّفَهُ فِي تَقْرِيظِ [1] عَمْرِو بْنِ بَحْرٍ ، وَقَدْ ذَكَرَ جَمَاعَةً مِنَ الْأَئِمَّةِ ، كَانُوا يُقَدِّمُونَ الْجَاحِظَ وَيُفَضِّلُونَهُ فَقَالَ : وَمِنْهُمْ أَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِيُّ شَيْخُ الشُّيُوخِ ، وَإِمَامُ الْأَئِمَّةِ مَعْرِفَةً بِالنَّحْوِ وَالْفِقْهِ ، وَاللُّغَةِ وَالشِّعْرِ ، وَالْعَرُوضِ وَالْقَوَافِي ، وَالْقُرْآنِ وَالْفَرَائِضِ ، وَالْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ ، وَالْحِسَابِ وَالْهَنْدَسَةِ . أَفْتَى فِي جَامِعِ الرُّصَافَةِ خَمْسِينَ سَنَةً عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، فَمَا وُجِدَ لَهُ خَطَأٌ ، وَلَا عُثِرَ مِنْهُ عَلَى زَلَّةٍ . وَقَضَى بِبَغْدَادَ ، وَشَرَحَ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ فِي

---

(١) قرظه تقريظاً : مدحه وهو حي بحق أو باطل — وأبنه : مدحه ميتاً — قيل : أصل التقريظ ، من دبغ الأديم بالقرظ ، لان المقرظ يزين نديمه ، كما يحسن القارظ أديمه — وأصل التأبين من اقتفاء الاثر — كأن المادح يتتبع آثار الرجل بعد موته ، فيقوم بالثناء عليه

ثَلاثَةِ آلَافِ وَرَقَةٍ بِخَطِّهِ فِى السُّلَيْمَانِىِّ ، فَمَا جَارَاهُ[١] فِيهِ أَحَدٌ، وَلَا سَبَقَهُ إِلَى تَمَامِهِ إِنْسَانٌ . هَـذَا مَعَ الثِّقَةِ وَالدِّيَانَةِ ، وَالْأَمَانَةِ وَالرِّوَايَةِ . صَامَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَأَكْثَرَ الدَّهْرِ كُلِّهِ .

قَالَ لَنَا الْأَنْدَلُسِىُّ : فَارَقْتُ بَلَدِى فِى أَقْصَى الْغَرْبِ طَلَباً لِلْعِلْمِ ، وَابْتِغَاءَ مُشَاهَدَةِ الْعُلَمَاءِ ، فَكُنْتُ إِلَى أَنْ دَخَلْتُ بَغْدَادَ وَتَلَقَّيْتُ[٢] أَبَا سَعِيدٍ ، وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ كِتَابَ سِيبَوَيْهِ نَادِماً[٣] سَادِماً فِى اغْتِرَابِى عَنْ أَهْلِى وَوَطَنِى ، مِنْ غَيْرِ جَدْوَى فِى عِلْمٍ أَوْ حَظٍّ مِنَ الدُّنْيَا ، فَلَمَّا سَعِدْتُ بِرُؤْيَةِ هَذَا ، عَلِمْتُ أَنَّ سَعْيِى قُرِنَ بِسَعْدِى ، وَغُرْبَتِى اتَّصَلَتْ بِبُغْيَتِى ، وَأَنَّ عَنَائِى لَمْ يَذْهَبْ هَدَراً[٤] ، وَأَنَّ رَجَائِى لَمْ يَنْقَطِعْ

---

(١) فى الاصل : « جراه » (٢) تلقيت أبا سعيد : أى استقبلته

(٣) نادماً سادما : الندم معروف ، والسدم : الهم أو مع ندم — أو غيظ مع حزن والسادم من به سدم — يقال رجل نادم سادم ، قيل هو إتباع للتأكيد — ويقال سادم نادم أيضا ، ومنه قول الحريرى :

قل لوال غادرته بعد بينى سادما نادما يعض اليدين

(٤) هدرا : أى باطلا

يأساً . قرأتُ بخطّ أبي عليٍّ المُحسِّن بن إبراهيم بن هلال الصابيء : قرأنا على أبي سعيدٍ الحسن بن عبد الله في كتاب ما يلحن فيه العامة لأبي حاتم : «هو الشَّمْع مفتوح الشين والميم » فسألناه عمّا يُحكى عن أبي بكر بن دُريد أنه قال : شِمع بكسر الشين . فقال : لا يُعاجُ[1] عليه . قلنا له : فهو صحيحٌ عن ابن دُرَيد ؟ فقال : نعم هو عنه بخطّي في كتاب الجمهرة[2] .

قال : وكان أبو الفتح بن النحويّ ، وأبو الحسن الدُّريديّ سألاني عن ذلك ، فاستعفيتُ من الإجابة ، لئلا أُنسب إلى أبي بكر حرفاً أجمع الناسُ على خلافه .

وقال أبو حيّان في كتاب محاضرات العلماء قال : حضرتُ مجلس شيخ الدهر ، وقريع العصر ، العديم المثل ، المفقود الشكل ، أبي سعيدٍ السيرافيّ ، وقد أقبل على

---

(١) لا يعاج عليه : من قولهم : ما أعوج بكلامه : أى ما ألتفت اليه

(٢) يريد ومع هذا فلا يعول عليه

الْحُسَيْنِ بْنِ مَرْدَوَيْهِ الْفَارِسِيُّ ، يَشْرَحُ لَهُ تَرْجَمَةَ الْمَدْخَلِ إِلَى كِتَابِ سِيبَوَيْهِ مِنْ تَصْنِيفِهِ . فَقَالَ لَهُ : عَاقِّ عَلَيْهِ ، وَاُصْرِفْ هِمَّتَكَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّكَ لَا تُدْرِكُهُ إِلَّا بِتَعَبِ الْحَوَاسِّ ، وَلَا تَتَصَوَّرُهُ إِلَّا بِالِاعْتِزَالِ عَنِ النَّاسِ . فَقَالَ : — أَيَّدَ اللهُ الْقَاضِيَ — ، أَنَا مُؤْثِرٌ لِذَلِكَ ، وَلَكِنَّ اخْتِلَالَ الْأَمْرِ وَقُصُورَ الْحَالِ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُهُ . فَقَالَ لَهُ : أَلَكَ عِيَالٌ ؟ قَالَ لَا . قَالَ : عَلَيْكَ دُيُونٌ ؟ قَالَ : دُرَيْهِمَاتٌ . قَالَ : فَأَنْتَ رَخِيُّ الْقَلْبِ ، حَسَنُ الْحَالِ ، نَاعِمُ الْبَالِ ، اشْتَغِلْ بِالدَّرْسِ وَالْمُذَاكَرَةِ ، وَالسُّؤَالِ وَالْمُنَاظَرَةِ ، وَاحْمَدِ اللهَ تَعَالَى عَلَى خِفَّةِ الْحَاذِ [1] ، وَحُسْنِ الْحَالِ . وَأَنْشَدَهُ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ مَالٌ وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ طُرُقٌ يَسْعَى بِهِنَّ الْوَلَائِدُ
وَكَانَ لَهُ خُبْزٌ وَمِلْحٌ فَفِيهِمَا
لَهُ بُلْغَةٌ حَتَّى تَجِيءَ الْعَوَائِدُ [2]

(١) خفة الحاذ : يقال فلان خفيف الحاذ أى قليل المال والعيال

(٢) العوائد جمع عائدة — وهي المعروف والصلة والعطف والمنفعة .

وَهَلْ هِىَ إِلَّا جَوْعَةٌ إِنْ سَدَدْتَهَا

فَكُلُّ طَعَامٍ بَيْنَ جَنْبَيْكَ وَاحِدُ

قَالَ : وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى أَبِى سَعِيدٍ السِّيرَافِىِّ الْكَامِلَ لِلْمُبَرِّدِ ، فَجَاءَهُ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ مَرْدَكٍ وَكَانَ هَذَا مِنْ سَاوَةَ ، وَاسْتَوْطَنَ بَغْدَادَ وَوَلَدَ بِهَا ، وَكَانَ لَهُ قُرْبٌ وَمَنْزِلَةٌ مِنْ أَبِى سَعِيدٍ ، يُوجِبُ حَقَّهُ وَيَرْعَاهُ لَهُ . فَقَالَ : أَيُّهَا الشَّيْخُ عِنْدِى ابْنَةٌ بَلَغَتْ حَدَّ التَّزْوِيجِ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْغُرَبَاءِ وَالْبَغْدَادِيِّينَ يَخْطُبُونَهَا ، فَمَا تَرَى وَمِمَّنْ أُزَوِّجُهَا ؟ فَقَالَ : فَمَنْ يَخَافُ اللهَ تَعَالَى ، وَأَكْثَرُهُمْ تَقِيَّةً وَخَشْيَةً مِنْهُ ، فَإِنَّ مَنْ يَخَافُ اللهَ إِنْ أَحَبَّهَا بَالَغَ فِى إِكْرَامِهَا ، وَإِنْ لَمْ يُحِبَّهَا تَحَرَّجَ (١) مِنْ ظُلْمِهَا ، فَاسْتَحْسَنَّا ذَلِكَ وَأَثْبَتْنَاهُ . ثُمَّ قَالَ : لَا تَنْسُبُوا هَذَا إِلَىَّ ، إِنَّمَا هَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ .

قَالَ : وَشَبِيهُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ : أَنَّ رَجُلًا وَقَفَ عَلَى الْحَسَنِ فَقَالَ : عَلِّمْنِي مَا يُقَرِّبُنِي إِلَى اللهِ تَعَالَى وَإِلَى

---

(١) تحرج من الأمر : تأثم ، وحقيقته : جانب الحرج أى الأثم . وهو المراد

النَّاسِ ، قَالَ : أَمَّا مَا يُقَرِّبُكَ إِلَى اللهِ فَمَسْأَلَتُهُ . وَأَمَّا مَا يُقَرِّبُكَ إِلَى النَّاسِ فَتَرْكُ مَسْأَلَتِهِمْ . وَقَالَ : وَتَأَخَّرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ عَنْ مَجْلِسِهِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ، وَكَانَ يَرْعَى حَقَّ أَبِيهِ فِيهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ وَجِيهاً شَرِيفاً ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ قَالَ لَهُ : مَا الَّذِي أَخَّرَكَ ؟ فَأَشَارَ إِلَى شُرْبِ الدَّوَاءِ ، وَلِأَجْلِهِ تَأَخَّرَ عَنِ الْمَجْلِسِ ، فَأَنْشَدَنَا :

لَنِعْمَ الْيَوْمُ يَوْمُ السَّبْتِ حَقًّا
لِصَيْدٍ إِنْ أَرَدْتَ بِلَا امْتِرَاءِ

وَفِي الْأَحَدِ الْبِنَاءُ فَإِنَّ فِيهِ
تَبَدَّى (١) اللهُ فِي خَلْقِ السَّمَاءِ

وَفِي الْاِثْنَيْنِ إِنْ سَافَرْتَ حَقًّا
يَكُونُ الْأَوْبُ فِيهِ بِالنَّمَاءِ

وَإِنْ تَرُمِ الْحِجَامَةَ فَالثُّلَاثَا
فَفِي سَاعَاتِهِ دَرْكُ الشِّفَاءِ

(١) تبدى الله : بدأ

وَإِنْ شَرِبَ امْرُؤٌ يَوْمًا دَوَاءً
فَنِعْمَ الْيَوْمُ يَوْمُ الْأَرْبِعَاءِ

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ قَضَاءُ حَاجٍ
فَفِيهِ اللهُ آذَنَ بِالْقَضَاءِ

وَيَوْمُ الْجُمْعَةِ التَّزْوِيجُ فِيهِ
وَلَذَّاتُ الرِّجَالِ مَعَ النِّسَاءِ(١)

قَالَ : وَلَمَّا قَبِلَ ابْنُ مَعْرُوفٍ شَهَادَتَهُ ، عَاتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ الْمُخْتَصِّينَ بِهِ وَقَالَ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، إِنَّكَ إِمَامُ الْوَقْتِ وَعَيْنُ الزَّمَانِ ، وَالْمَنْظُورُ إِلَيْهِ وَالصَّدْرُ ، وَإِذَا حَضَرْتَ مَحْفِلًا كُنْتَ الْبَدْرَ ، قَدِ اشْتَهَرَ ذِكْرُكَ فِي الْأَقْطَارِ وَالْبِلَادِ ، وَانْتَشَرَ عِلْمُكَ فِي كُلِّ مَحْفِلٍ وَنَادٍ ، وَالْأَلْسِنَةُ مُقِرَّةٌ بِفَضْلِكَ ، فَمَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى الِانْقِيَادِ لِابْنِ مَعْرُوفٍ وَاخْتِلَافِكَ إِلَى مَجْلِسِهِ ، وَصِرْتَ تَابِعًا بَعْدَ

---

(١) كنت أظن مثل هذا الشعر جاء متأخراً لركاكته وغثاثته ، فضلا عن أن معناه ليس بذاك ، وليس هذا من موضوعات الشعر ، ولكن إنشاد السيرافى له يدل على قدمه . على أنه قد يكون قائله « عبد الخالق »

أَنْ كُنْتَ مَتْبُوعاً ، وَمُؤْتَمِراً بَعْدَ أَنْ كُنْتَ آمِراً ، وَضَعْتَ مِنْ قَدْرِكَ ، وَضَيَّعْتَ كَثِيراً مِنَ حُرْمَتِكَ ، وَأَنْزَلْتَ نَفْسَكَ مَنْزِلَةَ غَيْرِكَ ، وَمَا فَكَّرْتَ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكَ ، وَلَا شَاوَرْتَ أَحَداً مِنْ صَحْبِكَ[1] . فَقَالَ : اعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقَاضِيَ سَبَبُ اكْتِسَابِ ذِكْرٍ جَمِيلٍ ، وَصِيتٍ حَسَنٍ ، وَمُبَاهَاةٍ وَمُنَافَسَةٍ لِأَقْرَانِهِ وَإِخْوَانِهِ[2] ، وَمَعَ ذَلِكَ لَهُ مِنَ السُّلْطَانِ مَنْزِلَةٌ . وَبَلَغَنِي أَنَّهُ يَسْتَضِيءُ بِرَأْيِهِ ، وَيَعُدُّهُ مِنْ جُمْلَةِ ثِقَاتِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، وَعَرَّضَ[3] بِي ، وَصَرَّحَ فِي الْأَمْرِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَثَانِيَةً عَقِبَ أُولَى ، فَلَمْ أُجِبْ إِلَيْهِ ، وَلَمْ أُسْلِسْ قِيَادِي لَهُ ، فَخِفْتُ مَعَ كَثْرَةِ الْخِلَافِ اعْتِمَادِي[4] بِمَا أَسْتَضِرُّ بِهِ وَيَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرِي . وَإِذَا اتَّفَقَ أَمْرَانِ ،

---

(١) يظهر أن أبا سعيد شهد عند ابن معروف ، فألم المختصين به أكثر أن يكون السيرافي شاهدا عند مثل ابن معروف ، وإنما شهد ، لانه كان يتردد على مجلس ابن معروف ، فاللوم من أصل هذا ، لأنه أكبر من أن يختلف اليه . « عبد الخالق »

(٢) في الأصل : « ومباهاة لأقرانه ومنافسة لأخوانه » لأن الغرض أن ابن معروف بما له عند السلطان من جاه وثقة ، كان سببا في أن أقرانه وإخوانه صار لهم ذكر وصيت الخ فلعل الشيخ يطمع في مثل هذا . (٣) عرض لفلان وبفلان بكذا : ضد صرح ، أي قال قولا وهو يعنيه . (٤) أي أن أقصد

فَاتِّبَاعُ مَا هُوَ أَسْلَمُ جَانِباً وَأَقَلُّ غَائِلَةً أَوْلَى . وَقَدْ كَانَ الْآنَ مَا كَانَ ، وَالْكَلَامُ فِيهِ ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَيَانِ .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ هَذَا بِأَيَّامٍ ، وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ آمِدَ صَاحِبٌ لِأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ مَاهَانَ بِكِتَابٍ يُهَنِّئُهُ فِيهِ بِمَا تَلَبَّسَ بِهِ مِنَ الْعَدَالَةِ ، وَكَانَ الْكِتَابُ يَشْتَمِلُ عَلَى كَلِمَاتٍ وَجِيزَةٍ، وَأَلْفَاظٍ حَسَنَةٍ ، وَمَعَانٍ مُنْتَقَاةٍ . وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ هَذَا مِنْ أَصْحَابِ أَبِي سَعِيدٍ ، وَمِمَّنْ لَازَمَهُ سِنِينَ عِدَّةً ، وَعَلَّقَ عَنْهُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الشَّاشِيُّ ، زُهَاءَ عَشَرَةِ آلَافِ وَرَقَةٍ مِنْ[1] شَرْحِهِ لِكِتَابِ سِيبَوَيْهِ وَغَيْرِهِ ، دَرْساً وَمُذَاكَرَةً. وَكَانَتْ لَهُ أَيْضاً بِضَاعَةٌ قَوِيَّةٌ فِي عِلْمِ الْهَيْئَةِ ، وَبَصَرٌ[2] تَامٌّ بِمَذْهَبِ الْكُوفِيِّينَ فِي النَّحْوِ ، حَتَّى مَا كَانَ يُطَاقُ[3] . وَكَانَ مَنْ أَصْدَرَ الْكِتَابَ عَلَى يَدِهِ رَجُلاً كُرْدِيًّا ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ ثَقِيلَةٌ فَوْقَهَا صِنَاعَةٌ[4] عَظِيمَةٌ ، قَدْ أَضَرَّتْ بِهِ شَمْسُ

---

(١) فى الاصل : على (٢) وبصر : أى علم بتصرف (٣) يريد ألا يطيق أحد مجادلته ولا نقض قوله (٤) فى الأصل : « صاعة » وهو تصحيف والغرض أن بها نوعا من التطريز والوشى عظيما ، مما يدل على قدر الرجل .

الْهَوَاجِرِ ، وَمُقَاسَاةُ السَّفَرِ ، وَقَطْعُ الْمَهَامِهِ وَالْمَفَاوِزِ .
وَكَانَ الشَّيْخُ يُبَيِّنُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ الْفَرْقَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
« مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ » وَالِاحْتِجَاجَ عَمَّنْ نَصَبَهُ
وَرَفَعَهُ ، وَالْكُرْدِيُّ مَا يَفْهَمُ مِنْهُ الْقَلِيلَ وَلَا الْكَثِيرَ ،
ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِي سَعِيدٍ وَقَالَ : يَا شَيْخُ ، فِي أَيِّ شَيْءٍ
أَنْتَ ؟ وَفِيمَاذَا تَتَكَلَّمُ ؟ فَقَالَ : أَتَكَلَّمُ فِي شَيْءٍ لَا يَعْرِفُهُ
كُلُّ أَحَدٍ ، وَلَا يَتَصَوَّرُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ . قَالَ : فَفَسِّرْهُ
لِي لَعَلِّي أَفْهَمُهُ . قَالَ : لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا . قَالَ :
أَنْتَ عَالِمٌ ، وَمَنِ اقْتَبَسَ مِنْكَ عِلْمًا لَزِمَكَ الْجَوَابُ .
فَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ بِمَجْلِسٍ يَجْرِي فِيهِ حَدِيثُ الْفَرْضِ وَالنَّفْلِ
وَالسُّنَنِ ، وَظَوَاهِرِ أَمْرِ الشَّرِيعَةِ لِتَسْتَفِيدَ مِنْهُ ، وَتَنْتَفِعَ
بِهِ . فَأَخَذَ الْكُرْدِيُّ فِي الْمُطَاوَلَةِ ، وَإِيرَادِ الْهَذَيَانِ
وَمَا لَا مَحْصُولَ لَهُ . وَسَكَتَ عَنْهُ أَبُو سَعِيدٍ ، وَصَمَتَ
هُوَ أَيْضًا . وَجَعَلَ أَبُو سَعِيدٍ عَلَى عَادَتِهِ ، يُبَيِّنُ وَيُوضِحُ
وَيَتَكَلَّمُ ، وَيَنْثُرُ الدُّرَّ وَلَا يَهْدَأُ وَلَا يَفْتُرُ[1] لِسَانُهُ ، وَلَا

---

(١) ولا يفتر : أي ولا يسكن

يَجِفُّ رِيقُهُ . وَالكُرْدِي مُلازِمُهُ ، وَكَأَنَّهُ كَالْمُتَبَرِّمِ[١] بِهِ ، وَالْمُسْتَثْقِلِ لِجُلُوسِهِ ، وَمُلازَمَتِهِ إِيَّاهُ إِلَى أَنْ قَامَ وَمَضَى.

ثُمَّ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : مَاظَنَنْتُ أَنَّ ثَقِيلًا تَمَكَّنَ مِنْ أَحَدٍ تَمَكُّنَ هَذَا مِنَّا الْيَوْمَ ، وَإِنَّ أَلَمَ ثِقَلِهِ خَلَصَ إِلَى الرُّوحِ وَالْبَدَنِ كَمَا خَلَصَ إِلَيَّ ، لَقَدْ هَمَمْتُ تَارَةً بِضَرْبِهِ فَقُلْتُ : رُبَّمَا ضَرَبَنِي أَيْضاً ، ثُمَّ هَمَمْتُ بِالْقِيَامِ فَقُلْتُ : ضَرْبٌ مِنَ الْخُرْقِ[٢] ، ثُمَّ كِدْتُ أَصِيحُ فَقُلْتُ : نَوْعٌ مِنَ الْجُنُونِ ، ثُمَّ بَقِيتُ أَدْعُو سِرًّا ، وَأَرْغَبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي صَرْفِهِ ، فَتَفَضَّلَ اللهُ الْكَرِيمُ عَلَيَّ بِذَلِكَ ، وَمَعَ هَذِهِ الْحَالَةِ ، لَمْ تَزَلْ أُبْيَاتُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ تَتَرَدَّدُ بَيْنَ لَهَاتِي وَلِسَانِي . فَقُلْنَا لَهُ : وَمَا الْأَبْيَاتُ ؟ فَقَالَ :

يَاشَقِيقَ الرَّصَاصِ وَالْجَبَلِ
وَقَرِيعَ الْأَيَّامِ فِي الثِّقَلِ

(١) من قولهم : تبرم فى الشىء وبه : أى مل (٢) الخرق : الجهل والحمق

أَرِحْ حَيَاتِي فَقَدْ هَجَمْتَ عَلَى
نَفْسِي وَأَشْرَفْتَ بِي عَلَى أَجَلِي
وَاللهِ لَوْ كُنْتَ وَالِداً حَدِباً
وَكُنْتَ تُحْيِي الْأَمْوَاتَ فِي الْمَثَلِ
وَتَمْزُجُ الثَّلْجَ فِي الْعِسَاسِ (١) لَدَى الْـ
ـقَيْظِ وَعِنْدَ الشِّتَاءِ بِالْعَسَلِ
رَحَلْتُ عَنْ ذَاكَ عِنْدَ آخِرِهِ
وَاخْتَرْتُ أَلَّا أَرَاكَ فِي الرِّحَلِ
نَخُذُ طَرِيقِي وَتَالِدِي فَإِذَا
لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ نَخُذُ إِذاً سَمَلِي (٢)
وَأَرْحَلُ إِلَى الظُّلْمَةِ الَّتِي ذُكِرَتْ
مِنْ خَلْفِ قَافٍ يَاشَرَّ مُرْتَحِلِ

قَالَ : وَكَانَ قَدْ ظَهَرَ بِالْعِرَاقِ رِجْلٌ (٣) مِنَ الْجَرَادِ ،

---

(١) العساس : جمع عس : قدح يروى الثلاثة والاربعة . (٢) السمل : الخلق من الثياب ، والجمع أسمال ـ ويقال : ثوب أسمال ، باعتبار أجزائه كما يقال : ثوب أخلاق . والخلق : البالى (٣) الرجل من الجراد : القطعة العظيمة منه

فَأَضَرَّتْ بِالزُّرُوعِ وَالأَثْمَارِ ، وَغَلَتِ الأَسْعَارُ ، وَأَثَّرَ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ . تَحَضَرْنَا مَجْلِسَ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ ، وَكُلٌّ مِنَّا شَكَا حَالَهُ ، وَذَكَرَ خَلَّتَهُ (١) ، وَكَانَ فِينَا رَجُلٌ مُزَارِعٌ ، ذَكَرَ أَنَّهُ زَرَعَ بِنَوَاحِي النَّهْرَوَانِ أَرْبَعَةَ آلَافِ جَرِيبٍ (٢) مِلْكاً وَضَمَاناً وَإِجَارَةً رَجَاءَ الفَائِدَةِ ، وَقَدْ أَتَى عَلَيْهَا الْجَرَادُ ، وَهَلَكَ ذَلِكَ الرَّجُلُ لِأَجْلِهِ .

ثُمَّ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : لَايَهُولَنَّكَ أَمْرُهَا ، فَإِنَّهَا جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللهِ مَأْمُورٌ . بَلَغَنَا أَنَّ جَرَادَةً سَقَطَتْ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، فَأَخَذَهَا وَنَشَرَ (٣) جَنَاحَهَا وَقَالَ : أَتَعْلَمُونَ مَاهُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا ؟ قَالُوا لَا ، قَالَ : مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا : أَنَا مُغْلِي الأَسْعَارِ ، مَعَ تَدَفُّقِ الأَنْهَارِ . وَأَوْرَدَ فِي ذِكْرِ الْجَرَادِ مَاحَيَّرَ النَّاظِرِينَ ، ثُمَّ قَالَ : وَمِنْ أَحْسَنِ مَا وُصِفَ بِهِ الْجَرَادُ ، قَوْلُ بَعْضِ الْخُطَبَاءِ حَيْثُ يَقُولُ :

---

(١) الخلة بالفتح : الحاجة والفقر والخصاصة (٢) الجريب : مقدار معلوم من الأرض ، وهو مايحصل من ضرب ستين فى نفسها ، أى فى ستين أيضا . والأصل فيه المكيال .
(٣) نشر الجناح : أظهره ، وكان مطويا وهذا المكتوب الذى رواه إنما هو كناية ولسان حال .

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ خَلْقاً وَسَمَّاهَا جَرَاداً ، وَأَلْبَسَهَا أَجْلَاداً ، وَجَنَّدَهَا أَجْنَاداً ، وَأَدْمَجَهَا [١] إِدْمَاجاً ، وَكَسَاهَا مِنَ الْوَشْيِ دِيبَاجاً ، وَجَعَلَ لَهَا ذُرِّيَّةً وَأَزْوَاجاً ، إِذَا أَقْبَلَتْ خِلْتَهَا سَحَاباً أَوْ عَجَاجاً ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ حَسِبْتَهَا قَوَافِلَ وَحُجَّاجاً ، مُزَخْرَفَةَ الْمَقَادِيمِ ، مُزَبْرَجَةَ [٢] الْمَآخِيرِ ، مُزَوَّقَةَ الْأَطْرَافِ ، مُنْقَطِعَةَ الْأَخْفَافِ ، مُنَمْنَمَةَ [٣] الْحَوَاشِي ، مُنَمَّقَةَ الْغَوَاشِي [٤] ، ذَاتَ أَرْدِيَةٍ مُزَعْفَرَةٍ ، وَأَكْسِيَةٍ مُعَصْفَرَةٍ ، وَأَخْفِيَةٍ مُخَطَّطَةٍ . مُعْتَدِلَةٌ قَامَتُهَا ، مُؤْتَلِفَةٌ خِلْقَتُهَا ، مُخْتَلِفَةٌ حِلْيَتُهَا ، مَوْصُولَةُ الْمَفَاصِلِ ، مُدْرَجَةُ الْحَوَاصِلِ ، تَسْعَى وَتَخْتَالُ ، وَتَمِيسُ وَتَخْتَالُ ، وَتَطُوفُ وَتَجْتَالُ ، فَتَبَارَكَ خَالِقُهَا ، وَتَعَالَى رَازِقُهَا ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، رَحْمَةً مِنْهُ عَلَيْهَا ، أَوْسَعَهَا رِزْقاً ، وَأَتْقَنَهَا

---

(١) أدمجها : أى طواها وأدخلها بعضها فى بعض ، من قولهم : أدمج الشىء فى الثوب : أى لفه فيه . (٢) مزبرجة : أى مزينة ، والزبرج : الزينة ، من وشى أو جوهر أو نحو ذلك . (٣) منمنمة : مزخرفة ومنقوشة ومزينة (٤) الغواشى : جمع غاش وغاشية ، بمعنى الغطاء .

خَلْقًا ، وَفَتَقَ مِنها رَتْقًا ، وَوَشَّجَ[١] أَعْرَاقَهَا ، وَأَلْجَمَ أَعْنَاقَهَا ، وَطَوَّقَهَا أَطْوَاقَهَا ، وَقَسَمَ مَعَايِشَهَا وَأَرْزَاقَهَا ، تَنْظُرُ شَزْرًا[٢] مِنْ وَرَائِهَا ، وَتَرْقُبُ النَّازِلَ مِنَ سَمَائِهَا ، وَتَحْرُسُ الدَّائِرَ مِنْ حَوْلِهَا . سِلَاحُهَا عَتِيدٌ ، وَبَأْسُهَا شَدِيدٌ ، وَمَضَرَّتُهَا تَعْدِيدٌ ، تَدِبُّ عَلَى سِتٍّ وَتَطِيرُ ، فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَهَا خَلْقًا عَجِيبًا ، وَجَعَلَ لَهَا مِنْ كُلِّ ثَمَرٍ وَشَجَرٍ نَصِيبًا ، وَجَعَلَ لَهَا إِدْبَارًا وَإِقْبَالًا ، وَطَلَبًا وَاحْتِيَالًا ، حَتَّى دَبَّتْ وَدَرَجَتْ ، وَخَرَجَتْ وَدَخَلَتْ ، وَنَزَلَتْ وَعَرَجَتْ[٣] ، مَعَ الْمَنْظَرِ الْأَنِيقِ ، وَالْعَصَبِ الدَّقِيقِ ، وَالْبَدَنِ الرَّقِيقِ « هَذَا خَلْقُ اللهِ ، فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ؟ » .

ثُمَّ قَالَ : وَمَاذَا تَقُولُونَ فِي طَيْرٍ ؟ إِذَا طَارَ بَسَطَ ، وَإِذَا دَنَا مِنَ الْأَرْضِ لَطَعَ[٤] ، ؟ رِجْلَاهُ كَالْمِنْشَارِ ، وَعَيْنَاهُ كَالزُّجَاجِ . عَيْنُهُ فِي جَنْبِهِ ، وَرِجْلُهُ أَطْوَلُ مِنْ قَامَتِهِ ،

---

(١) أى جعلها مشتبكة (٢) أى نظر عبوس (٣) عرجت : أى ارتقت ، من عرج فى السلم : ارتقى . (٤) يقال : لطع فلان فلاناً : ضرب مؤخره برجله ، والغرض : أصابه .

أَلَا وَهِىَ الجَرَادَةُ . ثُمَّ قَالَ : وَأَحْسَنُ مِنْهُ : جِيدُهَا كَجِيدِ البَقَرِ، وَرَأْسُهَا كَرَأْسِ الفَرَسِ، وَقَرْنُهَا كَقَرْنِ الوَعِلِ[١]، وَرِجْلُهَا كَرِجْلِ الجَمَلِ، وَبَطْنُهَا كَبَطْنِ الحَيَّةِ، تَطِيرُ بِأَرْبَعَةِ أَجْنِحَةٍ، وَتَأْكُلُ بِلِسَانِهَا، فَتَبَارَكَ اللهُ مَا أَحْسَنَهَا! وَأَحْسَنُ مَافِيهَا : أَنَّهَا طَعَامٌ طَاهِرٌ حَيًّا وَمَيِّتًا ، وَنَقَلُهُ[٢] تُجْدِبُ أَقْوَامًا وَتُخْصِبُ آخَرِينَ . فَقُلْنَا لَهُ : مَا مَعْنَى قَوْلِكَ « تُجْدِبُ أَقْوَامًا وَتُخْصِبُ آخَرِينَ » ؟ قَالَ : إِنَّهَا إِذَا حَلَّتِ البَوَادِىَ وَالفَيَافِىَ وَمَوَاضِعَ الرِّمَالِ، فَهِىَ خِصْبٌ لَهُمْ وَمِيرَةٌ[٣]، وَإِذَا حَلَّتْ بِمَأْوَى الزَّرْعِ وَالأَشْجَارِ فَهِىَ تُجْدِبُ، لِأَنَّهَا تَأْتِى عَلَى الشَّوْكِ وَالشَّجَرِ، وَالرَّطْبِ وَاليَابِسِ، فَلَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ .

قَالَ : وَقَالَ أَيْضًا فِى تَضَاعِيفِ[٤] كَلَامِهِ : خَادِمُ المَلِكِ لَا يَتَقَدَّمُ فِى رِضَاهُ خُطْوَةً[٥] ، إِلَّا اسْتَفَادَ بِهَا قُدْمَةً[٦]

---

(١) الوعل ، والوعل : تيس الجبل ، وقيل : ذكر الأروى ، وهو الشاة الجبلية . والجمع : أوعال ووعول . (٢) يريد أنها متنقلة ، وفى تنقلها إجداب ، وقد وضح هذا فى قوله بعد . (٣) الميرة : الطعام يمتاره الانسان . (٤) تضاعيف كلامه : أى أثناء سطوره وحاشيته . (٥) كانت فى الاصل : « بخطوة » وفى : « خطوة » فأصلحت إلى مثل مافى الهامد . (٦) القدمة : السابقة فى الأمر والجرأة .

وَحُظْوَةً . قَالَ : وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنَ الْمَشَايِخِ كَانَ أَذْكَرَ لِحَالِ الشَّبَابِ ، وَأَكْثَرَ تَأَسُّفًا عَلَى ذَهَابِهِ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ إِذَا رَأَى أَحَدًا مِنْ أَقْرَانِهِ قَدْ عَالَجَهُ الشَّيْبُ تَسَلَّى بِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ ، كَانَتْ فِي أَيَّامِ الشَّبَابِ وَزَمَنِ الصِّبَا . وَإِذَا ذُكِرَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّيْبِ وَالشَّبَابِ ، بَكَى وَجْدًا وَحَنَّ ، وَشَكَا وَأَنَّ ، وَتَذَكَّرَ عَهْدَ الشَّبَابِ . وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ مُقَطَّعَاتِ مَحْمُودٍ الْوَرَّاقِ فِي الشَّيْبِ وَيَبْكِي عَلَيْهَا . وَأَنْشَدَ يَوْمًا :

فَإِنْ يَكُنِ الْمَشِيبُ طَرَا عَلَيْنَا
وَوَلَّى بِالْبَشَاشَةِ وَالشَّبَابِ

فَإِنِّي لَا أُعَاقِبُهُ بِشَيْءٍ
يَكُونُ عَلَيَّ أَهْوَنَ مِنْ خِضَابِ

رَأَيْتُ بِأَنَّ ذَاكَ وَذَا عَذَابٌ
فَيَنْتَقِمُ الْعَذَابُ مِنَ الْعَذَابِ

قَالَ : وَأَنْشَدَنَا لِمَحْمُودٍ الْوَرَّاقِ فِي الشَّيْبِ وَعَيْنَاهُ تَدْمَعَانِ :

وَلَوْ أَنَّ دَارَ الشَّيْبِ قَرَّتْ بِصَاحِبٍ
عَلَى ضِيقِهَا لَمْ نَبْغِ دَارًا بِدَارِهِ
وَلَكِنَّ هٰذَا الشَّيْبَ لِلْمَوْتِ رَائِدٌ
يُخَبِّرُنَا عَنْهُ بِقُرْبِ مَزَارِهِ

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ يُفْتِى عَلَى مَذْهَبِ أَبِى حَنِيفَةَ وَيَنْصُرُهُ ، فَجَرَى حَدِيثُ تَحْلِيلِ النَّبِيذِ عِنْدَهُ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْخُرَاسَانِيِّينَ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، دَعْنَا مِنْ حَدِيثِ أَبِى حَنِيفَةَ وَقَوْلِ الشَّافِعِىِّ . مَا تَرَى أَنْتَ فِى شُرْبِ النَّبِيذِ وَالْقَدْرِ الَّذِى لَا يُسْكِرُ وَيُسْكِرُ ؟ فَقَالَ : أَمَّا الْمَذْهَبُ فَمَعْرُوفٌ لَا عُدُولَ عَنْهُ ، وَأَمَّا الَّذِى يَقْتَضِيهِ الرَّأْىُ وَيُوجِبُهُ الْعَقْلُ ، وَيَلْزَمُ مِنْ حَيْثُ الِاحْتِيَاطُ ، وَالْأَخْذُ بِالْأَحْسَنِ وَالْأَوْلَى ، فَتَرْكُهُ وَالْعُدُولُ عَنْهُ .

فَقَالَ لَهُ : بَيِّنْ لَنَا — عَافَاكَ اللهُ — . فَقَالَ : أَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمُسْكِرُ حَلَالًا فِى كِتَابِ اللهِ تَعَالَى ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَكَانَ يَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ رَفْضُهُ وَتَرْكُهُ ،

بِحُجَّةِ الْعَقْلِ وَالِاسْتِحْسَانِ . فَإِنَّ شَارِبَهُ مَحْمُولٌ عَلَى كُلِّ مَعْصِيَةٍ ، مَدْفُوعٌ إِلَى كُلِّ بَلِيَّةٍ ، مَذْمُومٌ عِنْدَ كُلِّ ذِي عَقْلٍ[1] وَمُرُوءَةٍ ، يُحِيلُهُ عَنْ مَرَاتِبِ الْعُقَلَاءِ وَالْفُضَلَاءِ وَالْأُدَبَاءِ ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ جُمْلَةِ السُّفَهَاءِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَيَضُرُّ بِالدِّمَاغِ وَالْعَقْلِ ، وَالْكَبِدِ وَالذِّهْنِ ، وَيُوَلِّدُ الْقُرُوحَ فِي الْجَوْفِ ، وَيَسْلُبُ شَارِبَهُ ثَوْبَ الصَّلَاحِ وَالْمُرُوءَةِ وَالْمَهَابَةِ ، حَتَّى يَصِيرَ بِمَنْزِلَةِ الْمُخَبَّطِ الْمِخْرِيقِ[2] وَالْمُتْبَنِّجِ ، يَقُولُ بِغَيْرِ فَهْمٍ ، وَيَأْمُرُ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَيَضْحَكُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَيَبْكِي مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ ، وَيَخْضَعُ لِعَدُوِّهِ ، وَيَصُولُ عَلَى وَلِيِّهِ ، وَيُعْطِي مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْعَطِيَّةَ ، وَيَمْنَعُ مَنْ يَسْتَوْجِبُ الصِّلَةَ ، وَيُبَذِّرُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحْتَاجُ فِيهِ أَنْ يُمْسِكَ ، وَيُمْسِكُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحْتَاجُ فِيهِ أَنْ يُبَذِّرَ ، يَصِيرُ حَامِدُهُ ذَامًّا ، وَأَفْعَالُهُ مَلَامًا ، عَبْدُهُ لَا يُوَقِّرُهُ ، وَأَهْلُهُ لَا تَقَرُّبُهُ ، وَوَلَدُهُ يَهْرُبُ مِنْهُ ، وَأَخُوهُ

(١) « عقل مروءة » : هكذا فى الاصل — ولعله كما ذكر

(٢) المخبط : من : خبطه الشيطان : أى مسه بأذى وضر به ، والمخريق ، من الخرق وهو الحمق ، والمتبنج : من : انبأج الرجل ، أى ضخم واسترخى

يفزع عنه ، يتمرغ فى قيئه ، ويتقلب فى سلحه [١] ، ويبول فى ثيابه ، وربما قتل قريبه ، وشتم نسيبه ، وطلق امرأته وكسر آلة البيت ، ولفظ بالخنى ، وقال كل غليظة وفحش ، يدعو عليه جاره ، ويزرى به أصحابه ، عند الله ملوم ، وعند الناس مذموم ، وربما يستولى عليه فى حال سكره مخايل الهموم ، فيبكى دما ، ويشق جيبه حزنا ، وينسى القريب ، ويتذكر البعيد ، والصبيان يضحكون منه ، والنسوان يفتعلن النوادر عليه . ومع ذلك فبعيد من الله ، قريب من الشيطان ، قد خالف الرحمن فى طاعة الشيطان ، وتمكن من ناصيته ، وزين فى عينه إتيان الكبائر ، وركوب الفواحش ، واستحلال الحرام ، وإضاعة الصلاة ، والحنث فى الأيمان ، سوى ما حل به عند الإفاقة من الندامة ، ويستوجب من عذاب الله يوم القيامة .

فقال الرجل : والله إن قولك ووصفك له أعلق بالقلب

---

(١) من سلح الرجل : أى تغوط

مِنْ كُلِّ وَاضِحٍ وَبُرْهَانٍ لَائِحٍ ، وَحُجَّةٍ وَأَثَرٍ ، وَقَوْلٍ وَخَبَرٍ . فَقَالَ لَهُ : لَوْلَا ذَهَابُ الْوَقْتِ لَا عِوَضَ لَهُ ، لَاسْتَدْلَلْتُ لِكُلِّ خَصْلَةٍ ذَكَرْتُهَا ، وَلَفْظَةٍ أَوْرَدْتُهَا بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ ، أَوْ خَبَرٍ مَأْثُورٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى قُلْتَ : إِنَّ الْأَلْفَاظَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ ذَاكَ مُسْتَنْبَطَةٌ مِنْهُ ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ فِى هَذَا أَظْهَرُ وَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُبَيَّنَ وَيُوضَحَ . وَلِأَبِى حَنِيفَةَ مَسَائِلُ لَا أَرْتَضِيهَا لَهُ ، وَقَدْ خَالَفَهُ فِيهَا أَعْيَانُ أَصْحَابِهِ [(١)] ، وَالنَّاقِلَةُ لِمَذْهَبِهِ ، وَلَكِنْ لِكُلِّ أَرِيبٍ هَفْوَةٌ ، وَلِكُلِّ جَوَادٍ كَبْوَةٌ ، وَالْكَلَامُ إِذَا كَثُرَ لَا يَخْلُو مِنَ الْخَطَإِ ، وَالْقَوْلُ إِذَا تَتَابَعَ لَا يَعْرَى مِنَ التَّنَاقُضِ ، — وَاللهُ الْمُعِينُ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ — .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : دَخَلْتُ مَسْجِدًا بِبَابِ الشَّامِ يَوْمًا أَنْظُرُ أَبَا الْمَنْصُورِ الْعُمَرِىَّ [(٢)] فَرَأَيْتُ عَرَبِيًّا

---

(١) فى الأصل : « الصحابة » (٢) نسبة إلى عمر كسكر : موضع قرب واسط

قدِ اسْتاقَ وَمِخْلاتُه[1] تحتَ رأسِهِ ، وَهُوَ يَترنَّمُ بِهذِهِ الأَبْيَاتِ بِحَلْقٍ أَطْيَبَ ما يَكُونُ ، وَصَوْتٍ أَنْدَى ما يُسْمَعُ :

سَماءُ الْحُبِّ تَهْطِلُ بِالصُّدُودِ

وَنَارُ الْحُبِّ تَحْرِقُ مِنْ بَعِيدِ

وَعَيْنُ الْحُبِّ تَأْتِى بِالْمَنَايَا

فَتَغْرِسُهُ[2] عَلَى قَلْبٍ عَمِيدِ[3]

وَأَوَّلُ مَنْ عَشِقْتُ عَشِقْتُ ظَبْيًا

لَهُ فِى الصَّدْرِ قَلْبٌ مِنْ حَدِيدِ

فَقُلْتُ لَهُ : أَعِدِ الْأَبْيَاتَ . فَقَالَ لِى : دَخَلْتَ عَلَىَّ وَشَغَلْتَنِى عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ ، خَلَوْتُ بِنَفْسِى فِى هَذَا الْمَسْجِدِ أَتَمَنَّى أَمَانِىَّ دُونَهَا خَرْطُ الْقَتَادِ ، فَأَفْسَدْتَهَا عَلَىَّ . فَحَفِظْتُ الْأَبْيَاتَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَانْصَرَفْتُ وَتَرَكْتُهُ . قَالَ أَبُو حَيَّانَ : وَأَنْشَدَنَا أَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِىُّ :

---

(١) المخلاة : ما يجعل فيه الخلى ، وهو الرطب من النبات أو كل بقلة قلعتها — ومنه المثل : عبد وخلى فى يديه . أى أنه مع عبوديته غنى (٢) يريد فتغرس العين الحب ، وفى غرسها المنايا (٣) العميد : الذى هده العشق ، قال الشاعر .

يلوموننى فى حب ليلى عواذلى ولكننى من حبها لعميد

تَفَكَّرْتُ فِي شَيْبِ الْفَتَى وَشَبَابِهِ
فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الْحَقَّ لِلشَّيْبِ وَاجِبُ

يُصَاحِبُنِي شَرْخُ الشَّبَابِ فَيَنْقَضِي
وَشَيْبِي إِلَى حِينِ الْمَمَاتِ مُصَاحِبُ

ثُمَّ قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَحْفَظَ لِجَوَامِعِ الزُّهْدِ نَظْماً وَنَثْراً ، وَمَا وَرَدَ فِي الشَّيْبِ وَالشَّبَابِ ، مِنْ شَيْخِنَا أَبِي سَعِيدٍ . وَذَاكَ أَنَّهُ كَانَ دَيِّناً ، وَرِعاً تَقِيًّا ، زَاهِداً عَابِداً خَاشِعاً ، لَهُ دَأْبٌ بِالنَّهَارِ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَالْخُشُوعِ ، وَوِرْدٌ بِاللَّيْلِ مِنَ الْقِيَامِ وَالْخُضُوعِ ، صَامَ أَرْبَعِينَ سَنَةً الدَّهْرَ كُلَّهُ . قَالَ : وَقَالَ لِي أَبُو إِسْحَاقَ الْمَدَائِنِيُّ : مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِ خَبَراً وَلَا شَيْئاً قَطُّ فِيهِ ذِكْرُ الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ ، وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ، وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالْعِقَابِ ، وَالْمُجَازَاةِ وَالثَّوَابِ ، وَالْإِنْذَارِ ، وَالْإِعْذَارِ ، وَذَمِّ الدُّنْيَا وَتَقَلُّبِهَا بِأَهْلِهَا ، وَتَغَيُّرِهَا

عَلَى أَبْنَائِهَا — إِلَّا وَبَكَى مِنْهَا ، وَجَزِعَ عِنْدَهَا ، وَرُبَّمَا نَغَصَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ ، وَامْتَنَعَ مِنْ عَادَاتِهِ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ . وَكَانَ يُنْشِدُنَا وَيُورِدُ عَلَيْنَا مِنْ أَمْثَالِهِ ، مَا كُنَّا نَسْتَعِينُ بِهِ وَنَسْتَفِيدُ مِنْهُ ، وَمَا نَجْعَلُهُ حَظَّ يَوْمِنَا . وَرَأَيْتُهُ يَوْمًا يُنْشِدُ وَيَبْكِي :

حَنَى الدَّهْرُ مِنْ بَعْدِ اسْتِقَامَتِهِ ظَهْرِي
وَأَفْضَى إِلَى تَنْغِيصِ عِيشَتِهِ عُمْرِي
وَدَبَّ الْبِلَى فِي كُلِّ عُضْوٍ وَمَفْصِلٍ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى سَلِيمًا عَلَى الدَّهْرِ ؟

قَالَ : وَوَصَّى يَوْمًا بَعْضَ أَصْحَابِهِ وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ شَرْحَ الْفَصِيحِ لِابْنِ دَرَسْتَوَيْهِ : كُنْ كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ : اجْعَلْ مَا فِي كُتُبِكَ رَأْسَ مَالِكَ ، وَمَا فِي صَدْرِكَ لِلتَّفَقُّهِ . قَالَ : وَأَنْشَدَنَا :

وَذِي حِيلَةٍ لِلشَّيْبِ ظَلَّ يَحُوطُهُ
يُقَرِّضُهُ حِينًا وَحِينًا يُنَتِّفُ (١)

---

(١) يقرضه . أى يقطعه ، وينتف . اى ينزع . والتشديد فيهما للمبالغة .

وَمَا لَطُفَتْ لِلشَّيْبِ حِيلَةُ عَالِمٍ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا حِيلَةُ الشَّيْبِ أَلْطَفُ(١)

قَالَ أَبُو حَيَّانَ(٢) : شَكَا أَبُو الْفَتْحِ الْقَوَّاسُ إِلَيْهِ طُولَ عُطْلَتِهِ ، وَكَسَادَ سُوقِهِ ، وَوُقُوفَ أَمْرِهِ ، وَذَهَابَ مَالِهِ ، وَرِقَّةَ حَالِهِ ، وَكَثْرَةَ دُيُونِهِ وَعِيَالِهِ ، وَتَجَلُّفَ(٣) صِبْيَانِهِ ، وَسُوءَ عِشْرَةِ أَهْلِهِ مَعَهُ ، وَقِلَّةَ رِضَاهُمْ بِهِ ، وَمُطَالَبَتَهُمْ لَهُ بِمَا لَا يَقُومُ بِهِ ، وَأَنَّهُ يَقَعُ وَيَقُومُ ، وَيَدْخُلُ كُلَّ مَدْخَلٍ ، حَتَّى يُحَصِّلَ لِنَفْسِهِ وَعِيَالِهِ بَعْضَ كِفَايَتِهِمْ . فَقَالَ لَهُ : ثِقْ بِاللهِ خَالِقِكَ ، وَكِلْ أَمْرَكَ إِلَى رَازِقِكَ ، وَأَقْلِلْ مِنْ شَغْبِكَ(٤) وَأَجْمِلْ فِي طَلَبِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ بِمَرْأَى مِنَ اللهِ وَمَسْمَعٍ ، قَدْ تَكَفَّلَ بِرِزْقِكَ ، فَيَأْتِيكَ

---

(١) إنه ما تلطف إنسان لمدارة الشيب إلا كان ظهوره وبقاؤه أبيض ناصعاً ألطف مما فعل . (٢) ها هو ذا أبو حيان يصف لك حال شاك لا يشكو حاله للسيراف ، فانظر ما جاء على لسان الشاكى إنه لابى حيان ، لأنا ما رأينا شاكياً يكون هذا قوله ، إلا ما كان للحريرى فى مقاماته ، وكذلك التنميق الذى مر فى وصف الجراد ، والذى سلف فى وصف مضار الخمر ، فإنها يلمح من بين سطورها أبو حيان وأسلوبه الجاحظى الذى يعشقه دشقا « عبد الخالق »

(٣) تجلف صبيانه . أى هزالهم وسوء حالهم (٤) شغبك . الشغب . بسكون الغين تهييج الشر ، ولا يصح فيه شغب بالتحريك وقيل : التحريك لغة فيه

مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُهُ ، وَضَمِنَ لَكَ وَلِعِيَالِكَ قُوتَهُمْ ، فَيَدِرُّ عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْتَقِبُهُ ، وَعَلَى حَسَبِ الثِّقَةِ[1] بِاللهِ يَكُونُ حُسْنُ المَعُونَةِ ، وَبِمِقْدَارِ عُدُولِكَ عَنِ اللهِ إِلَى خَلْقِهِ يَكُونُ كَلُّ المَئُونَةِ[2] . وَأَنْشَدَ وَذَكَرَ أَنَّهُ لِبَعْضِ المُحْدَثِينَ :

يَا طَالِبَ الرِّزْقِ إِنَّ الرِّزْقَ فِي طَلَبِكْ
وَالرِّزْقُ يَأْتِي وَإِنْ أَقْلَلْتَ مِنْ تَعَبِكْ

لَا يَمْلِكَنَّكَ لَا حِرْصٌ وَلَا تَعَبٌ
فَيُسْلِمَاكَ وَلَا تَدْرِي إِلَى عَطَبِكْ

إِنْ تَخْفَ أَسْبَابُ هَذَا[3] الرِّزْقِ عَنْكَ فَكَمْ
لِلرِّزْقِ مِنْ سَبَبٍ يُغْنِيكَ عَنْ سَبَبِكْ

بَلْ إِنْ تَكُنْ فِي أَعَزِّ العِزِّ ذَا أَرَبٍ
فَلَا يَكُنْ زَادُ مَنْ لَمْ تَبْلُ مِنْ أَرَبِكْ

---

(١) فى الأصل : « وعلى حسب النفقه بالله تكون المعونة » وفى العماد : ما كتبناه

(٢) كل المئونة . أى ثقلها وحملها — الكل : الضعيف والمراد هنا ثقل العبء .

(٣) فى الأصل : « بدون هذا »

لَا تَعْرِضَنَّ لِزَادٍ لَسْتَ تَمْلِكُهُ

وَاقْنَعْ بِزَادِكَ أَوْ فَاصْبِرْ عَلَى سَغَبِكْ

وَلَسْتَ تَحْمَدُ أَنْ تُعْزَى إِلَى نَشَبٍ

إِذَا عُزِيتَ إِلَى بُخْلٍ عَلَى نَشَبِكْ

هَبْ جَاهِلَ الْقَوْمِ غَرَّتْهُ جَهَالَتُهُ

أَلَسْتَ ذَا أَدَبٍ فَاعْمَلْ عَلَى أَدَبِكْ ؟

لَا تَكَالَبَنَّ[1] عَلَى عِرَضِ الْكِرَامِ تَعِشْ

وَالْكَلْبُ أَحْسَنُ حَالًا مِنْكَ فِى كَلَبِكْ

وَلَا تَعِبْ عِرْضَ مَنْ فِى عِرْضِهِ جَرَبٌ

إِلَّا وَأَنْتَ نَقِيُّ الْعِرْضِ مِنْ جَرَبِكْ

وَإِنَّمَا النَّاسُ فِى الدُّنْيَا ذَوُو رُتَبٍ

فَانْهَضْ إِلَى الرُّتْبَةِ[2] الْعَلْيَاءِ مِنْ رُتَبِكْ

---

(١) كاب يكلب كلباً على الأمر : أى ألح : مستعار من كاب الكلب إذا ضرى وتعود عض الناس (٢) فى الأصل : « العليا » بدون همزة » وقد صححناه ليستقيم الوزن .

قَالَ أَبُو حيَّان : وَكَانَ يَخْتلِفُ إِلَى مجْلِسِ أَبِي سَعِيدٍ عَلِيُّ ابْنُ الْمُسْتَنِيرِ ، وَكَانَ هَذَا ابْنَ بِنْتِ قُطْرُبٍ ، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ يَعْرِفُ لَهُ تَقَدُّمَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَكَانَ يَرْجِعُ إِلَى وَطْأَةِ خُلُقٍ وَحُسْنِ عِشْرَةٍ ، وَحَلَاوَةِ كَلَامٍ وَفَقْرٍ مُدْقِعٍ ، وَضُرٍّ ظَاهِرٍ وَحَالَةٍ سَيِّئَةٍ ، وَأَمْرٍ مُخْتَلٍّ وَمَعِيشَةٍ ضَيِّقَةٍ ، وَكَثْرَةِ عِيَالٍ وَمَئُونَةٍ مَعَ نَشَاطِ الْقَلْبِ ، وَثَبَاتِ النَّفْسِ وَطَلَاقَةِ الْوَجْهِ ، وَكَثْرَةِ الْمَرَحِ وَالطَّرَبِ وَالِارْتِيَاحِ .

وَقَرَأَ يَوْمًا عَلَى أَبِي سَعِيدٍ دِيوَانَ الْمُرَقِّشِ وَأَخَذَ خَطَّهُ بِذَلِكَ ، وَعَجَّلَ الِانْصِرَافَ مِنْ عِنْدِهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو سَعِيدٍ : أَيْنَ عَزَمْتَ ؟ قَالَ : أَذْهَبُ لِأُصْلِحَ أَمْرَ الْعِيَالِ ، وَأَتَمَحَّلَ وَأَحْتَالَ ، فَدَعَا لَهُ بِالرِّزْقِ وَالسَّعَةِ وَالْمَعُونَةِ وَالْكِفَايَةِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ضَاحِكُ السِّنِّ ، قَرِيرُ الْعَيْنِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْنَا لَهُ : هَذَا الرَّجُلُ مَعَ مَا فِيهِ ، لَا يُعْرَفُ الْحُزْنُ فِي وَجْهِهِ ، وَلَا يَشْتَدُّ هَمُّهُ ، وَيَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ . فَالْتَفَتَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

أَيُّهَا الشَّيْخُ : وَرَاءَهُ حَالٌ يُخْفِيهَا عَنَّا ، وَيَطْوِيهَا مِنَّا ؟ قَالَ : مَا أَظُنُّ الْأَمْرَ عَلَى ذَلِكَ ، لَكِنَّ الرَّجُلَ عَاقِلٌ ، وَالْعَاقِلُ يَعْلُو عَلَى [(١)] هَمِّهِ وَحُزْنِهِ ، فَيَقْهَرُهُمَا بِعَقْلِهِ وَعِلْمِهِ ، وَالْجَاهِلُ يَشْتَدُّ هَمُّهُ وَحُزْنُهُ ، وَيُرَى ذَلِكَ فِى وَجْهِهِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ لِجَهْلِهِ . فَاسْتَحْسَنَّا ذَلِكَ وَأَثْبَتْنَاهُ .

قَالَ فِى كِتَابِ الْإِمْتَاعِ : فَقَالَ لِىَ الْوَزِيرُ : أَيْنَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ أَبِى عَلِىٍّ ؟ وَأَيْنَ عَلِىُّ بْنُ عِيسَى مِنْهُمَا ؟ وَأَيْنَ ابْنُ الْمَرَاغِىِّ أَيْضاً مِنَ الْجَمَاعَةِ ؟ وَكَذَلِكَ الْمَرْزُبَانِىُّ وَابْنُ شَاذَانَ ، وَابْنُ الْوَرَّاقِ وَابْنُ حَيَّوَيْهِ . فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ : أَبُو سَعِيدٍ أَجْمَعُ لِشَمْلِ الْعِلْمِ ، وَأَنْظَمُ لِمَذَاهِبِ الْعَرَبِ ، وَأَدْخَلُ فِى كُلِّ بَابٍ ، وَأَخْرَجُ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ ، وَأَلْزَمُ لِلْجَادَّةِ الْوُسْطَى فِى الدِّينِ وَالْخُلُقِ ، وَأَرْوَى لِلْحَدِيثِ ، وَأَقْضَى فِى الْأَحْكَامِ ، وَأَفْقَهُ فِى الْفَتْوَى ، وَأَحْضَرُ بَرَكَةً عَلَى الْمُخْتَلِفِينَ ، وَأَظْهَرُ أَثَراً فِى الْمُقْتَبِسَةِ . وَلَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ نُوحُ بْنُ نَصْرٍ وَكَانَ مِنْ أُدَبَاءِ

---

(١) كانت فى الأصل : « يعلو عليه همه » .

مُلوكِ آلِ سامانَ ، سَنَةَ أَربَعِينَ وَثلاثِمائَةٍ كِتاباً خاطَبَهُ فِيهِ بِالإِمامِ ، وَسأَلَهُ عَنْ مَسائِلَ تَزِيدُ عَلى أَرْبَعِمائَةِ مَسْأَلَةٍ الغالِبُ عَلَيْها الحِرانُ (١) وَما أَشْبَهَ الحِرانَ . وَباقِى ذَلِكَ أَمْثالٌ مَصْنُوعَةٌ عَلى العَرَبِ شَكَّ فِيها فَسأَلَهُ عَنْها . وَكانَ هَذا الكِتابُ مَقْرُوناً بِكِتابِ الوَزِيرِ البَلْعَمِيِّ خاطَبَهُ فِيهِ بِإِمامِ المُسْلِمِينَ ، ضَمَّنَهُ مَسائِلَ القُرْآنِ وَأَمْثالاً لِلعَرَبِ مُشْكِلَةً .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ المَرْزُبانُ بْنُ مُحَمَّدٍ مَلِكُ الدَّيْلَمِ مِنْ أَذْرَبِيجانَ كِتاباً خاطَبَهُ فِيهِ بِشَيْخِ الإِسْلامِ ، سَأَلَ عَنْ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ مَسْأَلَةً أَكْثَرُها فِى القُرْآنِ ، وَباقِى ذَلِكَ فِى الرِّواياتِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنِ الصَّحابَةِ .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ حِنْزابَةَ مِنْ مِصْرَ كِتاباً خاطَبَهُ فِيهِ بِالشَّيْخِ الجَلِيلِ ، وَسَأَلَهُ فِيهِ عَنْ ثَلاثِمائَةِ كَلِمَةٍ مِنْ فُنُونِ الحَدِيثِ المَرْوِىِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنِ

---

(١) الحران للدابة : وهو وقوفها إذا استدر جريها ، شبهت الكلمة الخارجة عن إدراك العقل ، بحران الدابة فى صعوبة المعالجة .

السَّلَفِ . وَقَالَ لِي[١] الدَّارَقُطْنِيُّ سَنَةَ سَبْعِينَ : أَنَا جَمَعْتُ ذَلِكَ لِابْنِ حِنْزَابَةَ عَلَى طَرِيقِ الْمَعُونَةِ .

وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ مَلِكُ سِجِسْتَانَ عَلَى يَدِ شَيْخِنَا أَبِي سُلَيْمَانَ[٢] كِتَابًا خَاطَبَهُ فِيهِ بِالشَّيْخِ الْفَرْدِ . سَأَلَ عَنْ سَبْعِينَ مَسْأَلَةً فِي الْقُرْآنِ . وَمِائَةِ كَلِمَةٍ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَثَلَاثِمَائَةِ بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ ، هَكَذَا حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو سُلَيْمَانَ ، وَأَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً فِي الْأَحْكَامِ ، وَثَلَاثِينَ مَسْأَلَةً فِي الْأُصُولِ عَلَى طَرِيقِ الْمُتَكَلِّمِينَ .

قَالَ الْوَزِيرُ[٣] : وَهَذِهِ الْمَسَائِلُ وَالْجَوَابَاتُ عِنْدَكَ ؟ قُلْتُ نَعَمْ : قَالَ : فِي كَمْ تَقَعُ ؟ قُلْتُ لَعَلَّهَا تَقَعُ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ وَرَقَةٍ ، لِأَنَّ أَكْثَرَهَا فِي الظُّهُورِ . قَالَ : مَا أَحْوَجَنَا إِلَى النَّظَرِ إِلَيْهَا ، وَالِاسْتِمْتَاعِ بِهَا ، وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْهَا ، وَأَيْنَ الْفَرَاغُ وَأَيْنَ السُّكُونُ ؟؟ وَنَحْنُ فِي كُلِّ يَوْمٍ نُدْفَعُ

---

(١) أبو حيان هو المتكلم (٢) هو المنطقى (٣) هو ابن سعدان

إِلَى طَامَّةٍ تُنْسِى مَاسَلَفَ ، وَتُوعِدُ بِالدَّاهِيَةِ ثُمَّ قَالَ : صِلْ حَدِيثَكَ . قُلْتُ : وَأَمَّا أَبُو عَلِيٍّ : فَأَشَدُّ تَفَرُّداً بِالْكِتَابِ وَأَكْثَرُ إِكْبَاباً عَلَيْهِ ، وَأَبْعَدُ مِنْ كُلِّ مَا عَدَاهُ مِمَّا هُوَ عِلْمُ الْكُوفِيِّينَ ، وَمَا تَجَاوَزَ فِي اللُّغَةِ كُتُبَ أَبِي زَيْدٍ وَأَطْرَافاً لِغَيْرِهِ ، وَهُوَ مُتَّقِدٌ بِالْغَيْظِ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ وَبِالْحَسَدِ لَهُ . كَيْفَ تَمَّ لَهُ تَفْسِيرُ كِتَابِ سِيبَوَيْهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ؟ بِغَرِيبِهِ وَأَمْثَالِهِ ، وَشَوَاهِدِهِ وَأَبْيَاتِهِ . وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، لِأَنَّ هَذَا شَيْءٌ مَاتَمَّ لِلْمُبَرِّدِ وَلَا لِلزَّجَّاجِ ، وَلَا لِابْنِ السَّرَّاجِ وَلَا لِابْنِ دَرَسْتَوَيْهِ ، مَعَ سَعَةِ عِلْمِهِمْ ، وَقَبْضِ بَنَانِهِمْ (١) .

وَلِأَبِي عَلِيٍّ أَطْرَافٌ مِنَ الْكَلَامِ فِي مَسَائِلَ أَجَادَ فِيهَا وَلَمْ يَأْتَلِ (٢) ، وَلَكِنَّهُ قَعَدَ عَنِ الْكِتَابِ عَلَى النَّظْمِ الْمَعْرُوفِ . وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُنَا : أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ اشْتَرَى شَرْحَ أَبِي سَعِيدٍ بِالْأَهْوَازِ - فِي تَوَجُّهِهِ إِلَى بَغْدَادَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ ،

(١) وقبض بنانهم : هو من : قبض على الشيء بيده : أمسكه وضم عليه أصابعه ، وهو إشارة إلى تمكنهم (٢) أى يقصر

لَاحِقًا بِالْخِدْمَةِ الْمَوْسُومَةِ بِهِ وَالنِّدَامَةِ (١) الْمَوْقُوفَةِ عَلَيْهِ ـ بِأَلْفَيْ دِرْهَمٍ ، وَهَـذَا حَدِيثٌ مَشْهُورٌ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُهُ يَأْبَوْنَ الْإِقْرَارَ بِهِ ، إِلَّا مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ أَرَادَ النَّقْضَ عَلَيْهِ وَإِظْهَارَ الْخَطَإِ .

وَقَدْ كَانَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ هَمَّ بِالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا فَلَمْ يُقْضَ لَهُ ذَلِكَ ، لِأَنَّ أَبَا سَعِيدٍ مَاتَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . وَأَبُو عَلِيٍّ يَشْرَبُ وَيُخَالِعُ (٢) ، وَمَا هَذِي سَجِيَّةُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَطَرِيقَةُ الدَّيَّانِينَ . وَأَبُو سَعِيدٍ يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ ، وَلَا يُصَلِّي إِلَّا فِي الْجَمَاعَةِ ، وَيُفْتِي عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَيَلِي الْقَضَاءَ سِنِينَ ، وَيَتَأَلَّهُ (٣) وَيَتَحَرَّجُ ، وَغَيْرُهُ بِمَعْزِلٍ عَنْ هَذَا ، وَلَوْلَا الْإِبْقَاءُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ لَكَانَ الْقَلَمُ يَجْرِي بِمَا هُوَ خَافٍ ، وَيُخْبِرُ بِمَا هُوَ مُجَمْجَمٌ (٤) وَلَـكِنَّ الْأَخْذَ بِحُكْمِ الْمُرُوءَةِ أَوْلَى ، وَالْإِعْرَاضَ عَمَّا

(١) أي المنادمة والشراب (٢) يخالع : من خلع خلاعة : أي انقاد لهواه ، وتهتك واستخف (٣) يتأله : يتعبد (٤) مجمجم : من جمجم الكلام لم يبينه ، يريد بما هو مستتر غير ظاهر

يُوجِبُ اللَّائِمَةَ أَحْرَى[1]، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ حَسَنَ الْخَطِّ، وَلَقَدْ أَرَادَهُ الصَّيْمَرِيُّ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى الْإِنْشَاءِ وَالتَّحْرِيرِ فَاسْتَعْفَى وَقَالَ: هٰذَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى دُرْبَةٍ وَأَنَا عَارٍ مِنْهَا، وَسِيَاسَةٍ وَأَنَا غَرِيبٌ فِيهَا. وَمِنَ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرِمِ.

وَحَدَّثَنَا النَّصْرِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ وَكَانَ يَكْتُبُ النَّوْبَةَ لِلْمُهَلَّبِيِّ قَالَ: كُنْتُ أَخُطُّ بَيْنَ يَدَيِ الصَّيْمَرِيِّ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَالْتَمَسَنِي يَوْماً لِأَنْ أُجِيبَ ابْنَ الْعَمِيدِ أَبَا الْفَضْلِ عَنْ كِتَابٍ فَلَمْ يَجِدْنِي، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِيُّ بِحَضْرَتِهِ، فَظَنَّ أَنَّهُ لِفَضْلِ الْعِلْمِ أَقْوَمُ بِالْجَوَابِ مِنْ غَيْرِهِ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ وَيُجِيبَ، فَأَطَالَ فِي عَمَلِ نُسْخَةٍ كَثُرَ فِيهَا الضَّرْبُ[2] وَالْإِصْلَاحُ، ثُمَّ أَخَذَ يُحَرِّرُ

---

(١) أبو حيان هنا كامل الأدب، وعند مايذكر الصاحب، لايبقى ولا يذر، من قول يدل على حطة وضعة وإسقاط ذكر للصاحب «عبد الخالق»

(٢) الضرب: الشطب، يقال: شطب عن الشيء: مال عنه، والضرب على الكلمة شطب لأنه عدول عنها إلى غيرها، ويرادف الشطب الترميج: وهو إفساد سطور بعد كتابتها. «عبد الخالق»

وَالصيْمَرِىُّ يَقرأُ مَا يَكتُبُهُ ، فَوَجَدَهُ مُخالِفاً لِجارِى العَادَةِ لَفظًا ، مُبايِناً لِمأثُورِهِ تَرتِيباً . قَالَ: وَدَخلتُ فِى تِلكَ الحَالِ فَتَمَثّلَ الصيْمَرِىُّ بِقَوْلِ الشَاعِرِ :

يَابَارِىَ القَوْسِ بَرْياً لَيْسَ يُصلِحُهُ
لَاتَظلِمِ القَوْسَ أَعطِ القَوْسَ بارِيهَا

ثُمَّ قَالَ لِأَبِى سَعِيدٍ : خَفِّفْ عَنكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ ، وَادْفَعِ الكِتَابَ إِلَى أَبِى عَبْدِ اللهِ تِلمِيذِكَ لِيُجِيبَ عَنهُ ، فَخَجِلَ مِنْ هَذَا القَوْلِ . فَلَمَّا ابْتَدَأْتُ الجَوَابَ مِنْ غَيْرِ نُسْخَةٍ تَحَيَّرَ مِنّى أَبُو سَعِيدٍ .

ثُمَّ قَالَ لِلصيْمَرِىِّ أَيُّهَا الأُستَاذُ : لَيْسَ بِمُستَنْكَرٍ مَا كَانَ مِنّى ، وَلَا بِمُستَكبَرٍ مَا كَانَ مِنهُ ، إِنَّ مَالَ الغَنِىِّ لَا يَصِحُّ فِى بَيْتِ المَالِ إِلَّا بَيْنَ مُستَخرِجٍ وَجِهبِذٍ ، وَالكُتَّابُ جَهَابِذَةُ الكَلَامِ ، وَالعُلَمَاءُ مُستَخرِجُوهُ . فَتَبَسَّمَ الصيْمَرِىُّ وَأَعجَبَهُ مَا سَمِعَ وَقَالَ : عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا أَخلَيْتَنَا مِنْ فَائِدَةٍ .

وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ بَعِيدَ الْقَرِينِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَالتَّفْسِيرُ ، وَالْفِقْهُ وَالْفَرَائِضُ ، وَالشُّرُوطُ وَالنَّحْوُ ، وَاللُّغَةُ وَالْعَرُوضُ ، وَالْقَوَافِي وَالْحِسَابُ ، وَالْهَنْدَسَةُ وَالشِّعْرُ ، وَالْحَدِيثُ وَالْأَخْبَارُ ، وَهُوَ فِي كُلِّ هٰذَا ، إِمَّا فِي الْغَايَةِ وَإِمَّا فِي الْوَسَطِ .

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ عِيسَى : فَعَلِيُّ الرُّتَبِ فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، وَالْكَلَامِ وَالْمَنْطِقِ ، وَلَا عَيْبَ[1] بِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَسْلُكْ طَرِيقَ وَاضِعِ الْمَنْطِقِ ، بَلْ أَفْرَدَ لَهُ صِنَاعَةً وَأَظْهَرَ بَرَاعَةً ، وَقَدْ عَمِلَ فِي الْقُرْآنِ كِتَاباً نَفِيساً ، هٰذَا مَعَ الدِّينِ الثَّخِينِ ، وَالْعَقْلِ الرَّزِينِ .

وَأَمَّا ابْنُ الْمَرَاغِيِّ : فَلَا يَلْحَقُ بِهٰؤُلَاءِ مَعَ بَرَاعَةِ اللَّفْظِ ، وَسَعَةِ الْحِفْظِ ، وَقُوَّةِ النَّفْسِ ، وَغَزَارَةِ النَّفْثِ[2] ، وَكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ ، وَمَنْ نَظَرَ لَهُ فِي كِتَابِ الْبَهْجَةِ عَرَفَ مَا أَقُولُ ، وَاعْتَقَدَ فَوْقَ مَا وَصَفْتُ .

---

(١) في الاصل : « وعيب بدون لا » (٢) النفث : أصله من نفث الشيطان الشعر والغزل ثم استعير كما هنا ، فقيل : ما أحسن نفثات فلان ، أي شعره

وَأَمَّا المَرْزُبَانِيُّ وَابْنُ شَاذَانَ ، وَالقَرْمِيسِينِيُّ وَابْنُ الخَلَّالِ ، وَابْنُ حَيَّوَيْهِ : فَلَهُمْ رِوَايَةٌ وَجَمْعٌ ، لَيْسَ لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ نَقْطٌ وَلَا إِعْجَامٌ ، وَلَا إِسْرَاجٌ وَلَا إِلْجَامٌ.

وَحَدَّثَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ عَلَمُ الدِّينِ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَنْدَلُسِيُّ شَيْخُنَا قَالَ : حَدَّثَنِي تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْيُمْنِ زَيْدُ ابْنُ الْحَسَنِ الْكِنْدِيُّ شَيْخُنَا قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ دَخَلَ عَلَى ابْنِ دُرَيْدٍ وَهُوَ يَقُولُ : أَوَّلُ مَنْ أَقْوَى فِي الشِّعْرِ أَبُونَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا
فَوَجْهُ الْأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ
وَقَلَّ بَشَاشَةُ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ

فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : يُمْكِنُ إِنْشَادُهُ عَلَى وَجْهٍ لَا يَكُونُ فِيهِ إِقْوَاءٌ (١). فَقَالَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : بِأَنْ تَنْصِبَ

---

(١) فى الاصل : « أقوى » والاقواء : مخالفة القوافى فى الحركات ، كرفع مع جر مثل الذى ذكر .

بَشَاشَةً عَلَى التَّنْوِينِ ، وَتَرْفَعَ الْوَجْهَ الْمَلِيحَ بِقَلٍّ ، وَيَكُونَ قَدْ حُذِفَ التَّنْوِينُ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ كَمَا حُذِفَ فِي قَوْلِهِ :

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ وَلَا ذَاكِرِ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلَا

وَقَالَ أَبُو حَيَّانَ : جَرَى لَيْلَةً ذِكْرُ أَبِي سَعِيدٍ السِّيرَافِيِّ فِي مَجْلِسِ ابْنِ عَبَّادٍ ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّادٍ يَتَعَصَّبُ لَهُ وَيُقَدِّمُهُ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَهُ وَأَبَانَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَصَادَفَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ بَحْرَ عِلْمٍ وَطَوْدَ حِلْمٍ .

فَقَالَ أَبُو مُوسَى الْخَشْكِيُّ : إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ فِي كِتَابِ شَرْحِ سِيبَوَيْهِ شَيْئًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّادٍ مُتَنَمِّرًا[1] وَلَمْ يَقُلْ حَرْفًا ، فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ إِنِّي تَوَصَّلْتُ بِبَعْضِ أَصْحَابِهِ ، حَتَّى سَأَلَ عَنْ حِلْمِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى مَعَ ذَبِّهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ مَلَكَنِي الْغَيْظُ مِنْ ذَلِكَ الْجَاهِلِ حَتَّى عَزَبَ عَنِّي رَأْيِي ، وَلَمْ أَجِدْ فِي الْحَالِ

(١) متنمر من تنمر ومعناه : غضب وساء خلقه

شيئاً يَشفِى غيظِى وغُلّتِى منهُ ، فصارَ ذلكَ سبباً لِسُكُوتِى عنهُ ، فشابهتِ الحالُ الحُلمَ وما كانَ ذلكَ حلماً ، ولكنْ طلباً لنوعٍ منَ الاستخفافِ لائقٍ بهِ . فواللهِ ما يدرِى ذلكَ الكلبُ ولا أحدٌ ممّنْ خرجَ منْ قريتهِ ورقةً منْ ذلكَ الكتابِ . وهلْ سبقَ أحدٌ إلى مثلهِ منْ أوّلِ الكتابِ إلى آخرهِ ، معَ كثرةِ فنونهِ ، وخوافِى أسرارهِ ؟ وكانَ أبو موسى هذا منْ طبرستانَ ، فعدَّ هذا التعصبُ منَ مناقبِ ابْنِ عبّادٍ ، وحجبَ أبا موسى بعدَ ذلكَ .

ومنْ عجيبِ ما مرَّ بِى : ما قرأتهُ فى كتابِ الانتصارِ المُنبِى عنْ فضائلِ المتنبّى ، لأبِى الحُسينِ بنِ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمّدٍ المغربِىّ راويةِ المتنبّى ، وكانَ قد ردَّ فيهِ علَى بعضِ منْ زعمَ أنَّ شعرَ المتنبّى مسروقٌ منْ أبِى تمّامٍ والبحترِىّ . ولهُ قصيدةٌ عارضَ بها بعضَ قصائدِ المتنبّى ، وأخذَ المغربِى يردُّ عليهِ فقالَ : ورأيتهُ وقدِ استشهدَ بأبِى سعيدٍ السيرافىّ مؤدّبِ الأميرِ

أَبِى إِسْحَاقَ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَبِى الْحَسَنِ بْنِ بُوَيْهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَعْطَاهُ خَطَّهُ بِأَنَّ قَصِيدَتَهُ خَيْرٌ مِنْ قَصِيدَةِ أَبِى الطَّيِّبِ . قَالَ : وَمَنْ جَعَلَ الْحُكْمَ فِى هَذَا إِلَى أَبِى سَعِيدٍ ؟ إِنَّمَا يَحْكُمُ فِى الشِّعْرِ الشُّعَرَاءُ لَا الْمُؤَدِّبَةُ . وَبِمِثْلِ هَذَا جَرَتْ سُنَّةُ الْعَرَبِ فِى الْقَدِيمِ ، كَانَتْ تُضْرَبُ لِلنَّابِغَةِ خَيْمَةٌ مِنْ أَدَمٍ بِسُوقِ عُكَاظَ ، وَتَأْتِى الشُّعَرَاءُ مِنْ سَائِرِ الْآفَاقِ فَتَعْرِضُ أَشْعَارَهَا عَلَيْهِ ، فَيَحْكُمُ لِمَنْ أَجَادَ ، وَخَبَرُهُ مَعَ حَسَّانٍ وَغَيْرِهِ مَعْرُوفٌ . وَلَوْ كَانَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالنَّحْوِ أَشْعَرَهُمْ ، لَكَانَ أَبُو عَلِىٍّ الْفَسَوِىُّ أَشْعَرَ النَّاسِ . وَمَا عُرِفَ لَهُ مِنْ نَظْمِ بَيْتٍ وَلَا أَبْيَاتٍ وَلَا سُمِعَ ذَلِكَ مِنْهُ .

وَأَمَّا إِعْطَاءُ أَبِى سَعِيدٍ خَطَّهُ ، فَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جَنْبِ مَا حَدَّثَنِى بِهِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْخَزَّازِ الْوَرَّاقِ بِبَغْدَادَ ، وَأَبُو بَكْرٍ الْقَنْطَرِىُّ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْخُرَاسَانِىِّ ، وَهُمَا وَرَّاقَانِ أَيْضًا مِنْ جِلَّةِ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنْعَةِ : أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ إِذَا أَرَادَ بَيْعَ كِتَابٍ ـ اُسْتَكْتَبَهُ بَعْضَ تَلَامِذَتِهِ ـ حِرْصًا

عَلَى النَّفْعِ مِنْهُ ، وَنَظَراً فِى رِقِّ الْمَعِيشَةِ - كَتَبَ فِى آخِرِهِ وَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِى حَرْفٍ مِنْهُ :

« قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ : قَدْ قُرِئَ هَذَا الْكِتَابُ عَلَىَّ وَصَحَّ » لِيُشْتَرَى بِأَكْثَرَ مِنْ ثَمَنِ مِثْلِهِ . قُلْتُ : وَهَذَا ضِدُّ مَا وَصَفَهُ بِهِ الْخَطِيبُ مِنْ مَتَانَةِ الدِّينِ ، وَتَأَبِّيهِ مِنْ أَخْذِ رِزْقٍ عَلَى الْقَضَاءِ ، وَقَنَاعَتِهِ بِمَا يُحَصِّلُ مِنْ نُسَخِهِ هَذِهِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانَ .

« مُنَاظَرَةٌ جَرَتْ بَيْنَ مَتَّى بْنِ يُونُسَ الْقِنَائِىِّ الْفِيلَسُوفِ »
« وَبَيْنَ أَبِى سَعِيدٍ السِّيرَافِىِّ — رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ — »

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : ذَكَرْتُ لِلْوَزِيرِ مُنَاظَرَةً جَرَتْ فِى مَجْلِسِ الْوَزِيرِ أَبِى الْفَتْحِ الْفَضْلِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الْفُرَاتِ ، بَيْنَ أَبِى سَعِيدٍ السِّيرَافِىِّ وَأَبِى بِشْرٍ مَتَّى . وَاخْتَصَرْتُهَا فَقَالَ لِى : اكْتُبْ هَذِهِ الْمُنَاظَرَةَ عَلَى التَّمَامِ ، فَإِنَّ شَيْئاً يَجْرِى فِى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ النَّبِيهِ ، وَبَيْنَ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ بِحَضْرَةِ أُولَئِكَ

الأَعْلَامِ ، يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَنَمَ سَمَاعُهُ ، وَتُوعَى فَوَائِدُهُ ، وَلَا يُتَهَاوَنُ بِشَيْءٍ مِنْهُ . فَكَتَبْتُ :

حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ بِلُمَعٍ (١) مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ ، فَأَمَّا عَلِيُّ ابْنُ عِيسَى النَّحْوِيُّ الشَّيْخُ الصَّالِحُ ، فَإِنَّهُ رَوَاهَا مَشْرُوحَةً قَالَ : لَمَّا انْعَقَدَ الْمَجْلِسُ سَنَةَ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، قَالَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْفُرَاتِ لِلْجَمَاعَةِ وَفِيهِمُ الْخَالِدِيُّ ، وَابْنُ الْإِخْشِيدِ ، وَالْكِنْدِيُّ ، وَابْنُ أَبِي بِشْرٍ ، وَابْنُ رَبَاحٍ ، وَابْنُ كَعْبٍ ، وَأَبُو عَمْرٍو قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَالزُّهْرِيُّ ، وَعَلِيُّ بْنُ عِيسَى ابْنِ الْجَرَّاحِ ، وَأَبُو فِرَاسٍ ، وَابْنُ رَشِيدٍ ، وَابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْهَاشِمِيُّ ، وَابْنُ يَحْيَى الْعَلَوِيُّ ، وَرَسُولُ بْنُ طُغْجَ مِنْ مِصْرَ ، وَالْمَرْزُبَانِيُّ صَاحِبُ بَنِي سَامَانَ : أُرِيدُ أَنْ يُنْتَدَبَ مِنْكُمْ إِنْسَانٌ لِمُنَاظَرَةِ مَتَّى فِي حَدِيثِ الْمَنْطِقِ فَإِنَّهُ يَقُولُ : لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَالصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ ، وَالْخَيْرِ مِنَ الشَّرِّ ، وَالْحُجَّةِ مِنَ الشُّبْهَةِ ، وَالشَّكِّ مِنَ الْيَقِينِ ،

---

(١) لمع جمع لمعة : وهي القطعة من النبت أخذت فى اليبس . والمراد : بعض القصة

إلَّا بِمَا حَوَيْنَاهُ مِنَ الْمَنْطِقِ ، وَمَلَكْنَاهُ مِنَ الْقِيَامِ عَلَيْهِ ، وَاسْتَفَدْنَاهُ مِنْ مَوَاضِعِهِ عَلَى مَرَاتِبِهِ وَحُدُودِهِ ، وَاطَّلَعْنَا عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ اسْمِهِ عَلَى حَقَائِقِهِ ، فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ وَأَطْرَقُوا .

فَقَالَ ابْنُ الْفُرَاتِ : وَاللهِ إِنَّ فِيكُمْ لَمَنْ يَفِي بِكَلَامِهِ وَمُنَاظَرَتِهِ ، وَكَسْرِ مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ ، وَإِنِّي لَأَعُدُّكُمْ فِي الْعِلْمِ بِحَاراً ، وَلِلدِّينِ وَأَهْلِهِ أَنْصَاراً ، وَلِلْحَقِّ وَطُلَّابِهِ مَنَاراً ، فَمَا هَذَا التَّغَامُزُ [١] وَالتَّلَامُزُ اللَّذَانِ تَجِلُّونَ عَنْهُمَا ؟ . فَرَفَعَ أَبُو سَعِيدٍ السِّيرَافِيُّ رَأْسَهُ وَقَالَ : اعْذُرْ أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، فَإِنَّ الْعِلْمَ الْمَصُونَ فِي الصُّدُورِ ، غَيْرُ الْعِلْمِ الْمَعْرُوضِ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ عَلَى الْأَسْمَاعِ الْمُصِيخَةِ ، وَالْعُيُونِ الْمُحْدِقَةِ ، وَالْعُقُولِ الْجَامِدَةِ ، وَالْأَلْبَابِ النَّاقِدَةِ ، لِأَنَّ هَذَا يَسْتَصْحِبُ الْهَيْبَةَ ، وَالْهَيْبَةُ مَكْسَرَةٌ ، وَيَجْتَلِبُ الْحَيَاءَ ، وَالْحَيَاءُ مَغْلَبَةٌ ، وَلَيْسَ الْبِرَازُ فِي مَعْرَكَةٍ غَاصَّةٍ ، كَالصِّرَاعِ [٢] فِي بُقْعَةٍ خَاصَّةٍ .

فَقَالَ ابْنُ الْفُرَاتِ : أَنْتَ لَهَا يَا أَبَا سَعِيدٍ ، فَاعْتِذَارُكَ

(١) التغامز من تغامزوا : أى أشار بعضهم إلى بعض . والتلامز : التعايب .

(٢) فى الأصل : « المصراع »

عَنْ غَيْرِكَ ، يُوجِبُ عَلَيْكَ الِانْتِصَارَ لِنَفْسِكَ ، وَالِانْتِصَارُ لِنَفْسِكَ رَاجِعٌ عَلَى الْجَمَاعَةِ بِفَضْلِكَ . فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : مُخَالَفَةُ الْوَزِيرِ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ هُجْنَةٌ [١] ، وَالِاحْتِجَانُ [٢] عَنْ رَأْيِهِ إِخْلَادٌ إِلَى التَّقْصِيرِ ، — وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ زَلَّةِ الْقَدَمِ ، وَإِيَّاهُ نَسْأَلُ حُسْنَ التَّوْفِيقِ وَالْمَعُونَةِ فِى الْحَرْبِ وَالسِّلْمِ — . ثُمَّ وَاجَهَ مَتَّى فَقَالَ : حَدِّثْنِى عَنِ الْمَنْطِقِ مَا تَعْنِى بِهِ ؟ فَإِنَّا إِذَا فَهِمْنَا مُرَادَكَ فِيهِ ، كَانَ كَلَامُنَا مَعَكَ فِى قَبُولِ صَوَابِهِ ، وَرَدِّ خَطَئِهِ عَلَى سَنَنٍ مَرْضِىٍّ ، وَعَلَى طَرِيقَةٍ مَعْرُوفَةٍ . قَالَ مَتَّى : أَعْنِى بِهِ أَنَّهُ آلَةٌ مِنَ الْآلَاتِ ، يُعْرَفُ بِهِ صَحِيحُ الْكَلَامِ مِنْ سَقِيمِهِ ، وَفَاسِدُ الْمَعْنَى مِنْ صَالِحِهِ كَالْمِيزَانِ ، فَإِنِّى أَعْرِفُ بِهِ الرُّجْحَانَ مِنَ النُّقْصَانِ ، وَالشَّائِلَ [٣] مِنَ الْجَانِحِ [٤]

فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَخْطَأْتَ ، لِأَنَّ صَحِيحَ الْكَلَامِ مِنْ

---

(١) الهجنة : المراد بها اللؤم — يقال : فلان هجين : أى لئيم

(٢) الاحتجان عن الشىء : الصد والعرف عنه (٣) الشائل : المرتفع

(٤) الجانح : المائل

سَقِيمِهِ يُعْرَفُ [(١)] بِالْعَقْلِ إِنْ كُنَّا نَبْحَثُ بِالْعَقْلِ. هَبْكَ عَرَفْتَ الرَّاجِحَ مِنَ النَّاقِصِ مِنْ طَرِيقِ الْوَزْنِ ، مَنْ لَكَ بِمَعْرِفَةِ الْمَوْزُونِ ؟ أَهُوَ حَدِيدٌ أَمْ ذَهَبٌ ، أَمْ شَبَهٌ [(٢)] أَمْ رَصَاصٌ ؟ وَأَرَاكَ بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْوَزْنِ فَقِيراً إِلَى مَعْرِفَةِ جَوْهَرِ الْمَوْزُونِ وَإِلَى مَعْرِفَةِ قِيمَتِهِ ، وَسَائِرِ صِفَاتِهِ الَّتِي يَطُولُ عَدُّهَا . فَعَلَى هَذَا لَمْ يَنْفَعْكَ الْوَزْنُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ اعْتِمَادُكَ ، وَفِي تَحْقِيقِهِ كَانَ اجْتِهَادُكَ إِلَّا نَفْعاً يَسِيراً مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ ، وَبَقِيَتْ عَلَيْكَ وُجُوهٌ ، فَأَنْتَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

« حَفِظْتَ شَيْئاً وَضَاعَتْ مِنْكَ أَشْيَاءُ »

« وَبَعْدُ » : فَقَدْ ذَهَبَ عَلَيْكَ شَيْءٌ هَهُنَا ، لَيْسَ كُلُّ مَا فِي الدُّنْيَا يُوزَنُ ، بَلْ فِيهَا مَا يُكَالُ ، وَفِيهَا مَا يُوزَنُ ، وَمَا يُذْرَعُ [(٣)] ، وَفِيهَا مَا يُمْسَحُ ، وَفِيهَا مَا يُحْزَرُ [(٤)] .

---

(١) فى العماد : « يعرف بالنظم المألوف » والاعراب المعروف، إذا تكلمنا بالعربية ، وفاسد المعنى من صالحه يعرف بالعقل الخ وسقطت من الاصل . (٢) الشبه محرك ويكسر: النحاس الاصفر (٣) ذرع الشيء : قاسه بذراعه (٤) يحزر : أى يقدر خرصاً ومنه حزرت النخل : إذا خرصته وقدرته

وَهذَا ، وَإِنْ كَانَ هَـكَذَا فِى الْأَجْسَامِ الْمَرْئِيَّةِ ، فَإِنَّهُ أَيْضاً عَلَى ذَلِكَ فِى الْمَعْقُولَاتِ الْمَقْرُوءَةِ ، وَالْأَجْسَامُ[1] ظِلَالُ الْعُقُولِ ، وَهِىَ تَحْكِيهَا بِالتَّبْعِيدِ وَالتَّقْرِيبِ مَعَ الشَّبَهِ الْمَحْفُوظِ ، وَالْمُمَاثَلَةِ الظَّاهِرَةِ ، وَدَعْ هذَا إِذَا كَانَ الْمَنْطِقُ وَضَعَهُ رَجُلٌ مِنْ يُونَانَ عَلَى لُغَةِ أَهْلِهَا وَاصْطِلَاحِهِمْ عَلَيْهَا ، وَمَا يَتَعَارَفُونَهُ بِهَا مِنْ رُسُومِهَا وَصِفَاتِهَا ، مِنْ أَيْنَ يَلْزَمُ التُّرْكَ ، وَالْهِنْدَ ، وَالْفُرْسَ ، وَالْعَرَبَ أَنْ يَنْظُرُوا فِيهِ ، وَيَتَّخِذُوهُ حَكَماً لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ، وَقَاضِياً بَيْنَهُمْ ، مَا شَهِدَ لَهُ قَبِلُوهُ ، وَمَا أَنْكَرَهُ رَفَضُوهُ ؟ قَالَ مَتَّى : إِنَّمَا لَزِمَ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْمَنْطِقَ بَحْثٌ عَنِ الْأَغْرَاضِ الْمَعْقُولَةِ ، وَالْمَعَانِى الْمُدْرَكَةِ ، وَتَصَفُّحٌ لِلْخَوَاطِرِ السَّانِحَةِ[2] ، وَالسَّوَانِحِ الْهَاجِسَةِ[3] ، وَالنَّاسُ فِى الْمَعْقُولَاتِ سَوَاءٌ .

---

(١) فى الاصل : « والاحساس » (٢) السانحة : من : سنح لى رأى فى ذلك : أى عرض (٣) الهاجسة مؤنث الهاجس : ما وقع فى خلدك ، والجمع هواجس

أَلَا تَرَى أَنَّ أَرْبَعَةً وَأَرْبَعَةً ثَمَانِيَةٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَمِ، وَكَذَلِكَ مَا أَشْبَهَهُ.

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: لَوْ كَانَتِ الْمَطْبُوعَاتُ بِالْعَقْلِ، وَالْمَذْكُورَاتُ بِاللَّفْظِ تَرْجِعُ مَعَ شُعَبِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، وَطَرَائِقِهَا الْمُتَبَايِنَةِ إِلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْبَيِّنَةِ، فِي أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعَةٍ أَنَّهُمَا ثَمَانِيَةٌ، زَالَ الِاخْتِلَافُ وَحَضَرَ الِاتِّفَاقُ، وَلَكِنْ لَيْسَ الْأَمْرُ هَكَذَا.

وَلَقَدْ مَوَّهْتَ[1] بِهَذَا الْمِثَالِ، وَلَكُمْ عَادَةٌ فِي مِثْلِ هَذَا التَّمْوِيهِ، وَلَكِنْ نَدَعُ هَذَا أَيْضاً إِذَا كَانَتِ الْأَغْرَاضُ الْمَعْقُولَةُ وَالْمَعَانِي الْمُدْرَكَةُ، لَا يُوصَلُ إِلَيْهَا إِلَّا بِاللُّغَةِ الْجَامِعَةِ لِلْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ، أَفَلَيْسَ قَدْ لَزِمَتِ الْحَاجَةُ إِلَى مَعْرِفَةِ اللُّغَةِ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ: أَخْطَأْتَ[2]، قُلْ

(١) موهت: جئت بكلام ظاهره مغر وباطنه غير ما يراد به، وهذا شبيه بالمغالطة أو قل هو سفسطة (٢) إنما خطأه لأن جواب الجواب بعد السؤال المقرون بالنفي هو بلى قال الله تعالى: «ألست بربكم؟ قالوا: بلى»

فِى هَذَا الْمَوْضِعِ بَلَى . قَالَ مَتَّى : بَلَى ، أَنَا أُقَلِّدُكَ فِى مِثْلِ هَذَا .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَأَنتَ إِذًا لَسْتَ تَدْعُونَا إِلَى عِلْمِ الْمَنْطِقِ ، بَلْ إِلَى تَعَلُّمِ اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ ، وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ لُغَةَ يُونَانَ ، فَكَيْفَ صِرْتَ تَدْعُونَا إِلَى لُغَةٍ لَا تَفِى بِهَا ، وَقَدْ عَفَتْ مُنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ وَبَادَ أَهْلُهَا ، وَانْقَرَضَ الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا يَتَفَاوَضُونَ بِهَا ، وَيَتَفَاهَمُونَ أَغْرَاضَهُمْ بِتَصَرُّفِهَا ، عَلَى أَنَّكَ تَنْقُلُ مِنَ السُّرْيَانِيَّةِ ، فَمَا تَقُولُ فِى مَعَانٍ مُتَحَوِّلَةٍ [1] بِالنَّقْلِ مِنْ لُغَةِ يُونَانَ إِلَى لُغَةٍ أُخْرَى سُرْيَانِيَّةٍ ، ثُمَّ مِنْ هَذِهِ إِلَى لُغَةٍ أُخْرَى عَرَبِيَّةٍ ؟ قَالَ مَتَّى : يُونَانُ وَإِنْ بَادَتْ مَعَ لُغَتِهَا ، فَإِنَّ التَّرْجَمَةَ قَدْ حَفِظَتِ الْأَغْرَاضَ وَأَدَّتِ الْمَعَانِىَ ، وَأَخْلَصَتِ الْحَقَائِقَ .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : إِذَا سَلَّمْنَا لَكَ أَنَّ التَّرْجَمَةَ صَدَقَتْ وَمَا كَذَبَتْ ، وَقَوَّمَتْ وَمَا حَرَّفَتْ ، وَوَزَنَتْ وَمَا جَزَفَتْ ،

---

(١) كانت فى الاصل : « متهولة »

وَأَنَّهَا مَا الْتَاثَتْ[(١)] وَلَا حَافَتْ ، وَلَا نَقَصَتْ وَلَا زَادَتْ ، وَلَا قَدَّمَتْ وَلَا أَخَّرَتْ ، وَلَا أَخَلَّتْ بِمَعْنَى الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ، وَلَا بِأَخَصِّ الْخَاصِّ ، وَلَا بِأَعَمِّ الْعَامِّ ، وَإِنْ كَانَ هَذَا لَا يَكُونُ ، وَلَيْسَ فِي طَبَائِعِ اللُّغَاتِ وَلَا مَقَادِيرِ الْمَعَانِي ، فَكَأَنَّكَ تَقُولُ بَعْدَ هَذَا : لَا حُجَّةَ إِلَّا عُقُولُ يُونَانَ ، وَلَا بُرْهَانَ إِلَّا مَا وَضَعُوهُ[(٢)] ، وَلَا حَقِيقَةَ إِلَّا مَا أَبْرَزُوهُ .

قَالَ مَتَّى : لَا ، وَلَكِنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ أَصْحَابُ عِنَايَةٍ بِالْحِكْمَةِ ، وَالْبَحْثِ عَنْ ظَاهِرِ هَذَا الْعَالَمِ وَبَاطِنِهِ ، وَعَنْ كُلِّ مَا يَتَّصِلُ بِهِ وَيَنْفَصِلُ عَنْهُ ، وَبِفَضْلِ عِنَايَتِهِمْ ظَهَرَ مَا ظَهَرَ ، وَانْتَشَرَ مَا انْتَشَرَ ، وَفَشَا مَا فَشَا ، وَنَشَأَ مَا نَشَأَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِلْمِ ، وَأَصْنَافِ الصِّنَاعَةِ ، وَلَمْ نَجِدْ هَذَا لِغَيْرِهِمْ .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَخْطَأْتَ وَتَعَصَّبْتَ ، وَمِلْتَ مَعَ

---

(١) ما التاثت : أى ما اختلطت ولا التبست . يقال : التاث الأمر التياثا : اختلط والتبس (٢) كانت فى الأصل : « وصفوه »

الْهَوَى ، فَإِنَّ الْعِلْمَ مَبْثُوثٌ[1] فِى الْعَالَمِ ، وَلِهَذَا قَالَ الْقَائِلُ :

أَلْعِلْمُ فِى الْعَالَمِ مَبْثُوثُ
وَنَحْوَهُ الْعَاقِلُ مَحْثُوثُ[2]

وَكَذَلِكَ الصِّنَاعَاتُ مَفْضُوضَةٌ عَلَى جَمِيعِ مَنْ عَلَى جَدِيدِ الْأَرْضِ ، وَلِهَذَا غَلَبَ عِلْمٌ فِى مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ ، وَكَثُرَتْ صِنَاعَةٌ فِى بُقْعَةٍ دُونَ صِنَاعَةٍ . وَهَذَا وَاضِحٌ وَالزِّيَادَةُ عَلَيْهِ مَشْغَلَةٌ ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّمَا كَانَ يَصِحُّ قَوْلُكَ وَتَسْلَمُ دَعْوَاكَ ، لَوْ كَانَتْ يُونَانُ مَعْرُوفَةً بَيْنَ جَمِيعِ الْأُمَمِ بِالْعِصْمَةِ الْغَالِبَةِ ، وَالْفِطْرَةِ الظَّاهِرَةِ ، وَالْبِنْيَةِ الْمُخَالِفَةِ ، وَأَنَّهُمْ لَوْ أَرَادُوا أَنْ يُخْطِئُوا مَاقَدَرُوا ، وَلَوْ قَصَدُوا أَنْ يَكْذِبُوا مَا اسْتَطَاعُوا ، وَأَنَّ السَّكِينَةَ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ ، وَالْحَقَّ تَكَفَّلَ بِهِمْ ، وَالْخَطَأَ تَبَرَّأَ مِنْهُمْ ، وَالْفَضَائِلَ لَصِقَتْ بِأُصُولِهِمْ وَفُرُوعِهِمْ ، وَالرَّذَائِلَ بَعُدَتْ عَنْ جَوَاهِرِهِمْ وَعُرُوقِهِمْ ، وَهَذَا جَهْلٌ مِمَّنْ يَظُنُّهُ

---

(١) مبثوث : منتشر مداع . يقال : بث الرجل الحديث : نشره وأذاعه .

(٢) يسير إليه سيرا حثيثا أى سريعا

بهم ، وعنادٌ ممن يدّعيه عليهم ، بل كانوا كغيرهم من الأمم ، يصيبون فى أشياء ويخطئون فى أشياء ، ويصدقون فى أمور ويكذبون فى أمور ، ويحسنون فى أحوال ويسيئون فى أحوال . وليس واضع المنطق يونان بأسرها ، إنما هو رجلٌ منهم ، وقد أخذ عمن قبله ، كما أخذ عنه من بعده ، وليس هو حجةً على هذا الخلق الكثير والجمّ الغفير . وله مخالفون منهم ومن غيرهم ، ومع هذا : فالاختلاف فى الرأى والنظر ، والبحث والمسألة والجواب سنخٌ(١) وطبيعةٌ ، فكيف يجوز أن يأتى رجلٌ بشىء يرفع به هذا الخلاف أو يحلحله(٢) أو يؤثر فيه ، هيهات هذا محالٌ . ولقد بقى العالم بعد منطقه على ما كان قبل منطقه ، فامسح وجهك بالسلوة عن شيء لا يستطاع ، لأنه مفتقدٌ(٣) بالفطرة والطباع ،

---

(١) السنخ : الأصل . (٢) يحلحله : يزيله عن موضعه ويحركه .

(٣) مفتقد : يقال افتقد الشيء وتفقده : طلبه عند غيبته .

وَأَنْتَ فَلَوْ فَرَّغْتَ بَالَكَ ، وَصَرَفْتَ عِنَايَتَكَ إِلَى مَعْرِفَةِ هَذِهِ اللُّغَةِ الَّتِي تُحَاوِرُنَا بِهَا ، وَتُجَارِينَا فِيهَا ، وَتُدَرِّسُ أَصْحَابَكَ بِمَفْهُومِ أَهْلِهَا ، وَتَشْرَحُ كُتُبَ يُونَانَ بِعَادَةِ أَصْحَابِهَا ، لَعَلِمْتَ أَنَّكَ غَنِيٌّ عَنْ مَعَانِي يُونَانَ ، كَمَا أَنَّكَ غَنِيٌّ عَنْ لُغَةِ يُونَانَ ، وَهَهُنَا مَسْأَلَةٌ : أَتَقُولُ إِنَّ النَّاسَ عُقُولُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ ، وَأَنْصِبَاؤُهُمْ مِنْهَا مُتَفَاوِتَةٌ ؟ قَالَ مَتَّى : نَعَمْ . قَالَ : وَهَذَا التَّفَاوُتُ وَالاخْتِلَافُ بِالطَّبِيعَةِ أَوِ الاكْتِسَابِ ؟ قَالَ : بِالطَّبِيعَةِ . قَالَ : فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَهُنَا شَيْءٌ يَرْتَفِعُ بِهِ الاخْتِلَافُ الطَّبِيعِيُّ ، وَالتَّفَاوُتُ الأَصْلِيُّ ؟ قَالَ مَتَّى : هَذَا قَدْ مَرَّ فِي جُمْلَةِ كَلَامِكَ آنِفًا .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَهَلْ وَصَلْتَهُ بِجَوَابٍ قَاطِعٍ ، وَبَيَانٍ نَاصِعٍ ؟ وَدَعْ هَذَا ، أَسْأَلُكَ عَنْ حَرْفٍ وَاحِدٍ هُوَ دَائِرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَمَعَانِيهِ مُتَمَيِّزَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعَقْلِ ، فَاسْتَخْرِجْ أَنْتَ مَعَانِيَهُ مِنْ نَاحِيَةِ مَنْطِقِ أَرِسْطَاطَالِيسَ

الَّذِي تَدُلُّ بِهِ ، وَتُبَاهِي بِتَفْخِيمِهِ ، وَهُوَ الْوَاوُ ، وَمَا أَحْكَامُهُ ؟ وَكَيْفَ مَوَاقِعُهُ ؟ وَهَلْ هُوَ عَلَى وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوْ وُجُوهٍ ؟ فَبُهِتَ مَتَّى وَقَالَ : هَذَا نَحْوٌ ، وَالنَّحْوُ لَمْ أَنْظُرْ فِيهِ ، لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ بِالْمَنْطِقِيِّ إِلَى النَّحْوِ ، وَبِالنَّحْوِيِّ حَاجَةٌ إِلَى الْمَنْطِقِ ، لِأَنَّ الْمَنْطِقَ يَبْحَثُ عَنِ الْمَعْنَى ، وَالنَّحْوَ يَبْحَثُ عَنِ اللَّفْظِ ، فَإِنْ مَرَّ الْمَنْطِقِيُّ بِاللَّفْظِ فَبِالْعَرَضِ ، وَإِنْ عَبَرَ النَّحْوِيُّ بِالْمَعْنَى فَبِالْعَرَضِ ، وَالْمَعْنَى أَشْرَفُ مِنَ اللَّفْظِ ، وَاللَّفْظُ أَوْضَعُ مِنَ الْمَعْنَى .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَخْطَأْتَ ، لِأَنَّ الْمَنْطِقَ وَالنَّحْوَ ، وَاللَّفْظَ وَالْإِفْصَاحَ ، وَالْإِعْرَابَ وَالْبِنَاءَ ، وَالْحَدِيثَ وَالْإِخْبَارَ وَالِاسْتِخْبَارَ ، وَالْعَرْضَ وَالتَّمَنِّيَ ، وَالْحَضَّ وَالدُّعَاءَ ، وَالنِّدَاءَ وَالطَّلَبَ ، كُلُّهَا مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ بِالْمُشَاكَلَةِ وَالْمُمَاثَلَةِ . أَلَا تَرَى أَنَّ رَجُلًا لَوْ قَالَ : نَطَقَ زَيْدٌ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ مَا تَكَلَّمَ بِالْحَقِّ ، وَتَكَلَّمَ بِالْفُحْشِ وَلَكِنْ مَا قَالَ الْفُحْشَ ، وَأَعْرَبَ عَنْ نَفْسِهِ وَلَكِنْ

مَا أَفْصَحَ ، وَأَبَانَ الْمُرَادَ وَلَكِنْ مَا أَوْضَحَ ، أَوْ فَاهَ بِحَاجَتِهِ وَلَكِنْ مَا لَفَظَ ، أَوْ أَخْبَرَ وَلَكِنْ مَا أَنْبَأَ ، لَكَانَ فِي جَمِيعِ هَذَا مُحَرِّفًا وَمُنَاقِضًا ، وَوَاضِعًا لِلْكَلَامِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَمُسْتَعْمِلًا لِلَّفْظِ عَلَى غَيْرِ شَهَادَةٍ مِنْ عَقْلِهِ وَعَقْلِ غَيْرِهِ ، وَالنَّحْوُ مَنْطِقٌ وَلَكِنَّهُ مَسْلُوخٌ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ ، وَالْمَنْطِقُ نَحْوٌ وَلَكِنَّهُ مَفْهُومٌ بِاللُّغَةِ ، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ، أَنَّ اللَّفْظَ طَبِيعِيٌّ وَالْمَعْنَى عَقْلِيٌّ ، وَلِهَذَا كَانَ اللَّفْظُ بَائِدًا[١] عَلَى الزَّمَانِ ، يَقْفُو أَثَرَ الطَّبِيعَةِ بِأَثَرٍ آخَرَ مِنَ الطَّبِيعَةِ ، وَلِهَذَا كَانَ الْمَعْنَى ثَابِتًا عَلَى الزَّمَانِ ، لِأَنَّ مُسْتَمْلِيَ[٢] الْمَعْنَى عَقْلٌ ، وَالْعَقْلُ إِلَهِيٌّ ، وَمَادَّةَ اللَّفْظِ طِينِيَّةٌ ، وَكُلُّ طِينِيٍّ مُتَهَافِتٌ[٣] ، وَقَدْ بَقِيتَ أَنْتَ بِلَا اسْمٍ لِصِنَاعَتِكَ الَّتِي تَنْتَحِلُهَا ، وَآلَتِكَ الَّتِي تُزْهَى بِهَا ، إِلَّا أَنْ تَسْتَعِيرَ مِنَ

(١) بائدا : أى ذاهبا منقطعا لا بقاء له (٢) مستملى : أى طالب الاملاء

(٣) التهافت : التساقط قطعة قطعة .

الْعَرَبِيَّةِ لَهَا أُسْماً فتُعَارَ ، وَيُسَلِّمَ لَكَ بِمِقْدَارٍ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بُدٌّ مِنْ قَلِيلِ هَذِهِ اللُّغَةِ مِنْ أَجْلِ التَّرْجَمَةِ ، فَلَا بُدَّ لَكَ أَيْضاً مِنْ كَثِيرِهَا مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ التَّرْجَمَةِ ، وَاجْتِلَابِ الثِّقَةِ ، وَالتَّوَقِّي مِنَ الْخَلَّةِ اللَّاحِقَةِ لَكَ . قَالَ مَتَّى : يَكْفِينِي مِنْ لُغَتِكُمْ هَذِهِ : الِاسْمُ وَالْفِعْلُ وَالْحَرْفُ ، فَإِنِّي أَتَبَلَّغُ بِهَذَا الْقَدْرِ إِلَى أَغْرَاضٍ قَدْ هَذَّبَتْهَا لِي يُونَانُ .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ أَخْطَأْتَ : لِأَنَّكَ فِي هَذَا الِاسْمِ وَالْفِعْلِ وَالْحَرْفِ فَقِيرٌ إِلَى وَضْعِهَا[1] وَبِنَائِهَا ، عَلَى التَّرْتِيبِ الْوَاقِعِ فِي غَرَائِزِ أَهْلِهَا ، وَكَذَلِكَ أَنْتَ مُحْتَاجٌ بَعْدَ هَذَا ، إِلَى حَرَكَاتِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ ، فَإِنَّ الْخَطَأَ وَالتَّحْرِيفَ فِي الْحَرَكَاتِ ، كَالْخَطَإِ وَالْفَسَادِ فِي الْمُتَحَرِّكَاتِ . وَهَذَا بَابٌ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ وَرَهْطُكَ عَنْهُ

(١) فى الأصل « وصفها »

فِي غَفْلَةٍ، عَلَى أَنَّ هٰهُنَا سِرًّا مَا عَلِقَ بِكَ، وَلَا أَسْفَرَ[1] لِعَقْلِكَ، وَهُوَ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ لُغَةً مِنَ اللُّغَاتِ لَا تُطَابِقُ لُغَةً أُخْرَى مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا، بِحُدُودِ صِفَاتِهَا فِي أَسْمَائِهَا وَأَفْعَالِهَا، وَحُرُوفِهَا وَتَأْلِيفِهَا، وَتَقْدِيمِهَا وَتَأْخِيرِهَا، وَاسْتِعَارَتِهَا وَتَحْقِيقِهَا، وَتَشْدِيدِهَا وَتَخْفِيفِهَا، وَسَعَتِهَا وَضِيقِهَا، وَنَظْمِهَا وَنَثْرِهَا، وَسَجْعِهَا وَوَزْنِهَا وَمَيْلِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ، وَمَا أَظُنُّ أَحَدًا يَدْفَعُ هَذَا الْحُكْمَ أَوْ يَتَسَاءَلُ فِي صَوَابِهِ مِمَّنْ يَرْجِعُ إِلَى مُسْكَةٍ[2] مِنْ عَقْلٍ، أَوْ نَصِيبٍ مِنْ إِنْصَافٍ، فَمِنْ أَيْنَ يَجِبُ أَنْ نَثِقَ بِشَيْءٍ تُرْجِمَ لَكَ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ، بَلْ أَنْتَ إِلَى أَنْ تَعْرِفَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ أَحْوَجُ مِنْكَ إِلَى أَنْ تَعْرِفَ الْمَعَانِيَ الْيُونَانِيَّةَ، عَلَى أَنَّ الْمَعَانِيَ لَا تَكُونُ يُونَانِيَّةً وَلَا هِنْدِيَّةً، كَمَا أَنَّ الْأَغْرَاضَ[3] لَا تَكُونُ فَارِسِيَّةً وَلَا عَرَبِيَّةً وَلَا تُرْكِيَّةً.

---

(١) أسفر لعقلك: أى أضاء وأشرق، ومنه: أسفر الصبح. والمراد عدم ظهوره له (٢) المسكة: بضم الميم: العقل الوافر يرجع اليه.

(٣) كانت فى الاصل: «اللغات»

وَمَعَ هَذَا، فَإِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ الْمَعَانِيَ حَاصِلَةٌ بِالْعَقْلِ وَالْفَحْصِ وَالْفِكْرِ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَحْكَامُ اللُّغَةِ، فَلِمَ تَزْرِي[1] عَلَى الْعَرَبِيَّةِ؟ وَأَنْتَ تَشْرَحُ كُتُبَ أَرِسْطَاطَالِيسَ بِهَا مَعَ جَهْلِكَ بِحَقِيقَتِهَا.

وَحَدِّثْنِي عَنْ قَائِلٍ قَالَ لَكَ: حَالِي فِي مَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ وَالتَّصَفُّحِ لَهَا وَالْبَحْثِ عَنْهَا، حَالُ قَوْمٍ كَانُوا قَبْلَ وَاضِعِ الْمَنْطِقِ، أَنْظُرُ كَمَا نَظَرُوا، وَأَتَدَبَّرُ كَمَا تَدَبَّرُوا، لِأَنَّ اللُّغَةَ قَدْ عَرَفْتُهَا بِالْمَنْشَأِ وَالْوِرَاثَةِ، وَالْمَعَانِيَ نَقَّرْتُ[2] عَنْهَا بِالنَّظَرِ وَالرَّأْيِ، وَالِاعْتِقَابِ[3] وَالِاجْتِهَادِ، مَا تَقُولُ لَهُ؟ لَا يَصِحُّ لَهُ هَذَا الْحُكْمُ، وَلَا يَسْتَتِبُّ[4] هَذَا الْأَمْرُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الطَّرِيقَةِ الَّتِي عَرَفْتَهَا أَنْتَ، وَلَعَلَّكَ تَفْرَحُ بِتَقْلِيدِكَ وَإِنْ كَانَ عَلَى بَاطِلٍ، أَكْثَرَ مِمَّا يَفْرَحُ بِاسْتِبْدَادِهِ وَإِنْ كَانَ عَلَى حَقٍّ، وَهَذَا هُوَ الْجَهْلُ

---

(١) تزرى على العربية: تعيب عليها (٢) نقرت عنها: أى بحثت عنها، كنقرت بالتخفيف، والتشديد للمبالغة. (٣) الاعتقاب: من: تعقب زيد الخبر: سأل غير من كان سأله أولا. (٤) لايستتب: أى لايتهيأ ولا يتم ولا يستقيم.

المُبِينُ ، وَالحُكمُ غيرُ المُستَبِينِ (١) ، وَمعَ هذَا فَحَدِّثنِي عَنِ الوَاوِ مَا حُكمُهُ ؟ فَإنِّى أُرِيدُ أَنْ أُبَيِّنَ أَنَّ تَفخِيمَكَ لِلمَنطِقِ لَا يُغنِي عَنكَ شيئًا ، وَأَنْ تجهَلَ حرفًا وَاحِدًا مِنَ اللُّغَةِ الَّتِي تَدعُو بِهَا إِلَى الحِكمَةِ اليُونَانِيَّةِ ، وَمَنْ جَهِلَ حرفًا وَاحِدًا أَمكَنَ أَنْ يَجهَلَ آخرَ أَوِ اللُّغَةَ بِكَمَالِهَا ، وَإِنْ كَانَ لَا يَجهَلُهَا كُلَّهَا وَإِنَّمَا يَجهَلُ بَعضَهَا ، فَلَعَلَّهُ يَجهَلُ مَا يَحتَاجُ إِلَيْهِ وَلَا يَنفَعُهُ فِيهِ عِلمٌ بِمَا لَا يَحتَاجُ . وَهَذِهِ رُتبَةُ العَامَّةِ ، أَوْ هِيَ رُتبَةُ مَنْ هُوَ فَوقَ العَامَّةِ بِقَدْرٍ يَسِيرٍ ؟ فَلِمَ يَتَأَبَّى عَلَى هذَا وَيُنكِرُ ؟ وَيَتَوَهَّمُ أَنَّهُ مِنَ الخَاصَّةِ وَخَاصَّةِ الخَاصَّةِ ، وَأَنَّهُ يَعرِفُ سِرَّ الكَلَامِ وَغَامِضَ الحِكمَةِ ، وَخَفِيَّ القِيَاسِ وَصَحِيحَ البُرهَانِ . وَإِنَّمَا سَأَلتُكَ عَنْ مَعَانِي حَرفٍ وَاحِدٍ . فَكَيفَ لَوْ نَثَرتُ عَلَيكَ الحُرُوفَ كُلَّهَا وَطَالَبتُكَ بِمَعَانِيهَا وَمَوَاضِعِهَا الَّتِي لَهَا بِالحَقِّ ، وَالَّتِي لَهَا بِالتَّجَوُّزِ ؟ وَسَمِعتُكُم

(١) كانت فى الأصل : « النير مستبين » وهي خطأ ، أولا : لأن أل لا تلحق ألفاظا نص عليها مثل بعض وكل وغير — ثانيا : أن أل لا تلحق المضاف دون المضاف إليه. إلا فى مواضع ليس منها هذا « عبد الخالق »

تقولون « فى » لا يعلم النحويون مواقعها ، وإنما يقولون : هى للوعاء ، كما يقولون : إن الباء للإلصاق . وإن « فى » تقال على وجوه ، يقال : الشئ فى الوعاء ، والإناء فى المكان ، والسائس فى السياسة ، والسياسة فى السائس . ألا ترى هذا التشقيق (١) هو من عقول يونان ، ومن ناحية لغتها ، ولا يجوز أن يعقل هذا بعقول الهند ، والترك ، والعرب ، فهذا جهل من كل من يدعيه ، وخطل من القول الذى أفاض النحوى إذا قال : « فى للوعاء » فقد أفصح فى الجملة عن المعنى الصحيح ، وكنى مع ذلك عن الوجوه التى تظهر بالتفصيل ، ومثل هذا كثير ، وهو كاف فى موضع السكيت (٢)

فقال ابن الفرات : أيها الشيخ الموفق ، أجبه بالبيان عن مواقع الواو ، حتى تكون أشد فى إفحامه (٣) ،

(١) فى الاصل : « الشفيق » يقال : شقق الكلام : أخرجه أحسن مخرج

(٢) السكيت : الكثير السكوت . (٣) إفحامه : أى إسكاته بالحجة .

وَحَقَّقَ عِنْدَ الْجَمَاعَةِ مَا هُوَ عَاجِزٌ عَنْهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ مُتَشَيِّعٌ[١] لَهُ .

فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : لِلْوَاوِ وُجُوهٌ وَمَوَاقِعُ : مِنْهَا مَعْنَى الْعَطْفِ فِي قَوْلِكَ : أَكْرَمْتُ زَيْداً وَعَمْرواً . وَمِنْهَا الْقَسَمُ فِي قَوْلِكَ : وَاللهِ لَقَدْ كَانَ كَذَا وَكَذَا . وَمِنْهَا الإِسْتِئْنَافُ كَقَوْلِكَ : خَرَجْتُ وَزَيْدٌ قَائِمٌ[٢] ، لِأَنَّ الْكَلَامَ بَعْدَهُ أُبْتِدَاءٌ وَخَبَرٌ ، وَمِنْهَا مَعْنَى رُبَّ الَّتِي هِيَ لِلتَّقْلِيلِ ، نَحْوُ قَوْلِهِ :

« وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِى الْمُخْتَرَقْ[٣] »

وَمِنْهَا : أَنْ تَكُونَ أَصْلِيَّةً فِي الاِسْمِ كَقَوْلِكَ : وَاقِدٌ ، وَاصِلٌ ، وَافِدٌ . وَفِي الْفِعْلِ كَقَوْلِكَ : وَجِلَ يَوْجَلُ . وَمِنْهَا أَنْ تَكُونَ مُقْحَمَةً نَحْوُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى :

---

(١) متشيع من قولهم : تشيع لفلان تعصب له ، ومنه الشيعة ، لمن شايعوا سيدنا عليا وتبعوه . (٢) هذه الواو تعرب للحال والشيخ يجعلها استئنافا لأن بعدها ابتداء وخبرا ويسمى هذا وجها والمعنى على الحال فى حال خروج زيد مثل فى حال طلوع الشمس من جاء فلان والشمس طالعة وهذه الحال تسمى ظرفية لأنها لا صاحب لها فى الكلام وتقديرها فى حال كذا (٣) هذا البيت لرؤبة بن العجاج من رجاز العصر الأموى وهو من مشطور الرجز يقول : رب مكان مظلم النواحى خال ممن يخترقه ، ومحط القول جاء بعد فى أبيات أخرى ، فليراجعها من شاء . « عبد الخالق »

« فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ[١] لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ » أَىْ نَادَيْنَاهُ .

وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَىِّ وَانْتَحَى
بِنَا بَطْنُ خَبْتٍ ذِى حِقَافٍ[٢] عَقَنْقَلِ

الْمَعْنَى انْتَحَى بِنَا . وَمِنْهَا مَعْنَى الْحَالِ فِى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ[٣] : « وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلًا » أَى يُكَلِّمُ النَّاسَ حَالَ صِغَرِهِ بِكَلَامِ الْكَهْلِ فِى حَالِ كُهُولَتِهِ . وَمِنْهَا أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى حَرْفِ الْجَرِّ كَقَوْلِكَ : اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشَبَةَ ، أَىْ مَعَ الْخَشَبَةِ .

---

(١) تله للجبين : أى صرعه على عنقه وخده ، كما تقول : كبه لوجهه . وهذا الذى قاله السيرافى رأى لفريق كثير من النحاة ، ولكن فريقا آخر يرى الواو غير مقحمة ويعتبرها عاطفة ، والجواب محذوفا وتقديره : لم نتركه ينفذ رؤياه ورحمناه وحميناه من ذبح ابنه « إنا كذلك نجزى المحسنين » « عبد الخالق »

(٢) البيت لامرىء القيس ، ويروى قفاف ، والقفاف : جمع قف ، وهو ما ارتفع من الأرض . العقنقل : هي الرمال الملتوية وقد رفعت لفظ بطن على الفاعلية بانتحى على سبيل المجاز العقلى ، من إسناد الفعل إلى المكان (٣) جعل الواو هنا للحال يخالف قول ابن مالك :

وذات بدء بمضارع ثبت حوت ضميراً ومن الواو خلت

حتى أنهم جعلوا المضارع فى مثل هذا المثال خبراً لمبتدإ محذوف حتى لا تكون الواو داخلة على مضارع مثبت وعلى هذا قول الشاعر :

فلما خشيت أظافيرهم نجوت وأرهنهم مالكا

فَقَالَ ابْنُ الفُرَاتِ لِمَتَّى . يَأَبَا بِشْرٍ ، أَكَانَ هَـذَا فِي نَحْوِكَ (١) ؟ ثُمَّ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : دَعْ هَـذَا ، هَهُنَا مَسْأَلَةٌ عَلَاقَتُهَا بِالْمَعْنَى الْعَقْلِيِّ أَكْثَرُ مِنْ عَلَاقَتِهَا بِالشَّكْلِ اللَّفْظِيِّ ، مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ الْقَائِلِ : زَيْدٌ أَفْضَلُ الْإِخْوَةِ ؟ قَالَ صَحِيحٌ . قَالَ : فَمَا تَقُولُ إِنْ قَالَ زَيْدٌ أَفْضَلُ إِخْوَتِهِ ؟ قَالَ صَحِيحٌ . قَالَ : فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مَعَ الصِّحَّةِ ؟ فَبَلَحَ (٢) وَجَنَحَ وَغَصَّ (٣) بِرِيقِهِ .

فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَفْتَيْتَ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ وَلَا اسْتِبَانَةٍ . الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى : جَوَابُكَ عَنْهَا صَحِيحٌ ، وَإِنْ كُنْتَ غَافِلًا عَنْ وَجْهِ صِحَّتِهَا . وَالْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ : جَوَابُكَ عَنْهَا غَيْرُ صَحِيحٍ ، وَإِنْ كُنْتَ أَيْضًا ذَاهِلًا عَنْ وَجْهِ بُطْلَانِهَا . قَالَ مَتَّى : بَيِّنْ ، مَا هَذَا التَّهْجِينُ ؟

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : إِذَا حَضَرْتَ الْمُخْتَلِفَةَ (٤) اسْتَفَدْتَ ،

---

(١) يريد بالنحو المنطق: (٢) بلح الرجل بلوحا : أعيا وعجز ، قال الأعشى :

واشتكى الأوصال منه وبلح

(٣) غصب بريقه : جف مستعار للتحير (٤) يعني التلاميذ ، لاختلافهم إلى الدرس وترددهم عليه .

لَيسَ هذا مَكانَ التَّدْرِيسِ، بَلْ هُوَ مَجْلِسُ إِزالَةِ التَّلْبِيسِ، مَعَ مَنْ عادَتُهُ التَّمْوِيهُ والتَّشْبِيهُ. وَالْجَماعَةُ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَخطَأْتَ، فَلِمَ تَدَّعِي أَنَّ النَّحْوِيَّ إِنَّمَا يَنْظُرُ فِي اللَّفْظِ لَافِي الْمَعْنَى؟ وَالْمَنْطِقِيَّ يَنْظُرُ فِي الْمَعْنَى لَافِي اللَّفْظِ. هَذَا كَانَ يَصِحُّ لَوْ كَانَ الْمَنْطِقِيُّ يَسكُتُ وَيُجِيلُ فِكْرَهُ فِي الْمَعَانِي، وَيُرَتِّبُ مَا يُرِيدُ فِي الْوَهْمِ السَّيَّاحِ[1]، وَالْخَاطِرِ الْعَارِضِيِّ، وَالْحَدْسِ[2] الطَّارِىءِ.

وَأَمَّا وَهُوَ يُرِيغُ[3] أَنْ يُبْرِزَ مَاصَحَّ لَهُ بِالاعْتِبَارِ وَالتَّصَفُّحِ إِلَى الْمُتَعَلِّمِ وَالْمُنَاظِرِ، فَلَابُدَّ لَهُ مِنَ اللَّفْظِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى مُرَادِهِ، وَيَكُونُ طِبَاقاً لِغَرَضِهِ، وَمُوَافِقاً لِقَصْدِهِ.

قَالَ ابْنُ الْفُرَاتِ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، تَمِّمْ لَنَا كَلَامَكَ فِي شَرْحِ الْمَسْأَلَةِ، حَتَّى تَكُونَ الْفَائِدَةُ ظَاهِرَةً لِأَهْلِ

---

(١) السياح: الذى يسير كثيرا من السياحة (٢) الحدس: الظن والتخمين والتوهم (٣) يريغ: أى يريد ويطلب

الْمَجْلِسِ ، وَالتَّبْكِيتُ عَامِلًا فِى نَفْسِ أَبِى بِشْرٍ . فَقَالَ : مَا أَكْرَهُ مِنْ إِيضَاحِ الْجَوَابِ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا مَلَلَ الْوَزِيرِ ، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا طَالَ مَلَّ .

قَالَ ابْنُ الْفُرَاتِ : مَا رَغِبْتُ فِى سَمَاعِ كَلَامِكَ ، وَبَيْنِى وَبَيْنَ الْمَلَلِ عَلَاقَةٌ ، فَأَمَّا الْجَمَاعَةُ فَحِرْصُهَا عَلَى ذَلِكَ ظَاهِرٌ . فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : إِذَا قُلْتَ : زَيْدٌ أَفْضَلُ إِخْوَتِهِ لَمْ يَجُزْ ، وَإِذَا قُلْتَ : زَيْدٌ أَفْضَلُ الْإِخْوَةِ جَازَ ، وَالْفَصْلُ بَيْنَهُمَا : أَنَّ إِخْوَةَ زَيْدٍ هُمْ غَيْرُ زَيْدٍ ، وَزَيْدٌ خَارِجٌ مِنْ جُمْلَتِهِمْ ، دَلِيلُ ذَلِكَ (١) ، أَنَّهُ لَوْ سَأَلَ سَائِلٌ فَقَالَ : مَنْ إِخْوَةُ زَيْدٍ ؟ لَمْ يَجُزْ أَنْ تَقُولَ : زَيْدٌ وَعَمْرٌو وَبَكْرٌ وَخَالِدٌ ، وَإِنَّمَا تَقُولُ : بَكْرٌ وَعَمْرٌو وَخَالِدٌ ، وَلَا يَدْخُلُ زَيْدٌ فِى جُمْلَتِهِمْ . فَإِذَا كَانَ زَيْدٌ خَارِجاً عَنْ إِخْوَتِهِ صَارَ غَيْرَهُمْ ، فَلَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ إِخْوَتِهِ ، كَمَا لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ حِمَارُكَ أَفْضَلَ الْبِغَالِ ، لِأَنَّ الْحِمَارَ غَيْرُ الْبِغَالِ . كَمَا أَنَّ زَيْداً غَيْرُ

---

(١) فى الاصل « وذلك دليل »

إِخْوَتِهِ . فَإِذَ قُلْتَ : زَيْدٌ أَفْضَلُ الْإِخْوَةِ جَازَ . لِأَنَّهُ أَحَدُ الْإِخْوَةِ ، وَالاسْمُ يَقَعُ عَلَيْهِ وَعَلَى غَيْرِهِ ، فَهُوَ بَعْضُ الْإِخْوَةِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قِيلَ مَنِ الْإِخْوَةُ ؟ عَدَدْتَهُ فِيهِمْ ، فَقُلْتَ زَيْدٌ وَعَمْرٌو وَبَكْرٌ وَخَالِدٌ ، فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ : حِمَارُكَ أَفْرَهُ[1] الْحَمِيرِ . فَلَمَّا كَانَ عَلَى مَا وَصَفْنَا ، جَازَ أَنْ يُضَافَ إِلَى وَاحِدٍ مَنْكُورٍ يَدُلُّ عَلَى الْجِنْسِ فَتَقُولَ : زَيْدٌ أَفْضَلُ رَجُلٍ ، وَحِمَارُكَ أَفْرَهُ حِمَارٍ ، فَيَدُلَّ رَجُلٌ عَلَى الْجِنْسِ كَمَا دَلَّ الرِّجَالُ ، وَكَمَا فِي عِشْرِينَ دِرْهَمًا وَمِائَةِ دِرْهَمٍ .

فَقَالَ ابْنُ الْفُرَاتِ : مَا بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ مَزِيدٌ ، وَلَقَدْ جَلَّ عِلْمُ النَّحْوِ عِنْدِي بِهَذَا الاعْتِبَارِ وَهَذَا الانْقِيَادِ .

فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : مَعَانِي النَّحْوِ مُنْقَسِمَةٌ بَيْنَ حَرَكَاتِ اللَّفْظِ وَسَكَنَاتِهِ ، وَبَيْنَ وَضْعِ الْحُرُوفِ فِي مَوَاضِعِهَا الْمُقْتَضِيَةِ لَهَا ، وَبَيْنَ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ،

---

(١) أفره : أى أنشط ، وأمهر ، وأخف .

وَتَوَخِّى الصَّوَابِ فِي ذَلِكَ ، وَتَجَنُّبِ الْخَطَإِ فِي ذَلِكَ وَإِنْ زَاغَ شَيْءٌ عَنِ النَّعْتِ ، فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ سَائِغًا بِالِاسْتِعْمَالِ النَّادِرِ وَالتَّأْوِيلِ الْبَعِيدِ ، أَوْ مَرْدُودًا لِخُرُوجِهِ عَنْ عَادَةِ الْقَوْمِ الْجَارِيَةِ عَلَى فِطْرَتِهِمْ . فَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِاخْتِلَافِ لُغَاتِ الْقَبَائِلِ ، فَذَلِكَ شَيْءٌ مُسَلَّمٌ لَهُمْ وَمَأْخُوذٌ عَلَيْهِمْ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَحْصُورٌ بِالتَّتَبُّعِ وَالرِّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ ، وَالْقِيَاسِ الْمُطَّرِدِ عَلَى الْأَصْلِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ ، وَإِنَّمَا دَخَلَ الْعُجْبُ عَلَى الْمَنْطِقِيِّينَ لِظَنِّهِمْ أَنَّ الْمَعَانِيَ لَا تُعْرَفُ وَلَا تُسْتَوْضَحُ إِلَّا بِطَرِيقِهِمْ وَنَظَرِهِمْ وَتَكَلُّفِهِمْ . فَتَرْجَمُوا لُغَةً هُمْ فِيهَا ضُعَفَاءُ نَاقِصُونَ ، بِتَرْجَمَةٍ أُخْرَى هُمْ فِيهَا ضُعَفَاءُ نَاقِصُونَ . وَجَعَلُوا تِلْكَ التَّرْجَمَةَ صِنَاعَةً ، وَادَّعَوْا عَلَى النَّحْوِيِّينَ أَنَّهُمْ مَعَ اللَّفْظِ لَا مَعَ الْمَعْنَى .

ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو سَعِيدٍ عَلَى مَتَّى فَقَالَ : أَلَا تَعْلَمُ يَا أَبَا بِشْرٍ أَنَّ الْكَلَامَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى أَشْيَاءَ قَدِ ائْتَلَفَتْ بِمَرَاتِبَ ؟ مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّكَ تَقُولُ : هَذَا ثَوْبٌ ،

وَالثَّوْبُ يَقَعُ عَلَى أَشْيَاءَ بِهَا صَارَ ثَوْباً ، ثُمَّ بِهِ نُسِجَ بَعْدَ أَنْ غُزِلَ ، فَسَدَاتُهُ[1] لَا تَكْفِي دُونَ لُحْمَتِهِ ، وَلُحْمَتُهُ لَا تَكْفِي دُونَ سَدَاتِهِ ، ثُمَّ تَأْلِيفُهُ كَنَسْجِهِ ، وَبَلَاغَتُهُ كَقِصَارَتِهِ[2] ، وَدِقَّةُ سِلْكِهِ كَرِقَّةِ لَفْظِهِ ، وَغِلَظُ غَزْلِهِ كَكَثَافَةِ حُرُوفِهِ ، وَمَجْمُوعُ هَذَا كُلِّهِ ثَوْبٌ ، وَلَكِنْ بَعْدَ تَقْدِمَةِ كُلِّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ.

قَالَ ابْنُ الْفُرَاتِ : سَلْهُ يَا أَبَا سَعِيدٍ عَنْ مَسْأَلَةٍ أُخْرَى، فَإِنَّ هَذَا كُلَّمَا تَوَالَى عَلَيْهِ بَانَ انْقِطَاعُهُ ، وَانْخَفَضَ ارْتِفَاعُهُ فِي الْمَنْطِقِ الَّذِي يَنْصُرُهُ ، وَالْحَقِّ الَّذِي لَا يَنْصُرُهُ . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ قَالَ : لِهَذَا عَلَيَّ دِرْهَمٌ غَيْرَ قِيرَاطٍ ؟ قَالَ مَتَّى : مَالِي عِلْمٌ بِهَذَا النَّمَطِ[3] . قَالَ : لَسْتُ نَازِعاً عَنْكَ حَتَّى يَصِحَّ عِنْدَ الْحَاضِرِينَ أَنَّكَ صَاحِبُ مَخْرَقَةٍ[4]

---

(١) السدى : من الثوب ما مد من خيوطه ، واللحمة : منه ما نسج عرضاً

(٢) القصارة : صناعة القصار : وقصر الثوب أى دقه وبيضه ، فهو قصار

(٣) النمط من الشيء : الطريقة والمذهب ، والصنف والنوع .

(٤) المخرقة : مصدر خرق ، والمراد الحمق بالتمويه والكذب .

وَزَرَقٍ[١] ، هَهُنَا مَا هُوَ أَخَفُّ مِنْ هَذَا .

قَالَ رَجُلٌ لِصَاحِبِهِ : بِكَمِ الثَّوْبَانِ الْمَصْبُوغَانِ ؟ وَقَالَ آخَرُ : بِكَمْ ثَوْبَانِ مَصْبُوغَانِ ؟ وَقَالَ آخَرُ : بِكَمْ ثَوْبَانِ مَصْبُوغَيْنِ ؟ بَيِّنْ هَذِهِ الْمَعَانِيَ الَّتِي تَضَمَّنَهَا لَفْظًا لَفْظًا . قَالَ مَتَّى : لَوْ نَثَرْتُ أَنَا أَيْضًا عَلَيْكَ مِنْ مَسَائِلِ الْمَنْطِقِ شَيْئًا لَكَانَ حَالُكَ كَحَالِي .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : أَخْطَأْتَ ، لِأَنَّكَ إِذَا سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ أَنْظُرُ فِيهِ ، فَإِنْ كَانَ لَهُ عَلَاقَةٌ بِالْمَعْنَى وَصَحَّ لَفْظُهُ عَلَى الْعَادَةِ الْجَارِيَةِ أَجَبْتُ ، ثُمَّ لَا أُبَالِي أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا أَوْ مُخَالِفًا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُتَعَلِّقٍ بِالْمَعْنَى رَدَدْتُهُ عَلَيْكَ ، وَإِنْ كَانَ مُتَّصِلًا بِاللَّفْظِ وَلَكِنْ عَلَى مَوْضِعٍ لَكُمْ فِي الْفَسَادِ ، عَلَى مَاحَشَوْتُمْ بِهِ كُتُبَكُمْ رَدَدْتُهُ أَيْضًا ، لِأَنَّهُ لَاسَبِيلَ إِلَى إِحْدَاثِ لُغَةٍ مُقَرَّرَةٍ بَيْنَ أَهْلِهَا ، مَاوَجَدْنَا لَكُمْ إِلَّا مَا اسْتَعَرْتُمْ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ ، كَالسَّبَبِ

(١) الزرق : المعمى .

وَالْآلَةِ ، وَالْمَوْضُوعِ وَالْمَحْمُولِ ، وَالْكَوْنِ وَالْفَسَادِ ، وَالْعُمُومِ وَالْخُصُوصِ ، وَأَمْثِلَةٍ لَا تَنْفَعُ وَلَا تُجْدِي ، وَهِيَ إِلَى الْعِيِّ أَقْرَبُ ، وَفِي الْفَهَاهَةِ (١) أَذْهَبُ . ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ فِي مَنْطِقِكُمْ عَلَى نَقْصٍ ظَاهِرٍ ، لِأَنَّكُمْ لَا تَفُونَ بِالْكُتُبِ وَلَا هِيَ مَشْرُوحَةٌ ، وَتَدَّعُونَ الشِّعْرَ وَلَا تَعْرِفُونَهُ ، وَتَدَّعُونَ الْخَطَابَةَ وَأَنْتُمْ عَنْهَا فِي مُنْقَطَعِ التُّرَابِ ، وَقَدْ سَمِعْتُ قَائِلَكُمْ يَقُولُ : الْحَاجَةُ مَاسَّةٌ إِلَى كِتَابِ الْبُرْهَانِ ، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ، فَلِمَ قَطَعَ الزَّمَانَ بِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ ؟ ، وَإِنْ كَانَتِ الْحَاجَةُ قَدْ مَسَّتْ إِلَى مَا قَبْلَ الْبُرْهَانِ ، فَهِيَ أَيْضًا مَاسَّةٌ إِلَى مَا بَعْدَ الْبُرْهَانِ ، وَإِلَّا فَلِمَ صَنَّفَ مَا لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَيُسْتَغْنَى عَنْهُ ؟ هَذَا كُلُّهُ تَخْلِيطٌ وَزَرَقٌ ، وَتَهْوِيلٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ . وَإِنَّمَا بِوُدِّكُمْ أَنْ تَشْغَلُوا جَاهِلًا ، وَتَسْتَذِلُّوا (٢) عَزِيزًا . وَغَايَتُكُمْ أَنْ تُهَوِّلُوا بِالْجِنْسِ وَالنَّوْعِ ، وَالْخَاصَّةِ وَالْفَصْلِ ، وَالْعَرَضِ وَالشَّخْصِ ،

---

(١) الفهاهة : العى والفباوة ، والفه : الغبي (٢) فى الأصل « تبذلوا » فقلنا تستذلوا من الذلة ، يريد تتركون العزيز ذليلا ويصح وتبذلوا على معنى تجعلونه مبتذلا

وَتقولُوا : الْهَلِيَّةُ (١) وَالأَيْنِيَّةُ ، وَالْمَاهِيَةُ وَالْكَيْفِيَّةُ وَالْكَمِّيَّةُ ، وَالذَّاتِيَّةُ وَالْعَرَضِيَّةُ ، وَالْجَوْهَرِيَّةُ وَالْهَيُولِيَّةُ ، وَالصُّورِيَّةُ وَالإِنْسِيَّةُ (٢) ، وَالْكَسْبِيَّةُ وَالنَّفْسِيَّةُ . ثُمَّ تَتَمَطَّوْنَ وَتَقُولُونَ : جِئْنَا بِالسِّحْرِ فِي قَوْلِنَا : لَا شَيْءَ مِنْ بَاءٍ وَوَاوٍ وَجِيمٍ ، فِي بَعْضِ بَاءٍ وَفَاءٍ فِي بَعْضِ جِيمٍ ، وَإِلَّا فِي كُلِّ بَ وَجَ فِي كُلِّ بَ ، فَا ، إِذاً لَا فِي كُلِّ جَ ، وَهَذَا بِطَرِيقِ الْخُلْفِ ، وَهَذَا بِطَرِيقِ الاخْتِصَاصِ ، وَهَذِهِ كُلُّهَا جُزَافَاتٌ (٣) وَتُرَّهَاتٌ (٤) ، وَمَغَالِقُ (٥) ، وَشَبَكَاتٌ (٦) ، وَمَنْ جَادَ عَقْلُهُ وَحَسُنَ تَمْيِيزُهُ ، وَلَطُفَ نَظَرُهُ ، وَثَقُبَ رَأْيُهُ ، وَأَنَارَتْ نَفْسُهُ ، اسْتَغْنَى عَنْ هَذَا كُلِّهِ ، بِعَوْنِ اللهِ وَفَضْلِهِ . وَجَوْدَةُ

---

(١) الهلية : نسبة إلى هل ، والأينية : نسبة إلى أين ، وهكذا (٢) الأنسية . نسبة إلى الأنس : والانس : البشر أو خلاف الجن والملك ، الواحد إنسي وانسي (٣) الجزافات : مثلثة الجيم والضم أفصح ، جمع جزاف وجزافة ، والجزاف : الحدس والتخمين ، وأصله في البيع والشراء ، وهو معرب كزاف بالفارسية وفي رأيي أنها خرافات «عبد الخالق»

(٤) الترهات جمع الترة والترهة : وهو الباطل والكذب والتخليط — وقيل الترهات في الأصل : القفار ، ثم استعيرت للاباطيل والاقاويل .

(٥) مغالق : جمع مغلق ، وهو الكلام المبهم المشكل (٦) الشبكات : جمع شبكة ، وهي شرك الصياد في الماء والبر ، « وصب شبكته » : مثل عند المولدين ، يضرب في المكيدة وإخفاء الحيلة

العَقْلِ وَحُسْنُ التَّمْيِيزِ ، وَلُطْفُ النَّظَرِ وَثُقُوبُ الرَّأْيِ ، وَإِنَارَةُ النَّفْسِ مِنْ مَنَائِحِ اللهِ الْهَنِيَّةِ ، وَمَوَاهِبِهِ السَّنِيَّةِ ، يَخْتَصُّ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ . وَمَا أَعْرِفُ لِاسْتِطَالَتِكُمْ بِالْمَنْطِقِ وَجْهًا ، وَهَذَا النَّاشِئُ أَبُو الْعَبَّاسِ قَدْ نَقَضَ عَلَيْكُمْ ، وَتَتَبَّعَ طَرِيقَكُمْ ، وَبَيَّنَ خَطَأَكُمْ ، وَأَبْرَزَ ضَعْفَكُمْ ، وَلَمْ تَقْدِرُوا إِلَى الْيَوْمِ أَنْ تَرُدُّوا عَلَيْهِ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِمَّا قَالَ ، وَمَا زِدْتُمْ عَلَى قَوْلِكُمْ : لَمْ يَعْرِفْ أَغْرَاضَنَا ، وَلَا وَقَفَ عَلَى مُرَادِنَا ، وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ عَلَى وَهْمٍ[1] ، وَهَذَا مِنْكُمْ لَجَاجَةٌ وَنُكُولٌ ، وَرِضِيَ بِالْعَجْزِ وَالْكَلُولِ ، وَكُلُّ مَا ذَكَرْتُمْ فِي الْمَوْجُودَاتِ فَعَلَيْكُمْ فِيهِ اعْتِرَاضٌ . هَذَا قَوْلُكُمْ فِي فَعَلَ وَيَنْفَعِلُ ، وَلَمْ تَسْتَوْضِحُوا فِيهِمَا مَرَاتِبَهُمَا وَمَوَاقِعَهُمَا ، وَلَمْ تَقِفُوا عَلَى مَقَاسِمِهِمَا[2] ، لِأَنَّكُمْ قَنِعْتُمْ فِيهِمَا بِوُقُوعِ الْفِعْلِ مِنْ يَفْعَلُ ، وَقَبُولِ الْفِعْلِ مِنْ يَنْفَعِلُ ، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ غَايَاتٌ

(١) الوهم : أن يذهب وهمه إلى شيء وهو يريد غيره ، وهو بسكون الهاء

(٢) يريد أقسامهما

خَفِيَتْ عَلَيْكُمْ ، وَمَعَارِفُ ذَهَبَتْ عَنْكُمْ ، وَهَذَا حَالُكُمْ فِى الْإِضَافَةِ .

فَأَمَّا الْبَدَلُ وَوُجُوهُهُ ، وَالْمَعْرِفَةُ وَأَقْسَامُهَا ، وَالنَّكِرَةُ وَمَرَاتِبُهَا ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ ، فَلَيْسَ لَكُمْ فِيهِ مَقَالٌ وَلَا مَجَالٌ ، وَأَنْتَ إِذَا قُلْتَ لِإِنْسَانٍ : كُنْ مَنْطِقِيًّا فَإِنَّمَا تُرِيدُ : كُنْ عَقْلِيًّا أَوْ عَاقِلًا ، أَوِ اعْقِلْ مَا تَقُولُ ، لِأَنَّ أَصْحَابَكَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمَنْطِقَ هُوَ الْعَقْلُ ، وَهَذَا قَوْلٌ مَدْخُولٌ ، لِأَنَّ الْمَنْطِقَ عَلَى وُجُوهٍ أَنْتُمْ مِنْهَا فِى سَهْوٍ . وَإِذَا قَالَ لَكَ آخَرُ : كُنْ نَحْوِيًّا لُغَوِيًّا فَصِيحًا ، فَإِنَّمَا يُرِيدُ : افْهَمْ عَنْ نَفْسِكَ مَا تَقُولُ ، ثُمَّ رُمْ أَنْ يَفْهَمَ عَنْكَ غَيْرُكَ ، وَقَدِّرِ اللَّفْظَ عَلَى الْمَعْنَى فَلَا يَنْقُصُ عَنْهُ . هَذَا إِذَا كُنْتَ فِى تَحْقِيقِ شَىْءٍ عَلَى مَا هُوَ بِهِ ، فَأَمَّا إِذَا حَاوَلْتَ فَرْشَ الْمَعْنَى وَبَسْطَ الْمُرَادِ ، فَاجْلُ اللَّفْظَ بِالرَّوَادِفِ الْمُوَضِّحَةِ ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُقَرِّبَةِ ، وَالِاسْتِعَارَاتِ الْمُمْتِعَةِ ، وَسَدِّدِ الْمَعَانِى بِالْبَلَاغَةِ ، أَعْنِى لَوِّحْ مِنْهَا شَيْئًا

حَتَّى لَا تُصَابَ إِلَّا بِالْبَحْثِ عَنْهَا وَالشَّوْقِ إِلَيْهَا ، لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ إِذَا ظُفِرَ بِهِ عَلَى هَـٰذَا الْوَجْهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَرُمَ وَعَلَا ، وَأَشْرَحُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى لَا يُمْكِنَ أَنْ يُمْتَرَى فِيهِ ، أَوْ يُتْعَبَ فِي فَهْمِهِ ، أَوْ يُنْزَحَ [1] عَنْهُ لِاغْتِمَاضِهِ ، فَبِهَذَا الْمَعْنَى يَكُونُ جَامِعًا لِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ وَلِأَشْبَاهِ الْحَقَائِقِ ، وَهَـٰذَا بَابٌ إِنِ اسْتَقْصَيْتُهُ خَرَجَ عَنْ نَمَطِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ ، عَلَى أَنِّي لَا أَدْرِي ، أَيُؤْثَرُ [2] مَا أَقُولُ أَمْ لَا ؟ ثُمَّ قَالَ : حَدِّثْنَا ، هَلْ فَصَلْتُمْ قَطُّ بِالْمَنْطِقِ بَيْنَ مُخْتَلِفَيْنِ ، أَمْ رَفَعْتُمُ الْخِلَافَ بَيْنَ اثْنَيْنِ ؟؟ أَتُرَاكَ بِقُوَّةِ الْمَنْطِقِ وَبُرْهَانِهِ اعْتَقَدْتَ أَنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، وَأَنَّ الْوَاحِدَ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ ، وَأَنَّ الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ هُوَ وَاحِدٌ ، وَأَنَّ الشَّرْعَ مَا تَذْهَبُ إِلَيْهِ ، وَالْحَقَّ مَا تَقُولُهُ ؟ هَيْهَاتَ ، هٰهُنَا أُمُورٌ تَرْفَعُ عَنْ دَعْوَى أَصْحَابِكَ وَهَذَيَانِهِمْ ، وَتَدِقُّ عَنْ عُقُولِهِمْ وَأَذْهَانِهِمْ ،

(١) فى الاصل « يستريح » (٢) يؤثر الخ : أى ينقل عنى ، وأثر الحديث ، ذكره عن غيره ومنه : حديث مأثور ، أى ينقله خلف عن سلف .

وَدَعْ هذَا . هٰهُنَا مَسْأَلَةٌ قَدْ أَوْقَعَتْ خِلَافًا ، فَارْفَعْ ذَلِكَ الْخِلَافَ بِمَنْطِقِكَ . قَالَ قَائِلٌ : « لِفُلَانٍ مِنَ الْحَائِطِ إِلَى الْحَائِطِ » مَا الْحُكْمُ فِيهِ ، وَمَا قَدْرُ الْمَشْهُودِ بِهِ لِفُلَانٍ ؟؟ فَقَدْ قَالَ نَاسٌ : لَهُ الْحَائِطَانِ مَعًا وَمَا بَيْنَهُمَا . وَقَالَ آخَرُونَ : لَهُ النِّصْفُ مِنْ كُلٍّ مِنْهُمَا . وَقَالَ آخَرُونَ : لَهُ أَحَدُهُمَا . هَاتِ الْآنَ آيَتَكَ الْبَاهِرَةَ ، وَمُعْجِزَتَكَ الْقَاهِرَةَ ، وَأَنَّى لَكَ بِهِمَا ؟ وَهَذَا قَدْ بَانَ بِغَيْرِ نَظَرِكَ وَنَظَرِ أَصْحَابِكَ . وَدَعْ هَذَا أَيْضًا . قَالَ قَائِلٌ : « مِنَ الْكَلَامِ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ حَسَنٌ ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ كَذِبٌ ، وَمِنْهُ مَا هُوَ خَطَأٌ » فَسِّرْ هَذِهِ الْجُمْلَةَ . وَاعْتَرَضَ عَلَيْهِ عَالِمٌ آخَرُ ، فَاحْكُمْ أَنْتَ بَيْنَ الْقَائِلِ وَالْمُعْتَرِضِ ، وَأَرِنَا قُوَّةَ صِنَاعَتِكَ الَّتِي تُمَيِّزُ بِهَا بَيْنَ الْخَطَأِ وَالصَّوَابِ ، وَبَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . فَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ أَحْكُمُ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَحَدُهُمَا قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَهُ ، وَالْآخَرُ لَمْ أَحْصُلْ عَلَى اعْتِرَاضِهِ ؟. قِيلَ لَكَ : اسْتَخْرِجْ بِنَظَرِكَ الِاعْتِرَاضَ إِنْ كَانَ مَا قَالَهُ مُحْتَمِلًا لَهُ ، ثُمَّ أَوْضِحِ الْحَقَّ

مِنْهُمَا ، لِأَنَّ الْأَصْلَ مَسْمُوعٌ لَكَ حَاصِلٌ عِنْدَكَ . وَمَا يَصِحُّ
بِهِ أَوْ يَطَّرِدُ[1] عَلَيْهِ يَجِبُ أَنْ يَظْهَرَ مِنْكَ ، فَلَا تَتَعَاسَرْ
عَلَيْنَا ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْجَمَاعَةِ ، فَقَدْ
بَانَ الْآنَ أَنَّ مُرَكَّبَ اللَّفْظِ لَا يَحُوزُ مَبْسُوطَ الْعَقْلِ .
وَالْمَعَانِي مَعْقُولَةٌ وَلَهَا اتِّصَالٌ شَدِيدٌ وَبَسَاطَةٌ تَامَّةٌ ، وَلَيْسَ
فِي قُوَّةِ اللَّفْظِ مِنْ أَيِّ لُغَةٍ كَانَ ، أَنْ يَمْلِكَ ذَلِكَ الْمَبْسُوطَ
وَيُحِيطَ بِهِ وَيَنْصِبَ عَلَيْهِ سُوراً ، وَلَا يَدَعَ شَيْئاً مِنْ دَاخِلِهِ
أَنْ يَخْرُجَ ، وَلَا شَيْئاً مِنْ خَارِجِهِ أَنْ يَدْخُلَ ، خَوْفاً مِنَ
الِاخْتِلَاطِ الْجَالِبِ لِلْفَسَادِ ، أَعْنِي أَنَّ ذَلِكَ يَخْلِطُ الْحَقَّ
بِالْبَاطِلِ ، وَيُشَبِّهُ الْبَاطِلَ بِالْحَقِّ ، وَهَذَا الَّذِي وَقَعَ الصَّحِيحُ مِنْهُ
فِي الْأَوَّلِ قَبْلَ وَضْعِ الْمَنْطِقِ ، وَقَدْ عَادَ ذَلِكَ الصَّحِيحُ فِي
الثَّانِي بِهَذَا الْمَنْطِقِ ، وَأَنْتَ لَوْ عَرَفْتَ الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ
وَمَسَائِلَهُمْ ، وَوَقَفْتَ عَلَى غَوْرِهِمْ[2] فِي فِكْرِهِمْ ، وَغَوْصِهِمْ[3] .

---

(١) يطرد عليه : أى يتبعه ويجرى عليه ، تقول : اطرد الأمر : أى استقام والأنهار تطرد ، أى تجرى . (٢) الغور : المعرفة بالأمور ، وغار فى الأمر : إذا دقق النظر فيه (٣) كانت فى الأصل : « غوضهم »

فِى اسْتِنْبَاطِهِمْ ، وَحُسْنِ تأْوِيلِهِمْ لِمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ ، وَسَعَةِ تَشْقِيقِهِمْ لِلْوُجُوهِ الْمُحْتَمَلَةِ ، وَالْكِنَايَاتِ الْمُفِيدَةِ ، وَالْجِهَاتِ الْقَرِيبَةِ وَالْبَعِيدَةِ ، لَحَقَرْتَ نَفْسَكَ ، وَازْدَرَيْتَ أَصْحَابَكَ ، وَلَكَانَ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ وَتَتَابَعُوا عَلَيْهِ ، أَقَلَّ فِى عَيْنِكَ مِنَ السُّهَا (١) عِنْدَ الْقَمَرِ ، وَمِنَ الْحَصَا عِنْدَ الْجَبَلِ . أَلَيْسَ الْكِنْدِىُّ وَهُوَ عَلَمٌ فِى أَصْحَابِكُمْ ، يَقُولُ فِى جَوَابِ مَسْأَلَةٍ : « هٰذَا مِنْ بَابِ عِدَّةٍ » فَعَدَّ الْوُجُوهَ بِحَسَبِ الِاسْتِطَاعَةِ عَلَى طَرِيقِ الْإِمْكَانِ مِنْ نَاحِيَةِ الْوَهْمِ بِلَا تَرْتِيبٍ ، حَتَّى وَضَعُوا لَهُ مَسَائِلَ مِنْ هٰذَا ، وَغَالَطُوهُ بِهَا ، وَأَرَوْهُ مِنَ الْفَلْسَفَةِ الدَّاخِلَةِ ، فَذَهَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْوَضْعُ ، فَاعْتَقَدَ أَنَّهُ مَرِيضُ الْعَقْلِ ، فَاسِدُ الْمِزَاجِ ، حَائِلُ (٢) الْغَرِيزَةِ ، مُشَوَّشُ اللُّبِّ ، قَالُوا لَهُ : أَخْبِرْنَا عَنِ اصْطِكَاكِ (٣) الْأَجْرَامِ وَتَضَاغُطِ الْأَرْكَانِ ، هَلْ يَدْخُلُ

---

(١) السها : كوكب خفى ، يمتحن الناس به أبصارهم (٢) حائل الخ : أى متغير من الاستواء إلى العوج . (٣) سقط من الأصل : « اصطكاك » من مكانها ووضعت فى غير موضعها فقيل : « واصطكاك تضاغط » فغير الوضع كما ترى

فِى بَابِ وُجُوبِ الْإِمْكَانِ ، أَوْ يَخْرُجُ مِنْ بَابِ الْفِقْدَانِ إِلَى مَا يَخْفَى عَنِ الْأَذْهَانِ ؟.

وَقَالُوا لَهُ أَيْضاً : مَا تَشْبِيهُ الْحَرَكَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ إِلَى الصُّوَرِ الْهَيُولَانِيَّةِ ؟ وَهَلْ هِىَ مُلَابِسَةٌ لِلْكِيَانِ فِى حُدُودِ النَّظَرِ وَالْبَيَانِ ، أَوْ مُزَايِلَةٌ لَهُ عَلَى غَايَةِ الْإِحْكَامِ ؟ مَا تَأْثِيرُ فِقْدَانِ الْوِجْدَانِ فِى عَدَمِ الْإِمْكَانِ ، عِنْدَ امْتِنَاعِ الْوَاجِبِ مِنْ وُجُوبِهِ ، فِى ظَاهِرِ مَالَا وُجُوبَ لَهُ لِاسْتِحَالَتِهِ فِى إِمْكَانِ أَصْلِهِ . وَعَلَى هَذَا ، فَقَدْ حُفِظَ جَوَابُهُ عَنْ جَمِيعِ هَذَا عَلَى غَايَةِ الرَّكَاكَةِ ، وَالضَّعْفِ وَالْفَسَادِ ، وَالْفَسَالَةِ وَالسُّخْفِ ، وَلَوْلَا التَّوَقِّى مِنَ التَّطْوِيلِ ، لَسَرَدْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ . وَلَقَدْ مَرَّ بِى فِى خُطَّةٍ : التَّفَاوُتُ فِى تَلَاشِى الْأَشْيَاءِ غَيْرُ مُحَاطٍ بِهِ ، لِأَنَّهُ يُلَاقِى الْاِخْتِلَافَ فِى الْأُصُولِ ، وَالْاِتِّفَاقَ فِى الْفُرُوعِ . وَكُلُّ مَا يَكُونُ عَلَى هَذَا النَّهْجِ ؛ فَالنَّكِرَةُ تُزَاحِمُ عَلَيْهِ الْمَعْرِفَةَ ، وَالْمَعْرِفَةُ تُنَاقِضُ النَّكِرَةَ ، عَلَى أَنَّ النَّكِرَةَ

وَالْمَعْرِفَةَ مِنْ بَابِ الْأَلْسِنَةِ الْعَارِيَةِ مِنْ مَلَابِسِ الْأَسْرَارِ الْإِلٰهِيَّةِ، لَا مِنْ بَابِ الْإِلٰهِيَّةِ الْعَارِضَةِ فِي أَحْوَالِ السِّرِّيَّةِ. « وَلَقَدْ حَدَّثَنِي أَصْحَابُنَا الصَّابِئُونَ عَنْهُ بِمَا يُضْحِكُ الثَّكْلَى، وَيُشْمِتُ الْعَدُوَّ، وَيَغُمُّ الصَّدِيقَ، وَمَا وُرِثَ هَذَا كُلُّهُ إِلَّا مِنْ بَرَكَاتِ يُونَانَ وَفَوَائِدِ الْفَلْسَفَةِ وَالْمَنْطِقِ. وَنَسْأَلُ اللهَ عِصْمَةً وَتَوْفِيقًا نَهْتَدِي بِهِمَا إِلَى الْقَوْلِ الرَّاجِعِ إِلَى التَّحْصِيلِ، وَالْفِعْلِ الْجَارِي عَلَى التَّعْدِيلِ — إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ —.

قَالَ أَبُو حَيَّانَ: هَذَا آخِرُ مَا كَتَبْتُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عِيسَي الشَّيْخِ الصَّالِحِ بِإِمْلَائِهِ، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ رَوَى لُمَعًا مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَكَانَ يَقُولُ: لَمْ أَحْفَظْ عَلَى نَفْسِي كُلَّ مَاقُلْتُ، وَلَكِنْ كَتَبَ ذَلِكَ الْقَوْمُ الَّذِينَ حَضَرُوا فِي أَلْوَاحٍ كَانَتْ مَعَهُمْ وَمَحَابِرَ أَيْضًا، وَقَدِ اخْتَلَّ كَثِيرٌ مِنْهُ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى: وَتَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ، وَأَهْلُهُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ جَأْشِ أَبِي سَعِيدٍ وَلِسَانِهِ الْمُتَصَرِّفِ، وَوَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلِ، وَفَوَائِدِهِ الْمُتَتَابِعَةِ. وَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ ابْنُ الْفُرَاتِ: عَيْنُ اللهِ

عليكَ أيُّها الشيْخُ ، فقدْ نَدَّيتَ أكباداً ، وأَقررتَ عيوناً ، وَبَيَّضتَ وُجُوهاً ، وَحُكتَ طِرازاً لا تُبليهِ الأزمانُ ، ولا يَتَطرَّقُهُ الحَدَثانُ .

قالَ : قُلتُ لِعَليِّ بنِ عِيسَى : وَكَمْ كانَ سِنُّ أبى سَعيدٍ يَوْمَئذٍ ؟ قالَ : مَوْلِدُهُ سنةَ ثمانينَ ومائتَيْنِ ، وَكانَ لَهُ يَوْمَ المُناظَرَةِ أرْبَعُونَ سَنَةً ، وَقَدْ عبثَ الشَّيْبُ بِلَهازِمِهِ ، هذا مَعَ السَّمْتِ وَالوَقارِ ، وَالدِّينِ وَالجِدِّ ، وهذا شِعارُ أهلِ الفَضلِ وَالتقدُّمِ ، وَقَلَّ مَنْ تظاهرَ وَتَحلَّى بحِلْيتِهِ إلَّا جَلَّ فِى العُيُونِ ، وَعَظُمَ فِى الصُّدُورِ وَالنُّفُوسِ ، وَأَحَبَّتْهُ القُلوبُ ، وَجرتْ بِمَدحِهِ الأَلسِنَةُ . وَقُلْتُ لِعَليِّ بنِ عِيسَى : أكانَ أبُو عَلِيٍّ الفَسَوِيُّ حاضِراً فِى المَجلِسِ ؟ قالَ لا : ، كانَ غائِباً وَحُدِّثَ بِمَا كانَ . وَكانَ الحَسَدُ لِأبِى سَعيدٍ عَلى ما فازَ بِهِ مِنْ هذا الخَبَرِ المَشهُورِ ، وَالثَّناءِ المَذكُورِ .

قالَ أبُو حيَّانَ : وَقالَ لِى الوَزِيرُ عِندَ مُنقَطعِ هذا الحَدِيثِ : ذَكَّرتَنِى شيئاً كانَ فِى نَفسِى ، وَأَحبَبْتُ أنْ أسألَكَ

عَنْهُ وَأَقِفَ عَلَيْهِ ، أَيْنَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ ؟ وَأَيْنَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى مِنْهُمَا ؟ وَأَيْنَ الْمَرَاغِيُّ أَيْضاً مِنَ الْجَمَاعَةِ ؟ وَكَذَلِكَ الْمَرْزُبَانِيُّ وَابْنُ شَاذَانَ ؟ وَابْنُ الْوَرَّاقِ وَابْنُ حَيَّوَيْهِ ؟ فَكَانَ مِنَ الْجَوَابِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

وَنَظِيرُ خَبَرِ أَبِي سَعِيدٍ مَعَ مَتَّى ، خَبَرُهُ أَيْضاً مَعَ أَبِي الْحَسَنِ الْعَامِرِيِّ الْفَيْلَسُوفِ النَّيْسَابُورِيِّ ، ذَكَرَهُ أَبُو حَيَّانَ أَيْضاً قَالَ : لَمَّا وَرَدَ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ الْعَمِيدِ إِلَى بَغْدَادَ ، وَأَكْرَمَ الْعُلَمَاءَ اسْتَحْضَرَهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ ، وَوَصَلَ أَبَا سَعِيدٍ السِّيرَافِيَّ ، وَأَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى الرُّمَّانِيَّ بِمَالٍ ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي بَابِ أَبِي الْفَتْحِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْعَمِيدِ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : انْعَقَدَ الْمَجْلِسُ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَغَصَّ بِأَهْلِهِ ، فَرَأَيْتُ الْعَامِرِيَّ

وَقَدِ انْتُدِبَ فسألَ أبا سعيدٍ « السِّيرافىَّ[١] فقالَ » : ما طبيعةُ الباء من بسم الله ؟ فعَجِبَ النَّاسُ مِنْ هذِهِ المُطالبةِ ، ونَزَلَ بأبى سعيدٍ ما كادَ بِهِ يَشُكُّ فيهِ ، فأنطقَهُ اللهُ بالسِّحْرِ الحَلالِ ، وذَلِكَ أنَّهُ قالَ : ما أحسنَ ما أدَّبنا بِهِ بعْضُ المُوفَّقِينَ المُتقدِّمِينَ ! . فقالَ .

وَإِذا خطبْتَ عَلَى الرِّجالِ فَلا تكُنْ
خطِلَ الكَلامِ تقُولُهُ مُختالا
وَاعْلَمْ بِأَنَّ مَعَ السُّكُوتِ لبابَةً
وَمِنَ التَّكَلُّمِ ما يكُونُ خبالا

واللهِ يا شيْخُ ، لعينُكَ أكْبرُ مِنْ فِرارِكَ ، ولَمرآكَ أوفَى مِنْ دِخلَتِكَ[٢] ، ولَمنثُورُكَ أبْيَنُ مِنْ منْظُومِكَ ، فما هـذا الذى طوَّعتْ لهُ نفْسُكَ ، وسدَّدَ عليْهِ رأيُكَ ؟ إِنِّى أظُنُّ أنَّ السَّلامةَ بالسُّكُوتِ تعافُكَ ، والغنيمةَ بالقوْلِ

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الاصل ، ومذكور فى العماد ، فأثبتناه لذلك

(٢) الدخلة : بالكسر ، باطن الأمر ، ومنه فلان حسن الدخلة : أى حسن المذهب فى أموره .

تَرْغَبُ عنكَ ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ . فَقَالَ ابْنُ الْعَمِيدِ ، وَقَدْ أُعْجِبَ بِمَا قَالَ أَبُو سَعِيدٍ :

فَتًى كَانَ يَعْلُو مَفْرِقَ الْحَقِّ قَوْلُهُ
إِذَا الْخُطَبَاءُ الصِّيدُ(١) عُضِّلَ(٢) قِيلُهَا
جَهِيرٌ وَمُمْتَدُّ الْعِنَانِ مُنَاقِدٌ(٣)
بَصِيرٌ بِعَوْرَاتِ الْكَلَامِ خَبِيرُهَا

وَقَوْلُهُ :

الْقَائِلُ الْقَوْلَ الرَّفِيعَ الَّذِي
يَمْرَعُ مِنْهُ الْبَلَدُ الْمَاحِلُ

وَالْتَفَتَ إِلَى الْعَامِرِيِّ فَقَالَ :

وَإِنَّ لِسَانًا لَمْ يُعِنْهُ لُبَابُهُ
كَحَاطِبِ لَيْلٍ يَجْمَعُ الرَّذْلَ حَاطِبُهْ
وَذِى خَطَلٍ بِالْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ
مُصِيبٌ فَمَا يُلْمِمْ بِهِ فَهُوَ قَائِلُهْ

(١) الصيد جمع أصيد : وهو الرجل الذى يرفع رأسه كبرا .

(٢) وعضل قيلها : أى تعقد كلامها ، وعسر فهمه وانحلاله ، واستغلق .

(٣) مناقد : أى مناقش ، من ناقده مناقدة أى ناقشه

وَفِي الصَّمْتِ سَتْرٌ لِلْغَبِيِّ وَإِنَّمَا
صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا

وَفِي الصَّمْتِ سَتْرٌ وَهُوَ أَوْلَى بِذِي الْحِجَى
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلنُّطْقِ وَجْهٌ وَمَذْهَبُ

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ فَارِسٍ مُعَلِّمِهِ فَقَالَ : لَسْنَا مِنْ كَلَامِ أَصْحَابِكَ فِي الْفَرِيضَةِ .

قَالَ أَبُو حَيَّانَ : فَلَمَّا خَرَجْنَا قُلْتُ لِأَبِي سَعِيدٍ : أَرَأَيْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ مَا كَانَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الْخَطِيرِ عِنْدَنَا؟ الْكَبِيرِ فِي أَنْفُسِنَا ، قَالَ : مَا دُهِيتُ قَطُّ بِمِثْلِ مَا دُهِيتُ بِهِ الْيَوْمَ ، لَقَدْ جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي بِشْرٍ صَاحِبِ شَرْحِ كِتَابِ الْمَنْطِقِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ ، فِي مَجْلِسِ أَبِي جَعْفَرِ ابْنِ الْفُرَاتِ مُنَاظَرَةٌ ، كَانَتْ هَذِهِ أَشْوَسَ[1] وَأَشْرَسَ مِنْهَا.

---

(١) الاشوس ذو الشوس ، وهو النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظاً وفى نظرى أنها أشوش . والأشرس : الشريس والجرىء فى القتال ، والشرس والشريس : السيىء الخلق والشديد الخلاف ، ومنه سمى الأسد شريساً . والمراد أن هذه المناظرة كان فيها تطاول وخلاف شديد ، وتباين وتغايظ ورمي بالعيون .

﴿ ١٥ – الحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ ﴾

﴿ ابْنِ زَيْدِ بْنِ حَكِيمٍ* ﴾

الحسن بن عبد الله العسكرى

الْعَسْكَرِىُّ ، أَبُو أَحْمَدَ اللُّغَوِىُّ الْعَلَّامَةُ . مَوْلِدُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِسِتَّ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَوَّالٍ ، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ . قَالَ السِّلَفِىُّ الْحَافِظُ : عَلَى مَا سَمِعْتُ أَبَا عَامِرٍ غَالِبَ بْنَ عَلِىِّ بْنِ غَالِبٍ[1] الْفَقِيهَ الْأَسْتِرَابَاذِىَّ بِقَصْرِ رُونَاشَ يَقُولُ : رَأَيْتُ بِخَطِّ أَبِى حَكِيمٍ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَضْلَانَ اللُّغَوِىِّ الْعَسْكَرِىِّ مَكْتُوبًا : تُوُفِّىَ أَبُو أَحْمَدَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدٍ الْعَسْكَرِىُّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، لِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِى الْحِجَّةِ ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : وَطَالَ تَطْوَافِى وَكَثُرَ تَسْآلِى

---

(١) ساقطة فى الاصل وفى العماد موجودة

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢١

عَنِ الْعَسْكَرِيَّيْنِ ، أَبِي أَحْمَدَ وَأَبِي هِلَالٍ ، فَلَمْ أَلْقَ مَنْ يُخْبِرُنِي عَنْهُمَا بِجَلِيَّةِ خَبَرٍ ، حَتَّى وَرَدْتُ دِمَشْقَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسِتِّمائَةٍ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَفَاوَضْتُ الْحَافِظَ تَقِيَّ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ بْنِ الْأَنْمَاطِيِّ ، الْنُّضَارِيَّ الْمِصْرِيَّ ، ـ أَسْعَدَهُ اللهُ بِطَاعَتِهِ فِيهِمَا[١] ـ فَذَكَرَ لِي أَنَّ الْحَافِظَ أَبَا طَاهِرٍ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ السِّلَفِيَّ الْأَصْبَهَانِيَّ لَمَّا وَرَدَ إِلَى دِمَشْقَ ، سُئِلَ عَنْهُمَا فَأَجَابَ فِيهِمَا بِجَوَابٍ لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا مِثْلُهُ مِنْ أَئِمَّةِ الْعِلْمِ ، وَأُولِي الْفَضْلِ وَالْفَهْمِ ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُفِيدَنِي فِي ذَلِكَ فَفَعَلَ مُتَفَضِّلًا ، فَكَتَبْتُهُ عَلَى صُورَةِ مَا أَوْرَدَهُ السِّلَفِيُّ غَيْرَ الْمَوْلِدِ وَالْوَفَاةِ ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي آخِرِ أَخْبَارِ أَبِي أَحْمَدَ ، فَقَدَّمْتُهُ عَلَى عَادَتِي . وَأَخْبَرَنِي بِذَلِكَ عَنِ السِّلَفِيِّ جَمَاعَةٌ : مِنْهُمُ الْأَسْعَدُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْعَامِرِيُّ الْمَقْدِسِيُّ ، وَالنَّبِيهُ أَبُو طَاهِرٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ

---

(١) أى فى أمر العسكريين

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْصَارِيُّ ، وَغَيْرُهُمَا إِجَازَةً :

قَالَ أَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ : دَخَلَ إِلَىَّ الشَّيْخُ الْأَمِينُ أَبُو مُحَمَّدٍ هِبَةُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْأَكْفَانِيِّ بِدِمَشْقَ، سَنَةَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَجَرَى ذِكْرُ أَبِي أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيِّ ، فَذَكَرْتُ فِيهِ مَا يَحْتَمِلُ الْوَقْتُ ، وَبَعْدَ خُرُوجِهِ كَتَبْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ الْعَلِيِّ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى الْمُصْطَفَى النَّبِيِّ ، فَقَدْ جَرَى الْيَوْمَ ذِكْرُ الشَّيْخِ الْمَرْضِيِّ ، أَبِي أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيِّ ، وَأَنْشَدْتُ لِلصَّاحِبِ الْكَافِي لِلّهِ شِعْرًا ، خَالَهُ سَيِّدِي سِحْرًا ، وَرَامَ - حَرَسَ اللهُ نِعْمَتَهُ ، وَكَبَتَ بِالذُّلِّ عِدَتَهُ - إِثْبَاتَهُ بِتَمَامِهِ ، فَاشْتَغَلْتُ بِهِ بَعْدَ نُهُوضِهِ وَقِيَامِهِ ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ وَإِلَى ذِكْرِ الشَّيْخِ أَبِي أَحْمَدَ زِيَادَةَ تَعْرِيفٍ لِيَقِفَ عَلَى جَلِيَّةِ حَالِهِ ، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ وَرَاءِ سِتْرٍ لَطِيفٍ . فَلْيَعْلَمْ - أَطَالَ اللهُ لِكَافَّةِ الْأَنَامِ بَقَاءَهُ ، وَلَا سَلَبَهُمْ ظِلَّهُ

وَبَهَاءَهُ — : أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا أَحْمَدَ هَذَا ، كَانَ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمَذْكُورِينَ بِالتَّصَرُّفِ فِى أَنْوَاعِ الْفُنُونِ ، وَالتَّبَحُّرِ فِى فُنُونِ الْفُهُومِ ، وَمِنَ الْمَشْهُورِينَ بِجَوْدَةِ التَّأْلِيفِ وَحُسْنِ التَّصْنِيفِ . وَمِنْ جُمْلَتِهِ : كِتَابُ صِنَاعَةِ الشِّعْرِ رَأَيْتُهُ ، كِتَابُ الْحِكَمِ وَالْأَمْثَالِ ، كِتَابُ رَاحَةِ الْأَرْوَاحِ ، كِتَابُ الزَّوَاجِرِ وَالْمَوَاعِظِ ، كِتَابُ تَصْحِيحِ الْوُجُوهِ وَالنَّظَائِرِ . وَكَانَ قَدْ سَمِعَ بِبَغْدَادَ وَالْبَصْرَةِ وَأَصْبَهَانَ وَغَيْرِهَا مِنْ شِيخَتِهِ ، وَفِى عِدَادِهِمْ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِىُّ ، وَابْنُ أَبِى دَاوُدَ السِّجِسْتَانِىُّ ، وَأَكْثَرَ عَنْهُمْ وَبَالَغَ فِى الْكِتَابَةِ ، وَبَقِىَ حَتَّى عَلَا بِهِ السِّنُّ ، وَاشْتَهَرَ فِى الْآفَاقِ بِالدِّرَايَةِ وَالْإِتْقَانِ ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ التَّحْدِيثِ ، وَالْإِمْلَاءِ لِلْآدَابِ وَالتَّدْرِيسِ ، بِقُطْرِ خُوزِسْتَانَ . وَرَحَلَ الْأَجِلَّاءُ إِلَيْهِ لِلْأَخْذِ عَنْهُ ، وَالْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ . وَكَانَ يُمْلِى بِالْعَسْكَرِ ، وَتُسْتَرَ[1] وَمُدُنِ نَاحِيَتِهِ : مَا يَخْتَارُهُ مِنْ

---

(١) ضبطها ياقوت فى معجم البلدان بضم التاء الأولى وفتح الثانية وسكون السين ، وذكر أنه معرب شوشتر ، اسم نهر سميت به المدينة ، وذكر أنها ذات متنزهات ، وجاء ضمن قوله : أنها سميت باسم الأعرابى الذى فتحها ولكنه لم يرتضه .

عَالِى رِوَايَتِهِ عَنْ مُتَقَدِّمِى شُيُوخِهِ . وَمِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَانُ الْأَهْوَازِىُّ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ ، وَنِفْطَوَيْهِ ، وَأَبُو جَعْفَرِ ابْنُ زُهَيْرٍ وَنُظَرَاؤُهُمْ .

وَمِنْ مُتَأَخِّرِى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ رَوَوْا عَنْهُ الْحَدِيثَ وَمُتَقَدِّمِيهِمْ أَيْضاً « فَإِنِّى ذَكَرْتُهُمْ عَلَى غَيْرِ رُتَبِهِمْ كَمَا جَاءَ لَا كَمَا يَجِبُ » : أَبُو عَبَّادٍ الصَّائِغُ التُّسْتَرِىُّ ، وَذُو النُّونِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَالْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الْجَهْرَمِىُّ ، وَابْنُ الْعَطَّارِ الشُّرُوطِىُّ الْأَصْبَهَانِىُّ ، وَأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْأَصْبَهَانِىُّ الْمَعْرُوفُ بِالْيَزْدِىِّ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ عَلِىُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِىُّ الْمَعْرُوفُ بِالنُّعَيْمِىِّ الْفَقِيهُ الْحَافِظُ ، وَأَبُو عَلِىٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِىِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُقْرِئُ الْأَهْوَازِىُّ نَزِيلُ دِمَشْقَ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدِ انْقَلَبَ عَلَيْهِ اسْمُهُ فَيَقُولُ فِى تَصَانِيفِهِ :

أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدٍ النَّحْوِىُّ بِعَسْكَرِ مُكْرَمٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِىُّ وَغَيْرُهُ ، وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدٍ الْعَسْكَرِىُّ

لا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَسنِ: وَقَدْ رَوَى عَنْهُ أَبُو سَعْدٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْخَلِيلِ الْمَالِينِيُّ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَهْوَازِيُّ شَيْخَا أَبِي بَكْرٍ الْخَطِيبِ الْحَافِظِ الْبَغْدَادِيِّ، وَخَلْقٌ سِوَاهُمْ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، لَمْ أُثْبِتْ أَسْمَاءَهُمْ احْتِرَازاً مِنْ وَهْمٍ مَا، وَاحْتِيَاطاً لِبُعْدِ الْعَهْدِ بِرِوَايَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ. وَالنُّعَيْمِيُّ[1] وَالْأَهْوَازِيُّ[2] رَوَى عَنْهُمَا الْخَطِيبُ أَيْضاً، وَكَذَلِكَ رَوَى عَنْ أَبِي نُعَيْمٍ[3] الْأَصْفَهَانِيِّ الْحَافِظِ. وَقَدْ رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ أَبِي أَحْمَدَ كَثِيراً.

وَمِمَّنْ رَوَى عَنْ أَبِي أَحْمَدَ مِنْ أَقْرَانِ أَبِي نُعَيْمٍ: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْوَادِعِيُّ، وَعَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ ابْنِ مُحَمَّدٍ الْبَاطِرْقَانِيُّ[4]، وَأَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ

---

(١) هو الحافظ أبو الحسن على بن أحمد بن الحسن بن محمد البصرى. توفى سنة ٤٢٣

(٢) هو ابو على الحسن بن على بن إبراهيم البصرى المحدث، مقرىء أهل الشام ولد سنة ٣٦٢ وتوفى سنة ٤٤٦ (٣) هو الامام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران ولد سنة ٣٣٠ وتوفى فى المحرم سنة ٤٣٠

(٤) هو أبو بكر عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عباس كان إماما فى القراءة وقتل بأصبهان فى فتنة الخراسانية أيام مسعود بن محمود بن سبكتكين سنة ٤٢١. وهو منسوب إلى باطرقان، قرية من قرى أصبهان «عبد الخالق»

زَنجويه[(١)] الأَصفهانيون ، وأَبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ منصورِ بنِ جيكانَ[(٢)] التسترِيُّ ، والقاضِى أبو الحسنِ علِىُّ بنُ عُمرَ بنِ موسَى الأَيذجِىُّ ، وأبو سعيدٍ الحسنُ بنُ علِىِّ بنِ بحرٍ السقطِىُّ التسترِىُّ .

وروَى عنهُ ممَّنْ هوَ أكبرُ منْ هؤلاء سِنًّا وأقدمُ موتًا : أبو محمدٍ خلفُ بنُ محمدِ بنِ علِىٍّ الواسِطِىُّ[(٣)] ، وأبو حاتِمٍ محمدُ بنُ عبدِ الواحدِ الرَّازىُّ المعروفُ باللبَّانِ ، وهُما مِنْ حُفَّاظِ الحديثِ .

وقدْ روَى عنهُ الشيخُ أبو عبدِ الرحمنِ السُّلمِىُّ الصوفِىُّ[(٤)] بخُراسانَ بالأَجازةِ ، وكذلكَ القاضِى أبو بكرِ بنُ الباقِلَّانِىِّ المتكلِّمُ بالعِراقِ ، وقدْ وقعَ حديثُهُ لِى عالِيًا مِنْ طُرُقٍ

---

(١) فى الاصل « رنجوبة » وهو تصحيف . وهو أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد زنجويه ، فقيه فاضل توفى سنة ٤٩٠ (٢) محمد بن منصور بن جيكان القشيرى محدث ، كان يتهم بالكذب (٣) هو أبو محمد خلف بن محمد بن على بن حمدون الحافظ الواسطى ، روى عنه الحاكم أبو عبد الله ، وأبو نعيم الأصبهانى وغيرهما .

(٤) هو محمد بن الحسين بن موسى النيسابورى الحافظ شيخ الصوفية ، له مصنفات جمة فى التفسير والتاريخ وغيرها . وتوفى ٤١٢ « أحمد يوسف نجاتى »

عِدَّةٍ . فَمِنْ ذَلِكَ حِكَايَةٌ رَأَيْتُهَا الْآنَ مَعِي فِي جُزْءٍ مِنْ تَخْرِيجِي بِخَطِّي وَهِيَ :

أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْمُبَارَكُ [1] بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ابْنِ أَحْمَدَ الصَّيْرَفِيُّ بِبَغْدَادَ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ التُّسْتَرِيُّ [2] مِنْ لَفْظِهِ بِالْبَصْرَةِ ، حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدٍ الْعَسْكَرِيُّ إِمْلَاءً بِتُسْتَرَ ، حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ ابْنُ الْوَلِيدِ بْنِ شُجَاعٍ بِأَصْبَهَانَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى النَّيْسَابُورِيُّ [3] ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُكْرَمٍ ، حَدَّثَنِي عُتْبَةُ بْنُ حُمَيْدٍ [4] قَالَ :

---

(١) هو ابن الطيور وسأذكر ترجمته بعد قليل (٢) هو أبو على الحسن بن على بن احمد بن على البصرى السقطى توفى سنة ٤٤٩ (٣) هو أبو سعد العلامة محمد بن يحيى النيسابورى محيى الدين شيخ الشافعية ، وصاحب الامام الغزالى ، انتهت اليه رياسة المذهب بخراسان ، وقصده الفقهاء من البلاد ، وصنف التصانيف القيمة . توفى فى شهر رمضان سنة ٥٤٨ عن ٧٢ سنة على يد الغز ورثاه جماعة من الفقهاء والادباء ، منهم على البيهقى قال :

يا سافكا دم عالم متبحر قد طار فى أقصى الممالك صيته
بالله قل لى يا ظلوم ولا تخف من كان محيى الدين كيف تميته

وكان — رحمه الله — شاعراً أديباً جمع بين العلم والأدب والرقة .

« احمد يوسف نجاتى »

(٤) عتبة بن حميد الضبي أبو معاذ البصري .

قَالَ بِشْرُ بْنُ الحَارِثِ لَمَّا مَاتَتْ أُخْتُهُ: « إِذَا قَصَّرَ الْعَبْدُ فِى طَاعَةِ رَبِّهِ سَلَبَهُ أَنِيسَهُ » قَالَ أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِىُّ فِى كِتَابِ شَرْحِ التَّصْحِيفِ مِنْ تَصْنِيفِهِ، وَقَدْ ذَكَرَ مَا يُشْكِلُ[1] وَيُصَحَّفُ مِنْ أَسْمَاءِ الشُّعَرَاءِ فَقَالَ: وَهَذَا بَابٌ صَعْبٌ لَا يَكَادُ يَضْبِطُهُ إِلَّا كَثِيرُ الرِّوَايَةِ، غَزِيرُ الدِّرَايَةِ.

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِىُّ بْنُ عَبْدُوسٍ الْأَرَّجَانِىُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ وَكَانَ فَاضِلًا مُتَقَدِّمًا وَقَدْ نَظَرَ فِى كِتَابِى هَذَا، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى هَذَا الْبَابِ قَالَ لِى: كَمْ عِدَّةُ أَسْمَاءِ الشُّعَرَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتَهُمْ. قُلْتُ: مِائَةٌ وَنَيِّفٌ. فَقَالَ: إِنِّى لَأَعْجَبُ كَيْفَ اسْتَتَبَّ[2] لَكَ هَذَا ؟! فَقَدْ كُنَّا بِبَغْدَادَ وَالْعُلَمَاءُ بِهَا مُتَوَفِّرُونَ. « وَذَكَرَ أَبَا إِسْحَاقَ الزَّجَّاجَ، وَأَبَا مُوسَى الْحَامِضَ[3]،

(١) يشكل: مضارع أشكل الشىء صار غامضاً مبهماً ملتبساً. وصحف الكلام: أى غيره، وتصحيف الكلمة: أن تشتبه حروفها بعضها ببعض

(٢) استتب الأمر: إذا تهيأ واستوى، واستقام « وأصل هذا من الطريق المستتب وهو الذى خد فيه السيارة أخدوداً فوضح واستبان لمن يسلكه »

(٣) هو سليمان بن محمد بن أحمد النحوى، روى عن ثعلب وصحبه طويلا، وله فى اللغة مؤلفات مفيدة وتوفى سنة ٣٠٥ « احمد يوسف نجاتى »

وَأَبَا بَكْرٍ الْأَنْبَارِىَّ ، وَالْيَزِيدِىَّ ، وَغَيْرَهُمْ » . فَاخْتَلَفْنَا فِى اسْمِ شَاعِرٍ وَاحِدٍ وَهُوَ حُرَيْثُ بْنُ مُحَفَّضٍ (١) ، وَكَتَبْنَا أَرْبَعَ رِقَاعٍ إِلَى أَرْبَعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، فَأَجَابَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَا يُخَالِفُ الْآخَرَ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مُخَفَّضٌ بِالْخَاءِ وَالضَّادِ الْمُعْجَمَتَيْنِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : مُحَفَّصٌ بِالْحَاءِ وَالصَّادِ غَيْرَ مُعْجَمَتَيْنِ (٢) ، وَقَالَ آخَرُ : ابْنُ مُخَفَّضٍ . فَقُلْنَا : لَيْسَ لِهَذَا إِلَّا أَبُو بَكْرِ بْنُ دُرَيْدٍ ، فَقَصَدْنَاهُ فِى مَنْزِلِهِ وَعَرَّفْنَاهُ مَا جَرَى .

فَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : أَيْنَ يُذْهَبُ (٣) بِكُمْ ؟ هَذَا مَشْهُورٌ ، هُوَ حُرَيْثُ بْنُ مُحَفَّضٍ بِالْحَاءِ غَيْرَ مُعْجَمَةٍ مَفْتُوحَةً وَالْفَاءِ مُشَدَّدَةً وَالضَّادِ مَنْقُوطَةً ، هُوَ مِنْ بَنِى تَمِيمٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِى مَازِنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ وَهُوَ الْقَائِلُ :

---

(١) ذكره ابن قتيبة فى كتاب الشعراء « ص ٤٠٧ » وهو علم منقول من اسم فاعل من حفض الشىء إذا ألقاه وطرحه من يديه ، وحفض القوم إذا طرحهم وراءه وخلفهم ، وحفض الله عنه إذا خفف (٢) تكاد اللغة تخلو من حفص الشى ، والأكثر فى الأعلام أن يكون لها معنى فى اللغة وإن كانت مرتجلة . (٣) استفهام الغرض منه التنبيه على الوهم والخطأ والغفلة أو الضلال عن الشىء وعدم الانتباه إليه .

أَلَمْ تَرَ قَوْمِي إِنْ دُعُوا لِمُلِمَّةٍ
أَجَابُوا، وَإِنْ أَغْضَبْ عَلَى الْقَوْمِ يَغْضَبُوا
هُمُ حَفِظُوا غَيْبِي كَمَا كُنْتُ حَافِظًا
لِقَوْمِيَ أُخْرَى مِثْلَهَا إِنْ تَغَيَّبُوا (١)
بَنُو الْحَرْبِ لَمْ تَقْعُدْ بِهِمْ أُمَّهَاتُهُمْ
وَآبَاؤُهُمْ آبَاءُ صِدْقٍ فَأَنْجَبُوا

وَتَمَثَّلَ الْحَجَّاجُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ عَلَى مِنْبَرِهِ فَقَالَ: أَنْتُمْ يَأَهْلَ الشَّامِ كَمَا قَالَ حُرَيْثُ بْنُ مُحَفِّضٍ - وَذَكَرَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ - فَقَامَ حُرَيْثُ بْنُ مُحَفِّضٍ فَقَالَ: أَنَا وَاللهِ حُرَيْثُ

(١) هذا البيت: لم يورده ابن قتيبة، وجاء بغيره: والأبيات الثلاثة أوردها صاحب خزانة الادب «٢: ٥١١» ورواية ابن عبدوس: خرجها صاحب خزانة الأدب أيضاً. ويقال: غيبه تغييباً: أى أبعده. والمعنى: كما كنت حافظا قومي فى غيابهم أن ينالوا ويعابوا. والبيت الأول من قول حجية بن المضرب فى أخيه:

أخى والذى إن أدعه لملمة
يجبنى وإن أغضب إلى السيف يغضب

والثانى من قول المقنع الكندى:

وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم
وإن هم هووا غيى هويت لهم رشدا

وإن كان قوم حريث أحفظ له من قوم المقنع. وقعدبه نسبه أى وضعه لانه غير حسيب، فالبيت الثالث يريد به مدحهم وأنهم كرام الطرفين وما مذمإلا معم مخول كما مدحهم بالشجاعة وملازمة الحروب والخبرة بها «عبد الخالق»

ابْنُ مُحَفِّضٍ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ أَنْ سَابَقْتَنِي ؟ قَالَ : لَمْ أَتَمَالَكْ إِذْ تَمَثَّلَ الْأَمِيرُ بِشِعْرِي حَتَّى أَعْلَمْتُهُ مَكَانِي .

ثُمَّ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ عَبْدُوسٍ : فَلَمْ يُفَرِّجْ عَنَّا غَيْرُهُ .

قَالَ أَبُو أَحْمَدَ : وَاجْتَمَعَ يَوْمًا فِي مَنْزِلِي بِالْبَصْرَةِ أَبُو رِيَاشٍ وَأَبُو الْحُسَيْنِ[1] بْنُ لَنْكَكَ - رَحِمَهُمَا اللهُ - فَتَقَاوَلَا ، فَكَانَ[2]

(١) ابن لنكك هو أبو الحسن محمد بن محمد البصرى كان فى عصره « القرن الرابع » فرد البصرة ظرفا وأدبا ورقة ولطفا ، وخفة روح وجودة شعر ، ولكن معاصرته لأبى الطيب المتنبى قائد زمام الشعر فى زمنه ، ولأبى رياش اليمامي اللغوى المشهور ، كانت سببا فى خموله بالنسبة إليهما وفوزهما ببعد الصيت ورفعة الذكر دونه ، أما أبو الطيب فهو من تعلم : وأما أبو رياش. فقد نفقت سوقه وسما نجمه وسعد بالأدب بما شقى به صاحبه ابن لنكك ، وكان ذلك داعيا إلى أن يسل ابن لنكك لسانه عليهما وبشفى نفسه بذمهما . أما أبوالطيب :فلم يكدر بحره ماقذفه فيه ابن لنكك ، وأما أبورياش ، فقد حفظ شيئاً من أهاجى خصمه فيه ، ومقاله لطيف جمع بين الفكاهة والأدب ، وكان أبو رياش هذا بافعة فى حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها، غاية بل آية فى معرفة دواوينها وسرد أخبارها مع فصاحة لسان وحسن بيان . ولكن كان يتهم بقلة المروءة ووسخ اللبسة وعدم عنايته بحسن زيه ونظافة بزته ، فوجد ابن لنكك من ذلك مغمزا أتى أبا رياش منه ، فن هجائه فيه يصفه بالنهم والشراهة على الطعام :

يطير الى الطعام أبو رياشى مبادرة ولو واراه قبر
أصابعه من الحلواء صفر ولكن الأخادع منه حمر

« يشير بعجز البيت الثانى إلى أن أخدعى أبى رياش عرضة للصفع »

وفيه يقول أيضا وقد ولى أبو رياش عملا بالبصرة :

قل للوضيع أبى رياش لاتبل ته كل تيهك بالولاية والعمل
ما ازددت حين وليت إلا خسة كالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل

ولابن لنكك من مثل هذا: الكثير اللطيف المضحك « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) لعله كما ذكرنا، وفى الأصل : « كان »

فِيمَا قَالَ أَبُو رِيَاشٍ لِأَبِي الْحُسَيْنِ: أَنْتَ كَيْفَ تَحْكُمُ عَلَى الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ وَلَيْسَ تَفْرِقُ بَيْنَ الزَّفَيَانِ وَالرَّقْبَانِ؟ فَأَجَابَ أَبُو الْحُسَيْنِ وَلَمْ يُقْنِعْ ذَاكَ أَبَا رِيَاشٍ، وَقَامَا عَلَى شَغَبٍ وَجِدَالٍ.

قَالَ أَبُو أَحْمَدَ: فَأَمَّا الرَّقْبَانُ بِالرَّاءِ وَالْقَافِ وَتَحْتَ الْبَاءِ نُقْطَةٌ: فَشَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ يُقَالُ لَهُ أَشْعَرُ الرَّقْبَانُ (١) وَأَمَّا الزَّفَيَانُ بِالزَّايِ وَالْفَاءِ وَتَحْتَ الْيَاءِ نُقْطَتَانِ: فَهُوَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ يُعْرَفُ بِالزَّفَيَانِ السَّعْدِيِّ (٢)، رَاجِزٌ كَثِيرُ الشِّعْرِ، وَكَانَ عَلَى عَهْدِ

---

(١) الأشعر الرقبان الأسدى جاهلى، وله يهجو ابن عمه واسمه رضوان:

تجانف رضوان عن ضيفه ... ألم يأت رضوان عنى النذر

بحسبك فى القوم أن يعلموا ... بأنك فيهم غنى مضر

وقد علم المعشر الطارحون ... بأنك للضيف جوع وقر

وأنت مسيخ كلحم الحوار ... فلا أنت حلو ولا أنت مر

المضر الذى تروح عليه ضرة من المال أى قطعة منه من الإبل والغنم أو الكثير من الماشية خاصة. وقد شرعنا فى وفاء الشعراء المسمين « الرقبان » والزفيان حقهم من الترجمة والبحث فى رسالة خاصة إن لم نتمكن سريعاً من طبع كتابنا « الجامع » فى الأدب العربى فى عصور اللغة المختلفة إن شاء الله تعالى « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) اسمه عطاء ابن أسعد السعدى ويكنى أبا المرقال، وهناك راجز محسن آخر يلقب بالزفيان ولعله هو الزفيان بن مالك والزفيان السعدى منهم واسمه كما تقدم عطاء بن أسيد.

جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ (١) ، وَهُوَ الزَّفَيَانُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عُوَافَةَ (٢) الْقَائِلُ (٣) :

---

(١) جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عم الخليفة أبى جعفر المنصور

(٢) فى الأصل : « عوانة » وهو تصحيف خاطىء بل هو بالفاء . وعوافة بطن من بنى أسد ، أو هم من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) هو رجز طويل ومنه :

كأن مابى من أران أواق والشباب شرة وغيهق
ومنهل طام عليه الغلفق ينير أو يسدى به الخدرنق
وردته والليل داج أبلق وصاحبي ذات هباب دمشق
خطباء ورقاء السراة عوهق كأنها بعد الكلال زورق
إذا مشت فيه السياط المشق شبه الأفاعى خيفة تلفلق
ناج ملح فى الخبار ميلق كأنه سوذانق أو نقنق

الأران : النشاط ، والأواق : الجنون ، وكذا الغيهق والنشاط . والشرة : الحدة والقوة ، والغلفق : الطحلب أو نبت ينبت فى الماء الراكد ذوورق عريض ، والخدرنق : العنكبوت ، وأنار وأسدى : أى نسج وقد النير والسدى . والهباب : النشاط والاسراع مصدر هبت الناقة وغيرها فى سيرها تهب هباباً إذا أسرعت ونشطت ، قال لبيد :

فلها هباب فى الزمام كأنها صهباء راح مع الجنوب جهامها

والخطباء وصف من الخطبة وهو لون يضرب إلى الكدرة مشرب حمرة فى صفرة ، والعوهق : الطويل يستوى فيه المذكر والمؤنث . والخبار : ما لان من الارض واسترخى ، وكانت فيها حجارة ، أو ما تهور وساخت فيه القوائم وتتضع فيه الدواب ، والميلق : السريعة من الملق وهو السير الشديد والسوذانق : الصقر « معرب » والنقنق : الظليم أو النافر أو الخفيف منه ، والمشق : السريعة الضرب من السياط ، ولفلقت الحية : إذا رامت تحريك لحيتها وإخراج لسانها ، أو اضطربت بشدة ، هذا وكنية الزفيان أبو المقدام . وكنت أود أن أقول فيه شيئاً لولا أن بعض المتطفلين على الادب من الزائفين يتهمنا بالفضول لشيء فى أنفسهم ستكشف الايام عنه قريباً « احمد يوسف نجاتى »

وَصَاحِبِي ذَاتُ هِبَابٍ دَمْشَقُ[1]

كَأَنَّهَا بَعْدَ الْكَلَالِ زَوْرَقُ[2]

قَالَ : وَذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ آخَرَ يُقَالُ لَهُ الرَّفِيَانُ ، وَأَنَّهُ كَانَ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ حِينَ أَقْبَلَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ[3] ، فَقَالَ :

تُهْدَى[4] إِذَا خَوَتِ النُّجُومُ صُدُورَهَا

بِبَنَاتِ نَعْشٍ أَوْ بِضَوْءِ الْفَرْقَدِ

---

(١) دمشق : أى سريعة ، والكلال : التعب والاعياء ، وهذه أوصاف الناقة

(٢) الزورق : السفينة (٣) لما ارتد أهل البحرين بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وكان خالد باليمامة كتب إليه أبو بكر يأمره بالنهوض إلى البحرين ، ثم أتاه كتاب أبى بكر بالشخوص للعراق فشخص من البحرين سنة ١٢ « احمد يوسف نجاتى »

(٤) تهدى : أى تهتدى وتسترشد فى سيرها ، وخوت النجوم خياً : أى مالت إلى المغيب ، وصدورها : أى وقت صدورها ورجوعها عن الماء وانصرافها ، فهو مصدر استعمل استعمال الظرف مثل سرت حلب ناقة . وبنات نعش الكبرى : سبعة كواكب ، أربعة منها ، نعش ، وثلاث بنات ، وكذا الصغرى ، تنصرف نكرة لا معرفة . الواحد ، ابن نعش . والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وهما فرقدان ، وجاء فى الشعر مثنى ومفردا ، وذلك لشدة اتصالهما ، والجمع فراقد . « عبد الخالق »

فَقَدْ أَخبرَنَا بِهِ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الطُّيُورِىّ (١) بِبَغْدَادَ قَالَ : حدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ السَّقَطِىُّ بِالْبَصْرَةِ قَالَ :

أَخبرَنَا أَبُو أَحْمَدَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَكِيمٍ الْعَسْكَرِىُّ إِمْلَاءً سَنَةَ ثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ بِتُسْتَرَ ، فَذَكَرَ مَجَالِسَ مِنْ أَمَالِيهِ هِىَ عِنْدِى ، وَقَرَأْتُ عَلَى أَبِى عَلِىٍّ أَحْمَدَ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ شَهْرَيَارَ بِأَصْبَهَانَ عَنِ السَّقَطِىِّ : هٰذِهِ فَوَائِدُ عَنْ أَبِى أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ (٢) . وَأَمَّا الْأَبْيَاتُ الْمَقْصُودَةُ فَعِنْدِى فِى أَجْزَاءِ أَذْرَبِيجَانَ عَلَى نَسَقٍ لَا أَذْكُرُ مَوْضِعَهَا ، إِلَّا أَنَّ فِيهَا قِصَّةً مَعْنَاهَا : أَنَّ الصَّاحِبَ أَبَا الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَبَّادِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْوَزِيرَ ، كَانَ يَتَمَنَّى لِقَاءَ أَبِى أَحْمَدَ الْعَسْكَرِىِّ ، وَيُكَاتِبُهُ عَلَى مَمَرِّ الْأَوْقَاتِ ، وَيَسْتَمِيلُ قَلْبَهُ فَيَعْتَلُّ عَلَيْهِ بِالشَّيْخُوخَةِ وَالْكِبَرِ ،

---

(١) هو المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن قاسم الصيرفى البغدادى المحدث ، كان محدثاً ثقة صالحاً أميناً ذا دين ووقار ، توفى سنة ٥٠١ عن ٨٩ سنة وأخوه أبو سعد أحمد بن الجبار بن الطيورى كان ذا علم وصلاح توفى سنة ٥١٧ عن ٨٣ سنة «احمد يوسف نجاتى»

(٢) لم يسبق ما يشير إلى هذه الابيات حتى يقول : وأما الابيات المقصودة ، ولعل الأبيات هي التى كتبها إليه الصاحب فى رسالته الآتية بعد والعلم عند الله . «عبد الخالق»

إِذْ عَرَفَ أَنَّهُ يُعَرِّضُ بِالْقَصْدِ إِلَيْهِ وَالْوُفُودِ عَلَيْهِ . فَلَمَّا يَئِسَ مِنْهُ احْتَالَ فِي جَذْبِ السُّلْطَانِ إِلَى ذَلِكَ الصَّوْبِ (١) وَكَتَبَ إِلَيْهِ حِينَ قَرُبَ مِنْ عَسْكَرِ مُكْرَمٍ كِتَاباً يَتَضَمَّنُ عُلُوماً نَظْماً وَنَثْراً ، وَمِمَّا ضَمَّنَهُ مِنَ الْمَنْظُومِ قَوْلُهُ :

وَلَمَّا أَبَيْتُمْ أَنْ تَزُورُوا وَقُلْتُمْ
ضَعُفْنَا فَمَا نَقْوَى عَلَى الْوَخَدَانِ (٢)
أَتَيْنَاكُمُ مِنْ بُعْدِ أَرْضٍ نَزُورُكُمْ
وَكَمْ مَنْزِلٍ بِكْرٍ لَنَا وَعَوَانِ (٣)
نُسَائِلُكُمْ هَلْ مِنْ قِرًى لِنَزِيلِكُمْ ؟
بِمِلْءِ جُفُونٍ لَا بِمِلْءِ جِفَانِ

فَلَمَّا قَرَأَ أَبُو أَحْمَدَ الْكِتَابَ ، أَقْعَدَ تِلْمِيذاً لَهُ فَأَمْلَى عَلَيْهِ الْجَوَابَ عَنِ النَّثْرِ نَثْراً ، وَعَنِ النَّظْمِ نَظْماً ، وَبَعَثَ بِهِ

---

(١) وذلك أنه قال لمخدومه مؤيد الدولة بن بويه : إن عسكر مكرم قد اختلت أحوالها وأحتاج الى كشفها بنفسى ، فأذن له فى ذلك (٢) الوخدان : بالتحريك : السرعة فى السير ، أوسعة الخطو . (٣) يريد الصاحب أنه على كثرة ماله من المنازل التى يحلها قديمها وجديدها أينما سار آثر زيارة العسكرى من أرض بعيدة .

إِلَيْهِ فِى الْحَالِ ، وَكَانَ فِى آخِرِ جوَابِ أَبْيَاتِهِ الَّتِى ذَكَرَ عَلَى الْحَالِ : وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ [1] وَالنَّزَوَانِ وَهُوَ تَضْمِينٌ ، إِلَّا أَنَّ الصَّاحِبَ اسْتَحْسَنَهُ وَوَقَعَ ذَلِكَ مِنْهُ مَوْقِعاً عَظِيماً وَقَالَ : لَوْ عَرَفْتُ أَنَّ هَذَا الْمِصْرَاعَ يَقَعُ فِى هَذِهِ الْقَافِيَةِ لَمْ أَتَعَرَّضْ لَهَا ، وَكُنْتُ قَدْ ذَهِلْتُ عَنْهُ وَذَهَبَ عَلَىَّ .

ثُمَّ إِنَّ أَبَا أَحْمَدَ قَصَدَهُ وَقْتَ حُلُولِهِ بِعَسْكَرِ مُكْرَمٍ بَلَدِهِ وَمَعَهُ أَعْيَانُ أَصْحَابِهِ وَتَلَامِذَتِهِ فِى سَاعَةٍ لَا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ إِلَّا لِمِثْلِهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِالْكُلِّيَّةِ بَعْدَ أَنْ

---

(١) العير : الحمار الوحشى والأهلى أيضاً ، والنزوان : مصدر نزا ينزو نزواً ونزواناً أى وثب ، ومنه : نزا الفحل على الأنثى ، يقال ذلك فى الحافر والظلف والسباع . وهذا المصراع : مثل يضرب لمن قصد أمراً فعجز عنه ، ولم ينل مأربه منه بدون اختياره . وهذا البيت من أبيات قالها صخر بن الشريد السلمى أخو الخنساء فى زوجه وقد ملت منه لطول مرضه فقال :

أرى أم صخر لا تمل عيادتى
وملت سليمى مضجعى ومكانى

وأى امرىء ساوى بأم حليلة
فلا عاش إلا فى شقا وهوان

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه
وقد حيل بين العير والنزوان

« عبد الخالق »

أَقْعَدَهُ فِى أَرْفَعِ مَوْضِعٍ مِنْ مَجْلِسِهِ ، وَتَفَاوَضْنَا فِى مَسَائِلَ فَزَادَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهُ ، وَأَخَذَ أَبُو أَحْمَدَ مِنْهُ بِالْحَظِّ الْأَوْفَرِ ، وَأَدَرَّ عَلَى الْمُتَّصِلِينَ بِهِ إِدْرَاراً كَانُوا يَأْخُذُونَهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّىَ . ـ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ أَيْضاً فِيمَا أَظُنُّ ـ ، وَلَمَّا نُعِيَ إِلَيْهِ أَنْشَدَ فِيهِ :

قَالُوا مَضَى الشَّيْخُ أَبُو أَحْمَدٍ
وَقَدْ رَثَوْهُ بِضُرُوبِ النُّدَبْ[1]

فَقُلْتُ : مَا مِنْ فَقْدِ شَيْخٍ مَضَى
لَكِنَّهُ فَقْدُ فُنُونِ الْأَدَبْ[2]

ثُمَّ ذَكَرَ السِّلَفِيُّ وَفَاتَهُ كَمَا تَقَدَّمَ ، هَذَا آخِرُ مَا ذَكَرَهُ مِنْ خَبَرِ أَبِى أَحْمَدَ ، هَذَا كُلُّهُ مِنْ كِتَابِ السِّلَفِيِّ ، ثُمَّ وَجَدْتُ مَا أَنْبَأَنِى بِهِ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِىِّ[3] عَنِ ابْنِ

(١) الندب : جمع نُدبة ، وهي إسم من : ندب فلان الميت بكاه ، وعدد محاسنه

(٢) يريد أنهم ماندبوه لأنه مات ، ولكن لأن فنون الأدب ماتت

(٣) هو الامام عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن عبد الله ينتهى نسبه إلى أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ ، وهو ذلك الواعظ المتفنن الفقيه الحنبلى البغدادى صاحب التصانيف الكثيرة الممتعة فى كل فنون اللغة والأدب وأنواع العلوم العقلية والنقلية ولد سنة ٥١٠ وتوفى سنة ٥٩٧ « عبد الخالق »

نَاصِرٍ عَنْ أَبِى زَكَرِيَّا التِّبْرِيزِىِّ ، وَعَنْ أَبِى عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَسَنِ الْحُلْوَانِىِّ ، عَنْ أَبِى الْحَسَنِ عَلِىِّ بْنِ الْمُظَفَّرِ الْبَنْدَنِيجِىِّ(١) قَالَ : كُنْتُ أَقْرَأُ بِالْبَصْرَةِ عَلَى الشُّيُوخِ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى الْأَهْوَازِ ، بَلَغَنِى حَالُ أَبِى أَحْمَدَ الْعَسْكَرِىِّ ، فَقَصَدْتُهُ وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ ، فَوَصَلَ فَخْرُ الدَّوْلَةِ(٢) وَالصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ ، فَبَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ نَقْرَأُ عَلَيْهِ وَصَلَ إِلَيْهِ رِكَابِىٌّ وَمَعَهُ رُقْعَةٌ فَفَضَّهَا وَقَرَأَهَا وَكَتَبَ عَلَى ظَهْرِهَا جَوَابَهَا ، فَقُلْتُ أَيُّهَا الشَّيْخُ : مَا هَذِهِ الرُّقْعَةُ ؟ فَقَالَ : رُقْعَةُ الصَّاحِبِ كَتَبَ إِلَىَّ :

وَلَمَّا أَبَيْتُمْ أَنْ تَزُورُوا وَقُلْتُمُ
ضَعُفْنَا فَمَا نَقْوَى عَلَى الْوَخَدَانِ

---

(١) نسبة إلى « البندنيجين » بلدة فى أطراف النهروان من ناحية الجبل كانت من أعمال بغداد (٢) هو فخر الدولة بن بويه

الْأَبْيَاتَ الثَّلَاثَةَ الْمُتَقَدِّمَةَ . قُلْتُ : فَمَا كَتَبْتَ إِلَيْهِ فِي الْجَوَابِ ؟ قَالَ قُلْتُ :

أَرُومُ نُهُوضًا ثُمَّ يَثْنِي عَزِيمَتِي
تَعَوُّذُ أَعْضَائِي مِنَ الرَّجَفَانِ

فَضَمَّنْتُ بَيْتَ ابْنِ الشَّرِيدِ[1] كَأَنَّمَا
تَعَمَّدَ تَشْبِيهِي بِهِ وَعَنَانِي

أَهُمُّ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ
وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزَوَانِ

قَالَ : ثُمَّ نَهَضَ وَقَالَ : لَا بُدَّ مِنَ الْحَمْلِ عَلَى النَّفْسِ[2] ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ لَا يُقْنِعُهُ هَذَا ، وَرَكِبَ بَغْلَةً وَقَصَدَهُ ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الصَّاحِبِ لِاسْتِيلَاءِ

---

(١) هو صخر بن عمرو من بني الشريد بطن من سليم ، وأبياته أوردها صاحب « وفيات الاعيان » وقص قصتها وقد مر شيء منها (٢) يريد تكليف نفسه مشقة السعي إليه مع ضعفه فكأنه حمل نفسه مالا طاقة لها به « عبد الخالق »

الْحَشَمِ ، فَصَعِدَ تَلْعَةً [(١)] وَرَفَعَ صَوْتَهُ بِقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ [(٢)] .

مَالِي أَرَى الْقُبَّةَ الْفَيْحَاءَ [(٣)] مُقْفَلَةً
دُونِي وَقَدْ طَالَ مَا اسْتُفْتِحَتْ مُقْفَلُهَا
كَأَنَّهَا جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مُعْرِضَةً [(٤)]
وَلَيْسَ لِي عَمَلٌ زَاكٍ فَأَدْخُلُهَا

---

(١) التلعة : القطعة المرتفعة من الارض . والجمع تلعات وتلاع

(٢) البيتان من أربعة خاطب بها أبو تمام الأمير مالك بن طوق وهي :

قل لابن طوق رحى سعد إذا خبطت
نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها
حلماً وكيسها علماً ودغفلها

مالى أرى الحجرة البيضاء مقفلة ... هذه رواية الديوان .

(٣) الفيحاء : الواسعة والزاكى الطاهر (٤) معرضة من أعرض الشىء : إذا ظهر وبدا ، أو من أعرضك الخير إذا أمكنك، وأعرض الشىء : إذا اتسع ، وجعل الممدوح رحى بنى سعيد عليه تدور ، وبه تحف وإليه تلجأ ، ورحى القوم سيدهم الذى يصدرون عن رأيه وينتهون إلى أمره . وكان يقال لسيدنا عمر بن الخطاب : رحى العرب والأسماء التى شبه مالك بن طوق بها معروفة يضرب بكل منها المثل فيما عرف به ، وزيد بن الكيس النمرى نسابة مشهور ، أو ابن الكيس هو عبيد بن مالك بن شراحيل بن الكيس واسم الكيس زيد وهو من ولد عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر ابن قاسط .ودغفل بن حنظلة النسابة من بنى عمرو بن شيبان بن ذهل وهو معروف ، وعمل زاك أى طاهر مبارك ذو خير يطهر النفس ويجعلها أهلا للأجر والمثوبة

« احمد يوسف نجاتى »

قَالَ : فَنَادَاهُ الصَّاحِبُ : اُدْخُلْهَا يَا أَبَا أَحْمَدَ فَلَكَ السَّابِقَةُ الْأُولَى(١) ، فَتَبَادَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ يَحْمِلُونَهُ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ أَبُو أَحْمَدَ : الْخَبِيرَ صَادَفْتَ(٢) ، فَقَالَ الصَّاحِبُ يَا أَبَا أَحْمَدَ : تُغْرِبُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ ؟ فَقَالَ : تَفَاءَلْتُ عَنِ السُّقُوطِ بِحَضْرَةِ مَوْلَانَا « وَإِنَّمَا كَلَامُ الْعَرَبِ سَقَطْتَ » وَوَجَدْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

وَحَدَّثَ ابْنُ نَصْرٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيُّ بِالْبَصْرَةِ ، قَالَ : كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَجُوسِيُّ عَامِلُ الْبَصْرَةِ رَجُلًا وَاسِعَ النَّفْسِ ، وَكَانَ يَتَعَاهَدُ الشُّعَرَاءَ وَيُرَاعِيهِمْ ، مِثْلَ الْعُصْفُرِيِّ وَالنَّهْرَجُورِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَهُمْ يَهْجُونَهُ ، وَكَانَ هَذَا — وَهَذَانِ خُصُوصًا — مِنْ أَوْضَاعِهِمْ ، وَقَدْ رَأَيْتُ النَّهْرَجُورِيَّ قَالَ : فَلَمَّا مَاتَ أَبُو الْفَرَجِ(٣) رَثَاهُ النَّهْرَجُورِيُّ بِقَوْلِهِ :

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : والسابقون الأولون الخ (٢) اقتبس قوله « الخبير صادفت » من المثل المشهور عن أحد حكماء العرب ، وهو : « على الخبير بها سقطت » (٣) يريد أبا جعفر

يَا لَيْتَ شِعْرِى – وَلَيْتَ رُبَّمَا
صَحَّتْ فَكَانَتْ لَنَا مِنَ الْعِبَرِ –

هَلْ أَرَيَنَّ شَوْثَنَا وَأُمَّتَهُ
رَاكِبَةً حَوْلَهُ عَلَى الْبَقَرِ

يَقْدُمُهُمْ أَرْبَعُونَ لُبْسُهُمُ
مَعْ حِلْيَةِ الْحَرْبِ حُلَّةُ النَّمِرِ

وَأَنْتَ فِيهِمْ قَدِ ٱبْتَرَزْتَ لَنَا
كَالشَّمْسِ فِى نُورِهَا أَوِ الْقَمَرِ

قَدْ نَكَحُوا الْأُمَّهَاتِ وَٱتَّكَلُوا
عَلَى عَقِيقِ الْأَبْوَالِ فِى الطُّهُرِ

وَشَارَفُوا (١) وَالنِّسَاءُ قَدْ وَلَدَتْ
غُسْلَ مَضَارِيطِهَا مِنَ الْوَضَرِ

وَأَصْبَحُوا أَشْبَهَ الْبَرِيَّةِ بِالظَّـ
ـرْفِ وَأَوْلَى بِكُلِّ مُفْتَخَرِ

---

(١) شارفوا شارف الشىء : اطلع عليه من فوق . والوضر : الوسخ والقذر

« شوشن[١] » عِنْدَ المَجُوسِ ، يَجْرِي مَجْرَى المَهْدِيِّ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَخْرُجُ وَقُدَّامَهُ أَرْبَعُونَ نَفْساً ، عَلَى كُلِّ مِنْهُمْ جِلْدُ النَّمِرِ ، فَيُعِيدُونَ دِينَ النُّورِ[٢] . قَالَ : فَقُلْتُ يَا أَبَا أَحْمَدَ ، هَـٰذِهِ بِالهِجَاءِ أَشْبَهُ مِنْهَا بِالمَرْثِيَةِ بِكَثِيرٍ . قَالَ : هَـٰكَذَا قَصَدَ النَّهْرَجُورِيُّ - لَا بَارَكَ اللهُ فِيهِ - وَقَدْ عَاتَبْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ : مَا اسْتَحَقَّ أَبُو جَعْفَرٍ هَذَا مِنْكَ . فَقَالَ : مَا تَعَدَّيْتُ مَذْهَبَهُ الَّذِي يَعْتَرِفُ بِهِ .

وَوَجَدْتُ فِي تَارِيخِ أَصْفَهَانَ مِنْ تَأْلِيفِ الحَافِظِ

---

(١) كانت فى الاصل « شوش » الذى هو اسم رسول فى كتبهم (٢) فى الأصل البور ، وفى هامش الأصل : لعله النور أو النار وهو ظاهر — ومذهب المجوسى فى عبادة النور معروف — وارجع إلى فرقهم وما بها من الاتفاق والاختلاف الى « الملل والنحل للشهرستانى » وغيره — « قلت » ومن وصية المهدى لابنه الهادى : يا بنى إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة « يعنى أصحاب مانى » فانها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد فى الدنيا والعمل للآخرة، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومس الماء الطهور، وترك قتل الهوام تحرجاً وتحوباً ، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين أحدهما النور والآخر الظلمة ، ثم تبيح بعدها نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال من الطرق لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور — وقال الجاحظ بعد أن أتى بشيء من خرافاتهم : وزرادشت بهذا العقل دعا الناس إلى نكاح الأمهات والتوضؤ بالأبوال — ولولا أنه صادف دهراً فى غاية الفساد وأمة فى غاية البعد من الحرية ومن الغيرة والأنفة ومن التغزر والتنظف لما تم له هذا الأمر . اه « أحمد يوسف نجاتى »

أَبِي نُعَيْمٍ قَالَ : الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، أَبُو أَحْمَدَ الْعَسْكَرِيُّ[1] الْأَدِيبُ أَخُو أَبِي عَلِيٍّ . قَدِمَ أَصْبَهَانَ مِرَاراً ، وَأَوَّلُ قَدْمَةٍ قَدِمَهَا سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ ، وَقَدِمَهَا أَيْضاً سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ ، وَكَانَ قَدِمَ أَصْبَهَانَ قَدِيماً ، وَسَمِعَ مِنَ الْفَضْلِ بْنِ الْخَصِيبِ . وَسَمِعَ عَنْهُ أُبَيٌّ وَابْنُ زُهَيْرٍ وَغَيْرُهُمَا ، تَأَخَّرَ مَوْتُهُ . تُوُفِّيَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ .

﴿ ١٦ – الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَهْلِ ﴾
﴿ ابْنِ سَعِيدِ بْنِ يَحْيَى * ﴾

الحسن بن عبد الله العسكرى

ابْنِ مِهْرَانَ ، أَبُو هِلَالٍ اللُّغَوِيُّ الْعَسْكَرِيُّ . قَالَ أَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ : وَكَانَ لِأَبِي أَحْمَدَ تِلْمِيذٌ وَافَقَ اسْمُهُ اسْمَهُ ، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِيهِ ، وَهُوَ عَسْكَرِيٌّ أَيْضاً ،

---

(١) فى الأصل « العكبرى » وهو تصحيف ، كما أن الحافظ جعل نسب أبى أحمد العسكرى . . بن الحسين ، وما هنا . . إسماعيل بدل حسين واقتصر ابن خلكان على : الحسن بن عبد الله بن سعيد ، وكذا شذرات الذهب ، وذكر وفاته فى سنة ٣٨٢

(*) راجع بغية الوعاة ص ٢٢١

فَرُبَّمَا اشْتَبَهَ ذِكْرُهُ بِذِكْرِهِ إِذَا قِيلَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْعَسْكَرِيُّ الْأَدِيبُ ، فَهُوَ أَبُو هِلَالٍ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ سَهْلِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ مِهْرَانَ اللُّغَوِيُّ الْعَسْكَرِيُّ ، سَأَلْتُ الرَّئِيسَ أَبَا الْمُظَفَّرِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ الْأَبِيوَرْدِيَّ[1] — رَحِمَهُ اللهُ — بِهَمَذَانَ عَنْهُ ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ وَوَصَفَهُ بِالْعِلْمِ وَالْفِقْهِ مَعاً وَقَالَ : كَانَ يَبْزُزُ[2] احْتِرَازاً مِنَ الطَّمَعِ وَالدَّنَاءَةِ وَالتَّبَذُّلِ ، وَذَكَرَ فِيهِ فَصْلاً هُوَ فِي سُؤَالَاتِي عَنْهُ ، وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْأَدَبَ وَالشِّعْرَ . وَلَهُ فِي اللُّغَةِ :

---

(١) هو الرئيس أبو المظفر محمد بن أبى العباس أحمد بن محمد الأبيوردى الشاعر الأديب المشهور ، كان راوية نشأ به كل من أخذ الناس بعلم الأنساب نقل عن الحفاظ الثقات ، كان متصرفاً فى فنون جمة من العلوم والمعارف . وله تصانيف كثيرة مفيدة ، توفى بأصبهان سنة ٥٥٧ فسؤاله عن أبى هلال لا لأنه معاصره بل لخبرته بالرجال وتواريخهم وأنسابهم . وله فى ذلك مؤلفات يعتمد عليها ويوثق بها والسائل الحافظ السلفى كذلك ولد سنة ٤٧٢ وتوفى سنة ٥٧٦

(٢) بهامش الأصل : لعله يتزر : وفى البغية يتبزز اهـ . وفى بعض المراجع « يبرز » — وفى الاصل هذا « يبزز » — ولعل أقرب هذه الكلمات إلى المراد « يتبزز » من البز وهو الثياب ، يعنى أنه يتجمل ويظهر للناس ذا بزة حسنة ولبسة تدفع عنه التبذل فلا يزال الناس فى كل عصر يكرمون الرجل ويجلونه لحسن بزته وهيئته وجمال شارته ولبسته — والتبذل ترك التصون ، وعدم أخذ الانسان زينته بلبس الثياب الحسنة بل بلبس ما يمتهن به من الثياب ويتبذل به فى منزله . « عبد الخالق »

كِتَابٌ سَمَّاهُ بِالتَّلْخِيصِ وَهُوَ كِتَابٌ مُفِيدٌ، وَكِتَابُ صِنَاعَتِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَهُوَ أَيْضاً كِتَابٌ مُفِيدٌ جِدًّا، وَمِنْ جُمْلَةِ مَنْ رَوَى عَنْهُ أَبُو سَعْدٍ السَّمَّانُ (١) الْحَافِظُ بِالرَّيِّ، وَأَبُو الْغَنَائِمِ بْنُ حَمَّادٍ الْمُقْرِئُ إِمْلَاءً (٢).

وَأَنْشَدَنِي أَبُو هِلَالٍ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَهْلٍ الْعَسْكَرِيُّ لِنَفْسِهِ:

قَدْ تَخَطَّاكَ (٣) شَبَابٌ وَتَغَشَّاكَ مَشِيبُ
فَأَتَى مَا لَيْسَ يَمْضِي وَمَضَى مَا لَا يَئُوبُ
فَتَأَهَّبْ لِسَقَامٍ لَيْسَ يَشْفِيهِ طَبِيبُ
لَا تَوَهَّمْهُ بَعِيداً إِنَّمَا الْآتِي قَرِيبُ

---

(١) هو إسماعيل بن على الرازى الحافظ، سمع بالعراق ومكة ومصر والشام، وكان من الحفاظ الكبار زاهداً عابداً يذهب إلى الاعتزال مع تبحره فى العلوم، وله مصنفات كثيرة توفى سنة ٤٤٥ (٢) يظهر أن هنا سقطا، والأصل قال «أى أبو الغنائم بن حماد» وأنشدنى أبو هلال الخ — وإلا فلا يمكن أن يكون الحافظ السلفى الذى ينقل المؤلف عبارته هو الذى يقول: وأنشدنى الخ فأن مولد السلفى سنة ٤٧٢ بعد موت أبى هلال بنحو ٧٧ سنة

(٣) أى تجاوزك وزال عنك مبتعدا. وفى الأصل: «تماطاك» فأصلحت كما ترى وعليه يستقيم المعنى «عبد الخالق»

وَمِمَّا أَنْشَدَنَا الْقَاضِي أَبُو أَحْمَدَ الْمُوَحِّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْحَنَفِيُّ بِتُسْتَرَ قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو حَكِيمٍ أَحْمَدُ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ الْعَسْكَرِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنَاهُ أَبُو هِلَالٍ الْحَسَنُ ابْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَهْلٍ اللُّغَوِيُّ لِنَفْسِهِ بِالْعَسْكَرِ :

إِذَا كَانَ مَالِي مَالَ مَنْ يَلْقُطُ الْعَجَمْ (١)
وَحَالِي فِيكُمْ حَالُ مَنْ حَاكَ (٢) أَوْ حَجَمْ
فَأَيْنَ انْتِفَاعِي بِالْأَصَالَةِ وَالْحِجَى
وَمَا رَبِحَتْ كَفِّي مِنَ (٣) الْعِلْمِ وَالْحِكَمْ ؟
وَمَنْ ذَا الَّذِي فِي النَّاسِ يُبْصِرُ حَالَتِي
فَلَا يَلْعَنُ الْقِرْطَاسَ وَالْحِبْرَ وَالْقَلَمْ

وَمِمَّا أَنْشَدَنَا الْقَاضِي أَبُو أَحْمَدَ الْحَنَفِيُّ بِتُسْتَرَ قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو حَكِيمٍ اللُّغَوِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ لِنَفْسِهِ :

---

(١) العجم : نوى كل شىء الواحدة : عجمة . يريد أن ما يملكه كالذى يملكه من يلقط العجم لعله يريد الالتقاط للقوت (٢) كانت فى الأصل حال باللام (٣) كانت فى الأصل هذا « على »

جُلُوسِيَ فِي سُوقٍ أَبِيعُ وَأَشْتَرِي
دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الأَنَامَ قُرُودُ

وَلَا خَيْرَ فِي قَوْمٍ تَذِلُّ كِرَامُهُمْ
وَيَعْظُمُ فِيهِمْ نَذْلُهُمْ وَيَسُودُ

وَيَهْجُوهُمُ عَنِّي رَثَاثَةُ كُسْوَتِي
هِجَاءً قَبِيحاً مَا عَلَيْهِ مَزِيدُ

وَمِمَّا أَنْشَدَنَاهُ أَبُو غَالِبٍ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْقَاضِي بِالسُّوسِ قَالَ : أَنْشَدَنَا الْمُظَفَّرُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ الْجَرَّاحِ الأَسْتَرَابَاذِيُّ قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو هِلَالٍ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ابْنِ سَهْلٍ اللُّغَوِيُّ الْعَسْكَرِيُّ لِنَفْسِهِ :

يَا هِلَالاً مِنَ الْقُصُورِ تَدَلَّى
صَامَ وَجْهِي لِمُقْلَتَيْهِ وَصَلَّى

لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِيَ أَمْ لَا
كَيْفَ يَدْرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّى ؟؟

لَوْ تَفَرَّغْتُ لِاسْتِطَالَةِ لَيْلِي
وَلِرَعْيِ النُّجُومِ كُنْتُ مُخِلاًّ (١)

هَذَا آخِرُ مَا ذَكَرَهُ السِّلَفِيُّ مِنْ حَالِ أَبِي هِلَالٍ . قَالَ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ : وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ الْأَخِيرَةُ الَّتِي مِنْهَا :

« لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا »

وَالْبَيْتُ الَّذِي بَعْدَهُ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ مَنْسُوبًا إِلَى خَالِدٍ الْكَاتِبِ وَاللهُ أَعْلَمُ . هَذَا عَنِ السِّلَفِيِّ . وَذَكَرَ غَيْرُهُ : أَنَّ أَبَا هِلَالٍ كَانَ ابْنَ أُخْتِ أَبِي أَحْمَدَ ، وَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ بَعْدَ مَا ذَكَرَهُ السِّلَفِيُّ : كِتَابُ جَمْهَرَةِ الْأَمْثَالِ ، كِتَابُ مَعَانِي الْأَدَبِ ، كِتَابُ مَنِ احْتَكَمَ مِنَ الْخُلَفَاءِ إِلَى الْقُضَاةِ ، كِتَابُ التَّبْصِرَةِ وَهُوَ كِتَابٌ مُفِيدٌ ، كِتَابُ شَرْحِ الْحَمَاسَةِ ، كِتَابُ الدِّرْهَمِ وَالدِّينَارِ ، كِتَابُ الْمَحَاسِنِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ خَمْسُ مُجَلَّدَاتٍ ، كِتَابُ الْعُمْدَةِ ، كِتَابُ فَضْلِ الْعَطَاءِ عَلَى الْعُسْرِ ، كِتَابُ مَا تَلْحَنُ فِيهِ الْخَاصَّةُ ، كِتَابُ أَعْلَامِ الْمَعَانِي فِي مَعَانِي الشِّعْرِ ، كِتَابُ

---

(١) من الاخلال أى مقصراً فى الحب وفى الأصل : « مخلى » وهو تحريف

الْأَوَائِلِ، كِتَابُ دِيوَانِ شِعْرِهِ، كِتَابُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَعَانِي[١]، كِتَابُ نَوَادِرِ الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ. قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَأَمَّا وَفَاتُهُ فَلَمْ يَبْلُغْنِي فِيهَا شَيْءٌ، غَيْرَ أَنِّي وَجَدْتُ فِي آخِرِ كِتَابِ الْأَوَائِلِ مِنْ تَصْنِيفِهِ: وَفَرَغْنَا مِنْ إِمْلَاءِ هَذَا الْكِتَابِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِعَشْرٍ خَلَتْ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ. وَلِبَعْضِهِمْ:

وَأَحْسَنُ مَا قَرَأْتُ عَلَى كِتَابٍ ... بِخَطِّ الْعَسْكَرِيِّ أَبِي هِلَالِ

فَلَوْ أَنِّي جُعِلْتُ أَمِيرَ جَيْشٍ ... لَمَا قَاتَلْتُ إِلَّا بِالسُّؤَالِ

فَإِنَّ النَّاسَ يَنْهَزِمُونَ مِنْهُ ... وَقَدْ ثَبَتُوا لِأَطْرَافِ الْعَوَالِي

وَقَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي تَفْضِيلِ الشِّتَاءِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَزْمِنَةِ:

---

(١) زاد فى البغية: رسالة فى العزلة والاستئناس بالوحدة

فَتَرَتْ صَبْوَتِي وَأَقْصَرَ شَجْوِى

وَأَتَانِي السُّرُورُ مِنْ كُلِّ نَحْوِ

إِنَّ رُوحَ الشِّتَاء خَلَّصَ رُوحِى

مِنْ حُرُورٍ[1] تَشْوِى الْوُجُوهَ وَتَكْوِى

بَرَدَ الْمَاءُ وَالْهَوَا وَكَأَنْ قَدْ

سَرَقَ الْبَرْدُ مِنْ جَوَانِحِ خِلْوِ[2]

رِيحُهُ تَلْمَسُ الصُّدُورَ فَتَشْفِى

وَغَمَامَاتُهُ[3] تَصُوبُ فَتَرْوِى

لَسْتُ أَنْسَى مِنْهُ دَمَاثَةَ دَجْنٍ[4]

ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ نَضَارَةَ صَحْوِ

وَجَنُوبًا يُبَشِّرُ الْأَرْضَ بِالْقَطْـ

ـرِ كَمَا بَشَّرَ الْعَلِيلُ بِبُرْءِ

---

(١) الحرور بالضم جمع حر (٢) ما أحسن هذا النوع من البديع إذ استطرد الذكر الذى خلت جوانحه من الغرام ، وأنه لخلو قلبه ما أبرده « عبد الخالق »

(٣) فى الاصل : غماياته ، وتصوب : تنصب وتنزل (٤) والدجن بالفتح : إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء ، والمطر الكثير ، وأصله الظلمة .

وَغُيُوماً مُطَرَّزَاتِ الْحَوَاشِي

بِوَمِيضٍ مِنَ الْبُرُوقِ وَخَفْوِ (١)

كُلَّمَا أَرْخَتِ السَّمَاءُ عُرَاهَا (٢)

جَمَعَ الْقَطْرُ بَيْنَ سُفْلٍ وَعُلْوِ

وَهِيَ تُعْطِيكَ حِينَ هَبَّتْ شَمَالًا

بَرْدَ مَاءٍ فِيهَا وَرِقَّةَ جَوٍّ

وَتَرَى الْأَرْضَ فِي مُلَاءَةِ ثَلْجٍ

مِثْلَ رَيْطٍ (٣) لَبِسْتَهُ فَوْقَ فَرْوِ

فَاسْتَعَارَ الْعَرَارُ (٤) مِنْهَا لِبَاساً

سَوْفَ يُمْنَى مِنَ الرِّيَاحِ بِنَضْوِ

(١) الخفو : اللمعان الضعيف المعترض فى نواحى الغيم ، ومنه قول الحريرى :

وردنى أخيب من شائم برقا خفا فى شهر تموزا

(٢) عراها جمع عروة : يريد كلما انفكت عراها (٣) الريط واحده ريطة : وهى الملاءة غير ذات لفقين أى كلها نسج واحد ، وقطعة واحدة — أو هى كل ثوب لين رقيق يشبه الملحفة (٤) العرار : بهار ناعم أصفر طيب الريح . قال الخليل : هو بهار البر ، واحدته عرارة — ويمنى . أى يبتلى ويصاب — والنضو . مصدر نضاه من ثوبه ينضوه : أى جرده يريد أنه ييبس ويذبل .

فَكَأَنَّ الْكَافُورَ مَوْضِعُ تُرْبٍ

وَكَأَنَّ الْجُمَانَ (١) مَوْضِعُ قَرْوِ

وَلَيَالٍ أَطَلْنَ مُدَّةَ دَرْسِى

مِثْلَمَا قَدْ مَدَدْنَ فِى عُمْرِ لَهْوِى

مَرَّ لِى بَعْضُهَا بِفِقْهٍ وَبَعْضٌ

بَيْنَ شِعْرٍ أَخَذْتُ فِيهِ وَنَحْوِ

وَحَدِيثٍ كَأَنَّهُ عِقْدُ (٢) رَيَّا

بِتُّ أَرْوِيهِ لِلرِّجَالِ وَتَرْوِى

فِى حَدِيثِ الرِّجَالِ رَوْضَةُ أُنْسٍ

بَاتَ يُرْعَى بِأَهْلِ نُبْلٍ وَسَرْوِ (٣)

---

(١) الجمان : واحده جمانه ، وهي حبة تعمل من الفضة كالدرة — والجمان أيضاً اللؤلؤ معرب كان بالفارسية . والقرو : الارض التى لا تكاد تقطع

(٢) يريد تشبيه الحديث بالدر الذى صنع منه عقد ريا

(٣) سرو . أى شرف ومروءة

١٧ — الحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْعُثْمَانِىُّ (*)

الحسن بن عبد الله النيسابورى

أَبُو عَلِىٍّ النَّيْسَابُورِىُّ . ذَكَرَهُ عَبْدُ الْغَافِرِ فِى كِتَابِ السِّيَاقِ وَقَالَ : إِنَّهُ مَاتَ فِى شُهُورِ سَنَةِ نَيِّفٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمَائَةٍ . وَوَصَفَهُ فَقَالَ : هُوَ الْإِمَامُ الْكَامِلُ الْبَارِعُ فِى فَنِّهِ ، الْمُعْجِزُ فِى نُكَتِهِ ، لَهُ التَّصَانِيفُ الْمَشْهُورَةُ فِى التَّذْكِيرِ وَالْخُطَبِ وَطُرَفِ الْأَشْعَارِ وَالرَّسَائِلِ وَالْمُوَشَّحَاتِ الْغَرِيبَةِ ، وَالصِّنَاعَاتِ الْبَدِيعَةِ ، وَالتَّرْصِيعَاتِ الرَّشِيقَةِ فِى النَّظْمِ وَالنَّثْرِ ، بِحَيْثُ يَسْتَفِيدُ مِنْهَا الْأَكَابِرُ وَالْأَمَاثِلُ ، وَيَسْتَضِىءُ بِنُورِهَا الْبُلَغَاءُ فِى الْمَحَافِلِ . تَفَقَّهَ عَلَى الْجُوَيْنِىِّ (١) ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى نَاحِيَةِ بُشْتَ (٢) وَسَكَنَهَا ، وَوَافَى بِهَا

---

(١) كانت فى الأصل « الجونى » وأظنها محرفة عن « الجوينى » كما ذكرناه يريد الإمام الجليل أبا المعالى عبد الملك بن أبى محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله يوسف الجوينى إمام الحرمين المشهور توفى سنة ٤٧٨ — وإذا أطلق لقب « الجوينى » لا يكاد ينصرف إلا إليه « أحمد يوسف نجاتى » (٢) بشت : بلد بنواحى نيسابور

(*) لم نعثر على من ترجم له سوى ياقوت فى كتب التراجم التى بأيدينا ونبه ياقوت على مصدر ترجمته

قَبُولًا بَالِغاً ، فَصَارَ مُشَاراً إِلَيْهِ فِي عَصْرِهِ تَحْتَرِمُهُ الصُّدُورُ . قَالَ : وَافَيْتُ النَّاحِيَةَ فَرَأَيْتُ ازْدِحَاماً عَلَى قَبْرِهِ فِي الْمَوْسِمِ وَتَنَاحُراً عَلَيْهِ ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَيْلِهِ إِلَى مَعْقُولَاتِهِ فِي تَصَانِيفِهِ وَمَجْمُوعَاتِهِ نَظْماً وَنَثْراً دُونَ الْمَنْقُولِ .



انتهى الجزء الثامن

من كتاب معجم الأدباء

﴿ ويليه الجزء التاسع ﴾

(وأوله ترجمة)

﴿ الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى ﴾

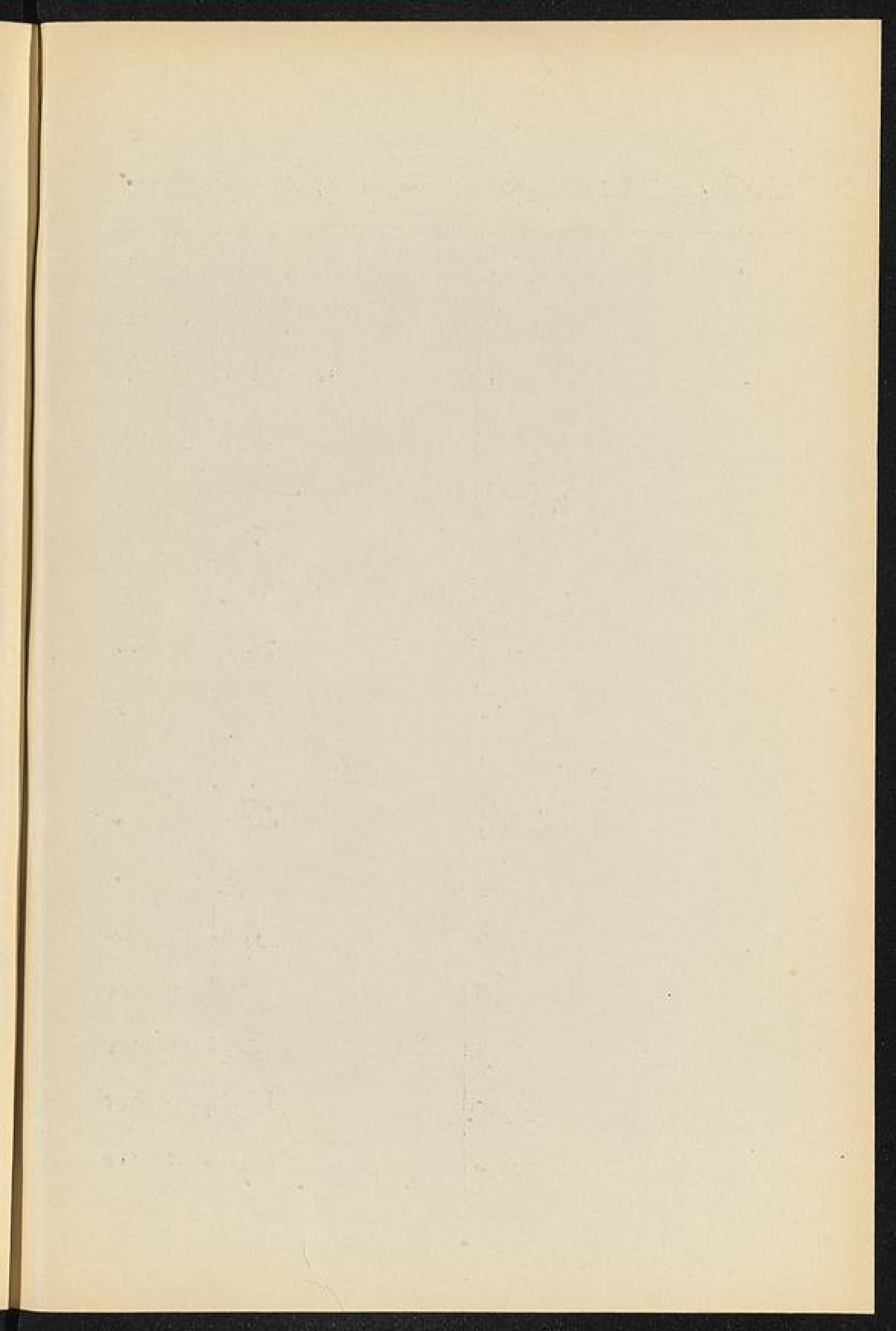


الجزء الثامن

«من كتاب معجم الأدباء»

لياقوت الرومى

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	مايجب أن تكون عليه الكلمة
٢٦	١١	منفذا	منذرا
٥٩	١١	المفضلُ	المفضلَ
٦٢	٦	ما استطاعا	ما اسطاعا
٨٦	١٣	الدهرُ	الدهرَ
٩١	١٠	للخطيب	للخصيب
٩٢	١٧	الذاء	الذال
٩٤	١٤	من أكون	أن أكون
١٠٣	١	والثقة	والفقه
١٠٥	٣	حجرة	حفرة
١٠٥	٤	احدى وعشرين	احد وعشرين
١٤٥	٣	وامنَحَهْ	وأَمْنَحُهُ
١٥٠	١	ليلةٍ	ليلةً
١٨٨	٢٠	صدور	صدود
٢٢٩	١	العلا	القِلَى
٢٣٤	٩	غَيرتَ	غُيرت
٢٤٣	١٠	يتقولوا	يتطولوا
٢٤٥	٢	مسارٍ	مسارُ



صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أنْ تكون عليه الكلمة
١٢	٦	ومعارضتُه	ومعاوضتُه
٢٥	١٣	فأَرسلتَ مسلاس	فأَرسلْنَ مِقْلاق
٢٥	١٩	مِسلاس الوشاح الخ	المقلاق من لا يثبت الوشاح عليها لتثنيها
٥٤	١١	كالف	كاسف
٦٣	٥	بعده	بعدها
٧٩	١	مائةِ	مائةُ
٩٥	٥	البويرعِ	البويرعَ
١٢٦	٦	بإِعلامها بنا	بإِعلامنا بها . وعلى هذا يحذف الشرح ، لأن أسانا أصلها أسأنا وخففت
١٢٨	١٣	ثلاث مجالس	ثلاثة مجالس
١٥٣	٧	يرد به	يرويه
١٥٥	٢	اليمّ	البِمّ
١٥٨	١٤	يعدّل	يعوّل
١٧٣	١٣	فنفذ	فأَنفذ
١٩٣	٧	كذِبٌ	لا كذبٌ
١٩٤	١٠	يسوء	يسر
٢٢٨	١	أعذر	أقدر

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
٢٢٨	٣	فى طباع	فيه طباعٌ
٢٤٠	١١	عليه	عليها
٢٤٣	١٣	علوسة	علوسةٌ
٢٩٢	١٢	أقيمَ	أقيمُ
٢٩٧	١	المصباح	الصباح
٣٠٤	٧	تذعُر	تذعَر

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
٣٢	١١	المتاطف	المتعطف
٣٣			فى كتب أخرى يوجد بين البيتين اللذين فى أول الصفحة بيت هذا نصه لأبعثن بها قد حوى الغريب المصنف
٣٣	٧	الأطباء	الأدباء
٦٥	١٣	كطائر	كصارم
١١٣	٨	مرادَ	مرادُ
١٣٥	١٦	بألف دينار أندلسيا	أندلسية
١٤٥	١٩	فملهج	فملهوج
١٥٨	٣	فأشهَر	فأشهُر
١٦٢	١٠	مثلث	مثلّث
١٧١	١	يتباهون	يتبارون
١٦٩	٦	الجبانى	الحبال

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	مايجب أن تكون عليه الكلمة
١٦٦	٣	عالى الحديث	على الحديث : ويحذف الهامش
١٧١	١٢	البارحةَ	البارحةُ
١٨٨	٩	الوزير عبد الله	الوزير عبيد الله
٢٠٥	١٢	فى شوال	مات فى شوال
٢١٧	١٣	على غيره	على انسان آخر
٢٣٦	١٣	أو لأمر وضع	أولا ثم وضع
٢٤٦	١٢	منونةٍ	مذونةً
٢٤٨	١٧	إشارة لايعقلها إلا العالمون	بسرعة لايعقلها الخ
٢٦٧	٦	التسميع	التسمية

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
١٦	٢	العنف	الفيف
١٦	١٤	الشرح (٢)	الفيف جمع فيفاء وهى المفازة والسند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح
٢٣	٢	وتبرُكهم	وتبرِكهم
٣٢	١	مملوء	مملوءة
٣٥	٩	مربَع	متربّع
٥١	٧	للرجل	لرجلٍ
٥٩	١١	يستمدَّهما	يستمدُّهما
٦٨	٥	عناء	عشاء
٦٩	٦	وَعودى	وُعودى
٧١	١٤	مصافيا	صافيا
٧٢	١٧	صفة للوعة	صفة لبيداء
٧٦	٣	تبيين قدامة	تبيين غلط قدامة
٧٨	٣	الآمَدى	الآمِدى
٧٦	٢٢	لَدَى	لِذِى
٨٠	١٥	شدة الحزن	شدة الخزى
٨٧	٥	ويحضر	وكان يحضر
٨٩	١٦	فلم لم أمدحك	فلم أَمدحك
٩٩	٣	بنى العين	بنى القين

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
١٠٣	١٢	وضعه	وقفه
١١١	١٢	نفسُه	نفسَه
١١٦	٦	حنكت	أحكمت
١١٦	٩	لأقبضنَّ	لأقبضَنْ
١١٦	١٥	فأصلحت إلى الخ	فأصاحت إلى أحكمت
١١٧	١٢	سيف الهجر	سيف الوصل
١٢٢	٥	عساكرٍ	عساكرَ
١٢٣	٨	كتابٍ	كتابُ
١٢٥	٤	مَنتحل	مُنتحل
١٢٥	١٦	فلان	فلانا
١٢٩	٨	الانبساط	الابطاء
١٢٩	٩	فأعدُك	أعدّك
١٣٣	١٧	مخوف	نخوف
١٣٥	١٤	النايان	النايات
١٤١	٦	باغ	لعلها : باح
١٩٢	١٠	العقول الجامدة	العقول الحاصدة
٢٠٢	٧	عبَّر	عبَر
٢٠٧	٣	وأن تجهلَ	وأنت تجهل
٢١٥	٢	النعت	النحو

صفحة	سطر	الكلمة المحرفة	ما يجب أن تكون عليه الكلمة
٢١٦	١	به نسج	بها نسج
٢٣٦	١٤	الثانية	الثالثة
٢٤٤	٢٠	رياض	رياش
٢٥٦	٣	أَرْيَنَ	أَرَيَنْ
٢٦١	١٤	يلفظ	يلقط
٢٦٥	٩	دمائة	دمَاسة
٢٦٦	١٧	أنه ييبس الخ	أن الرياح سوف تخلع عنه لباس الثلج

***

في صفحة ٧٨ و٧٩ قصيدة لامية أُنشدت بكسر حرف الروى فكانت مطلقة القافية ولنا أن نرويها بسكون اللام فلا نحتاج إلى الشرح الذى فى صفحة ٧٩ المرقوم بعدد ١ وتكون القصيدة مقيدة القافية ويصير فعولن فيها فعو مُعَلاًّ بالحذف وهو ذهاب السبب الخفيف وذلك جائز فى المتقارب الذى منه القصيدة